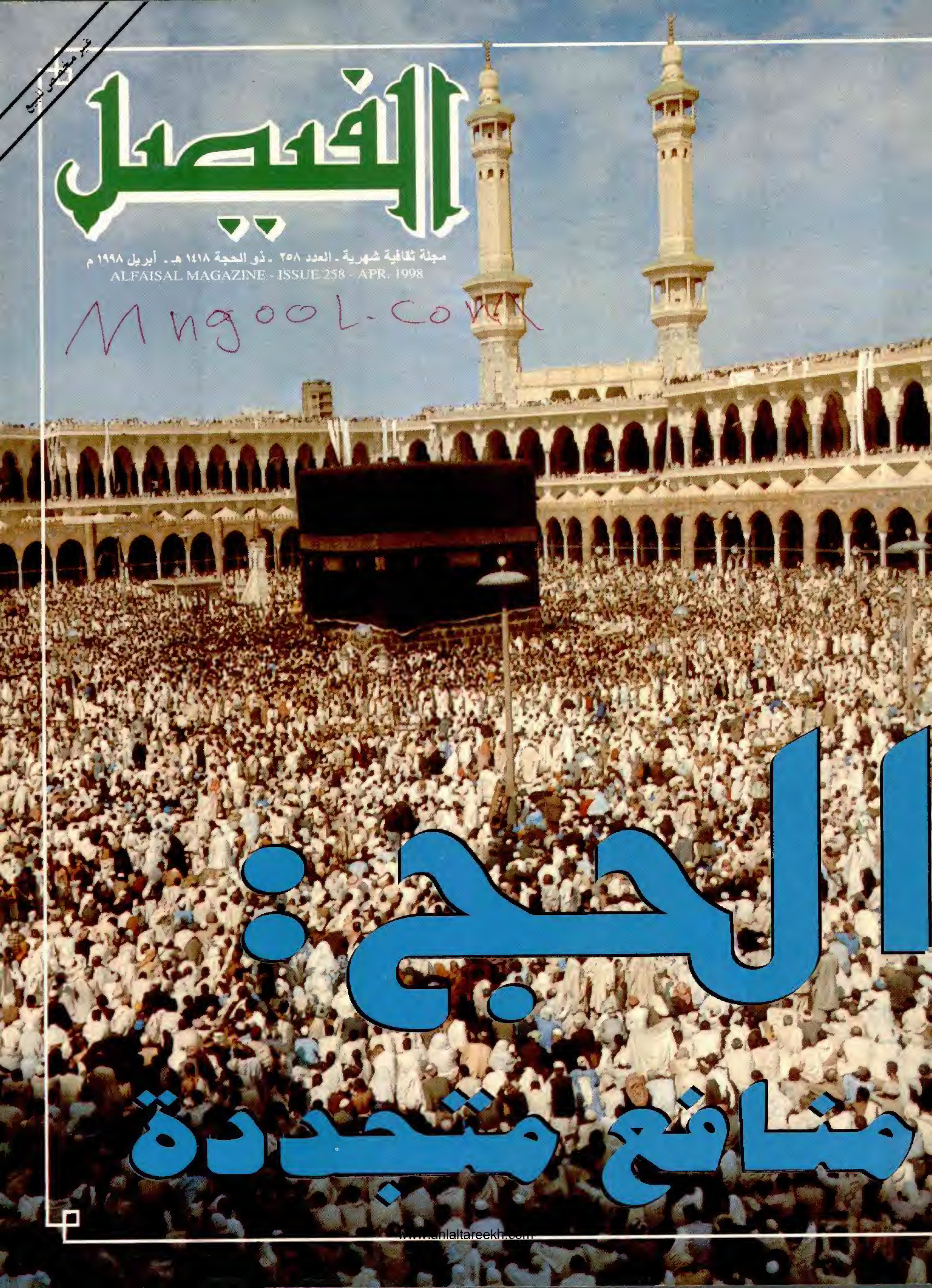

غير مخصص للبيع
الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٥٨ - ذو الحجة ١٤١٨ هـ - أبريل ١٩٩٨ م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 258 - APR. 1998
الحج
منافع متجددة
www.ahlaltareekh.com

شهاب الأخبار

في الحكم والأمثال والآداب الشرعية من الأحاديث النبوية
لمحمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤هـ)

كُتب المخطوط على ورق مشرقي بخط مغربي مشكول ومتقن في القرن الحادي عشر الهجري. وقد جُدولت الصفحة الأولى منه بماء الذهب، تعلوها عبارة: قال الشيخ أبو عبدالله محمد بن سلامه القضاعي رحمه الله، التي كُتبت بماء الذهب وسط مستطيل كبير مجدول بماء الذهب، ومحلى سطحه وجوانبه بالرسوم والأشكال النباتية والوردية المذهبة والملونة بالألوان الزاهية، مثل: الأحمر، والأخضر، والأزرق، والأبيض، في شكل جميل رائع. أما خارج هذا المستطيل وفي الجانب الأيمن من الصفحة، فقد اتصل المستطيل بدائرة بداخلها دوائر صغيرة، وبها رسوم نباتية ووردية بالألوان الذهبي، والأحمر، والأخضر، والأزرق، والأبيض. وأما باقي صفحات الكتاب فقد جدولت بالحبر الأحمر والأزرق. كما كُتبت رؤوس الفقرات والفصول والأبواب بالحبر الأحمر أو الأزرق أو الأخضر، وكذلك الفواصل بين العبارات كُتبت بالحبر الأحمر.

وقد جُلد المخطوط بالجلد البني الغامق، وفي وسطه ميدالية كبيرة بيضية الشكل، وبداخلها رسوم على هيئة دوائر صغيرة ومجدولة بخطوط متوازية غائرة، بداخلها رسوم على هيئة سلسلة، وخارجها رسوم على هيئة أعمدة، وقد حلّيت السلاسل والأعمدة بماء الذهب الذي يبدو أثره في تلك الرسوم.

يقع المخطوط في ١٩ ورقة، ومسطرته ١٨ سطراً، ومقاسه ٢ر٢١×٧ر١٦سم.

والمخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم ٧٧٠٣

إعداد:
إبراهيم باجس عبدالمجيد



الحمد لله القادر الآمر، المعيد الحليم، الفاطر القهار القديم، باعث
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم، وبديع الحكم، وجاعله
للناس بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، صلى الله
عليه وسلم وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
أما بعد فإن في الألفاظ النبوية، والآداب الشرعية، جلاء لقلوب
العارفين، وشفاء لأدواء الخائفين، لصدورها عن المؤيد بالعصمة
والمخصوص بالبيان والحكمة، الذي يدعو إلى الهدى، ويبصر من العمى
ولا ينطق عن الهوى، صلى الله عليه أفضل ما صلى على أحد من عباده الذين
اصطفى، وقد جمعت في كتابي هذا مما سمعته من حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألف كلمة من الحكمة في الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال
قد سلمت من التكاليف مبانيها، وبعدت عن التعسف معانيها
وبانت بالتأييد عن فصاحة الفصحاء، وتميزت بهدى النبوة عن
بلاغة

في العدد القادم

- تصورات أولية لقوانين جدل الشعر العربي
- حرب الشيشان: بداية أم نهاية؟
- الوجه الآخر للعلوم والتقنية

رئيس التحرير
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



عن العدد الماضي

تابعت «الفيصل» في عدد جديد (٢٥٧)، فوجدتها تجذب القراء إليها، كعادتها؛ لما فيها من تنوع في العطاء الفكري واللغوي والإبداعي، وهذا ما اختطته الفيصل لنفسها، وبه تميّزت من سائر المجلات والدوريات.

ووقفت لأطل على إطلالة الشهر الجديد بقلم الدكتور زيد الحسين رئيس تحرير المجلة الذي اعتاد القارئ منه ملامسة الواقع وصدق الكلمة، فإذا بالعنوان يعود بك إلى معجمات اللغة، وهي دعوة ذكية إلى الاهتمام بالمعجمات وكتب اللغة. وحتى لا أبتعد من موضوعها فقد ركز الكاتب في إطلالته على رؤى محددة لرصد العمل الخيري التطوعي، ودعوة الموسرين إلى الاقتداء بأعلام رصدت لنفسها اسمًا في العمل الخيري التطوعي.

والمجلة لم تغفل الساحة الخارجية والطروحات المعتادة في أبوابها المتنوعة، ولكن الخوض في تخصص علم الحيوانات والتفاهم بين ألوانها وأجناسها وطريقة تعاملها ميّز هذا العدد، وأتاح للقراء الاطلاع على عالم الحيوانات العجيب.

ولا أغفل، وأنا أقلب صفحات المجلة، عن زوايا وأبواب القراء المتنوعة التي تُدعم بين الحين والآخر بالجديد والتجديد، وكان ما جاء تحت عنوان «أديب وذكرى» مما استرعى انتباهي في هذا العدد. وأسجل في هذه الأسطر مقترحًا علّه يجد القبول لدى القائمين على المجلة، وعلى رأسهم د. زيد الحسين. والمقترح هو: أن توضع هذه الشخصيات ضمن سلسلة شهرية تُقدَّم للقارئ تحت عنوان: «ملف الذكريات» أو «ذكريات العلماء» أو «سيرة أديب».. المهم إعطاء هذه الفئة المخلصة ـ كما هو الحال في هذا العدد ـ أهمية حتى لا تنساها الأجيال.

عبدالرحمن بن محمد اليحياوي
الإدارة العامة للتعليم بالمنطقة الغربية



مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ ـ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ ـ ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ ـ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ ـ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

٥ ـ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤ ـ فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الاشتراكات السنوية :

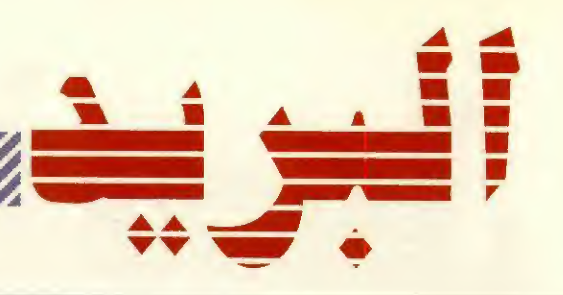
للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ١٥٠ جنيه ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.



حول «نافذة على ثقافة العالم»

لا أريد أن أطيل في الإشادة بقيمة «الفيصل» وأصالتها وتميُّزها؛ فهي غنية عن ذلك بإسهامها في مختلف فروع المعرفة والثقافة، وقيامها بدور رائد في التنوير والتثقيف.

لدي اقتراح بشأن «نافذة على ثقافة العالم» التي تعرضون عبرها ثمرات المطابع من كتب جيدة، واقتراحي هو أن توردوا في مستهل عرض محتوى الكتاب - بالإضافة إلى عنوان الكتاب واسم المؤلف - اسم دار النشر وعنوانها، الذي يمكن من خلاله مراسلتها لشراء الكتاب، ففي ذلك تحقيق للفائدة.

محمد علي مهدي القرني

ص.ب ٧٢٦، بيشة، السعودية.

نوادر التصنيف: زاد لجيل تهدده العولمة!!

لقد شدني في مجلتنا المحبوبة «الفيصل» - ضمن ما شدني من موضوعات راقية وجذابة وشائقة - الزاوية الثابتة: «من نوادر التصنيف». إنني أشعر بالغبطة عندما أقرأ هذه الزاوية، التي تتصل اتصالاً وثيقًا بتراثنا، وأدبنا الأول.

إن هذه الزاوية التي وفقتم في اختيارها أيما توفيق، تبرز اهتمام أسلافنا الأفذاذ وعنايتهم بكل شيء في شتى مجالات الحياة، ليس مجرد اهتمام عابر فحسب؛ بل الحرص على تدوينه لخلفهم وللتاريخ؛ وكأني بالسلف الصالح الذي بنى مجد الأمة وشاد صرح حضارتها، قدَّر بثاقب فكره، ما سوف يؤول إليه الخلف، وما سوف يحيق به من انكسار، على الرغم من حصول الخلف على الكثير مما لم يتح للسلف.

أعود وأذكر روعة زاوية «من نوادر التصنيف»، وأشير إلى أن مجرد قراءة عرض موجز عن تلك الذخائر لا يروى الظامئين إلى التراث، فالجيل الجديد في حاجة إلى الاطلاع المتعمق على تلك الكتب. صدقوني نحن في حاجة ماسة إليها، ولذلك فلا بأس بالإشارة إلى المكتبات التي يمكن أن توجد فيها، أو دور النشر التي تتولى إعادة طباعتها؛ فأنتم بذلك تسدون خدمة جليلة لجيل يُخشى عليه من خطر العولمة.

علي بن عواجي محمد مهجري

جازان، السعودية.

نريد المزيد من الموضوعات الإسلامية

يسرني أن أثني على جهد العاملين في هذه المجلة، التي أثبتت تميزها، واستطاعت منذ بدايتها أن تكسب حب قرائها واحترامهم؛ بحيث نفتقدها كلما غابت بسبب تذبذب التوزيع، ونفرح بعودتها واستمرارها وانتظام توزيعها، كما هو الحال الآن. وما هذا الارتباط بين «الفيصل» وقرائها - في رأيي - إلا لأنها تسد فراغًا كبيرًا في عالم الثقافة العربية؛ تلك الثقافة التي تنوء بإصدارات لا تسمن ولا تغني من جوع!.

أسوق ذلك تعقيبًا على ردكم على أحد القراء (الأخ الزهراني من الباحة) الذي أشار إلى قلة الموضوعات الإسلامية، فأجبتموه بأن هناك من يرى أن الموضوعات الإسلامية كثيرة؛ بل طاغية على المواد الأخرى. ولقد دهشت قبل أن أصل إلى رسالة الأخ القارئ وتعقيبكم عليها، لأنني لاحظت - مثله - قلة الموضوعات الإسلامية، وسط فيض من الموضوعات الأخرى التي تتحدث عن اللغة، والعقل، والعلم، والتراث، والتاريخ.

نحن نريد منكم أن تدفعوا مزيدًا من الهواء النقي في رئة الثقافة العربية الإسلامية، لإنعاشنا من تأثيرات الإعلام الفاسد المفسد، فإلى مزيد من النفحات العطرة، وغذاء الروح والعقل.

أختكم: غ. ع. ن

دمشق، سورية.

التعريف بمؤلفات الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية

لي شرف عظيم أن أحمل قلمي أول مرة لأعبر لكم عن إعجابي الشديد بالفيصل التي سطع نجمها في الآفاق، واكتسبت شهرة لا مثيل لها، لما تبذله من جهود موفقة، ولما تقوم به من خدمات وأعمال جليلة تسديها إلى القارئ العربي من المحيط إلى الخليج.

نشكر لكم هذه العناية التي تولونها للشباب العربي، أمل الأمة وعمودها الفقري، وقلبها النابض، وحصنها المنيع، أثابكم الله، وثبتكم في هذا العمل الفذ، وأدام شعاعكم، وأبقاكم ذخرًا للأمة..

واسمحوا لي أن أعرض هذه الملاحظة التي تخص الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية: من المفيد ألا تكتفوا بالسيرة الذاتية للفائز؛ بل لا بد من إلقاء الضوء على العمل الذي فاز به؛ وذلك بعرضه على صفحات «الفيصل»؛ إن كان كتابًا موضوعًا بالعربية، أو نشر ملخص له إن كان بلغة أجنبية. فهذا أدعى إلى تعميم الفائدة، كما أنه يسهم في تعريف القارئ بنتاج عقول هذه الكوكبة من رجال الفكر والعلم.

حسن خندقاوي النور

محافظة الضعين، ولاية جنوب دارفور، السودان.

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

أليست «السياسة» من الثقافة الجادة؟

لأننا اعتدنا من «الفيصل» الجدية والصدق وتقديم الثقافة الرزينة، أقترح إدراج باب يتناول السياسة الآنية، وما يجري من أحداث وتغييرات كبرى، ولاسيما في هذه المرحلة التاريخية من حياة الأمة. وأقترح أن تقوموا في هذا الباب باستضافة شخصية سياسية عربية، أو من العالم الإسلامي الكبير، لتحليل المسارات السياسية خلال شهر، واستخلاص النتائج، وهذا يُعد من الثقافة الجادة، فالثقافة السياسية لا تقل أهمية عن الأدب والفن والعلوم.

فإذا كانت السياسة شديدة التأثير في جميع مناحي الحياة، فلماذا نحاذر من تناولها بشيء من الجدية. صدقوني إذا استحدثتم هذا الباب فستكون «الفيصل» المجلة العربية الجامعة لكل العلوم، وملتقى الأجيال، والوثيقة المرجعية.

محمد رضوان الأنظامي

ص.ب ١٠٢٠٢، دمشق، سورية.

موضوعات لا تسوق لهو الحديث

إنني أحيي هذه المجلة القيمة، وأحيي القائمين عليها، وأسأل الله عز وجل أن يجزيهم على عطائهم هذا خير الجزاء.

إن الموضوعات المتنوعة في مجلتكم، من بحث قيم، ودراسة عميقة، ومقالة ممتعة، وأخبار مفيدة، كلها يشرح الصدر، ويطمئن القلب بأن الدنيا مازالت بخير، وأن هناك من يقف في وجه المجلات اللاهية، التي تشغل الناس بالموضوعات التافهة، ولهو الحديث ولغوه، وتتبنى مجون الحضارة الغربية، وتروج للتهتك والفجور بدعوى مسايرة العصر ومواكبة التطور.

رضوان بوزيدي

١٨ ش أمنور سياخن براقي، الجزائر العاصمة.

رصد الاقتراحات ونشرها

لاشك أنكم توافقونني على أن مطمح أي مجلة أو صحيفة: أن تستقطب القراء وأن تستشعر التفاعل بينها وبين قرائها. وباب البريد مرآة لذلك، بما يعكس من آراء حول القضايا التي تُطرح، سواء في موافقة الكاتب أو مخالفته، وسواء بالتصحيح والتصويب أو تنبيه الكاتب على أمر ربما غاب عنه.

ولذلك فإن المطبوعات المرموقة تخصص مساحة معقولة لرسائل القراء وآرائهم وأفكارهم واقتراحاتهم. وباب البريد مؤشر على نوعية القراء ومستوياتهم. والصحيفة أو المجلة المحترمة هي التي تحترم آراء قرائها، وتُعنى باقتراحاتهم، وتنفذها وتشكرها لهم، وهذا ما نلحظه في «الفيصل»؛ فباب البريد يتضمن العديد من الاقتراحات الموضوعية، وكثرة الاقتراحات دليل على أن القراء يجدون أنفسهم في مجلتهم. وأنا لدي اقتراح قد يراه بعض القراء عجبًا، فأنا لا أعرض إضافة باب جديد أو زاوية، بل أدعوكم إلى رصد الاقتراحات التي يقدمها القراء، وجمعها، ثم نشرها مرتبة، والإشارة إلى ما تم تنفيذه منها في خطة تطوير «الفيصل»؛ فذلك، في اعتقادي، سيكون تأكيدًا لنهج توثيق الصلة بين القراء ومجلتهم الأثيرة. فهل هو اقتراح معقول أم عجيب؟!

سيف الإسلام عمر الزيد

مدينة نصر، القاهرة، مصر.

ومعالم من العالم أيضًا..

من التطوير الجيد الذي أدخل في تبويب «الفيصل» وترتيب موضوعاتها: السلسلة التعريفية التي تنشرونها في باطن الغلاف الأخير بعنوان «معالم من المملكة العربية السعودية». وهي سلسلة جيدة لأنها تسلط الضوء على مؤسسات ثقافية وحضارية. والشيء الجميل أن «المعلم» يُقَدَّم بأسلوب مبسط ومباشر لا تضخيم فيه ولا تهويل. وهذا هو الإعلام الراشد: أن ندع المعلم الحضاري يتحدث عن نفسه فيستنبط القارئ الحقائق بنفسه..

ومع التسليم بأن «الفيصل» مجلة ثقافية عربية اللسان سعودية المنشأ، وأن عليها أن تبرز الصورة الوضاءة لنهضة هذا البلد الكريم، إلا أنه من جانب آخر فإن «الفيصل» إسلامية الهوية، وقراؤها على اتساع العالم الإسلامي وامتداده. ولذلك أحبذ أن تفسحوا بابًا لتعرضوا فيه «معالم حضارية من العالم الإسلامي»، وما أكثرها.. فهذا الباب سيكون، من جانب، مفيدًا في تعريف أبناء الإسلام بعضهم ببعض، ومن جانب آخر فرصة للتوثيق، وجذب الأنظار إلى ذخائر الثقافة الإسلامية التي يعتز بها كل مسلم.

أعلم أن تلبية هذا الطلب صعبة، على الأقل الآن، إذ قد يقول قائل: إنه لا تتوافر لديكم المعلومات الكافية عن كثير من المعالم والمؤسسات الثقافية والاجتماعية المنتشرة في بقاع العالم الإسلامي، ولكني أشير إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وإمكاناته الضخمة من حيث مركز المعلومات والأرشفة. ذلك على الأقل ما علمناه من خلال ما نُشر في «الفيصل». فهذا المركز يمكن أن يسهم في توفير حد معقول من المعلومات، إضافة إلى ما سيرد إليكم من تعريف بكثير من المؤسسات فور الإعلان عن تخصيص باب بهذا المعنى..

آمل أن يكون اقتراحنا هذا مناسبًا، على الرغم من العبء الذي سيقع على كاهل أسرة التحرير، فذلك حال كل من ينبري للمسؤوليات الجسام، وليس أكثر جسامة من مسؤولية نشر الثقافة الراقية.

صلاح عبدالوهاب الرشيد

سوق السجانة، الخرطوم، السودان.

ذن الله ـ، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

إطلالة

... بلْ تلاقٍ



يمثل الحوار قيمة إسلامية أصيلة، إذ إن له ضوابطه ومعاييره الأخلاقية التي ينبغي لأطرافه أن يتمسكوا بها؛ وصولاً إلى وضع أسس للتفاهم المتبادل، ومحاولة تقريب وجهات النظر، والاتفاق على مبادئ لها سمتها الإنسانية العامة.

وقد استلهم المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) قيم هذا الحوار منذ أول يوم انطلق فيه قبل ثلاثة عشر عامًا، فعمل على إرساء هذه القيم من خلال الحرص على إقامة حوار بنّاء بين المثقفين من جميع أنحاء العالم حول مختلف القضايا الثقافية والفكرية والحضارية التي يُظنّ أن هناك مساحة واسعة من الاختلاف عليها؛ فإذا بالحوار يقلص من حجم هذه المساحة المتوهمة، ويوجد جسورًا للتواصل الفكري الذي يقوم على أساس احترام الرأي الآخر.

وكان امتداد الحوار الحضاري الذي يديره هذا المهرجان إلى إشكالية العلاقة بين الإسلام والغرب من أكثر مظاهر التجدد في نشاطه الثقافي من عام إلى آخر؛ إذ أتاح منبرًا للحوار المباشر بين مجموعة كبيرة من المفكرين العرب والمسلمين والمفكرين الغربيين بتخصيص دورتيه الحادية عشرة والثانية عشرة لهذا المحور المهم، وقد شارك فيهما من مفكري الغرب: جرجين نيلسون ومراد هوفمان وصموئيل هنتيجتون وجون سبوزيتو وجاك فريمو وأنجمر كارلسون وجيمس زغبي وبول كندي ومايكل هدسون وغيرهم.

وقد تباينت الزوايا التي تم النظر من خلالها إلى هذه الإشكالية، فاختلفت الآراء وفقًا لها، حتى بين الغربيين أنفسهم، ليظل السؤال المعلق: هل هو سلام أم صدام بين الحضارات؟ وما محور الجنادرية هذا العام عن الثقافة العربية ببعيد من ذلك الحوار الدائر حول تلك الإشكالية، وإنما هو جزء أصيل منها في ظل ما يشاع عن ثقافة العولمة التي تحاول فرض قيم ثقافية معينة على ثقافات العالم جميعها، من غير أي نظر إلى الخصوصيات التي تميزها.

فعندما يقول شاعر مثل الشاعر الإنجليزي روديارد كبلنج RUDYARD KIPLING: «الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا»، فإن التفكير في مثل هذه المقولة يمكن أن ينصرف إلى أن هناك سمات حضارية خاصة لكل من الشرق والغرب، وهي حقيقة يؤكدها التاريخ، على الرغم من محاولات التأثير، لأن الخصوصيات الحضارية لا يمكن لها أن تذوب بسهولة مهما كانت قوة الحضارة الغالبة وفي أي عصر.

أما عندما يطرح مفكر أمريكي مثل فوكوياما مقولة «نهاية التاريخ» اعتمادًا على استقرائه لنتائج سقوط الشيوعية، واستنتاجه أن ذلك لا يعني إلا سيطرة الرأسمالية الغربية على مقاليد هذا العالم من دون منازع؛ فإن مثل هذا الطرح ليس سوى دليل على أن الصراع الذي احتدم في هذا القرن، بين الرأسمالية والشيوعية، قد صرف أذهان كثير من المفكرين في العالم عن الوقوف على حقيقة المسار الحضاري الإنساني، واختزاله في هذا الصراع المحموم بين الشيوعية والرأسمالية اللتين نبتتا في مجتمع الغرب، تعبيرًا عن مرحلة من مراحل تطور الفكر الغربي، ولم تكن محاولات الترويج لهما في المجتمعات الأخرى إلا مصادرة للإرث الفكري والحضاري لتلك المجتمعات، وتقليلاً من شأنها، واستخفافًا بقدرتها على إبداع فكر ذاتي نابع من بيئاتها، وإغفالاً لدورها في المسيرة الحضارية الإنسانية مهما كان حجم هذا الدور.

وفي مقابل هذا الطرح الذي يهمل الحضارات الأخرى، ويسلبها حق التدافع للمشاركة في تشكيل المسار الحضاري الإنساني، ويبشر بسيطرة الرأسمالية على مجريات الحياة في هذا العالم ، برز طرح آخر للمفكر الأمريكي صمويل هنتيجتون يقول بأن العالم مقبل على عصر ستتصادم فيه الحضارات الكبرى. وإن كان تركيزه على أن الصدام الرئيسي سيكون بين الحضارة الغربية من جهة، والحضارتين الإسلامية والكنفوشية من جهة أخرى.

وعلى ما يبدو من تباين بين الطرحين؛ إلا أن هناك عاملاً مشتركًا بينهما، وهو سيطرة الحضارة الغربية؛ فهي متحققة في الطرح الأول، من غير أن تنازعها حضارة أخرى، بينما، في الطرح الثاني، لابد من توافر شروط موضوعية لكي تتحقق لها هذه السيطرة.

وتَصوُّر هنتيجتون للصراع الحضاري في العالم يؤكد الروح المكيافيلية المسيطرة على بعض التيارات الفكرية الغربية، التي تنطلق من مبدأ النفعية الذاتية، وهو مبدأ أثبتت حقائق التاريخ خطورته، لأنه لا يفضي إلا إلى الصراع بين الأمم. وهذا الصراع لا ينشأ إلا حين تستحكم روح المادية والأنانية والعنصرية، وتكون القوة هي المعيار الوحيد الذي يُحتكم إليه؛ فيغيب الضمير الإنساني الذي يعترف بقيم إنسانية ضرورية لإبقاء الإنسان على إنسانيته، ويكبت نزعات الشر في النفوس، ويلجم جموح رغباتها نحو الامتلاك والسيطرة. فعندئذ يكون التكالب على الانفراد بخيرات الأرض، والصراع على مناطق النفوذ، وتوجيه العلم إلى غير وجهته الصحيحة، كأن يكون وسيلة لابتداع أسلحة الدمار، أو لنشر الأمراض والأوبئة في المجتمعات الأخرى، أو لاستخدام الآخرين كحيوانات تجري عليها التجارب العملية، تطبيقًا لمبدأ الغاية تسوّغ الوسيلة.

واستحكام مبدأ النفعية الذاتية في التعامل بين الأمم والشعوب يعني إنكار أصحاب الحضارة الغالبة حقّ أصحاب الحضارات الأخرى في العيش الكريم، وتجاهل طموحاتهم وتطلعاتهم إلى التقدم والرقي؛ بل قد يكون وضع العراقيل التي تحول دون تحقيق هذا التقدم والرقي أحد الأساليب أو الخطط التي يستخدمونها لترسيخ تخلف المجتمعات الأخرى. ومثل هذا المبدأ يتنافى مع الواقع الذي يعيشه العالم اليوم، والذي يشهد مشكلات إنسانية عامة تستحق أن تُوجّه إليها جهود دوله جميعها، مهما اختلفت منطلقاتها، أو تباينت مشاربها الفكرية والثقافية، لأن المصير الإنساني لم يكن مهددًا - في أي وقت مضى - كما هو مهدد اليوم، بعد أن أصبح العالم شبيهًا بقرية صغيرة، يتأثر كل من فيها بأي حدث؛ مهما كان مصدره، أو قل شأنه.

ولعل من أهم هذه المشكلات الإنسانية: ذلك التدني الواضح في القيم الأخلاقية الذي يهدد كثيرًا من المجتمعات، وما قاد إليه من تمرد الإنسان على قيمه، ومن انتشار العنف وارتفاع نسب الجرائم، وزيادة معدلات التشرد؛ مما ينذر بنشوء أجيال جديدة تنسلخ من مجتمعاتها، ولا تتقيد بأي معايير قيمية أو أخلاقية، وقد يُقدَّر لها أن تكون في يوم ما في مراكز صنع القرار، مما يدفع إلى التساؤل عن مستقبل العالم في وجود هؤلاء إذا قُدِّر لهم الوصول إلى دفة المسؤولية، فيكون مصير العالم معلقًا بقرار يصدرونه؟ وكيف سيكون هذا القرار، عندما يتخذه من لا يعرف للإنسانية قيمة، ولا توجهه مبادئ، وإنما كل ما يعرفه أن الغاية هدفه، ويجب أن يصل إليها بأي وسيلة، فتقوده الأنانية وتدفعه المصالح؟!

وما مشكلة تلوث البيئة - التي انعقدت من أجل بحثها وتحليلها المؤتمرات والندوات والمساجلات لوضع الحلول لها - إلا واحدة من تلك المشكلات الإنسانية العامة التي تحتاج جميعها إلى الاحتكام إلى قيم إنسانية تتجاوز المصالح الآنية للدول المتقدمة.

أليس من المفارقات المؤلمة أن يموت الملايين من الناس في هذا العصر من الفقر والجوع والمرض، على تزايد الإنتاج العالمي من الغذاء، وما حققه الإنسان من قفزات هائلة في مجالات التعليم والصحة والزراعة وغيرها؟ لقد ذكر تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية أن الفقر في العالم تزايد بنسبة ٧٠٠٪ في ست سنوات - وهي السنوات الواقعة بين عامي ١٩٨٨م و١٩٩٤م - وأن هناك ٩٥٠ مليون نسمة في آسيا، و٢٢٠ مليون نسمة في إفريقية، و١١٠ ملايين نسمة في أمريكا اللاتينية والكاريبي يعيشون بأقل من نصف دولار



للفرد الواحد في اليوم، أما مجموع ما ينفقه هؤلاء البائسون في اليوم فيعادل ما ينفقه نصف مليون أمريكي.

ألا يدعو مثل هذا الواقع المؤلم إلى السؤال عن أسبابه؟ وهل هناك إجابة عن هذا السؤال غير الاستئثار والاستغلال اللذين يقودان ويوجهان حركة الإنسان في هذه الأرض؟ وهل هناك ضمان يمنع من أن يأتي يوم يكون فيه المُستغِلّ في وضع المستَغَلّ، مادام المستَغِلّ هو الذي وضع أساس هذه الممارسات وسوّغ لها وعمل على إشاعتها، موظفًا ما توافر له من قدرات وإمكانات في ظرف تاريخي مكنه من ذلك؟ ألا يمكن أن يكون التواصل الحضاري أو التلاقي الحضاري بديلاً للصراع الحضاري؟ أم إن هناك من يستفيد من أجواء هذا الصراع، ويوظفه لتحقيق غاياته بغض النظر عن القواعد الأخلاقية المنظمة للإنسان وسلوكه؟ أم إن الصراع وإدارة توزيعه هدف لتحقيق مصالح اقتصادية بحت، كأن ينشط سوق السلاح، فتتجه الدول إلى تكديس الأسلحة الحديثة، والاستعانة بالخبراء؟ وما أكثر الأسباب والمسوغات لذلك، والمهم أنها لا تحتكم إلى ضمير، ولا تستند إلى قاعدة، مما تحتمه قيم الحضارات والثقافات الأخرى، التي تنظر إلى الإنسان بوصفه مخلوقًا كرمه الله وكلفه.

ويتواكب مع تسويغ مثل هذا المفهوم وممارسته تشويه القيم الحضارية للأمم الأخرى التي يُعمد إلى ترشيحها لتكون طرفًا في هذا الصراع، ولعل حضارة الإسلام أكثر الحضارات تعرضًا لهذا التشويه المتعمد، الذي وإن عاد إلى أزمان بعيدة، إلا أنه - في هذا العصر - أخذ صورًا جديدة يتم تلفيقها لتتماشى مع المتغيرات العالمية، إذ أصبح الإسلام يُصَوَّر على أنه الخطر الأخضر البديل للخطر الأحمر الذي يُقصد به الشيوعية، ومثل هذا التصور لا يمثل خطرًا على الإسلام بقدر ما يمثل خطرًا على من يروجون له، لأنه يجعلهم يتغافلون عن المهددات الحقيقية التي يتعرض لها مجتمعهم، ويتجاهلون، في الوقت نفسه، قيمًا إنسانية كان يمكنهم استخلاصها من دراسة موضوعية للإسلام لإصلاح كثير من الاعوجاج والخلل في مسارهم الحضاري.

والدراسة الموضوعية للحضارة الإسلامية توضح أن هذه الحضارة تميزت بانفتاحها الواعي على الحضارات الأخرى، من موقع الثقة بتميز خصائصها وقيمها ومثلها، وامتلاكها من المقومات الحضارية ما يحول بينها وبين الذوبان في غيرها من الحضارات، وقدرتها على غربلة ما تستقيه منها، وإخضاعه لمنظورها الحضاري، ليصبح جزءًا أصيلاً من نسيجها.

وعلى هذا الأساس من الثقة والشعور بالمسؤولية التاريخية إزاء الحضارة الإنسانية، تفاعلت الحضارة الإسلامية مع غيرها من الحضارات، فأخذت ما يناسبها ويوافق منظومتها القيمية من حضارات فارس والهند والإغريق والرومان وغيرها من الأمم، فكان أن حققت إنجازات رائدة في مجالات العلوم والمعارف المختلفة من غير أن تهتز ثوابتها، أو تتأثر معاييرها الحضارية بما لدى الآخرين من فلسفات وعقائد ومذاهب، وما يسيطر على تفكيرهم من خرافات؛ لأن الفارق بين المشترك الإنساني العام والخصوصيات الحضارية واضح في المنظور الإسلامي، ولأن تفاعل الحضارة الإسلامية مع الآخرين استند إلى إدراك واع بأن التمايز صفة ملازمة للوجود الإنساني، وأن من حق كل أمة أن تكون لها خصوصياتها التي تتميز بها، وأن التفاعل الحضاري بين الأمم يمكن أن يتم على أساس المشترك الإنساني العام، وأن القسر في فرض القناعات الذاتية على الآخرين من غير وجود حوار موضوعي لن يؤدي إلا إلى المزيد من الصراع والتنافر والتناحر بين الأمم.

وما كان دخول الناس في دين الله أفواجًا، ذلك الدين الذي يوجه خطابه إلى الإنسان وبني الإنسان، إلا لما تميزت به الدعوة إلى الإسلام من الحكمة والموعظة الحسنة، وتنزيل المبادئ الإسلامية على أرض الواقع من خلال تطبيقها قولاً وسلوكًا، حتى إن كل مسلم كان يمثل مؤسسة دعوية قائمة بذاتها في ذلك الزمان الذي عزّت فيه سبل الاتصال بين الأمم والشعوب، فكان نور الإسلام يشرق في أقاصي المعمورة على يد نفر قليل من التجار، حملتهم ظروفهم المعيشية الصعبة على مغادرة أوطانهم وقطع البحار والفيافي لطرق أبواب الرزق، فيعجب الناس بمبادئهم وقيمهم وسلوكياتهم، وما هم عليه من أمانة وإخلاص وقيم تحكم تعاملهم مع بني الإنسان، فيقودهم حب الاستطلاع إلى إدراك أن هذه المبادئ والقيم ما هي إلا قيم دين هؤلاء ومبادئه التي تفرض على معتنقيه أن يلتزموها في سرهم وعلانيتهم، لينفتح الطريق إلى الإسلام أمام من تدركه رحمة الله، فيفهم جوهر هذا الدين، ويقتنع بمبادئه الإنسانية التي توافق الفطرة السليمة.

وهذه البساطة التي انتشر بها الإسلام في هذا العالم قدمت مفاهيم حضارية مغايرة لما كان سائدًا في الحضارات القديمة السابقة على حضارة الإسلام، فتلك الحضارات كان انتشارها وعلو مقامها يعتمدان على فكرة الغزو للاستيلاء على ما لدى الأمم والشعوب من خيرات، وكانت العبودية مظهرًا رئيسيًا من مظاهرها، فكان الناس ينقسمون إلى سادة وعبيد، على أساس اللون والجنس والعرق. وكان توجه هذه الحضارات ماديًا بحتًا، تمثل في ابتكار فنون من المعمار، أو إقامة تماثيل وأنصاب تمجد الذات الفردية، وتخلع عليها ألوانًا من التأليه، وترسخ، في الوقت نفسه، قيم الدونية والتبعية في الأمم والشعوب. بينما جاء الإسلام لتوكيد إنسانية الإنسان، وتحريره من كل أشكال العبودية لغير خالقه، وفق منهج قويم لا يعرف التبدل والتحول، حتى يأتي كل سعي له في هذه الحياة محققًا لغاية من غايات الاستخلاف في الأرض.

وهذه الروح الإنسانية التي تميزت بها الحضارة الإسلامية هي التي أتاحت للمسلمين أن يبدعوا في كل دروب العلم والمعرفة، وأن يأخذوا من الأمم التي سبقتهم في المضمار الحضاري من غير أي شعور بالنقص والدونية، ودون أي نظر لما كان بينهم وبين تلك الأمم من فوارق حضارية، لثقتهم بأن لديهم ما يضيفونه إلى عطاءات الحضارات الأخرى، وإكسابها روحًا جديدة تختلف عن تلك الروح المادية الوثنية التي تلبسها.

وفي ظل هذه الروح الإنسانية التي تميز بها الإسلام، أبدع المسلمون من شتى الأجناس والأعراق، لتثبت الحضارة الإسلامية خطل الرأي القائل باستعلاء جنس على آخر، بدعوى وجود فروق في القدرات الفكرية والعقلية بين الأجناس؛ بل تبدت سماحة الإسلام في إتاحة المجال لغير المسلمين لكي يبدعوا في مجالات العلوم المختلفة، حتى أصبحت عطاءاتهم جزءًا من بنيان الحضارة الإسلامية.

وهذا العطاء الحضاري المتعدد الروافد، الذي تبلور في صورة إسلامية خالصة، عبّر عن عظمة الإسلام وقدرته الخارقة على تفجير الطاقات الكامنة في نفس الإنسان، حين يدرك المقومات الحقيقية التي تكسبه صفة الإنسانية، وما يترتب على هذه الصفة من مسؤوليات وتبعات في إرساء قيم العدل والإخاء بين بني البشر، لتكون أساسًا للتفاعل الإيجابي بينهم، من منطلق ما يدعو إليه الإسلام من ضرورة التعارف بين الشعوب على اختلاف ألسنتها وألوانها وأجناسها وبلدانها.

وهذا النموذج من التواصل الحضاري الذي استطاع أن يحقق مصلحة الإنسان، ويمهد له سبل الوفاء بمقتضيات التكريم الذي خصّه الله به، بالإبداع في مجالات العلوم والمعارف المختلفة، أيستحق التغافل عنه، أو تشويهه، أم يستحق استنطاقه؛ لاستخلاص ضوابطه ومعاييره وقيمه الإنسانية التي استند إليها؟

والسؤال الذي يفرض نفسه: هل تقدم أمة من الأمم مرهون بتخلف الأمم الأخرى، أم إن ما حققه الغرب من تقدم على حساب الدول التي استعمرها هو الذي يدفع هذا التصور إلى البروز في صيغة هذا المفهوم القائل بصراع الحضارات؟

لعل من أهم المشكلات الإنسانية المعاصرة: ذلك التدني الواضح في القيم الأخلاقية الذي يهدد كثيرًا من المجتمعات، وما قاد إليه من تمرد الإنسان على قيمه

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



العدد ٢٥٨ ـ السنة ٢٢ ـ ذو الحجة ١٤١٨هـ ـ أبريل ١٩٩٨م



الحج قطاف الأيام المباركة

الحج، الركن الخامس للإسلام، الشعيرة الجامعة للفضائل، والمعين الذي لا ينضب من الحكمة؛ بل يتجدد؛ فيعود الحج على المسلمين، في كل زمان، بالخير العميم والمنافع الجمة. هذا المؤتمر الإسلامي الجامع توفر له حكومة خادم الحرمين الشريفين جميع وسائل الراحة ومتطلبات الأمن والخدمات الميسرة، ليجني المسلمون قطاف هذه الأيام المباركة، تزكية للنفوس وتطهيرًا لها، وتقوية للأمة على تمثل المعاني السامية التي شرع الله من أجلها الحج وفرضه على عباده من المسلمين.

الفيصل خصصت صفحات عن الحج تتضمن تناولاً لهذه الشعيرة من جوانب عدة.

طالع الصفحات ٢٢ ـ ٣١

طبرية: مدينة في ذاكرة التاريخ



التاريخ ليس ما يُسجل بين دفتي الكتب والأسفار فقط. وإذا كانت مهمة المؤرخين تتجاوز الرصد المجرد إلى التحليل والربط بين الوقائع والأحداث وإيجاد علاقات بينهما؛ فإن هناك مواقع شهدت أحداثًا غيرت مسار التاريخ في أزمنة وعصور غابرة، وما تزال مواقع تفصح عن أسرار تلك الأيام، ويلمس زائروها، في مابقي من الآثار، مايعكس صورًا لحضارات سادت ثم بادت.. فهي مثل كتاب مفتوح ناطق بالعبر والمواعظ.

محمود إبراهيم الصمادي يعرض سياحة تاريخية مصورة عن طبرية على مر العصور؛ وصولاً إلى مأساتها المعاصرة في ظل الاحتلال الإسرائيلي.

طالع ص٨٤

التربة تشكو جور الإنسان



العالم يركض نحو حتفه بعيون مفتوحة. لعل في هذه العبارة ما يصور الخطر المحدق بالبشرية من جراء التلوث، الذي أصبح يطوق الإنسان من أعلاه ومن أسفله ومن بين يديه ومن خلفه. غير أن هذه المشكلة ـ التي تُعقد لها مؤتمرات ومنتديات ـ تزداد تعقيدًا، لأنها من صنع الإنسان نفسه، ومكافحتها تكتنفها عقبات لأنها مرتبطة بمطامع الإنسان وجشعه.

محمد حيان الحافظ يسلط الضوء على الاستخدام المفرط للكيماويات في الزراعة، والخطر الناجم عن تلوث التربة.

طالع ص٩٥

من كتاب العدد

د. محمد بن لطفي الصباغ

- من مواليد دمشق، سورية ١٩٣٠م.
- تلقى علومًا إسلامية وعربية على علماء دمشق، وحصل منهم على إجازات علمية، ونال درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة الإسكندرية بمصر.
- عمل بالتدريس في المدارس الثانوية في دمشق، ثم بالتدريس الجامعي في المملكة العربية السعودية؛ إذ عمل بالتدريس في كلية اللغة العربية أولاً، ثم في جامعة الملك سعود بالرياض، حيث يقوم بتدريس علوم الحديث وعلوم القرآن.
- أشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه، وشارك في لجان الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية عدة مرات، وكان عضوًا في لجنة جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- شارك في مؤتمرات علمية عقدت بسورية والسعودية والأردن وألمانيا والمغرب وسلطنة عمان.
- له ما يزيد على ٤٦ مؤلفًا، منها: الحديث النبوي: مصطلحه، بلاغته، كتبه، أبو داود: حياته وسننه، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المناهج والأطر التأليفية، من أسباب تخلف العمل الإسلامي، الإنسان في القرآن، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لملا علي القاري (تحقيق)، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للإمام السيوطي (تحقيق)، أسرار الصوم للإمام الغزالي (تحقيق)، التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزركشي (تحقيق).
- له بحوث ومقالات منشورة في مجلات علمية وإسلامية محكمة وغير محكمة.

د. محمد نور الدين عبدالمنعم

- من مواليد القاهرة، مصر ١٩٤١م.
- حصل على دكتوراه الآداب في اللغة الفارسية وآدابها من قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٢م.
- عمل أستاذًا ورئيسًا لقسم اللغة الفارسية وآدابها، وعميدًا لكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.
- يعمل حاليًا أستاذًا بقسم اللغات الآسيوية (شعبة اللغة الفارسية) بكلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود.
- أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، كما ناقش العديد منها في جامعات الأزهر والقاهرة وعين شمس.
- شارك في عدد من المؤتمرات والندوات مثل: مؤتمري «الفردوسي» اللذين عُقدا في مدينة مشهد بإيران عامي ١٩٧٥م و١٩٧٧م، الأسبوع العلمي لشعوب الشرق الأوسط بجامعة عين شمس ١٩٧٣م، ندوة الأدب الإسلامي بجامعة عين شمس ١٩٩٢م، ندوة العلاقات العربية التركية بمركز بحوث الشرق الأوسط ١٩٨٤م.
- من مؤلفاته: دراسات في الشعر الفارسي حتى القرن الخامس الهجري، اللغة الفارسية: بحوث في النشأة والتطور، معجم المصطلحات السياسية والعسكرية (فارسي/عربي)، أوزان الشعر الفارسي (ترجمة)، صور من عادات الشعب الأفغاني وتقاليده (ترجمة)، تاريخ إيران القديم (ترجمة).

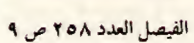
عبدالجبار التهامي العلمي

- من مواليد شفشاون، المغرب ١٩٤٧م.
- حصل على دبلوم المدرسة العليا للأساتذة، كلية الآداب، جامعة محمد بن عبدالله، ونال الإجازة في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس.

يقوم حاليًا بتحضير رسالة جامعية عالية بعنوان «البنية الإيقاعية في الشعر المغربي المعاصر».
- يعمل أستاذًا للغة العربية وآدابها بثانوية المختار السوسي بالدار البيضاء.
- له مقالات وأبحاث وترجمات منشورة في الصحافة المحلية والعربية.

محمود إبراهيم الصمادي

- من مواليد قرية لوبية، طبرية، فلسطين ١٩٢٩م.
- عضو اتحاد الكتاب الفلسطينيين العرب.
- شارك في حرب ١٩٤٨م، وأصيب بمعركة الشجرة، وعولج في مستشفى المزة بدمشق.
- له سلسلة عظماء الإسلام (٥٠ كتابًا)، وسلسلة قصص أبطال النهضة العربية.





هل يمكن أن يصبح الحلم حقيقة ويصل بنو البشر إلى النجوم؟

إن مشروع إمكان عيش البشر على القمر قد خطا خطوة نحو تحقيق هذا الهدف، بعد أن أعلن علماء «ناسا» أنهم اكتشفوا جليدًا في قطبيه. وهذا الاكتشاف يعني أنه أصبح بإمكان رواد الفضاء إنشاء قاعدة هناك تكفيهم ذاتيًا بحيث ينتجون ماء الشرب، والوقود والأكسجين.

إن هذا التطور المثير هو أحد أكبر الاختراقات في استكشاف الفضاء منذ أن وطئت قدما إرمسترونغ القمر في عام ١٩٦٩م.

كان العلماء ينتظرون بشوق هذه الأخبار منذ أربع سنوات؛ أي منذ أن أشارت اكتشافات القمر الاصطناعي الأمريكي «كليمنتاين» إلى إمكان وجود مياه على سطح القمر. وقد زعم العلماء أنهم اكتشفوا بليون متر مكعب من الماء. ولكنّ تلك الاكتشافات تم تحدّيها تاركة الفريق في قلق بالنسبة إلى نتائج المهمة الحالية للمركبة لونار بروسبكتر، ومع الإعلان الذي صدر في أمريكا منذ وقت قريب فإن الشكوك التي كانت تدور حول اكتشافات المركبة كليمنتاين قد تبخرت.

قال الدكتور ألن بايندر رئيس باحثي تلك المهمة: إن المركبة الفضائية كانت قد اكتشفت ذلك النوع من شارة المعطيات التي يمكن أن يتوقعها الشخص ليكتشف وجود الجليد.

وفي مؤتمر صحفي عُقد في وقت لاحق صرّح وليم فيلدمان أحد باحثي وزارة الطاقة المشاركين في المشروع: أن مدى فائدة ذلك الماء لم يتوضح بعد. وقد بينت المعطيات التي أخذت من المركبة الفضائية أن الجليد مبعثر في ترسبات صغيرة الحجم في تضاعيف آلاف الأميال المربعة في قطبي القمر.

وأضاف: أنه في الوقت الذي يوجد فيه دليل قوي على وجود جليد مائي؛ إلا أن الإشارة إلى الماء الذي اكتشفته أجهزة المركبة الفضائية كانت ضعيفة نسبيًا.

وذكرت صحيفة الإكسبريس اللندنية أن علماء «ناسا» توقعوا - في وقت سابق - وجود ملايين الأطنان من الجليد في مناطق القمر القطبية.

يقول البروفسور فرد تايلور رئيس قسم فيزياء الكواكب في جامعة أكسفورد: إنه اكتشاف كبير، ويحتاج العلماء إلى أن يعرفوا من أين أتى الماء؟ وكيف نشأ؟ وكيف يمكن استغلاله؟ فالماء ثقيل، ونقله مكلّف، والأمر سيحتاج إلى الكثير إذا ما تم وضع أناس على القمر. كما يمكن استخدام هذا الماء في صنع وقود الصواريخ من أجل استغلال كواكب أخرى؛ بما في ذلك المريخ؛ حيث توجد هناك مياه كافية لصنع مزيد من الوقود.

كان يُظَن أن القمر جاف تمامًا؛ إلى أن ظهرت اكتشافات المركبة كليمنتاين. ويعود هذا الظن بشكل رئيسي إلى أن الأسطح التي صورتها مركبة «أبولو» كانت أسطحًا حارة، وأن أي ماء عليها كان يجب أن يكون قد تبخر منذ زمن بعيد. أما الماء في القطبين فلم يتبخر، لأن درجات الحرارة هناك لا ترتفع عن درجة الصفر المئوية، لكونها تحت الظل دائمًا.

وتدور المركبة لونار بروسبكتر حول القمر منذ شهر كانون الثاني/ يناير الماضي بعد إطلاق صاروخ أثينا ٢ من قاعدة كيب كانيفرال. وكانت المركبة تلتقط صورًا للسطح على ارتفاع ٦٠ ميلاً، وكانت مهمتها البحث عن وجود إشارات تدل على وجود جليد في الشقوق والصدوع وفوّهات البراكين الموجودة في قطبي القمر. وقد زُوّدت بمعدات تستطيع اكتشاف ما حجمه ملء فنجان من الماء مخبأً في متر مكعب من تربة القمر، كما أنها مزوّدة أيضًا بمقياس طيف للبحث عن النيوترونات الفارّة من السطح التي تعدّ دليلاً على وجود الهيدروجين على سطح القمر.

ويعتقد العلماء أن الماء قد ترسّب على القمر بعد اصطدام مذنّبات بسطحه، والمذنّبات تحتوي على جليد يمكن أن يكون قد تبخّر لدى ارتطامها بالقمر، ومن ثم تكثّف على القطبين.



لإعطاء الآباء مزيداً من الوقت يقضونه مع أولادهم:

إنشاء مدارس عامة في مواقع العمل



يقوم مارك بوليتي بإيصال ابنته آنا البالغة من العمر أربع سنوات إلى المدرسة كل صباح مثل ملايين الأمريكيين. ولكنه، على خلاف الآباء الآخرين، يقوم بأخذ ابنته يوميًا بعد انتهاء الدوام المدرسي، وأحيانًا يتناول غداءه معها أيضًا، ولا يفوته أي مجلس آباء. وهو يعرف معظم طلبة فصلها بأسمائهم الأولى، كما يعرف أولياء أمورهم معرفة جيدة. بل إنه يحضر إلى الفصل خلال لحظات إذا استدعاه المدرس أو المدرسة لأمر يتعلق بانضباط ابنته في الفصل.

إن هذا الأب لا يقضي معظم وقته في المنزل، فهو مدير قسم تشغيل في فندق راديسون توين تورز في أورالندو بفلوريدا حيث يعمل ٥٠ ساعة أسبوعيًا.

إن كل هذه الأعمال الأبوية الرائعة يستطيع بوليتي إنجازها؛ لأن مدرسة ابنته آنا لا تبعد من مكتبه في العمل أكثر من ٥٠ ياردة. والمدرسة هي عربة مقطورة كبيرة مغلفة بالخشب لتبدو كأنها مدرسة قديمة الطراز.

وقد قام الفندق ببناء تلك الروضة على حسابه الخاص تشجيعًا لموظفيه. ثم قام بتسليمها إلى السلطات التعليمية في تلك المقاطعة، التي قامت بدورها بإدارتها وتزويدها بالمدرسين. إن أطفال موظفي الفندق يلتحقون بتلك الروضة دون أن يدفع آباؤهم أي نفقات زائدة على ما اعتادوا دفعه.

تدعى هذه المدرسة «المركز التعليمي للأقمار الاصطناعية»، وقد بدأت مثيلاتها في الانتشار في جميع أنحاء البلاد. وكانت أول مدرسة أنشئت قد شيّدتها شركة تأمين في ميامي قبل عشر سنوات. أما الآن فيوجد نحو ثلاثين مدرسة في أمريكا من هذا الطراز. وهناك حدود طبيعية للمدى الذي يمكن أن تنتشر فيه هذه المدارس، كما أن هناك حدوداً لعدد الأسر التي ترغب في إلحاق أطفالها بمثل هذه المدرسة.

تقول مجلة U.S NEWS: إن هذه المدارس قد تحرم الأطفال من صداقات تنشأ بشكل طبيعي في كثير من المناطق المجاورة، وإن عدد هذه المدارس سيزداد حتمًا، لأنها يمكن أن تخفف من أعراض العديد من الاعتلالات التي تصيب التعليم العام، وحياة الناس الخاصة.

وتأسف عالمة الاجتماع أرتي هوكسشيلد في كتابها «التزام الوقت» على الطريقة التي يتعامل بها الآباء مع الوقت؛ بحيث لا يستفيدون من البرامج التي يقدمها أرباب العمل لأفراد الأسر مثل المشاركة بالعمل، والتنقل البعيد بين العمل والمنزل، والعمل الجزئي الذي يتيح لهم مزيداً من الوقت يقضونه مع أطفالهم. إلا أن كثيرًا من الآباء العاملين لا يستفيدون من ذلك، ويقضون ساعات طويلة في العمل الذي حل محل مجالسة الجيران، والذهاب إلى دور العبادة. وكثيرون منهم يشعرون بالكرب لعدم قضائهم وقتًا كافيًا مع أطفالهم.

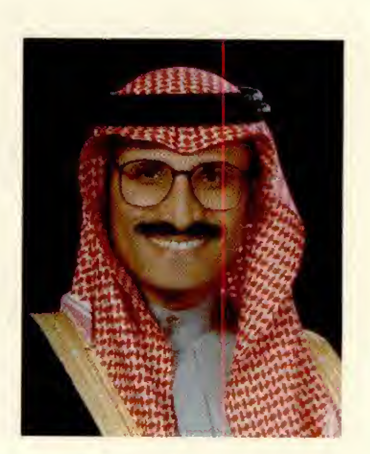
وفي دراسة أجرتها مجلة فورتش على العاملين في ٥٠٠ شركة أجاب ٤٧٪ منهم أن معظم أصدقائهم من بين زملائهم في العمل، و١٦٪ اتخذوا أصدقاءهم من الجيران، و ٦٪ قالوا: إن أصدقاءهم من رواد دور العبادة.

وتخلص عالمة الاجتماع إلى أنه ينبغي للآباء أن يكافحوا الإغراء الذي يدفعهم لقضاء وقت طويل في العمل، وأن يستثمروا مزيدًا من الوقت في منازلهم، ومع جيرانهم. أما إذا أصبحت أماكن العمل هي الموازية حديثًا للجوار؛ فقد يصبح نقل مؤسسات الجوار الاجتماعية والمدارس العامة إلى أماكن العمل أكثر فائدة من الناحية العملية. وهذه المدارس تسهم في حل مشكلة العنصرية في الولايات المتحدة، فمكان العمل يجمع السود والبيض، وهم زملاء في العمل، فلا يتحرجون من أن يختلط أبناؤهم معًا.

إن الدراسات البسيطة التي أجريت على مدى تحصيل طلاب هذه المدارس تبين أن تحصيل الطلاب في مهارات القراءة أعلى من تحصيل الطلاب في مثيلاتها من المدارس العامة الأخرى بما نسبته ٤٣٪. كما أن دراسات لا حصر لها أثبتت أن تحصيل الطالب مرتبط ارتباطًا وثيقًا بما يخصصه الآباء من وقت لمتابعة أبنائهم في الأعمال المدرسية. والمدارس المرتبطة بأماكن العمل توفر مثل هذه الفرصة. يقول واين شير مدير إحدى هذه المدارس: إن الآباء يستفيدون جداً من الاهتمام بمتابعة أبنائهم في المدارس، حيث يجدون المساعدة من مدرسي المدارس في كيفية تداول القراءة مع أطفالهم، وكيفية توجيه الأسئلة إليهم، وكيفية تحسين تفاعلهم مع الآخرين، وتفاعل البيت مع المدرسة.

على خُطى الأولين:

رحلة على ظهور الهجن عبر



د. زياد بن عبدالرحمن السديري

معقّلات العيس أو طوالق

البادية - إن صحَّ هذا التعبير اليوم - تنتشر في النفود من شماليها إلى جنوبيها، وأكثرها، ولاسيما في منطقة وسط النفود التي مررنا بها، هم من قبيلة شمر. وماشية بادية النفود الآن أكثرها من الأغنام النجدية(٥٥) وإن كان بعضهم مازال يقتني الإبل. وكما هي الحال بالنسبة لبقية مربي المواشي في هذه البلاد؛ فهم يعتمدون على الشعير المعان في تعليف ماشيتهم ويستعملون (الوايتات) - أي سيارات الماء - لسقيها. واليوم لم يعد وجود الماء مقصوراً على الموارد التقليدية الموجودة خارج النفود، مثل: الشقيق وعذفا والحياتية وتربه وغيرها؛ بل أصبح موجوداً أيضاً في وسطها.

وأهم ما يميز النفود من سواها من صحراء الشمال هو احتفاظها إلى الآن بقدر من الغطاء النباتي. إلا أنني أكاد أجزم أن هذا الغطاء قد تغيَّر عما كان عليه في الماضي، وأنه في سبيله إلى التقلص المستمر نظرا للقطع الذي تتعرض له أشجار النفود، إضافة إلى دخول الغنم إليها بأعداد تزيد بكثير عما كان مألوفًا بها في الماضي(٥٦). ومع مزية الوفرة النسبية للغطاء النباتي، فان أصحاب الماشية في النفود ينفردون أيضا باستعمال أسلوب (الهملة) في رعي ماشيتهم، ولاسيما الإبل؛ أي إنهم يتركونها ترعى دون رقابة دائمة من راعٍ ثابت معها. ويبدو أن ممارسة هذا الأسلوب في النفود، عدا سواها، ترجع إلى أن ماشية النفود مضطرة لأن تعود إلى مورد واحد للشرب نظرًا لتباعد الموارد في النفود بعضها عن بعض وصعوبة الوصول إليها.

والعيش ليس لذيذه بسواء!

سرنا من بيت مضيفنا قرابة العصر، ومضينا، حتى إذا أصبحنا على مرأى من العليم نزلنا (للمعشى) والمقام. والعليم هو



عبارة عن تَلّين أسودين أحدهما أكبر من الآخر يقعان وسط النفود تقريبا بين سكاكا وجبة. في الماضي كان العليم يسمى عليم الظما نسبة إلى بعده من الموارد وتوسطه

بوابات التاريخ القديم ٣/٤



في النفود، فكان قفراً لا تصل إليه البادية بماشيتها إلا في الشتاء أو الربيع. أما اليوم فقد أصبح العليم مورداً للبادية بعد أن حُفِرت به بئرٌ للماء(٥٧).

في صباح اليوم التالي وقفنا على بئر العليم وملأنا قِرَبَنا من مائها الحلو، وأتينا بركائبنا إلى القرو ـ أي بركة الماء المخصصة لسقيا الماشية ـ لتشرب. وفي أثناء وجودنا على الماء رأينا بضع سيارات تأتي لتملأ خزاناتها منه. وليس في العليم أية مبان ثابتة غير البركة والبئر.

سرنا من العليم وتغدينا على مقربة منه،



ثم سـرنا حتى كـانت الأثـالي - وهو اسم لمكان به مـجـمـوعة من أشـجـار الغـضـا أصـبحت أحـد معـالم المنطقة - إلى الغـرب منا عنـدمـا نزلنا لإقـامـة المسـاء. وأبرز مـا شـاهدنـاه في هذه المنطقـة هـو تزايد الأرطا وتناقص أشجار الغضا.

ولكن الغضا ليس دانيا!

والأرطا (أو العبل) والغـضـا همـا رعي للمـاشيـة ووقـود للإنسـان. كمـا أن الأرطا يُستعمل لدبغ الجلود. ووقـود الأرطا يتميز بطول وقدته؛ أي ديمومتها، وصلابة جمره. إلا أن لوقدته دخـانًا كثيفًـا موجعًا للعيون. أما وقدة الغضا فهي سريعة الاشتعال قوية اللهب ولكنـهـا لا تدوم طويلا. إنما تتـميـز وقدة الغضـا برائحتها الطيبة. كما أن رعي الغضـا محل اهتمـام أصحاب المواشي فـهو من نباتات الحمض(٥٨) التي تطيب عليها الماشيـة. وقـد احـتـفظ الغـضـا منذ وقت العـرب الأولين إلى الآن بمنزلة خـاصة في شعر أهل الصحراء، وكانت له مدلولات وإيحاءات وجدانية. وحسبي أن هذا يرجع إلى حب الإبل - التي تحبها العرب - لرعي الغضا.

يقول مالك بن الريب:

ألا ليت شعري هل أبيتَنَّ ليلةً
بجنب الغضا أُزجي القِلاص النَّواجيا
فليتَ الغَضَا لم يقطعِ الرَّكبُ أرضَهُ
وليت الغَضَا ماشَى الرِّكابَ لَيَاليا

لقد كان في أرضِ الغَضَا لو دَنَا الغضا
مقامٌ ولكنَّ الغَضَا ليس دانيا(٥٩).

ويقول الشاعر النبطي عجلان بن رمال:

واديرتي سقاه سيل بعد سيل
علقاه(٦٠) ورد وعاذره(٦١) زعفرانا
تفتحت بافلوقها(٦٢) للنزازيل(٦٣)
وصار الغضا فيها كما السنديانا
مثل الهنوف(٦٤) اللي تقظ العباهيل(٦٥)
خص الباخش(٦٦) الحماط(٦٧) اربيانا(٦٨).

إذا بذلوا قيل الغيوثُ البواكرُ

وفي منزلنا عند الأثالي حصلت ركائبنا على وجبة ثانية من الشعير، عندما أصر أحد الكرام على إحضار ضيافته لنا ولركائبنا بسيارته في منزلنا بعد أن بيَّنا له الصعوبة التي نلقاها في تغيير مسارنا للذهاب إلى منزله(٦٩).

من الأثالي سرنا مع الخل حتى أمسينا في منزل على مرأى من الغضاة وباتجاه الغرب منها. والغضاة شجرة غضا كبيرة هي آخر أشجار الغضا للمسافر باتجاه جبة. والأرض بعد الغضاة يغلب فيها شجر الأرطا وتزداد فيها الوعورة؛ أي عمق الفلوق أو ارتفاع الكثبان، بشكل ملحوظ. ومثل هذه الأرض التي تخلو من الحمض تسمى عند أهل النفود الشعرا(٧٠).

والفلوق ممرات منخفضة بين الكثبان تشبه الوديان تسير دائمًا باتجاه غربي وشرقي، وتتباعد بعضها عن بعض بمسافات تُراوح بين ألف وألفي متر أو نحوها.

وأهل النفود يقيسون المسافات بالفلوق فيقولون، على سبيل المثال: إن المسافة من جبة إلى سكاكا هي تسعون فلقًا. ولأهل النفود تفصيلات كثيرة بأسماء الكثبان وامتداداتها وجوانبها(٧١).

ومن مشاهداتنا في هذا المكان أن أهله يستعملون (الهملة) حتى في رعي أغنامهم. وقد يكون هذا عائدًا إلى خلو هذه المنطقة من الحيوانات المفترسة، إضافة إلى الأسباب الأخرى التي ذكرتها.



الهوامش:

٥٥- الأغنام النجدية هي سلالة نشأت في سهول هضبة نجد، وكانت في الماضي أكثر السلالات المحلية انتشارًا وأكثرها عددًا وأثقلها وزنًا. والغنم النجدية عادة تكون سوداء اللون تتميز بمقاومتها للعطش ونقص الغذاء والمقدرة على السير مسافات طويلة. ويعرف عن النجدية أيضا ارتفاع نسبة التوائم وعلو الإدرار فيها مقابلة بالأغنام المحلية الأخرى.
انظر: العيفان، صالح ناصر (معد): سلالات الأبقار والماعز والأغنام المحلية، الرياض: وزارة الزراعة والمياه، إدارة الثروة الحيوانية، ١٤١٣هـ.

٥٦- تستند هذه المشاهدة حول الغطاء النباتي إلى ما أذكره ويذكره كثير ممن عرفوا النفود في الماضي. كما أنني طالعت لوحة رسمتها الليدي آن بلانت للنفود عندما عبرتها في طريقها من سكاكا إلى جبة في سنة ١٨٧٩م سالكة الطريق الذي سلكناه نفسه، يظهر فيها بشكل جلي كثافة الغطاء النباتي في النفود مقابلة مع ما هو موجود الآن. وهذه اللوحة موجودة نسخة منها في دار الجوف للعلوم التابعة لمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

LADY ANNE BLUNT, A PILGRIMAGE TO NEJD THE RACE, 2 VOLSO, LONDON JOHN MURRAY, 1881: REPRINTED, LONDON, FRANK CASS, CRADLE ARAB 1968, VO10 1 PP 0 88, 114: VO10 2 P 05110

. وأكثر الأشجار والنباتات - من غير الأعشاب الربيعية - التي رأيناها في النفود في أثناء هذه الرحلة هي الغضا والأرطا والمطي والنصي والقصبا والكرى والرخامة والمصيع والسعدان.

٥٧- حفر البئر عناد بن دبش الرمالي.

٥٨- الحمض: في إجابة عن سؤال وجهته إلى مركز أبحاث المراعي بالجوف عن الحمض أجاب المركز بأن عائلة نباتات الحمض - الرمرامية CHENOPODIACEAE تضم كثيرا من النباتات المعمرة والحولية، ويطلق على بعضها اسم الشجيرات الملحية SALT BUSH، وتعدّ الشجيرات التابعة لهذه العائلة من أهم الشجيرات الصحراوية التي تتحمل الجفاف وملوحة التربة وتعطي إنتاجية جيدة. وهي من الشجيرات التي تقبل الحيوانات على رعيها وتفضلها على سواها. ومحتوى هذه الشجيرات من البروتين مرتفع، كما أن نسبة الأملاح فيها مرتفعة أيضا، ولحوم الإبل والأغنام التي ترعاها من أفضل اللحوم مذاقًا. ومن أهم نباتات الحمض في شمالي المملكة: الروثة والرغل والقطف والفرس والعراد والشعران والرمث والعجرم والخريط والحاذ والغضا والغضراف والسويدا والدويد. وفي لسان العرب، مادة: حمض: «الحمض: كل نبت مالح أو حامض..».

٥٩- انظر: البغدادي، عبدالقادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٦٧م، ٢/٢١٠.

٦٠- العلقا: من نباتات النفود.

٦١- العاذر: من نباتات النفود.

٦٢- افلوقها: المنخفضات أو الممرات في النفود.

٦٣- النزازيل: البادية التي تنزل النفود.

٦٤- الهنوف: الفتاة الجميلة.

٦٥- تقظ العباهيل: تطلق شعرها.

٦٦- خش: خالط.

٦٧- الحماط: من نباتات النفود له زهرة حمراء.

٦٨- اربيانا: من الأعشاب التي تنبت في الربيع، وله زهرة بيضاء.

٦٩- مضيفنا هو بشير بن معزي الأقشر الصنخ.

٧٠- جاء في لسان العرب، مادة: شعر عن الشّعراء: «قال أبو حنيفة: الشّعراء الروضة يغم رأسها الشجر وجمعها شُعُر».

٧١- من هذه الأسماء: الطعس وهو الكثيب، والبرخوص وهو الكثيب الصغير، والنازية وهي الكثيب الذي ليس له رأس مدبب وإنما له رأس منبسط. والعرين وهو الظهر الممتد بين فلق وأخر. والصفيح وهو المنحدر الشمالي إلى الفلق. والمقناة وهو المنحدر الجنوبي إلى الفلق.

قدمتَ قدوم البدر بيت سُعوده

كانت إقامتنا عند الغضاة هي آخر الليالي التي أمضيناها في طريق رحلتنا. ففي مساء يوم السبت - اليوم الخامس بعد مسيرنا من أبي راسين والأطول في أيام رحلتنا حيث أمضينا خلاله أكثر من عشر ساعات على ظهور الركائب وقطعنا ٤٣ كيلاً هوائيًا في أوعر المناطق التي مررنا بها في طريقنا - وصلنا إلى جبة. وجبة بلدة قديمة بها مواقع أثرية وبساتين نخل تقع بجوار مجوعة جبال سوداء تسمى أم سلمان، وتحيط بها الرمال من كل الاتجاهات، وتسير منها طريق معبدة إلى حائل. ويجمع أهل جبة - الذين غمرونا باهتمامهم وترحيبهم؛ بدءًا بأميرهم الذي سررنا بلقائه والسلام عليه، ومرورا بجميع من رأيناهم واجتمعنا بهم في بيت الأمير وبيوت أخرى تشرفنا بزيارتها(٧٢) - بين حياة الحضر وحياة البدو. إذا دخلت بيوتهم فإن أول ما يقابلك في فنائها «الليوان» - أي المجلس الذي يكون أحد جوانبه مفتوحًا أي من دون جدار - الفسيح أو بيت الشعر الكبير الذي تزينه (الأشدة) وصواني التمر و«الدلال» ووقدة النار وصوت «النجر»(٧٣)، وأول ما تقابل به الترحيب. فأهل جبة باقون على الأصول والعادات الكريمة التي عُرفت بها هذه البلاد(٧٤).

خواطر ما بعد الرحلة

لقد كانت تلك الليلة التي أمضينا جلها في ضيافة أهل جبة هي خير ختام لهذه الأيام الفريدة المملوءة بالذكريات والدروس والعبر. وغني عن القول أن مثل هذه الرحلة، بما اتصفت به من جدة، وما تحقق فيها من اجتماع بأعزاء، وما حصل فيها من راحة بال وسير في أرض خلاء، هي من أجمل الأيام التي يذكرها الإنسان. وذكريات هذه الرحلة كثيرة إنما جلها، كما هي الحال عادة في مثل هذه المناسبات، مواقف يغلب فيها الطابع الخاص، فهي لأصحابها تمر بهم بين وقت وآخر فيضحكون لها أو يشدهم الحنين إليها(٧٥). ولعل القارئ - ولاسيما إن كان ممن يألفون البر ويعشقون القفر - يتصور المتعة التي عشناها في تلك الأيام. فقد كنا نسير في هذه النفود التي تلبس كل يوم ثوبًا جديدًا فتحسب أن أحدًا لم يطأها قبلك، وأتاها الوسم فبان أثره في أرضها ونباتها وهوائها. ثم إننا نركب على هذا الجيش(٧٦) المجهز بكامل زينته، وفي كل يوم نحل بمنزل جديد. إذا جلسنا حول النار في ذرا غضاة أو أرطاة أنسنا بالحديث والطرافة والنكتة، وإن مشينا كنا على مثل هذه الحال، أو تبادلنا الهجيني، لا يشغلنا شاغل ولا يعكر صفونا رنين هاتف أو ضوضاء مدينة أو ضغوط عمل أو ارتباطات المواعيد، أو غير هذا من التداخلات والالتزامات التي تفرضها الحياة المعاصرة. فلولا صوت بعيد نسمعه، أو ضوء خافت نراه بين الفينة والأخرى لسيارة مارة أو طائرة تحلق في الفضاء لتوهمنا أننا نعيش في غير هذا الزمان.



الهوامش:

والقعر والجرعا وهما الحفرة في بطن الفلق. والصدر وهو الطريق الذي يكون إلى الجهة الشرقية من القعر. والحجاج وهو الطريق الذي يكون إلى الجهة الغربية من القعر. والبنية وهي الجمر المكون من حطب الأرطا.

٧٢- قبل أن نصل إلى جبة استضافنا للغداء مبارك بن عيادة بن عبيكة. وعندما أصبحنا على مشارف جبة، وكانت على مرأى منا، وقفنا لتناول القهوة بضيافة رجا بن عادي الرمالي. وعندما وصلنا إلى جبة كنا بضيافة أميرها عبدالله بن غالب بن فلاج الرمالي الذي دعانا للعشاء. وقبل أن نغادر جبة استضافنا لشرب القهوة كل من: نايف بن عتيق بن رمال ومبارك بن عيادة بن عبيكة وشجاع بن مرعيد بن رمال.

٧٣- النجر: جاء في لسان العرب، مادة: نجر: «أصله الدق، ويقال للهاون: منجار».

٧٤- في قصيدة للأمير عبدالله بن رشيد قالها بعد خروجه من حائل بيتان يمدح بهما جبة. يقول:

جبة سقاه من أول الوسم رعاد
ما حدرت خشم أم سلمان تسقيه
حيث إنها للمنهزم دار ميعاد
ومن لاذ به كن الحرم لايذ فيه

جبة سقاه: يطلب لها المطر. أول الوسم: المطر الذي يأتي في أول موسم الأمطار الذي يبدأ في منتصف شهر أكتوبر. رعاد: السحاب المطر المصحوب بالرعد. ما حدرت: ما سارت بانحدار أي باتجاه الشرق. خشم أم سلمان: جبل أم سلمان. دار ميعاد: ملجأ. لاذ به: احتمى بها.

٧٥- يقول عبدالرحمن بن أحمد السديري في قصيدة نبطية له في وصف ذكريات الخروج إلى البر وصحبة الرفاق:

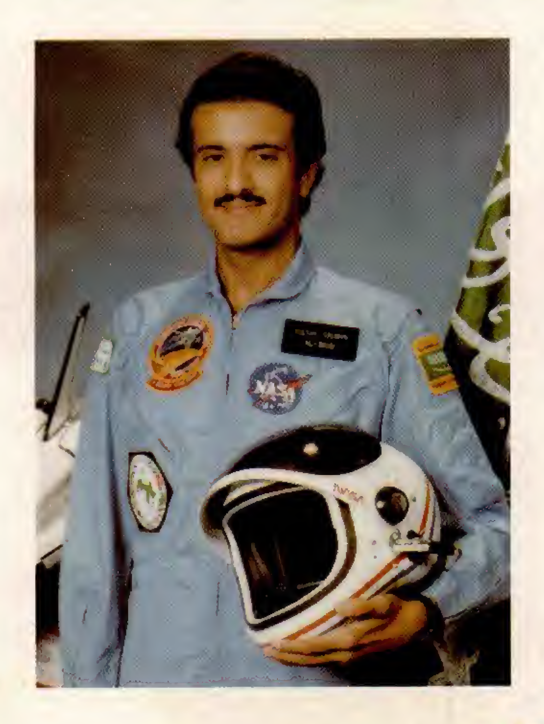
أيام نقظيها ولو هي قصيرة
طول السنة بأذكارهن تقل تجار
ربع سوالفهم لقلبي عميرة
أسج أنا معهم اليا شبت النار
على دلال مكرمات بريرة
نبرهن بالنار والبن وبهار
عزاة من روح عليهم ظريرة
وليت الليالي ما تفرق لنا دار

سوالفهم: أحاديثهم. عميرة: تحيي قلبي. أسج: أسلى.

انظر: السديري، عبدالرحمن بن أحمد. القصائد: ديوان الشاعر الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، الرياض، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص١٠٥.

٧٦- الجيش: اسم للركائب عند البادية ولاسيما عندما تكون أكثر من واحدة.

صاحب السمو الملكي الأمير
سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز
في «منتدى الفيصل» القادم



يسعد «منتدى الفيصل» أن يستضيف أحد شباب الأمة الإسلامية الذي عُرف بطاقته المتجددة، وعمله الدؤوب، وسعيه إلى ارتياد آفاق المعارف الجديدة، هو سمو الأمير سلطان بن سلمان ابن عبدالعزيز. فقد كان سموه أول رائد فضاء عربي مسلم، استرعى الأنظار إلى ضرورة طرق هذا المجال الحيوي في السباق الحضاري، وتحدث إلى العالم أجمع - خلال رحلته التاريخية على متن مكوك الفضاء - بلغة قوية مؤثرة، مقدمًا لشباب الأمة نموذجًا يُحتذى في الطموح والإقدام. كما عمل في مجال الإعلام الذي لا اختلاف على تأثيراته الواسعة في البناء الفكري لأي أمة، ثم ارتبط اسمه - ولايزال - بالعمل الاجتماعي، لما اتسمت به رؤيته، في هذا المجال، من عمق وشمول، ومن أبرز أعماله المتميزة في هذا الشأن رعاية الأطفال المعوقين وتأهيلهم ليكونوا أعضاء نافعين في المجتمع.

عن هذه التجارب المتنوعة والثرة لسمو الأمير سلطان، وعن جوانب مختلفة من شخصيته وآرائه وأفكاره وطموحاته، يسعدنا أن نتلقى أسئلة القراء الكرام كي يدور الحوار المتنوع بين سموه وبينهم في «منتدى الفيصل».

نبذة من سيرة سموه:

- من مواليد مدينة الرياض في ١٨من ذي القعدة ١٣٧٥هـ - حزيران/ يونيو ١٩٥٦م.
- درس الإعلام والطيران في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم عاد إلى المملكة في عام ١٩٨٢م وشغل وظيفة باحث بإدارة الإعلام الخارجي بوزارة الإعلام.
- في عام ١٩٨٤م أصبح نائبًا لمدير لجنة الإعلام الأولمبية للمملكة في دورة الألعاب الأولمبية بلوس أنجليس، وعند إنشاء إدارة الإعلان بوزارة الإعلام - في العام نفسه - تولى منصب مدير الإدارة بالنيابة.
- في عام ١٩٨٥م أنيطت به مهمة إخصائي الحمولة على متن مكوك الفضاء «ديسكفري» في رحلته ٥١ جي (٢٩ رمضان - ٦ شوال ١٤٠٥هـ - ١٧-٢٤ تموز/ يوليو ١٩٨٥م). وكان ضمن الطاقم الملاحي العالمي المكون من سبعة رواد من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.
- شارك في إنشاء جمعية مستكشفي الفضاء، وهي هيئة دولية تضم في عضويتها جميع رواد الفضاء، وبقي في مجلس إدارتها عدة سنوات.
- في عام ١٩٨٥م تم تعيينه ضابطًا في القوات الجوية السعودية، وترقى بها إلى أن حصل على رتبة عقيد طيار في عام ١٩٩٤م. وفي عام ١٩٩٦م تقاعد تقاعدًا مبكرًا من الخدمة العسكرية.
- انتخب رئيسًا لمجلس إدارة جمعية الأطفال المعاقين في عام ١٩٨٩م، وأعيد انتخابه لدورتين عامي ١٩٩٢، و١٩٩٥م، كما تولى رئاسة مجلس الأمناء في مركز الأمير سلمان الاجتماعي لأبحاث الإعاقة.
- رئيس اللجنة الاستشارية لمشروع واحة العلوم، والرئيس الفخري لجمعية الحاسبات السعودية، والرئيس الفخري للجمعية السعودية لعلوم العمران.
- عضو بالجمعية السعودية الجغرافية، وعضو بجمعية مستكشفي الفضاء، وعضو بالجمعية الفلكية البريطانية، وعضو بالجمعية الجغرافية الأمريكية، وعضو بالجمعية الفضائية الأمريكية، وعضو ببرنامج الفضائيين الشباب (الولايات المتحدة)، وعضو بالجمعية الوطنية للفضاء (الولايات المتحدة)، وعضو بمعهد الدراسات الفضائية (جامعة برنستون)، وعضو بأكاديمية رواد الفضاء الدولية (فرنسا)، وعضو بالجمعية الفضائية الأمريكية، وعضو مشارك بندوة الأوضاع الدولية.

ومن آراء سموه حول بعض القضايا:

• عن رحلته ضمن طاقم مكوك الفضاء ديسكفري:

.. كنت أقرأ القرآن الكريم خلال الربع أو النصف ساعة.. وأضع خطوطًا تحت الآيات التي أقرؤها، ثم أنظر من شبّاك المركبة، وأشاهد عظمة الخالق مجسدة أمامي.. لقد كان اصطحاب القرآن معي أمرًا عظيمًا..

الفضاء سوف يكون فيه صناعات مختلفة في المستقبل، وهناك مدن فضائية سوف تُبنى، ونأمل أن تسهم فيها المملكة؛ ليس من طريق إرسال رواد فضاء من العلماء والعسكريين وغيرهم؛ بل الإسهام في المدن الفضائية، والاستفادة من البيئة التي يوفرها الفضاء.

• الإعلام الوطني:

بلا شك أن التقنية الحديثة أصبحت تُملي علينا التعامل معها بطرق مختلفة، وإن استطعنا اليوم أو في أي وقت آخر تفادي بعض ما تخلفه هذه التطورات التقنية من بعض السلبيات، إلا أنه في المستقبل سوف يتغير الوضع - والله أعلم - بحيث يصبح التعامل مع السلبيات حقيقة واقعة، وأمرًا غير ممكن تلافيه تقنيًا. ولهذا كنت ولا زلت أشعر دائمًا بأن الأهمية الأساسية تكمن في ضرورة تطوير إعلامنا الوطني حتى يمكن أن يواكب ويتجاوز بما يقدمه القنوات الفضائية المختلفة الأخرى، وأن يستطيع أن ينافسها في عقر دارها.

• الاستنساخ:

إن ضرورة تصدي العلماء المسلمين لاتخاذ موقف علمي وديني وأخلاقي من موضوع الاستنساخ أصبحت تشغل بال كثير من العلماء والمفكرين والمثقفين في العالم الإسلامي. فالمؤشرات تدل على أنّ هذا العلم سيتطور في المستقبل، شأنه في ذلك شأن الكثير من العلوم والمعارف الإنسانية التي تنطوي على إيجابيات وسلبيات. ودور العلماء المسلمين هنا هو تقويم عوائد هذه المعرفة ومضارها؛ بحيث لا يُحرم المسلمون من فوائدها الطبية والعلمية، وفي الوقت ذاته يتجنبون سلبياتها الدينية والأخلاقية.

• المجال التقني:

إنني أرى أنّ أسباب التأخر التقني الذي نعيشه في عالمنا العربي متباينة، فبعضها اقتصادي، وبعضها اجتماعي وسياسي.. وجذور التأخر الحضاري تعود إلى قرون مضت لازمتها ملابسات تاريخية يطول الحديث فيها.. لكن بالنسبة إلى الواقع الراهن أعتقد أنّ عوامل غياب الاستقرار السياسي والضعف الاقتصادي والخلل الاجتماعي هي أهم عوامل التأخر العلمي والتقني.

• اهتمامه بمجال رعاية الأطفال المعوّقين:

أسباب ودوافع كثيرة جعلتني أهتم بمجال رعاية الأطفال المعوقين، لكونهم - في نظري - أكثر فئات المجتمع عوزًا وحاجة.. فأنا بطبعي أحب الأطفال جدًا وأسعد عندما ألتقي بهم.. إنّ السعادة التي أجدها في ضحكة طفل بريء يصعب وصفها.. هذا الارتباط بالأطفال جعل إحساسي بمعاناتهم مضاعفًا.

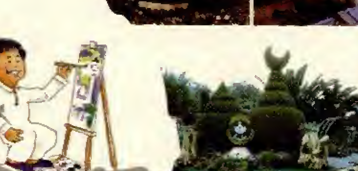
• الصحافة السعودية:

.. لا أؤيد أولئك الذين يعتقدون أن عصر الصحافة المكتوبة قد انتهى. لكنني أرى أن الصحافة تحتاج إلى إعادة نظر في وسائل جذب القارئ عبر التطوير المدروس إذا أرادت أن تبقى في الحلبة.

المملكة في عيون أطفالها

احتفاءً بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية يسر أرامكو السعودية أن تعلن عن مسابقتها السنوية العشرين لرسوم الأطفال هذا العام وتخصيصها لهذه المناسبة الغالية وموضوعها المملكة في عيون أطفالها .













دعوة إلى جميع الأطفال بالمملكة

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية العشرين لرسوم الأطفال ، والتي سيكون موضوعها « **المملكة في عيون أطفالها** » إسهاماً من الشركة بمناسبة مرور مائة عام على فتح الملك عبدالعزيز مدينة الرياض ، وإقامة هذا الصرح الحضاري العملاق اليوم ، المملكة العربية السعودية . وأرامكو السعودية إذ يسرها أن تعلن عن هذه المسابقة لتفخر وتعتز بهذا الحدث العظيم التي هي جزء منه ، وهي بهذا تسعى لتجسيد هذا الحدث من خلال إبراز المواهب والإبداعات الفنية لأطفال المملكة ، وتحفيز مواهبهم وتشجيعهم وكشف مواهبهم وإبداعاتهم وإثراء أعمالهم الفنية والتربوية معاً في ظل العهد الزاهر اليوم في مملكتنا الحبيبة .

ملاحظة مهمة يرجى من جميع الأطفال الراغبين في الاشتراك في المسابقة ومن أولياء أمورهم ومدرسيهم أن يقرأوا نظام وشروط المسابقة بعناية ، وأن يتبعوها بدقة ، فالرسوم المخالفة لشروط المسابقة سوف تستبعد .

شروط المسابقة

(١) يحق لكل طفل لا يقل عمره عن خمس سنوات ولايزيد على خمس عشرة سنة ويقيم في المملكة أن يشارك في المسابقة .
(٢) يجب على الطفل الالتزام بموضوع المسابقة وهو « **المملكة في عيون أطفالها** » .
(٣) يتقدم كل طفل للمسابقة برسم واحد فقط على أن يكون الرسم من عمله هو دون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين أو غيرهم .
(٤) يجب أن يكون الرسم عملاً أصلياً غير منسوخ أو مشارك به في مسابقة أخرى .
(٥) يجب أن يكون العمل المقدم رسماً أو ما يشبه الرسم كأن ينفذ من أوراق القص أو اللصق الملونة ، أو قطع القماش ، أو ماشابه ذلك . وستستبعد الأعمال المجسمة من مواد بارزة كقطع الخشب أو قطع البلاستيك ، أو الفخار ، أو ماشابهها . ويمكن للطفل أن يستخدم أي نوع من الألوان أو الأحبار أو مايراه مناسباً لرسمه .
(٦) يجب أن يكون الرسم نفسه خالياً تماماً من أية دلالة على اسم الطفل أو مدرسته .
(٧) يجب أن يكون مقاس الرسم ٢٥ سم × ٥٠ سم ، وللطفل الخيار في الاستفادة من هذه المساحة أفقياً أو عمودياً .
(٨) يجب تنفيذ الرسم على الورق المقوى أو تثبيته على لوح من الورق العادي أو القماش .
(٩) يجب أن يكون الرسم مرتباً ونظيفاً .
(١٠) يجب تثبيت القسيمة المرفقة بهذا الإعلان أو صورة منها على ظهر الرسم ، كما يجب ملء جميع البيانات المطلوبة فيها بدقة ووضوح .
(١١) يجب عند إرسال الرسوم في البريد وضعها في ظروف أو مغلفات متينة تحميها من التلف .
(١٢) تصبح جميع الرسوم المشاركة في المسابقة ملكاً لأرامكو السعودية سواء فازت أم لم تفز ، وتبقى هذه الرسوم في حيازة الشركة ، التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسبما تراه مناسباً .
(١٣) آخر موعد لتسلم الرسوم هو ٧ ربيع الأول ١٤١٨هـ الموافق الأول من يوليه ١٩٩٨م .

الجوائز

خصص للفائزين في هذه المسابقة مائتا جائزة قسمت إلى الفئات التالية :
- خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٥ و ٨ سنوات .
- خمس وستون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١١ سنة .
- خمس وثمانون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٥ سنة .

يمكن توجيه الاستفسارات عن المسابقة إلى إدارة العلاقات العامة على الهاتف رقم ٨٧٢٤٢٠٢ و ٨٧٢٩٣٠٢ مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق .

يجب ملء هاتين القسيمتين أو صورة منهما وتثبيت واحدة على ظهر الرسم المشارك وإرفاق الأخرى منفصلة مع الرسم .



مسابقة أرامكو السعودية السنوية العشرون لرسوم الأطفال

اسم الطفل كاملاً:
تاريخ الميلاد: ... عمره:
الصف الدراسي:
اسم المدرسة:
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً:
ص. ب:
المدينة: ... الرمز البريدي:
الموقع:
الشارع:
الهاتف: ... الفاكس:
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ:
موضوع أو عنوان الرسم المشارك:
التاريخ:

مسابقة أرامكو السعودية السنوية العشرون لرسوم الأطفال

اسم الطفل كاملاً:
تاريخ الميلاد: ... عمره:
الصف الدراسي:
اسم المدرسة:
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً:
ص. ب:
المدينة: ... الرمز البريدي:
الموقع:
الشارع:
الهاتف: ... الفاكس:
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ:
موضوع أو عنوان الرسم المشارك:
التاريخ:



ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي: مسابقة أرامكو السعودية لرسوم الأطفال - غرفة رقم ٢٢٣٨ - مبنى الإدارة الشرقي - أرامكو السعودية - الظهران ٣١٣١١)

قصيدة

إلى أمي

شعر: محمد سعيد مولوي

قبَّلتُ رأسك أنت الحب يزدهر ... وبتُّ ألثم ذاكَ الرأسَ أفتخرُ

نوَّرت وجهيَ من أفعالك الجُلَّى ... فلا يشاكلني شمسٌ ولا قمرُ

وحزتُ عفوكَ لا دنيا تؤرِّقني ... ولا همومٌ ولا ضيق ولا ضَجَرُ

رضاكِ أغلى مُنًى في الدهر أُدرِكها ... هو المنير لدربي حين يستترُ

كم مرةٍ أظلمت دنيايَ عابسةً ... وجاء نورُ الرِّضا فالهَمُّ يندثرُ

وكم علتني كروبٌ لست أحملها ... فرحتُ نحوكِ بعد الله أنتصرُ

بذلت نفسك لا ترضَيْنَ جائزةً ... سوى سلامتنا والقلبُ ينتظرُ

كم ليلةٍ سهِرَتْ عيناكِ متعبةً ... فوقَ المريضِ ودمعُ العين ينهمرُ

والقلبُ يضرعُ يدعو الله في هَلَعٍ ... والكفُّ ترجف والآهات تنفجرُ

والصوتُ يعلو وأحيانًا له خَفتٌ ... من عَبرَةٍ سبقت حَرّى لها سُعُرُ

مولاي فارحم غُلامي واشفِ علّتَه ... وارحمْ فؤادي بلطف فالهوى قَدَرُ

أمّاه إن جُعتُ كنت الظئر مطعِمَةً ... وإن عطشتُ فأنت المزنُ والنّهرُ

وإن مَللتُ فأنتَ الأنسُ يُطربني ... وإن حَزِنتُ فأنت السُّهْدُ والسَّهرُ

وإن بكَيتُ فأنتِ الجَفنُ مُنطبقًا ... يحنو عَلَيَّ فيحلوَ السَّمعُ والبصرُ

لم ألقَ شخصًا على الأيامِ يخلصُ لي ... إلاكِ أمي رعاكِ الله يا قَمَرُ

أنتِ الودادُ على الأيامِ ينصحني ... بخافق وجب نبضاتُهُ عِبَرُ

خير المآثر إيمانٌ وتزكيةٌ ... زرعت ذاكَ بقلبي عطْرُهُ ذكَرُ

مهما صنعتُ ومهما جئتُ من عملٍ ... حتى أردَّ جميلاً لستُ أقتدرُ

أماه يا دُرَّةً تزهو برونقها ... يا زهرةً عبقت يرنو لها الزَّهَرُ

يا روعةً كرُمَتْ في المجد مَحْتِدُها ... فاقت سواها وجَلَّ المجدُ والخطرُ

أفديكِ من نسمةٍ هَبَّتْ على مَهَلٍ ... بالقلب بالعين لا يبقى لها نَظَرُ

فاحفظ إلهي التي رَبَّتْ على صِغَرٍ ... وثقَّفتْ عاقلاً إذ غودر الصِغَرُ

جزاك ربي على ما قمتِ من عملٍ ... خير الجزاءِ فإنّ الربَّ مقتدرُ

أقوال الماضي للحاضر

بريق الفضيلة



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

الفضيلة والمروءة، والشهامة، والشجاعة، وجميع الصفات الحميدة، أنواع، بعضها يُلمَحُ في الأمور العظيمة، وبعضها يُرى في الأمور الصغيرة، وبعضها يطلّ من الأفعال المهمة، وبعضها يبدو في الأمور الطفيفة؛ ولكنها، في ذلك كله، تبقى عظيمة في مدلولها، وافية في نتائجها، فوائدها تُلحظ، وثمرها يُرى، خيرها عميم، ونفعها شامل.

والمجتمعات تعلو قيمتها بتوافر الفضائل بين الأفراد فيها، وتهبط بانعدام هذه الصفات فيهم. في الفضائل تكمن السعادة التي لا تحدها حدود، وفيها تتوافر الطمأنينة التي لا يُعرف مداها. والأدب العربي مملوء بالقصص التي تحكي مواقف أناس اتصفوا بفضيلة من الفضائل، وحُمِدَ قولهم في ضوئها، أو أُشيدَ بفعلهم في حماها، وسجل الزمانَ لهم مواقف، وحفرها في صفحته مضيئة فتخللته سمعتها، إلى أن وصلت إلينا ببريقها المبهج، ونورها الساطع، لم يَخْبُ ضياؤها، ولم يبهت لونها، أو يزول عنها بهاؤها، أو يحول دون رونقها حائل، أو يقف دون حسنها حاجز؛ وبقيت لسان حال صدق محمود لمن يقرؤها، وأصبحت محط فخر لأجيال ينتمون إلى من سبقوا إلى هذه الفضائل.

وبعض هذه الصفات الفاضلة اتسم بها أصحابها، وعُرفت عنهم، وعُرفوا بها، بعد أن دفعوا ثمنًا غاليًا، فقد يكون ثمن كسبها تعرض رقاب بعضهم للقطع، أو أجسامهم للتعذيب، أو حياتهم للأذى والإهانة. ومع هذا أقدموا على ما أقدموا عليه، وليس لهم دافع إلا الحرص على الوصول إلى الهدف النبيل، الذي حسنت نيتهم تجاهه، ووضعوه نصب أعينهم، وأغمضوا جفونهم عما عداه من العوائق، ووطّنوا نفوسهم على ركوب الصعب؛ لأن لذة المنتهى أنستهم ما قد يكون من ألم المبتدأ، فكان لهم ما أرادوا، بعون من الله، المطلع على خفايا النفوس، والذي لا يُضيع أجر من أحسن عملا.

ومن أصعب المواقف الوقوف لقول الحق أمام حاكم غاضب، ملأ الحنق نفسه، لعظم الجرم الذي أقدم عليه من استحق هذا الحنق. ويزيد الأمر صعوبة، وتعظم الوحشة إذا كان الحاكم في مبتدأ تأسيس حكم يلزم له زرع الهيبة، ويكون الحزم أساسًا له، والقوة لحمته وسداه، فيُغضي الحاكم عن أي جانب يبدِّد عزمه، أو يهدهد تصميمه، أو يضعف من اندفاعه.

وأبو جعفر المنصور (ت:١٥٨هـ)، ثاني مؤسِّسي الدولة العباسية، عُرفت عنه الشدة، واتصف بالحزم، ليبني الدولة قوية على أنقاض الدولة الأموية المتلاشية، بسبب ضعفها، وتفكك أجزائها. لقد جاء بسياسته الحازمة ليسلك طريقًا غير ما سلكه الأمويون في آخر حكمهم، فإن كانوا يعفون فإن من الحزم عنده ألا يعفو، وإن كانوا يتحققون قبل العقاب، فهو يأخذ بالظِّنة، وإذا كانوا يجلبون الناس بالعطاء فهو يجلبهم بالقوّة.

إذا كان هذا هو ما كان في ذهنه عندما وصلت إليه الخلافة، فإن ممارسة أعمالها، وتجاربه في حمل أعبائها، قد فتح له أبوابا كانت مغلقة أمام فكره، فلقد هذبت سياسته التجارب، وخففت من غلوائه الأيام، وغلبت عليه الفطرة، وأدركته بركة الإسلام، فأصبح يؤمن بالاستماع لصوت الدين وفيه العقل والفضيلة، ويسمح لهذا أن يعلو على صوت السياسة، فأدى به هذا إلى أن

تغمره شآبيب الفضيلة طائعًا عندما يلمح بوادرها، وسعيدًا عندما يرى ضياءها؛ فيسمح لنور الحق أن تلج أشعته إلى قلب أراد له أن يكون قاسيا، فتداركه الله بلطفه وآلائه.

رجل مسلم أمام رجل مسلم، ورجل عالم مؤمن أمام رجل غافل عن فضيلة، ران عليها ظلام الغضب، فأطفأ بريقها، ونزل عليها صدأ الحنق فأخفى أديمها، فأخذ العالم يزيل الظلمة، ويجلي الصدأ، تدريجا، حتى عاد البريق، وصحة الأديم، فجاء هذا بالثمرة المرجوة.

والقصة التي وراء هذا طريفة نبيلة، إن صَحَّت:

«قال عمر بن حبيب العدوي:

كنت في وفد أهل البصرة لما قدموا على المنصور يسألونه أن يولي عليهم قاضيًا، فبينا نحن عنده إذ جيء برجل مصفّد، يحمل في الحديد، فوقف بين يديه، فغلّوا يده إلى عنقه. فساءله طويلاً، ثم بُسط له نطْعٌ وأُقعد عليه ونحن ننظر إليه، فأمر بضرب عنقه، والرجل يحلف له، وهو يكذبه.

ولم يتكلم أحد من الجمع. فقمت، وكنت أحدثهم سنا، فقلت:

يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في الكلام؟

فقال: قل.

قلت: يُروى عن ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

من اعتذر إليه أخوه المسلم، فلم يقبل عذره، لم يرد عليَّ الحوض. وقد اعتذر إليك، فاقبل عذره.

فقال: يا غلام، اضرب عنقه.

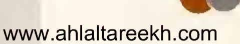
فقلت: إن أباك حدثني عن جدك عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة نادى مناد تحت العرش: لِيَقُمْ مَنْ كان له عند الله يدٌ، فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه المسلم.

فقال: آلله أنّ أبي حدثك عن جدي عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا؟

فقلت: آلله إن أباك حدثني عن جدك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا.

فقال أبو جعفر: صدق أبي عن جدي عن ابن عباس بهذا. يا غلام خلّ عنه. وأمر له بجائزة، وولاني قضاء البصرة».

(التذكرة الحمدونية: ٤/١٠٥).





أدباء بلا أدب!

د. حمد زيد الزيد

عرفت في حياتي الأدبية ـ الطويلة نسبيًا ـ الكثير من الأدباء يُعدّون بالمئات من الذين قرأت لهم أو قابلتهم. فأما الذين قرأت لهم فكانوا يتمتعون بقدر لا بأس به من الأدب، ولكنني عندما قابلت بعضهم سقطت هذه الصورة الجميلة لهم من نفسي!!

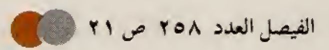
ولجأت إلى الفلسفة وعلم النفس لكي أخرج بنتيجة منطقية من هذه الازدواجية العجيبة ووصلت إلى:

ـ أن الأدب، كما تقول كتب التراث، أدبان: أدب النفس وأدب الدرس.. وهما إما أن يتّفقا في الشخصية الواحدة، وإما أن يصبح الأديب بلا أدب إذا فقد أحدهما!!

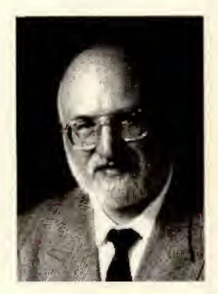
ـ وأن بعض الأدباء منافقون أو جبناء؛ فهم يقولون ما لا يفعلون ـ ولاسيما الشعراء ـ ويبالغون في أقوالهم ويدّعون ويمثلون... ولا يقفون عند رأي أو مبدأ صامدين؛ فهم بذلك يكذبون على أنفسهم وعلى القارئ وعلى التاريخ.

ـ وأن بعضهم ـ ممن عرفت ـ لا يستحق هذا اللقب العظيم الخالد، فهو بلا أدب نفس، وأقل ما يقال عنه إنه: «سخيف وتافه ووقح»، أو بلا أدب درس فهو: «أجوف وسطحي وسارق»؛ مما جعلني أحزن وأندم في آن واحد على حالهم وعلى اتصالي ببعضهم ـ ويا للأسف ـ!!

ـ هناك تفسير عقلاني قد يكون صحيحًا وهو أن أغلى ما في الإنسان عقله.. وعقول الأدباء والكتّاب، وكذلك عواطفهم، مسطرة في الكتب.. ولذلك علينا الاتصال بالكتب وليس بالكتّاب!!



يوم الحج الأكبر
يوم ميثاق السلام العالمي



د. خالص جلبي

مع فجر الحياة البشرية، وطفولة العقل الإنساني، وعَجزِ البشر عن إدراك السنن المبثوثة في الآفاق، سيطر على الإنسان الخوف من الطبيعة، فبدأ يحاول استرضاءها بالتضحية بالإنسان قرباناً؛ ومع ولادة الحضارة الإنسانية قبل ستة آلاف سنة أصيبت بلوثة الحرب التي تطلبت هذه المرة قرابين بشرية بكميات هائلة لا يحصيها العدد ولا يضمها مداد؛ كي تشبع نهم آلهة الحرب الجدد.

إن أثمن وأعظم كنز يجب المحافظة عليه وصيانته هو «الإنسان»، فكل ما في الوجود مسخر له، لأن الله عز وجل استخلفه في الأرض بموجب إعلان من الله في ذلك. لذا فقد نصّت الشرائع السماوية على تحريم سفك دمه دون مسوّغ شرعي، وحرّمت تقديمه قرباناً لآلهة كاذبة وهمية، لا في قربان السحرة ولا في ساحات القتال!

«مع ساعات الصباح الأولى اجتمع حشد عظيم من الناس حول المعبد في مدينة «تينو شتيتلان» العاصمة، وعلى سفح المعبد تمدد شاب جميل الصورة، قوي البنيان، قد أمسك به أربعة من الكهنة، وأوثق بالحبال، ثم عبقَ البخور، وتصاعدت الترانيم الدينية، وتقدم رئيس الكهنة بلباس فاخر بألوان زاهية وبيده خنجر صقيل، مرهف النصل، فقرأ بعض الأدعية، لم يلبث بعدها أن أدخل نهاية السيف القصير الحادة في صدر ذلك الشاب البئيس ليصرخ صرخة الموت من الرعب والألم، ولتسرع يد الكاهن إلى داخل جوف الصدر فتحرر القلب بسرعة بقطع العروق الدموية المتصلة به. ثم لا يلبث الكاهن أن يخرج القلب وهو يخفق بين أصابعه أمام الجمهور المنتشي بهذا المنظر، ويغيب صوت الشاب الذي يغرغر في سكرات الموت تحت هتاف الجمهور واستحسانه، ويسقط البدن على درج المعبد وقد اغتسلت الجنبات بالدم الشرياني الأحمر الزاهي، في الوقت الذي ترتسم فيه على وجوه الكهنة ابتسامات الارتياح بتنفيذ المهمة!!».

هذه الطقوس كانت منظراً اعتيادياً سنوياً لحضارة «الأزتيك»(١) في أمريكا الوسطى حيث عاصمتهم تينو شتيتلان، التي أصبح اسمها اليوم: نيو مكسيكو بعد أن دمر الإسبان حضارتهم وقضوا على آخر آثارهم وواروها التراب بطريقة «قربان» أخرى لغت القربان الأول بقرابين الحرب الجديدة. وهكذا التقت حضارة «القربان القديم» مع حضارة «القربان الجديد»، الأولى يقوم فيها الكاهن بالتضحية بشاب وسيم قوي، والثانية بتقديم أمة بكاملها على المذبح التاريخي الجديد، بل إنه يتم تقديم القربان الجديد تحت مسوّغ إلغاء حضارة القربان القديم بالتضحية بالإنسان. إن هذا الاختلاط بين قربان «الإنسان» وقربان «شعب» يحتاج إلى تسليط الضوء عليه من خلال إعلان آيات الكتاب العزيز: أن لا تضحية بالإنسان بعد اليوم: *فلمّا أسلَمَا وتَلَّهُ للجبين. وناديناه أنْ يا إبراهيم. قد صدَّقْتَ الرُّؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين. إنَّ هذا لَهُو البلاءُ المبين. وفَديناهُ بذِبحٍ عظيم.* **الصافات**:١٠٣-١٠٧.

هذه العادة قديمة قِدم الجنس البشري، وكما يقول المؤرخ الأمريكي ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة: «والظاهر أن التضحية بالإنسان قد أخذ بها الإنسان في كل الشعوب تقريباً، فقد وجدنا في جزيرة كارولينا في خليج المكسيك تمثالاً كبيراً معدنياً أجوف لإله مكسيكي قديم، فوجدنا فيه رفات كائنات بشرية، لاشك أنها ماتت بالحرق قرباناً لله، وكلنا يسمع عن (مُلُخ) الذي كان الفينيقيون والقرطاجنيون وغيرهما من الشعوب السامية، حينا بعد حين، يقدمون له القرابين من بني الإنسان»(٢).

وتذكرنا قصة عمر بن الخطاب في أثناء الفتح الإسلامي لمصر، إن صحت الرواية عن الروح التي كانت سائدة هناك بتقديم فتاة سنوياً تُلقى حيةً للنيل بدعوى خصوبته وقذفه بالطمي المناسب، تذكرنا بسؤال عمر رضي الله عنه عما يفعلون؟ أرسل إليهم رسالة طلب منهم أن يلقوها في النيل وكان فيها ما يلي: «يا نيل إن كنت تجري بسنة الله فاجرِ كما كنت

تجري، وإن كنت تجري بسنة الشيطان فلا حاجة لنا بجريانك»، وأُنقذت فتاة ذلك العام من الموت غرقًا، وأُبطلت تلك العادة منذ دخول الإسلام أرض مصر.

لعل مصدر فكرة «القربان» هو الخوف من الطبيعة عند الإنسان البدائي الذي لم يستطع تفسير الظواهر الكونية التي أرعبته، يقول ديورانت: «الخوف - كما قال لوكريشس - أول أمهات الآلهة، وخصوصًا الخوف من الموت، فقد كانت الحياة البدائية محاطة بمئات الأخطار وقلما جاءتها المنية من طريق الشيخوخة الطبيعية؛ فقبل أن تدب الشيخوخة في الأجسام بزمن طويل كانت كثرة من الناس تقضي بعامل من عوامل الاعتداء العنيف، ومن هنا لم يصدق الإنسان أن الموت ظاهرة طبيعية وعزاه إلى فعل الكائنات الخارقة للطبيعة»(٣).

لذا حاول الإنسان البدائي أن يضحي بالإنسان كحل لهذه الإشكالية العقلية؛ بل حتى النصرانية، في قسم منها، تندرج تحت حل هذه الإشكالية في قضية صلب المسيح التي نفاها القرآن. وتشديد القرآن على نفي الصلب يرجع، في قسم كبير منه، إلى الذيول الفلسفية التي بنتها عقيدة الكنيسة المتأخرة، والتي لا تُرى بهذا الشكل الواضح في كل الأناجيل الأربعة، ففي الاعتبارات التاريخية لحركة الإصلاح الكبرى والأديان يأتي موت صاحب قضية كبرى أو استشهاده شيئًا عاديًا وطبيعيًا وفي طريقه المرسوم، بل سجل القرآن مصرع الأنبياء والآمرين بالقسط من الناس على أيدي أناس متشددين يتقربون بقتلهم ودمائهم إلى الله: *وَقَتْلَهُمُ الأنبياءَ بغير حَقٍّ*. **آل عمران**:١٨١. بل إن رأس يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) قُرِّب على طبق من أجل راقصة هي سالومي!! وتم ذلك على يد حاكم فلسطين آنذاك وهو مغمور تحت ضباب الشهوة. ولم يترتب على مقتل يحيى أي عقيدة للخلاص كتلك التي طورتها الكنيسة.

من جملة الإشكاليات العقلية للعقل الإنساني البدائي (الطفلي) أنَّ ذَبحَ الإنسان ورشَّ دمه في الأرض وقت البذر يجعل الحصاد أفضل(٤)، ولذا فإن ظاهرة القربان البشري كانت شيئًا مكررًا في التاريخ في حلٍّ لإشكالية فهم للطبيعة، أو في حل إشكالية أضخم من ذلك؛ حيث نشأت بذرة الحرب كمرضٍ كروموسومي مرافق لولادة الحضارة الإنسانية(٥).

والتضحية بالإنسان كان له مسوِّغان: الأول في اتجاه المقدّس، كما ذكرنا، والثاني لأكله!! وهو معروف وشائع (الكانيباليزم)، بل ماتزال هذه الظاهرة عند بعض بقايا القبائل التي أدركها التاريخ المعاصر، وهي حقيقة لا نكاد نتصورها ولكنها واقعة مسجلة(٦)!! إلا أن ظاهرة الحرب أصبحت قربانًا هائلاً مخيفًا من نوع جديد، وكانت إفرازًا لتكوُّن الدولة ونمو الحضارة في فجر التاريخ البشري، فالدولة نشأت على العنف، إلا أنها - حسب الخطأ الذي بُنيت عليه - أصيبت من عدوى العنف إنما بشكل آخر! ففي الوقت الذي استطاعت الدولة تأمين الأمن الداخلي، نقلت العنف إلى مستوى الاصطدام مع الدول الأخرى، ويبقى هذا العنف المُسيطَر عليه ضمن الدولة الواحدة كامنًا تحت الرماد حتى ينفجر بأفظع صوره في الحرب الأهلية، كما يعرف ذلك مؤرخو الحروب الأهلية؛ كما في الحرب الأهلية الأمريكية - الإسبانية - الروسية أو أفغانستان حاليًا، أو كما نشاهد اليوم في رواندا حيث تم مسح ٢٠٠ ألف إنسان من خريطة الحياة في أسابيع قليلة، أو في سجل العار في البوسنة!!

إن الإعلان القرآني بإيقاف «القربان البشري» في أي صورة هو، في تضاعيفه، إعلان ضمني للسلام العالمي، وإذا كان ولابد فلْيُضحَّ بالحيوان كرمز للقربان القديم، وتذكير بالمرض القديم الجديد: مرض التضحية بالإنسان في أي صورة من الصور، والله لن يأكل اللحم ولن يشرب دم الضحية بل يناله النية والتقوى من عباده: *لَن ينالَ اللهَ لحومُها ولا دماؤُها ولكنْ ينالُهُ التقوى منكم*. **الحج**:٣٧.

إن مظاهرة الحج الكبرى هي قمة السلم في الاجتماع الإنساني، فليس هناك من مدينة على وجه البسيطة إلا ومنها حاج!! قد جاء على ضامر بشكل أو بآخر، ليس آخرها طائرة الكونكورد، وقد تكون ضامرات المستقبل الصواريخ، أو القطارات المغناطيسية الطائرة. وكما يجتمع المسلم مع أخيه المسلم في حلقات تكبر بشكل متصاعد؛ بدءًا من حلقة الحي في المسجد ومرورًا بصلاة أهل البلد الواحد معًا خارج البلدة في صلاة العيد، فإن الحج الأكبر هو اللقاء الكوني الأعظم، ولذا ناسبه خطاب عالمي، ومن أهم خطاباته إعلان السلام العالمي. إن جوهر الحج لا يدركه كثير من المسلمين الذين يحرصون على تأدية مشاعر يجب أن تُحقن بهذه المعاني الضخمة التي رسّخها الحج، لتكون ينابيع للشحن الروحي السنوي لكل العالم الإسلامي الذي هو في غاية الضعف اليوم.

يجب أن نعلم أن ظاهرة الحج كانت أيضًا قبل بعثه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأن إبراهيم عليه السلام بدأها قبل أربعة آلاف سنة، بل إن القرآن يشير إلى أنه أول بيت وضع للناس، فهو مشروع مبرمج منذ أمد طويل، لجعل هذا البيت «حرامًا»؛ أي يحرم فيه قتل الإنسان، ولذا نشأت معه ظاهرة مرافقة أخرى هي ظاهرة الأشهر الحُرم التي رسّخها الإسلام وحرص عليها لأن الإنسان كان قبلها: *ويُتخَطَّفُ الناسُ من حَولهم*. **العنكبوت**:٦٧. فهذه البقعة هي مكان تجربة رائدة في محاولة لتعميمها على الجنس البشري، كي يتم تحويل الكرة الأرضية إلى بحيرة سلام وأمان وسعادة. ولقد نجحت هذه التجربة في مساحتها الضيقة وصمدت عبر آلاف السنوات عمومًا، لذا كانت مهمتها الأساسية هي شحن «الحاج»بهذه المهمة العالمية؛ أي شحن روح العالم كله بروح السلام، والتوقف عن التضحية بالإنسان وجعله قربانًا لأي شكل من أشكال أوهام القوة والدعاوى الباطلة، تحت شعارات لا تنتهي وطروحات لا تتوقف.

إن هذا المعنى الضخم يحتاج إليه العالم اليوم، والعالم العربي بشكل خاص، بعد أن تحولت أوضاع العالم العربي إلى ما يشبه الحرب الأهلية المبطنة والظاهرة في كل مكان، وسَلْ حوادث مصر والجزائر واليمن تعطك الخبر اليقين عن هذه الروح الخطيرة المتفشية التي هيَ وباء عام في الثقافة العربية عمومًا. إننا نحتاج في العالم العربي إلى إعلان ميثاق الأمن والأمان الاجتماعي للإنسان الذي يعيش فيه حاكمًا أو محكومًا، من أجل إعادة الحوار لأطراف الوجود الاجتماعي وليس تربص كل طرف بالآخر من أجل إلغائه!!

إن قصة القربان الموجودة في القرآن في أثناء احتدام الصراع البشري بين ولَدَيْ آدم شيء بديع(٧) لأنها تذكر بمشكلة التضحية بالإنسان، وأسباب الصراع الإنساني ونتائجه المأساوية. إن القربان لم يُتقبَّل من الخاسر فأصر على القتل بدعوى التزوير في الانتخابات!! في حين أن الناجح شرح خطته المستقبلية فورًا وهي التخلي عن القوة من طرف واحد!! وهذا الأسلوب في حل المشكلات لم يستوعبه العالم ولم يدرك أهميته مطلقًا: *لَئِن بَسَطْتَ إليَّ يدكَ لتقتُلني مَا أنا بِبَاسطٍ يَديَ إليكَ لأقتُلكَ إنّي أخافُ اللهَ ربَّ العالَمينَ*. **المائدة**:٢٨. إن الطرف الخاسر والمهزوم يرى أنه على الحق المطلق والآخر مارق يُستباح دمه، وبذا انعدمت عنده آلية المراجعة والنقد الذاتي، ومن ثم الحوار، ولذا فليس هناك من حل للمشكلة إلا بالتصفية الجسدية للطرف المقابل؛ أي إلغاء الطرف الآخر. في حين أن الطرف الآخر لم يلجأ للقتل ولم يتبنّه، لذا فهو يحاور، وهو بذلك يحاول إيقاف حلقة الصراع الشيطانية بالتوقف عن استخدام القوة من طرف واحد.

إن ما نحتاج إليه اليوم ليس إلغاء الآخر بل إيجاده، لأنه في اللحظة التي نلغي فيها الآخر نلغي فيها أنفسنا، وهكذا يسبح الإنسان العربي في هذه البلازما الثقافية في الوقت الراهن؛ أي إلغاء الآخر وليس الاعتراف به.

لاشك أن مثل هذا الطرح قد يعدّه بعض الناس ساذجًا يدعو للضحك، أو في أحسن أحواله: مثاليًا، طوباويًا، ولكن وضع العالم العربي نازف خطير، وهو في حالة (كاريكاتور)، لأن الكاريكاتور هو في الواقع تضخيم جوانب على حساب جوانب مع المحافظة على المنظر الأساسي بحيث يُعرَف، فوضعنا العام على المائدة العالمية هو، في الأحوال كافة، مجال التندر والسخرية - وياللأسف -، وهو مدعاة الألم لكل من يركبه همُّ الإقلاع الحضاري.

إن الصراع الإنساني يصبح صراعًا حينما يصمم الطرفان على خوضه إلى النهاية، ويتوقف الصراع أن يصبح صراعًا حينما يتوقف أحد الطرفين، لأنه لا صراع بطرف واحد!! وهذا التصور طرحه منذ مدة حزب العمال البريطاني، كما أشار إليه صراحة غورباتشوف في كتابه البريسترويكا، ولعله هو الذي أراده بشعار (الموراتوريوم).

إن مشكلة الصراع الإنساني، والتضحية بـ«القربان الإنساني»، والحرب بكل أشكالها يفضي بعضها إلى بعض، في سبيل ابتداع عقلية ذات أبعاد معينة، لا تؤمن بالحوار، لا تؤمن بقدرة العقل الإنساني على حل المشكلات بفهمها، لا تؤمن بالديموقراطية، إنها تؤمن بالعنف، بيد أننا تعلّمْنا أن العنف لا يجتمع مع الديموقراطية، كما أنه لا ازدهار مع تسلط. هذه هي مشكلة المشكلات، وجوهر ارتفاع الحضارات وسقوطها، بل هو الخوف الأكبر والنبأ العظيم: *قُلْ هو نَبأٌ عظيمٌ. أنتُم عنه مُعرِضُون*. ص: ٦٧-٦٨.

إن البزوغ المزدوج للشمس مع تجربة قنبلة البلوتونيوم ٢٣٩ في صباح يوم ١٦ تموز/يوليو من عام ١٩٤٥م كان إيذانًا بتحول نوعي في تاريخ القوة، وكان معناه أن وقود النجوم المستعر أصبح في يدي الإنسان الظلوم الجهول!! وغدت إمكانية إفناء الجنس البشري بالكامل متاحة لأول مرة في التاريخ، لذا فإن أعظم تحدٍ يواجه الجنس البشري اليوم هو تغيير عقلي يناسب القفزة التقانية والعلمية التي حققها الإنسان!!

إن التاريخ يحدثنا بفصول مروّعة من مناظر القرابين البشرية في معركة ستالينغراد حيث يجرر تسعون ألفًا أقدامهم إلى الأسر بعد أن أبيد معظم الجيش النازي العرمرم الذي لا يُقهر، الجيش السادس بقيادة فون باولوس، وكان من خيرة الجيوش الهتلرية بتعداد بلغ ٣٦٠ ألف جندي، وأما الذين اكتحلت عيونهم برؤية الوطن مرة أخرى من بقيتهم فكانت لاتزيد على خمسة آلاف!! ولقد اجتمعتُ ببعضهم في ألمانيا في أثناء رحلتي للاختصاص. وهكذا قضى ما يزيد على ربع مليون إنسان نحبهم تحت وطأة الصقيع والبرد والقذائف المجنونة وشظايا المدفعية والرصاص المنهمر والسلاح الأبيض، ومع أنين الذكريات، ومحنة الوطن، وكرب الأقرباء والأهل. وفي معارك الحرب العالمية الأولى قُتل في معارك السوم بين تموز وتشرين الثاني/ يوليو ونوفمبر من عام ١٩١٦م مليون و٢٦٥ ألفًا، منهم ٦٥٠ ألفًا من الألمان، و٤٢٠ ألفًا من البريطانيين، و١٩٥ ألفًا من الفرنسيين، كل ذلك من أجل تحرير بضعة أميال مربعة من الأرض!!

تفانوا جميعًا فلا مخبر

وماتوا جميعًا وهذا الخبر

فيا سائلي عن أناسٍ مضوا

أما لك فيمن مضى مُعتَبَر؟

ومازال سيل القرابين البشرية في تدفق مستمر، إلا أن التطور العالمي وصل إلى حقائق أساسية ثلاث:

تقول الأولى: المضي في طريق القوة يفضي إلى الانتحار الشامل للجنس البشري، وبذا بطلت مقولات الحرب الرائجة في كل الكتب العسكرية بما فيها مُسلَّمة «كلاوسفيتز» من أن الحرب هي استمرار للسياسة بطرق أخرى!! حيث مع الجحيم النووي لن يبقى سياسة وسياسيون!! فليس أمام الجنس البشري اليوم سوى طريقتين: الانتحار أو الحوار، وبذلك تكون الآية القرآنية في مذهب ابن آدم القديم قد وُثِّقت بشكل جديد.

وتقول الثانية: من يملك العلم، ومن ثم القوة، بما فيها التقانة، فقد أدرك هذا التطور النوعي، وبذا تبنّى عدم حل مشكلاته بالقوة. وهكذا، ولأول مرة، تتقارب فرنسا وألمانيا، بل وتُفتَح قناة تحت المانش لوصل الجزر البريطانية بالقارة الأوربية في حدث لامع لافت للنظر في تطور علاقات التقارب.

وتقول الأخيرة: إن الحروب اليوم هي حروب المتخلفين فقط!! مع الانتباه إلى أن نهاية حروب المتخلفين ونتائجها هذه المرة ليست بيد المتخلفين، فهم قد استحالوا إلى مُسَخَّرات بيد من يفهم سنة التسخير!! وهكذا تحكم في مصير الحرب العراقية الإيرانية من هم خارج اللعبة، فكان الطرفان يُموَّلان بالسلاح من ثلاثين دولة!!

بل إننا رأينا سقوط أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ مدججة بالسلاح النووي من دون هجوم خارجي كما في الاتحاد السوفيتي، كما رأينا، في الوقت نفسه، صعود دولة إلى قمة العالم من دون أي سلاح، على الرغم من مناشدة أمريكا المتواصلة لها بالتسلح وهي اليابان، في آيات عجيبة رأتها أعيننا في هذا العصر.

الدرس البليغ الذي نأخذه من الحج هو أن السلام أحد أسماء الله الحسنى، وهو تحية أهل الجنة، وهو جوهر الإسلام الذي يريد تحقيق السلام في مستوييه: الداخلي في الفرد، والخارجي في علاقات البشر بعضهم ببعض.

وأما الأسلوب القديم في تقديم القرابين البشرية فقد ألغاه تطور العلم الحالي، وإن هذه الأسلحة التي يكدسها العالم العربي هي الأصنام الجديدة؛ بما فيها خرافة السلاح النووي الذي يُفكّكه من طوّره وأوصل قوسه إلى غاية التوتر قبل قذف سهمه، لشعوره بالعبثية في هذا السلاح!!

إن هذه الأسلحة هي ما أشار إليه الحديث الشريف عن الحذف(٨) من أنه لا ينكأ عدوًا ولا يقتل صيدًا، ولكنه يكسر السن ويفقأ العين؛ في الوقت الذي يشعر فيه من يعلم أن هذا السلاح يشكل خطرًا فإنه يدمره في أرضه في ساعات، لأن القاعدة تقول: لا يعقل أن يعطيك خصمك سلاحًا تتفوق به عليه!! فهل ندخل ميدان الصراع الفعلي من خلال إدراك تطور العصر، وأن وقت القرابين قد ولى إلى غير رجعة؟!

الهوامش والمراجع:

١- حضارة الأزتيك عمرت أمريكا الوسطى في المكسيك حاليًا، وكانت عاصمتها تينو شتيتلان، وقد دُمِّرت على يد الإسبان تدميرًا كاملاً بحيث لم يبق منها في الوقت الراهن ما يستطاع معه فك رموز كتابتها! وكتب عنها المؤرخ الألماني أوسفالد شبينجلر في كتابه الموسوم «أفول الغرب» فصلاً حزينًا عن النهاية المروعة التي تعرضت لها هذه الحضارة.

٢- قصة الحضارة، ول ديورانت، ١/١١٣-١١٤.

٣- قصة الحضارة، ١/٩٩.

٤- قصة الحضارة، ١/١١٣: «وعند هنود جواياكيل؛ فرجل يضحى به في وقت البذر حتى تخضب الأرض بدمائه حتى إذا حل موسم الحصاد فسروه بأنه بعث للرجل الذي مات ضحية.

٥- الخطأ الكروموسومي هو خطأ في تركيب الخلية نفسها؛ حيث تُعدّ الكروموسومات هي الشيفرة السرية للتخطيط الهندسي الكامل للبنية البيولوجية، وبذلك فإن المرض الباكترولوجي يُعدّ بسيطًا لأنه طارئ ويعالجه البدن، أما الخطأ الكروموسومي فقد أصبح من تركيب البدن بالذات فلا أمل في معالجته إلا بتقنيات رهيبة يسعى لها العلم جاهدًا اليوم.

٦- جاء في قصة الحضارة: «ولما مر بيير لوتي بجزيرة تاهيتي أخذ رئيس كهل من رؤساء البولينيزيين يشرح له طعامه فقال: إن مذاق الرجل الأبيض إذا ما أحسن شواؤه كمذاق الموز الناضج. وأما في جزيرة بريطانيا الجديدة فقد كان اللحم البشري يباع في دكاكين كما يبيع القصابون اللحم الحيواني اليوم، وكذلك في بعض جزر سليمان كانوا يسمنون من يقع في أيديهم من الضحايا البشرية، وخصوصًا النساء، ليولموا بلحومهم الولائم كأنهم الخنازير». قصة الحضارة ١/٢٠.

٧- قصة القربان في سورة المائدة: *واتلُ عليهم نبأ ابنَي آدم بالحق إذ قرّبا قربانًا فتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتَقَبَّلْ من الآخر*. المائدة:٢٧.

٨- الحديث: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحذف وهو اللعب بالحصيات الصغيرة والقذف بها لما فيها من الأذية.

يسر الإسلام في فريضة الحج

محمد نجيب لطفي

شريعة

الإسلام يُسرٌ كلها، سَمْحة كلها، عظيمة كلها. ويسر الإسلام في فريضة الحج يتجلّى في صور عظيمة تدل على عظمة هذه الشريعة الغراء. ونذكر من هذه الصور ما يلي:

* فمن يسر الإسلام في فريضة الحج أنه لم يُكلِّف الحج إلا المستطيع، وفي ذلك أعظم الدلالة على يسر الإسلام وعظمته ودفع الحرج ودرء المشقة. وفي ذلك يقول رب العزة سبحانه وتعالى: *ولِلَّه على النَّاسِ حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً*. آل عمران:٩٧. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»(١).

* ومن يسر الإسلام في هذه الفريضة أن الله سبحانه وتعالى فرضه مرة واحدة في عمر الإنسان رأفةً ورحمةً بعباده، وفي ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحجَّ فحجُّوا» فقال رجل: أكُلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» ثم قال: «ذَروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيءٍ فدعوه»(٢). وهذا الحديث الشريف فيه فقه عظيم جداً ليس هذا مقام بيانه، وفيه بيان يسر الإسلام ورحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته، والجملة الأخيرة منه: «فإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» من أعظم أصول الشريعة وقواعدها.

* ومن يسر الإسلام في فريضة الحج: حلق الرأس إذا كان به أذى ووجوب الفدية لحلقه، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: *وأَتِمُّوا الحجَّ والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهَدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغَ الهَديُ مَحلَّه فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ففديةٌ من صيامٍ أو صدقةٍ أو نُسُكٍ فإذا أمنتم فمن تمتَّع بالعمرة إلى الحجِّ فما استيسر من الهدي*. البقرة:١٩٦. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث كعب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه والخطاب لكعب نفسه: «لعلك آذاك هوامُّك؟» قال: نعم يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احلق رأسك وصُم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك بشاة»(٣).

* ومن يسر الإسلام في فريضة الحج: رفع الحرج في المناسك، ولقد دلت السنة المطهرة على ذلك، ومما ورد في هذا الصدد حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاءه رجل فقال: لم أشعرُ فحلقت قبل أن أذبح فقال: «اذبح ولا حرج»، فجاء آخر فقال: لم أشعرُ فنحرت قبل أن أرمي قال: «ارم ولا حرج». فما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيءٍ قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال: «افعل ولا حرج»(٤). ومن ذلك أيضًا حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له في الذبح والحلق والرمي والتقديم والتأخير فقال: «لا حرج»(٥).

* ومن يسر الإسلام في فريضة الحج: سقوط طواف الوداع عن الحائض، وقد ورد ذلك في السنة النبوية المطهرة من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أُمرَ الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خُفف عن الحائض»(٦). ومن ذلك أيضًا حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إنَّ صفية بنت حُيَيٍّ قد حاضت. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعلها تحبسنا ألم تكن طافت معكن؟» فقالوا: بلى، قال: «فاخرجي»(٧). وللحديث رواية أخرى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: حاضت صفية ليلة النفر، فقالت: ما أراني إلا حابستكم؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عقرى حلقى: أطافت يوم النحر؟» قيل: نعم، قال: «فانفري»(٨).

* ومن يسر الإسلام في فريضة الحج: جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه، وقد ورد ما يدل على ذلك من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضُباعة بنت الزبير فقال لها: «لعلك أردت الحج؟» قالت: والله لا أجدني إلا وجعة، فقال لها: «حجي واشترطي، قولي: اللهم مَحلّي حيث حبستني»(٩)، وكانت تحت المقداد بن الأسود.

* ومن يسر الإسلام في فريضة الحج: عدم الإلزام بالنعلين والإزار عند عدم وجودهما، وقد ورد ما يدل على ذلك في السنة المطهرة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب بعرفات: «من لم يجد النعلين فليلبس الخفين ومن لم يجد إزاراً فليلبس سراويل للمحرم»(١٠).

فهذه صور قليلة من صور كثيرة توضح وتؤكد يسر الإسلام في شرائعه وشعائره، في فرائضه ومناسكه، في أوامره ونواهيه، في كل شؤونه وأموره. فالحمد لله على نعمة الإسلام، ونسأل الله لإخواننا الحجيج حجًا مبرورًا وذنبًا مغفورًا. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الهوامش:

١ـ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه.

٢ـ أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الاعتصام، وأخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم.

٣ـ أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب المحصر، باب قول الله تعالى: فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه. وأخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى ووجوب الفدية لحلقه وبيان قدرها.

٤ـ أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب العلم، باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها، ومسلم في الصحيح: كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي.

٥ـ أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الحج، باب إذا رمى بعدما أمسى أو حلق قبل أن يذبح ناسيًا أو جاهلاً. وأخرجه مسلم في الصحيح: في الكتاب والباب السابقين.

٦ـ أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الحج، باب طواف الوداع، ومسلم في الصحيح: كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض.

٧ـ أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الحيض، باب المرأة تحيض بعد الإفاضة، ومسلم في الصحيح: في الكتاب والباب السابقين.

٨ـ أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الحج، باب الإدلاج من المحصب، ومسلم في الصحيح: في الكتاب والباب السابقين.

٩ـ أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ومسلم في الصحيح: كتاب الحج، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر من المرض ونحوه.

١٠ـ أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب جزاء الصيد، باب لبس الخفين للمحرم إذا لم يجد النعلين، ومسلم في الصحيح: كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح وبيان تحريم الطيب عليه.

الحج في الإسلام

تزكية للنفس وتطهير

صلاح أحمد الطنوبي

قال ربُّ العـزة والجلال: *الحجُّ أشْـهُـرٌ مَعْلوماتٌ فَمَن فَرَضَ فيهنَّ الحجَّ فَلا رفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جـدالَ في الحجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وتزوَّدُوا فإنَّ خَيْرَ الزَّاد التـقـوى واتَّقـون يا أولي الألبـاب*. **البقرة**:١٩٧. وقال الله تبارك وتعالى: *ولِلَّه عَلَى النَّاس حجُّ البيت مَن اسْتَطَاعَ إلَيْه سبيلاً وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ الله غَنيٌّ عَنِ العـالمين*. **آل عمران**:٩٧.

والحجُّ من أفضل الأعمال.. فعَن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «إيمانٌ بالله ورسوله» قيل: ثُم ماذا؟ قال: «جهادٌ في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال «حجٌ مبرور»(١).

والحج المبرور: هو الذي لا يخالطه إثم، ولارياء فيه، ومن علامته أن يرجع صاحبه خيرًا ممّا كان عليه قبل الحج.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْت: يا رسول الله هلْ على النساء منْ جهاد؟ قال: «نعم، عليهنَّ جهادٌ لا قتال فيه: الحج والعمرة»(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «من حج لله، فلم يَرْفث، ولم يَفسُق رَجَع كيوم ولدته أمه»(٣).

وقد فرض الله عز وجل الحج؛ تأكيدًا لمعنى المساواة الحقة، وتذويبًا للفوارق بين الطبقات، وإزالة لآثار الكبرياء بين الناس، ولابُدَّ لكل من لبّى دعوة ربّ العزة والجلال أن يتجرد من كل مباهج الدنيا وزينتها، ومن سائر ألوان التميز. قال الله جل ثناؤه: *يا أيُّها النَاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُم منْ ذَكَر وأنْثى وجَعَلناكم شُعوبًا وقَبَائل لتعارَفُوا إنَّ أكرمكم عنْد الله أتقاكم إنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ*. **الحجرات**:١٣.

والحج هجرةٌ إلى الله تعالى، فيها يزكّي الإنسان نَفْسَه بالتقوى والعمل الصالح وصدق التوبة والأوْبة إلى الله تبارك وتعالى، وفيها تطهير للنفس من الغرور والغفلة والعصيان وكل ما منْ شأنه إفساد الحياة!

هجرة إلى رب العزة والجلال، لذا فعلى المؤمن أن ينقّي حَجَّه من كل شوائب الشرك الخفي وهو حب السمعة والتباهي والمراءاة أمام الناس، وليتوجه إلى الله تعالى بقلب خالص ملبيًا داعيًا، وليسأل ربه في كل منسك من مناسك الحج قائلاً: اللهم حجًا لا رياء فيه ولا سمعة. وليتمثل قول الله جل جلاله: *قُل إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ ومماتي لله ربِّ العالمين. لا شَريكَ له*. **الأنعام**:١٦١-١٦٢.

فالحج سبيل إلى خُلق الإخلاص، والإخلاص: تصفية العمل من كل شَوْب؛ أي لا يمازجُ عَمَلَه ما يشوبه من شوائب إرادات النفس.. قال تعالى: *وَمَا أُمـرُوا إلاَّ ليعبدوا الله مُخْلصين لَهُ الدين*. **البيّنة**:٥. وقال عز وجل: *فاعْبُد اللّه مُخلصًا له الدين. ألا للّه الدينُ الخالصُ*. **الزمر**: ٢-٣. والخالص: أن يكون لله. قال تعالى: *فمن كان يرجُو لقاءَ ربِّه فَلْيَعْمل عملاً صالحًا ولا يُشْرك بعبادة رَبِّه أحدًا*. **الكهف**:١١٠. وقال تبارك وتعالى: *وَمَنْ أحْسَنُ دينًا ممَّن أسْلَمَ وَجْهَه للّه وَهُو مُحْسنٌ*. **النساء**:١٢٥. فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله. والإحسان فيه: متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم وسُنَّته.

والحج سبيل إلى خُلق الاستقامة، وهي ضد الطغيان وهو مجاوزة الحدود في كل شيء. قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: *فاستَقم كما أُمرْتَ*. **هود**:١١٢. وقال عز وجل: *إنَّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا فَلا خَوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون. أولئك أصحابُ الجنَّة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون*. **الأحقاف**: ١٣-١٤. وقال تعالى: *إنَّ الذين قالوا ربُّنا اللَّهُ ثم استقاموا تَتَنزَّلُ عَلَيْهم الملائكةُ ألاَّ تخافوا ولا تَحْزَنوا وأبْشروا بالجنَّة التي كُنْتُم تُوعَدون*. **فصلت**:٣٠. وقال جل ثناؤه: *وأنْ لو استقاموا عَلَى الطريقة لأسْقَيْنَاهُم ماءً غَدَقًا*. **الجن**:١٦.

وعن سفيان بن عبدالله رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله قُلْ لي في الإسلام قَوْلاً لا أسألُ عَنْه أحدًا غَيْرك. قال: «قُلْ: آمنتُ بالله. ثم استَقم»(٤). وسئل أبو بكر رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: أن لا تُشْركَ بالله شيئًا. وقال ابن تيمية رحمه الله: استقاموا على محبته وعبوديته، فَلَم يلتفتوا عنه يمنةً ولا يَسْرةً.

فالاستقامة كلمةٌ جامعةٌ، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بَيْن يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد.

ولا بُدَّ للحاج من أن يوطِّن نفسه على تجنب الرفث والفسوق والجدال، وكل ما فيه إيذاء لإخوانه امتثالاً لأمر الله تعالى: *الحجُّ*



أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحجَّ فَلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدالَ في الحجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ. **البقرة**:١٩٧.

وقد جاء النهي بصيغة النفي ليكون أبلغ في الابتعاد من هذه الأمور.

فالرَّفثُ: الجماع ودواعيه منَ النظر والمباشرة والتحدث به، بل قد نُهي فيه عن الخطبة وعقد النكاح.. فمن أحرم بالحج أو العمرة فليجتنب الرَّفث وهو الجماع. وكذا يحرم تعاطي دواعيه، والتكلم به بحضرة الناس.

والفسوق: المعاصي جميعها؛ فلا يجوز للمسلم فعلها في الأحوال قاطبة، ولكن نُهي عنها المحرم خصوصًا لأنها تؤثر في الإحرام وإثمها فيه أشدّ، ولأن المفترض في المحرم أن يشتغل بالطاعات لا بضدِّها، ولأن الإحرام مظنَّةُ التوبة من المعاصي، فإذا فعلها المحرمُ دَلَّ على إصراره عليها؛ وهذا مما ينافي الغرضَ من الإحرام. وقد فُسِّر الفسوق بأنه فعل شيء من محظورات الإحرام، وفُسِّر بأنه إتيان المعاصي في الحرم، وفُسِّر بأنه السِّبابُ.. ولا تنافي بين هذه التفاسير، فَلَفْظُ الفسوق يشملُها كلّها. قال الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان: «وَمِنْ أعظم الفسوق محاولة جَعل موسم الحج وساحات المشاعر المقدسة مجالاً للمهاترات والمظاهرات والهتافات والشعارات القومية وإحياء العنصريات الجاهلية، والدعاية للأشخاص والمذاهب، ورفع الصور للزعماء والرؤساء، كما كان أهلُ الجاهلية يجعلون موسم الحج مجالاً للمفاخرة بآبائهم وأمجادهم وغاراتهم وثاراتهم»(٥).

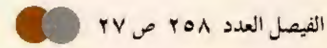
والجدال: هو المماراة والمنازعة والمخاصمة لكونها تثير الشرَّ، وتوقع العداوة.. والمقصود من الحج: الذلّ والانكسار لله والتقرب إليه بما أمكن من القربات والتنزه عن مقارفة السيئات.

ومِنْ أبرز أمراض النفسِ التي شاعت بين المسلمين في هذا العصر: الشحُّ والأَثَرة والحقد والحسد والتكبر. وهذه من أمراض القلوب، وهي آفات مهلكة، لا بُدَّ لها من علاج يطهر النفس منها، ويغرس عوضًا عنها صفات البذل والسخاء والجود والكرم والمحبة والتواضع والإيثار حتى ترتقي النفسُ وتَسْمو. والحج من شعائر الإسلام يعمل على علاج أمراض القلوب، ويتجلى ذلك في أمور منها: ما يبذله الحاج من مال ينفقه على سفره وتنقله، ومَا يتقرب به منْ هدي وذبائح ابتغاء مرضاة الله عز وجل، وقد أشار رب العزة سبحانه وتعالى إلى أن القصد من هذا الهدي تطهير النفس من الشح وتزكيتها حتى تتحقق بالتقوى.. قال الله تعالى: *لنْ ينالَ اللهَ لُحومُها ولا دِمَاؤُها ولكنْ ينالُه التقوى منكم.* **الحج**:٣٧. وأيضًا يجتمع الحجيجُ في صعيد واحد، لباسهم واحد، ونداؤهم واحد، يَدْعونَ ربًا واحدًا، تَجْمعَهُم أخوّة الإسلام، وتلتقي قلوبهم على طاعة ربهم، والتضرع إليه، فتصفو نفوسُهم وتتطهر من الأحقاد، وتتحققُ بينهم المساواة، فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، إنَّها وحدة في المشاعر، ووحدة في الشعائر، ووحدة في الهدف(٦)، وبذلك تزول من النفوس صفاتها الذميمة، وتتخلى عن أمراضِ الحقد والأثرة والتكبر، ويقوى في النفس الشعورِ برابطة الإيمان، ويلتقي الجميعُ على طاعة الله تعالى، ويحلّ بَيْنهم التعارف والتآلف. وكذلك يكرم اللهُ عز وجل عباده حجاج بيته يَوْم عرفة بالمغفرة والرضوان، ويُنزل عليهم الرحمات، فتُغسل قلوبهم مِنْ أدران المعاصي، وتصفو نفوسهم مِنْ أكدار الذنوب، ويندحر الشيطانُ خائبًا(٧)، فتتحرَّرُ النفسُ من وَسَاوسه ونزغاته وهمزاته وخطراته وخطواته.. عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِنْ يوم أكثر مِنْ أنْ يُعْتِقَ الله فيه عبدًا مِنَ النار مِنْ يَوْمِ عرفة، وإنه لَيَدْنو ثم يُباهي بهم الملائكة، فيقول ماذا أراد هؤلاء»(٨).

أدعو الله عز وجل أن يتقبل عبادة كُل مَنْ قصد البيت الحرام للحج والعمرة، وأن يجعل الحج مبرورًا، والسَّعي مشكورًا، والذنب مغفورًا.. هذا وبالله تعالى التوفيق، والحمد لله على نعمة الإسلام، وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصَحْبه وسلم تسليماً كثيرًا.

الهوامش:

١- أخرجه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.
٢- أخرجه أحمد وابن ماجه.
٣- أخرجه البخاري وغيره.
٤- رواه مسلم.
٥- مجلة التوعية الإسلامية (إصدار سنوي)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، العدد ٢١٢/ ذو الحجة ١٤١٦هـ.
٦- العبادة في الإسلام، الشيخ يوسف القرضاوي، ص٢٩٠.
٧- منهج الإسلام في تزكية النفس، د. أنس أحمد كرزون، ١/ ٢٨٠.
٨- أخرجه مسلم في صحيحه.



اجتماعيات الحج

د. عبدالكريم بكار

يمثل الحج إلى بيت الله الحرام ركنًا ركينًا من أركان الإسلام. وتغمر الفرحة المسلم حين يؤدي هذه الشعيرة العظيمة على الرغم من المشاق والصعاب؛ لأنه بذلك يستجيب للواعج الشوق المكنون في صدره، ويلبي نداء إبراهيم عليه السلام، ويترسم خطى نبيه صلى الله عليه وسلم في أداء مناسكه.

إن تحديد الإسلام مكانًا وزمانًا خاصين لأداء هذه الشعيرة، يجعلها - إلى جانب كونها عبادة بدنية ومالية - عبادة اجتماعية، يتطلب حسن أدائها بعض الآداب الاجتماعية الرفيعة، كما يتطلب درجة من الشفافية، يمتلكها القاصد إلى بيت الله الحرام. ونحب أن نقف مع هذه المسألة الوقفات التالية:

- ينتج من لقاء الناس بعضهم مع بعض في العادة العديد من التوترات والتشنجات؛ حيث إن كل واحد منهم يرسم مجاله الخاص به، ويؤذيه الاعتداء على ذلك المجال على أي وجه من الوجوه، كما يحصل في حالات الزحام الشديد. ومع ازدياد المسلمين في العالم، فإن أماكن شعيرة الحج معرضة لمزيد من الاكتظاظ والازدحام في المستقبل. وهذا يشكل أزمة، لكن كل أزمة تمنح فرصة حين تتم مواجهتها على النحو الصحيح.

- إن المطلوب الأول من كل حاج - على المستوى الاجتماعي - أن يحترم المجال الخاص بأخيه الحاج، فلا يقتحمه بالمدافعة والمزاحمة، ولا بفضول النظر، ولا بالصراخ والضجيج، ولا بالتسبب بنشر الروائح الكريهة.. وما أجمل النصائح التي أسداها لقمان لابنه حين قال له: *ولا تُصعِّر خدَّكَ للناس ولا تمشِ في الأرض مَرَحًا إن الله لا يُحبُّ كلَّ مختال فَخُور. واقصِدْ في مَشْيِك واغضُض من صوتك إن أنكرَ الأصوات لَصَوتُ الحَمير.* لقمان:١٨-١٩. وحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم بعض الناس، لا يلتزمون الرفق في إفاضتهم من عرفات، نهاهم، وقال: «اتقوا الله، وسيروا سيراً جميلاً؛ لا تطؤوا ضعيفًا، ولا تؤذوا مسلمًا»(١).

ويتجاوز الأمر موضوع الإيذاء الحسي والجسدي إلى مجال المشاعر والأحاسيس؛ حيث لاينبغي للحاج أن يكدِّر نفوس إخوانه من خلال الجدال والمبالغة في المماراة والخصومة، كما قال سبحانه: *الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهنَّ الحجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جدالَ في الحج.* البقرة:١٩٧.

وبعض الناس لا يبالي بما سيلحقه بإخوانه من الأذى والضرر من جراء إصراره على فعل سنة أو مندوب، أو من جراء المشي أو الجلوس على نحو مريح، فهو يتصرف وكأنه في بيته بعيدًا عما يفرضه الاجتماع بالناس من آداب وحقوق!.

ولا تقتصر مسؤولية الحاج على كف الأذى عن إخوانه، بل تتجاوز ذلك إلى الحرص على حمايتهم من الأوبئة، والأمراض المعدية؛ فهناك من الأمراض ما ينتقل من طريق العطاس، ومنها ما ينتقل من طريق التنفس، ومنها ما ينتقل بسبب اللمس، وينبغي للحاج المصاب بشيء من ذلك أن يتخذ الاحتياطات اللازمة لمنع إيذاء إخوانه، ونقل المرض إليهم. في بعض الدول المتقدمة - كاليابان مثلاً - يضع المصابون بالزكام كمامات على أفواههم

وأنوفهم، كيلا ينتقل الفيروس إلى المارة بالشارع. والمسلم الذي خرج من بيته متعبداً أو متنسكاً أولى بهذا من غيره.

- مجتمع الحج مجتمع فريد، يتكون جمهوره الأعظم من الغرباء المختلفي اللغات والخبرات، وفيه أعداد كبيرة من الطاعنين في السنّ والنساء والضعفاء، ممن يحتاج إلى معونة وخدمة. وهذا يشكل فرصة ذهبية للحريصين على كسب الأجر وإسداء المعروف، فأمة الإسلام اليوم بحاجة ماسة إلى أن تقوّي في نفوس أبنائها روح المجانية والعطاء والمساعدة؛ كي تتغلب على الظروف المعيشية والبيئية الصعبة التي تواجه أعداداً كبيرة من الناس.

إن هناك العديد من النصوص التي ترشدنا إلى أنواع الخدمات المعنوية والمحسوسة التي يمكن أن يقدمها المسلم لأخيه المسلم؛ مما يخفف من معاناته، ويرفع من معنوياته، ويشد من أزره؛ ومن تلك النصوص قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرنّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»(٢) وقوله: «كل سُلامي من الناس عليه صدقة كلّ يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته، فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة. والكلمة الطيبة صدقة. وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة. وتميط الأذى عن الطريق صدقة»(٣).

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيادة المريض واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار القسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام»(٤).

إن أعمال الخير هذه - إلى جانب الثواب العظيم عليها - تجعل المسلم يشعر بـ«التأنّق» الذي لا يشعر به إلا من تجاوز حد الضرورة وحد الواجب، ووجد من فضل الأوقات والجهود والأموال، ما يُحسِّن به حال إخوانه المسلمين.

- يمثل التجمع الإسلامي الكبير في الحج العالم الإسلامي أدق تمثيل. ولم يعد خافياً على أحد أن أمية القراءة والكتابة تجتاح مناطق كثيرة من العالم الإسلامي، وتتجاوز نسبتها في الحد الأوسط ٤٠٪ من إجمالي السكان. أما أمية المعرفة بالأحكام الشرعية، فإنها أعلى من ذلك بكثير! ولذا فإن من المألوف أن يجد المرء كثيراً من الحجاج الذي يحتاجون إلى من يرشدهم إلى الأداء الصحيح للمناسك، كما يجد بعض التصرفات التي تحتاج إلى تنبيه وتصحيح؛ وهذا يلقي على كل من يملك شيئاً من الفقه والعلم مسؤولية الإرشاد والتوجيه والتعليم. إن هناك الكثير من المسلمين الذين لم تظفر بيئاتهم ببرمجة ثقافية جيدة، ولم يتهيأ للواحد منهم أن يتعرف وجهات نظر أخرى، أو ثقافات متنوعة غير ما هو سائد في بيئاتهم المحلية. ويمثل الحج فرصة نادرة لإغناء ثقافتهم وتوسيع مداركهم. إن كثيراً من الناس يزهد فيما يمكن أن تحدثه الكلمة الطيبة والمعلومة الصحيحة في حياة الآخرين من إصلاح وتقويم، وهذا منهم سوء تقدير لمكانة العلم والفكر، وحجم إسهامهما في تغيير حياة الناس والارتقاء بها على المدى البعيد.

- لم يكن المسلمون في يوم من الأيام أحوج إلى التعارف والتآزر منهم اليوم؛ حيث ينظر إليهم العالم، شرقُه وغربه، على أنهم - على المستوى الثقافي على الأقل - شيء واحد، ويعاملون على أنهم كذلك. هذا العصر هو عصر الكبار، وعصر التكتلات، والتجمعات الإقليمية والعقدية؛ ولابد للمسلمين من أن يرتفعوا إلى مستوى متطلباته. يقولون: إن الوعي بالذات فرع عن الوعي بالآخر؛ ولذا فإن الحج مناسبة عظيمة لزيادة الوعي الإسلامي، من خلال التعارف الذي يتيحه بين المسلمين، وهذا التعارف يمثل الخطوة الأولى على طريق التعاون والتوحد بين شعوب الأمة الواحدة. إنني أتمنى أن يجتهد كل حاج أن يزداد بصيرة بأوضاع بلاد إخوانه المسلمين: الموقع والسكان والاقتصاد والإمكانات والمشكلات والفرص؛ حتى نحقق معاني الجسد الواحد والأمة الواحدة.

إن قوله - جل وعلا -: *ليشهدُوا مَنَافعَ لهم*. الحج:٢٨. لم يحدد لنا نوعية المنافع التي يمكن أن يصيبها الحاج من وراء شهود الموسم، وقد تركها غفلاً لنتمكن نحن من توسيع دلالة اللفظ كلما ترقينا في سلم الحضارة، وازداد وعينا بالفرص المتاحة.

يقولون: إن كل العلوم تبدأ بالتفتح عندما يتم إدراك مستويات عديدة في الظاهرة الواحدة، وكذلك نقول: إن أشكالاً من الوعي والفهم سيكتسبها الحاج من خلال الاطلاع على واقع المسلمين واستيعابه على نحو صحيح.

إن تجسيد اجتماعيات الحج والارتقاء بها لن يتم دون تعاون الجهات التي ترسل الحجاج من أنحاء العالم الإسلامي؛ حيث تستطيع كل جهة، من خلال دورة تدريبية لا تتجاوز أسبوعاً، أن تدرب حجاجها على أداء مناسك الحج، وتشرح لهم الأحكام الضرورية لصحة أدائها، كما يمكنها أن تسترعي انتباههم إلى الآداب وأنماط السلوك التي تساعد على إنجاح هذا اللقاء الإسلامي الكبير، وجعله موسماً لمزيد من التراحم والتلاحم.

ربما كانت ماليزيا البلد السبّاق في ميدان إعداد الحجاج وتثقيفهم؛ حيث إنها استطاعت من خلال مؤسسة «طابوق حجي»(٥) أن ترشد وتعلّم وتدرب مئات الألوف من الذين يرغبون في أداء فريضة الحج، وذلك على مدار العشرين سنة الماضية.

مهما قُدّم للحجاج من خدمات، ومهما ذُللت السبل أمامهم، فإن المعوّل عليه دائماً في إنجاح المشروعات هو من سيستفيد منها، وهو الإنسان، وإن للحاج دوراً لا يستطيع أحد أن يقوم به بالنيابة عنه. والله ولي التوفيق.

الهوامش:

١- أخرجه النسائي والحاكم وصححه.
٢- أخرجه مسلم.
٣- أخرجه الشيخان. والسلامي هو المفصل.
٤- أخرجه الشيخان.
٥- أي: صندوق الحج.

موازنة بين المنافع الدنيوية ومنافع الحج

أحمد أديب الكلاس

قال الله تعالى: *وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ.* **الحج:٢٧.**

قبل أن نذكر شيئًا عن هذه الآية القرآنية لنعلم لمن الخطاب ومن المؤذِّن وما هو الضامر؛ نتحول بقوة إلى قوله تعالى: *لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُم،* فهذه الجملة في هذه الآية يجذبنا إليها شيء بلغ من نفوسنا مبلغًا لا ينبغي له أن يبلغه، إنها المنفعة، وعلى نقيض القصد في الآية القرآنية، نعيش بأسباب المنفعة حتى أوصلتنا إلى أثرة في النفوس وكأنَّ الموت نزل على رؤوس الخلق؛ فلا إيثار ولا حبٌّ ولا بذلَ؛ بل أنانية وأثرة وبخل وشح ومنفعة واعتقاد خاطئ. أترى أن ضنك العيش استحفز المنفعة الدنيوية فقامت في نفوس كثير منا فنسينا الإيثار؟ لا وربكم فنحن نأكل ألوان الطعام ونستلذ بملذات المباح مما لم تصل إليه أيدي قومنا الأوائل، الذين ربما طوى أحدهم ثلاث ليال ثم لا يصيب إلا تمرة واحدة فإذا هو يؤثر غيره بها، ثم يشطرها الآخر حتى تغدو التمرة الواحدة طعام اثنين، وأَوَد رجلين. إنه الإيمان الذي يستقر في القلب فيُخرِج من المادة الصغيرة معنى فوق الدنيا؛ يُخرِج من التمرة الواحدة إيثارًا على النفس وكراهية للأثرة وحبَّ البذل لله وحده وانتظار العطاء منه، ولا يستعجلونه فما عند الله خيرٌ وأبقى، وأما المادة، صغُرت أم كبُرت، فإنها آيلةٌ إلى ما تعرفون، فإذا لم تخرج قتلت صاحبها؛ فهذه واحدة تنفي. ليس فقرًا ولا قلة مأكل أو مشرب.

فبأي شيء إذًا نجري وراء المنفعة الشخصية فلا نرى الأشياء أمامنا، فمنفعتنا أولاً ولا نأبه لأي شيء بعد ذلك؛ ولو وصل ميراثها وما بعدها إلى همجية التتار وحملات المغول.

فكل نظرة آنية تتطلع إلى منفعة ذاتية، وتعمى عن حقائق ما حولها، هي نظرة تفسد جمال الحياة، لا تقوم إلا في الإنسان الترابي الذي أخلد إلى الأرض واتَّبع هواه.

فالمنفعةُ الذاتيةُ التي يسمونها: المنفعة الشخصية؛ والأنانيةُ التي هي في ضمير الرفع أنا يخفضان صاحبهما حتى يُلقياه على وجهه! ألا ليته حينئذ يُصلح ما تهشم، ولا يقوى على ذلك ولو كان طبيبًا جراحًا؛ لأن ما يحول بين يديه ووجهه قلبُه الفاسد، واليد لا تصل إلى القلب، ولكن الذي يغير ما سكن في القلب إيمانٌ راسخ وعقيدة ثابتة واعتقادٌ بما عند الله: ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب كما جاء في الأثر.

والثانية المنفية في اعتقاد المسلمين هي (الفرصة). أتراها هي التي تدفع الناس بعصي سحرة فرعون وحبالهم حتى يخيل للناس أن تلك المنفعة الآتية من خلف هذه (الفرصة) هي التي ستجعل أجسامهم كالفيل ضخامة وأموالهم كعاجه اكتنازًا وصولجانهم كقوائمه اشتدادًا؟ إن سحرة فرعون آمنوا لما رأوا المعجزة من نبي الله موسى عليه السلام فبطل سحرهم. وإن طيرًا أبابيل حملت في أرجلها ومناقيرها حجارةً من سجيل ـ على صغرها ـ ألقتها فأصابت أبرهة وفيله، ونجّى الله كعبته وبيته الحرام. ألا إن كل رجل يحب ذاته ومنفعته وينسى أمته وأهله والناسَ أجمعين هو أبرهة هذا العصر، ولابد للطير أن تأتي، ولابد لأمة الإسلام من نصر عندما نتمسك بديننا فيبطل سحرهم ويزول طغيانهم: *بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ.* **الأنبياء:١٨**. إن ألمًا يعتصرني من أمراض أمتنا بل آلامًا.

أترى إذا علمنا أن مادةً (سلعة) ستنفد كيف نجري وراءها؟ حدِّث ولا حرج. لقد أصبحنا نعلم عن ذلك.

حتى إن الأثرة في الطريق قد غلبت، كلٌّ يريد الطريق له فلا تؤدة ولا انتظار ولا رحمة فضمير الرفع أنا ضمير مهلكٌ خافض لا رافع، ألا ليتنا نرعوي! إن قومنا الأوائل بلغ الإيثار في نفوسهم مبلغًا أن يصل إليهم الساقي وهم في ساحات الجهاد مضرجين بدمائهم، وتصل شربةُ الماء إلى شفاههم فيؤثرون غيرهم على أنفسهم، فهذا صوت جريح آخر ويسرع حامل الماء إليه؛ حتى إذا أراد أن يشرب صاحبُ الصوت وهو



في أنفاسه الأخيرة يسمع صوتًا ثالثًا فيشيح بوجهه عن الماء وهو لا يقدر على الكلام، ويشير إلى صاحب الصوت، وينطلق الرجل يحمل الماء فلا يجده؛ بل يجد جسده، ثم يعود أدراجه لعله يلحق بمن قبله؛ ولكن هيهات! قد سبقت الشهادة فعند الله يكرمون ولا يظمؤون.

وانظروا إلى كل أهل الدنيا إذا أصيب أحدهم استجمع كل ما يقدر عليه لينجو بنفسه، وذلك لأنهم يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهي مبلغ علمهم، ولا أمل لهم في الآخرة لأنهم كانوا عنها غافلين.

فالآية القرآنية تقرر حقيقةً ثابتةً في جموع المسلمين في الحج وهي قوله تعالى: *لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُم*، وهي منافع سماوية وليست ترابية، وهي التي يتفضل الله بها على عباده في الحج، وتنقسم إلى قسمين: مادي ومعنوي، فالمادي رزق حلال وبيع وشراء مباح، ومعنوي هو غاية عظمى من شعورهم بجسد الأمة الواحد وهي تهتف بنداء واحد وترجو واحدًا أحدًا فردًا صمدًا، فتكون في اجتماع إلى جوار بيت الله الحرام، وتسير أمة كاملة إلى عرفات الله، وتنفر منها في وقت واحد، وتلتجئ إلى الله الواحد ليردها إلى دينها وليزكي نفوسها ولينصرها على عدوها من شياطين الإنس والجن.

ألا وإن الجهل هو العدو، لذلك يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا بُورِكَ في شمس يوم لم أزدد فيه علمًا».

والخطاب في الآية القرآنية إعلام من الله وتعليم لسيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن ابتنى الكعبة مع ولده إسماعيل عليهما السلام، يأمره الله أن ينادي بالناس. فصعد الجبل فنادى إن الله قد بنى لكم بيتًا فَحُجُّوه، وتكفل الله سبحانه بإيصال خشوع هذا النداء إلى قلب كل مسلم، فهو يخشع له من شوال إلى عشر ذي الحجة، فيطير إليه؛ إما راجلاً، وإما على جمله الضامر من عناء السفر. يأتي المسلمون من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم وأعظمها مغفرة الله عشية عرفة، ثم لينفروا إلى مزدلفة فيملؤوا كنائنهم بحصيات الرمي ليقذفوها رجمًا للشيطان وتعبدًا للرحمن، ويسألون الله أن يوفقهم لمخالفة الشيطان في وساوسه وإغواءاته.

فهل سيتصبغ الحاج بالحضارة الحقيقية حين يؤثر غيره في الطواف وعند استلام الحجر وعند مقام إبراهيم فلا يزاحم ولا يدفع؟ وهل يؤثر غيره من عباد الله المؤمنين في الصعود إلى الحافلات وإكرام النساء والشيوخ؟ وسيد الخلق صلى الله عليه وسلم يقول: «ما أكرم شاب شيخًا لسنّه إلا قيّض الله له من يكرمه عند سنه».

ولو نظرت إلى الطائفين بالكعبة المشرفة لرأيت رجالاً ونساءً من أوربا وأمريكا انضبطوا بحضارة المسلمين بحق - وهي التي ورثتها الدنيا بأسرها من قومنا الأوائل - إيثارًا وتواضعًا ورحمة ولطفًا بعباد الله جميعًا. وربما عجبوا من كل فعل من المسلمين لا يتصل بحضارة قومنا الأوائل من الصحابة والتابعين، فهم آمنوا لما قرؤوا عنهم، وعلموا أن كل فعل حضاري في الدنيا جاء على وجه يحبه الله ورسوله هو نابع من أخلاق هؤلاء الصحابة والتابعين الذين حملوا النور للبشرية جميعًا.

ألا أيها الشاب القوي اليافع، ألا أيها الرجل الضخم، إن نبينا محمدًا عليه الصلاة والسلام كان رحيمًا بالناس جميعًا فلا يحملنَّك أخي المؤمن اشتياقك وهيامك وعبراتك أن تؤدي نسكك وأنت لا تنظر بعين الرحمة إلى من يشاركك المناسك، فالحجاجُ جميعًا وفدُ الله وعيال الله، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله.

والعلم بأركان الحج وواجباته وسننه وتجنب محظوراته يجعل الحج مبرورًا؛ فكن مع عالم أو عامل نحرير متواضع يعلمك إذا جهلت، ويذكّرك إذا نسيت. كن عالمًا أو متعلمًا أو طالب علم أو مستمعًا ولا تكن الخامسة فتهلك لأنها منفعة ترابية، وأثَرة في النفس، ومخالفة لحضارة الإسلام، وهذا كله سبب هلاك وضياع.

حجًا مبرورًا وسعيًا مشكورًا وذنبًا مغفورًا وتجارة لن تبور بفضلك يا عزيز يا غفور.

الفعالية الإسلامية

بين التنظير والتطبيق

د. عبدالحليم عويس

يقع بعض المفكرين المسلمين في تناقض شديد بين مستوى شمول الإسلام والقرآن لكل شيء: *ما فرَّطنا في الكتاب مِنْ شيء*. الأنعام:٣٨، ومستوى المطالبة القرآنية والإسلامية الملحة بالمشي في الأرض والتفكُّر في خلق السموات والأرض، وفي النفس الإنسانية: *وفي أنفُسِكم أفلا تُبصِرُون*. الذاريات:٢١. والمطالبة الملحة أيضًا بطلب العلم عبر مساحة قرآنية تربو على سبعمئة آية، علاوة على الآثار النبوية القولية والفعلية.

ولو أننا تعمقنا في القرآن وفي السنة النبوية لوجدنا الموازين معتدلة وواضحة بين مستوى «التفصيل» و«التنظير» الذي وضع الإسلام معالمه في كل مجال من مجالات الفكر والحياة من خلال عدد من الثوابت والمعالم التي تحدد الفيصل، أو تحدد الفروق بين الواجب والحرام والمكروه والمباح.. والمستوى العقلاني التطبيقي الذي به وحده يزدهر التنظير ويُكسى عظمُه لحمًا، وتتفتح آفاقه وتتواصل معطياته عبر العصور!!

وكما يخطئ بعض المسلمين في الفروق بين المستويين؛ فيتصورون الاقتصاد الإسلامي مجرد الابتعاد من الربا والاحتكار والغش والأخذ بالمضاربة والمرابحة والمتاجرة، ويتصورون الأدب مجرد مواعظ أو ضوابط أخلاقية؛ كذلك يخطئ أعداء الإسلاميين حين يؤمنون بالتغيُّر الدائم والحركة المستمرة، دون ثوابت أو أصول أو معالم تضع الإشارات الكبرى، وتوجِّه المسيرة البشرية في كل العصور إلى الطريق القويم الذي يجب أن يتجهوا إليه، وأن يدعوا فيه مدركين ما ينبغي له وما لا ينبغي؛ مما قد يعجز عقلهم عن إدراكه، ومما قد يدركونه في مرحلة، بينما يغيب عنهم في مرحلة أخرى، ولهذا زوَّدتهم العناية الإلهية به من خلال الوحي الصحيح، وهم بعد ذلك مطالبون بالإبداع في مجال التطبيق، معتمدين على عقولهم وطاقاتهم، مستنيرين بالثوابت والأصول، مستجيبين ـ في الوقت نفسه ـ لتوجيه الرسول عليه الصلاة والسلام: «أنتم أعلم بأمور دنياكم»، مؤمنين بأن المعادلة بين التنظير والتطبيق لتحقيق الفعالية واضحة، لكن المسلمين أضاعوا معالمها بين إفراط وتفريط!!

لقد درج كثير من المسلمين على معالجة تفسير القرآن وفقهه، بطريقة فرعية وحرفية وجزئية.. دون أن يتعاملوا معه بطريقة كلية شمولية، يستمدون منه القيم القرآنية المطلقة، والقوانين الثابتة، ومفاتيح التعامل مع سنن الله الكونية والاجتماعية.. ومن ثم يستخلصون الإضافات الصالحة لتطوير التنظير!! ويالأسف كان من نتيجة هذا أن انحرفت مسيرة المسلمين عن المنهج القرآني المعرفي والتجريبي الجامع بين العقلية والمادية الحسيّة في إطار محكم.. وسيطر على فكرهم في كثير من العصور المنهاج اليوناني، ولاسيما بعد أن تُرجمت كتب الإغريق بمؤازرة الدولة العباسية (الخليفة المأمون) في القرن الثالث الهجري. مع أن العكس كان هو الصحيح، فنحن المسلمين المنطلقين من القرآن الكريم أقوم فكرًا، وأنقى تصورا، وأزكى عقيدة، وأقدرُ على قَدْر الله حق قَدْره، واحترام السنن الكونية والتاريخية لو بقي نهرنا الفكري سليمًا لا يعكر صفوه شوائبُ وثنية أو عقلية منحرفة!!

إن التصور القرآني للكون والحياة هو أصدق تصور ظهر في التاريخ بهذا الشمول وهذا التوازن.. إنه الدليل الأكبر على عظمة الخالق الذي يتطابق كتابه المسطور مع كونه المنظور!!

ومن المعروف أن قدْرًا كبيراً من موضوعات القرآن وقضاياه، يعالج ما يُعرف بالقصص القرآني أو تاريخ الأنبياء وحضاراتهم، وتاريخ الأقوام الماضين، من مندثرين، وممن بقيت لهم امتدادات وشواهد.. وهذه المعالجة لم تلق هذا الاهتمام ليكون القرآن كتاب تاريخ، ولا لإثبات إعجاز القرآن التاريخي فحسب، بل قصد بها ـ إلى جانب ذلك ـ أن يستوعب المسلمون سنن الله، وأن يلتزموها، وألاَّ يحاولوا القفز من فوقها، وأن يدركوا أن تمكينهم في الأرض مشروط بالفقه بهذه السنة والتزامها في الحركة التاريخية، والابتعاد من التواكلية والعفوية أو ما يسمى بإسقاط التدبير!!

فالاعتماد على الله والتوكل عليه ـ بمعناهما الحق ـ يوجبان فقه المفاتيح

والأساليب والوسائل التي خلقها الله سبحانه، وجعلها قاسمًا مشتركًا بين كل الناس ومعالم تدلهم على وسائل البقاء والتقدم والتعمير.

والقصص القرآني يعطينا أيضًا - في حركتنا التاريخية - ذاكرة ضرورية للحاضر والمستقبل.. إنه (الحاسوب) الذي يغذّي الحاضر بالمعلومات الصحيحة المعتمدة على تجارب صادقة، ومن ثم يمكن استخلاص الطرائق الصحيحة لحركة المستقبل!!

والفيصل الأساسي بيننا وبين الماديين أننا نمزج بين الماضي والحاضر والمستقبل، ونراها نهرًا واحدًا دافقًا، يصعب وضعُ حواجز بين تياراته وأمواجه.

فالزمان كتلةٌ واحدة، ومصطلحاتنا البشرية المعروفة: الماضي والحاضر والمستقبل مجردُ مصطلحات نسبية معرفية، لكنَّ سرعة الأمواج وقوتها تحول دون إقامة حواجز سميكة بينها؛ كما أن هذه الحواجز خاصة بنا نحن البشر، ولكنها بالنسبة لعلم الله لا قيمة لها، فالثلاثية الزمانية عنده - سبحانه وتعالى - سواء .. ومن هنا نجد حديث الله في القرآن الكريم عن محتويات الجنّة، وعن تنعّم المؤمنين فيها، وكأنه رسْم للوحة مرئية ومشاهدة، لا تفصلنا عنها هذه الآلاف من السنين (والله أعلم). ونحن نلمح هذا المعنى في أي حديث قرآني عن الغيب، فهو حاضر في تفاصيله ودقائقه تمامًا، كما أن هذا الغيب يجب أن يكون حاضرًا في وعي المسلم ووجدانه حضورًا يصل إلى درجة اليقين الكامل، وإلا فقد الإيمان أول شروطه.

والإيمان بالغيب، واندماج هذا الغيب، في رحلة الزمان كلها مرتبطًا بالماضي والحاضر والمستقبل، وكأنه جزء لا ينفصل عنها إلا بمقدار الحساب والجزاء (في يوم الفصل - يوم القيامة)؛ هذا الإيمان هو الفيصل المكين بين المؤمنين والماديين الدنيويين (العلمانيين).

وهذا الغيب شيء مختلف تمامًا عن الأسطورة (الميثولوجيا) التي يحاول العلمانيون إضافتها إلى الغيب، بينما هي وهم وخرافة، وليست مستقبلاً محدد المعالم ممن يحيط بكل شيء علمًا، ويملك الماضي والمستقبل، ويستحيل عليه الكذب أو إخلاف الميعاد!!.

لقد كان ممكنا - لو كانت المنهجية واضحة - أن يتم استيعاب الفقه الحضاري والعلمي للقرآن خلال قرنين من الزمان، بعد ظهور الإسلام؛ بحيث تتمكن قواعد الدعوة في الأماكن التي ساح الإسلام فيها. وقد كنّا أهلاً لأن نجد على مشارف القرن الثالث الهجري نظريات سياسية واقتصادية واجتماعية، ومفاهيم ومصطلحات محددة نقتحم بها عالم الحضارات الموجودة، ونقود أهلها بها إلى الحضارة الإسلامية؛ لكن الأخطاء التطبيقية التي وقعت، وبخاصة في المجالين السياسي والاقتصادي، كانت سببًا في الانحراف بالمسيرة، بعيدًا من استلهام الذات والغوص في أعماق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بطريقة كلية تنظيرية. وقد تعمق الانحراف حين أخذت السياسة أكبر من حجمها، وتُركت الجوانب الحضارية الأخرى لمبادرات الأمة أفرادًا ومؤسسات، دون أن يكون هناك تفاعل حقيقي بين الأمة والدولة.

ولعله لم يقع تفكير جدي في عملية التركيز على تقنين علم من العلوم، اقتصادًا كان أو اجتماعًا، أو الغوص في علم من العلوم العملية كعلوم الكيمياء والرياضيات والفلك والفيزياء، وجاء تضخم «علم الكلام» وما أفرزه من تيارات جدلية عقيمة، على حساب الفعالية الإسلامية في علوم الحياة الأخرى، وأيضًا جاء الاتجاه إلى ترجمة علوم اليونان بهذه الطريقة العشوائية، التي طبقها الخليفة المأمون، على مشارف القرن الثالث الهجري، خطوةً غير حكيمة؛ بل غير منتظمة انتظامًا ينسجم مع البناء العام للرؤية والفعالية الإسلامية، فوقع الارتباك في وقت كان من الممكن أن يكون بداية انطلاق عالمي إسلامي جديد.

وقد كانت المنهجية السليمة كفيلةً - بعد هذين القرنين - بإغناء الحياة الإسلامية في كل مجالات الإبداع الإنسانية والثقافية والعلمية، وكان كل قرن قادرًا على أن يندفع فيه المسلمون بقدر من الفعالية يمكنهم من أن يسبقوا كل الحضارات إلى عصر الفضاء والاتصالات!!

إننا لسنا إزاء محاكمة لمسيرتنا الحضارية، لكننا - حتى في هذه الأيام - مطالبون باكتشاف عوامل الخلل في هذا التاريخ، انطلاقًا من أننا مؤمنون بأهلية الإسلام الدائمة للفعل الحضاري، وصلاحيته لقيادة كل زمان ومكان، بعد أن ختم الله به الرسالات، وجعله حجته الباقية وكلمته الخاتمة إلى يوم القيامة. وإنه لضروري أن تعتدل المعادلات كلها في أيدينا، وأن تتوازن رؤانا بعد أن وجدنا أنفسنا في هذا المحيط الحضاري المتدنّي.

وإذا كنا نأخذ على أوربا تركيزها على الفعالية المادية، وإهمالها للجوانب الإنسانية والأخلاقية، فإننا يجب أن نأخذ على أنفسنا تقصيرنا الشديد في الفعالية المادية، واستهلاكنا لطاقتنا في مجالات كلامية عقدية أو سياسية.. لقد اختلّ الميزان في أيدينا، كما اختلّ في أيديهم.. لقد شدّ كل منا الحبل بطريقة خاطئة، وكانت مسيرتنا التي انتهت بنا إلى واقعنا المعاصر أكبر حاجز حال دون تفهمهم لنا.. فما كان ممكنًا أن يتواضع الإنجليز ليفهموا ما عند المسلمين الهنود من أفكار عظيمة، مع أنهم يسوقون هؤلاء المسلمين الهنود سَوْق الأنعام، وما كان ممكنا للحملة الفرنسية، التي جاءت بالمطبعة وبالسلاح الحديث، أن يؤمن رجالها بأن لدى هؤلاء المصريين المتخلفين دينًا يحمل قيمًا حضارية هم أحوج الناس إليها.. إن الموقعين المختلفين للسيد المستعمر وللعبد المقهور لا يسمحان بالتحاور الفكري ولا بالفعالية الحضارية، فإن القوة تعمي عن الحق، ومن هنا انتهت المدنية الأوربية إلى نجاحات كبيرة في مجال العلم والتقنية مقطوعة عن خشية الله، وعن احترام إنسانية الإنسان، وعن مجرد التفكير في التعاون، مع الآخرين الضعفاء، على الخير الإنساني العام!!

إذا كنا نأخذ على أوربا تركيزها على الفعالية المادية ، وإهمالها للجوانب الإنسانية والأخلاقية ، فإننا يجب أن نأخذ على أنفسنا تقصيرنا الشديد في الفعالية المادية ، واستهلاكنا لطاقتنا في مجالات كلامية عقدية أو سياسية . .

الفعالية الإسلامية
بين التنظير والتطبيق

وإذا كان بعض المفكرين المسلمين يرون أنه لولا الإسلام، الذي حوّل الطبيعة من معبود يُخْشى منه ويسجد الناس لشمسه ونجومه، إلى طبيعة مأنوسة موضوعة للبحث والتسخير.. لولا هذا الإسلام لبقيت الحضارة الإنسانية الوثنية والكنيسة التي تحارب العلم.. إذا كان هذا صحيحًا فإن غيبة المنهج الإسلامي الرشيد في البحث والتأصيل، وأوضاع المسلمين المتخلفة في القرون الثلاثة الأخيرة قد أعطت أوربا الفرصة لكي تؤمن بأنها قامت على سواعد أبنائها وحدهم، وبأنه لا يمكنها أن تكون قد استفادت من هؤلاء المسلمين المتخلفين!!

ولن يتغيّر الفكر الأوربي في تعامله مع الحضارة الإسلامية إلا يوم يظهر منهج جديد يفرض على العقل الأوربي احترامه.. منهج بعيد من الانهزامية الدونيّة، أصيلٌ في انتمائه للإسلام، منفتحٌ في تعامله مع الإنسان والكون والحياة، متفاعل تفاعلاً متوازنًا مع كل الثقافات والحضارات.

في الآداب والعلوم والفنون - جميعها - يكون التطبيق قبل التنظير التركيبي!! فالتطبيق الذي يستلهم الجذور والأسس الكلية - بوعي أو من دون وعي، شعوريًا أو لا شعوريا - يسبق مرحلة التنظير بالمعنى العلمي المعروف للتنظير.

وعندما نتحدث عن ضرورة وجود رؤية أدبية وعلمية وإنسانية ملتزمة الإسلام، والانتماء للوعاء العربي الحضاري الإسلامي، تتحاور مع الرؤى الأوربية العلمية والفلسفية المستقاة من الفكر الحر (الليبرالي) أو الرأسمالي المنطلق من النظرة الأوربية للكون والإنسان والحياة.. عندما نتحدث عن ضرورة مثل هذه الرؤية، فيجب أن يكون واضحًا في أذهاننا أن الأصول الكبرى، والفقه الواعي أو الفطري بهذه الأصول، لا يكفلان إيجاد تصور إبداعي تنظيري كامل المعالم والقسمات، مع أنهما قادران فعلا على تحريك السلوك الفردي والاجتماعي في الاتجاه المنشود!!

لقد بقي المسلمون نحو قرن بعد ظهور الإسلام يعملون على نشر الإسلام، وعلى نشر اللغة العربية؛ منطلقين من الأصول، ومن الوعي برسالتهم، وكانوا في سلوكهم النموذج الأصلي والأبقى لهذه الأصول.. لكنهم لم يدخلوا ميادين التنظير والتقنين إلا بعد أن قدموا نماذج تطبيقية عملية.. لقد كان عدل القضاة أسبق من التنظير للقضاء. وكان تطبيق الشورى أسبق من التفكير في وضع «النظريات السياسية الإسلامية» في فكر الماوردي أو غيره. وكان تطبيقهم الاقتصاد الإسلامي في حياتهم الفردية والاجتماعية اعتمادًا على الأصول أسبق من التفكير في إنشاء نظام «الخراج» أو غيره.

إن الأصول تشكل الوعي وتنقّي الفطرة، وتقدم الاتجاه العام، لكنها لا تسمح بتشكيل «النظرية» إلا بعد مزج الأصول بعالم الإنسان - في حالاته المختلفة -، وبعد إعمال العقل في ضوء التجارب البشرية؛ وصولاً إلى الإبداع التنظيري الذي قد يبقى آمادًا متطاولة قابلا للمراجعة والإخصاب!! ولا يمكن أن يكون التنظير بعيدًا من التجربة الإنسانية والإعمال العقلي إلا إذا أريد به - وله - أن يكون مجرد قواعد تربوية أو وعظية تفتقد الروح التركيبية والنماذج العملية والفنية التي تعطي النظرية الروح والمصداقية والقابلية للاستمرار.

وحين قرأت للصديق الكبير الدكتور عماد الدين خليل حديثًا عن المدخل إلى «إسلامية المعرفة» يذكر فيه أن «المحور التنظيري» هو المدخل الضروري للمحور التطبيقي.. خطر لي أنّهُ يقصد بالمحور التنظيري: ضرورة الوعي العميق بالأصول الكلية والمعالم العامة التي تمثل جوهر الرؤية الإسلامية للمعرفة بشتى فروعها.. لكنني عندما واصلت تعرُّف وجهة نظره وجدته يكاد يقترب من بعض العناصر التي لا يمكن الحديث عنها إلا بعد وجود مستوى معين من التطبيق. إنه يطالب هذا المحور التنظيري بأن يقدم للمحور التطبيقي «تعريف المصطلح، وضروراته الملحة، وتصنيف الحلقات الأساسية للمعرفة»، «وكذلك يمكن أن يتولى المحور التنظيري تقديم وتصنيف المقترحات الضرورية التي تعين على تنفيذ العملية وتحويلها إلى أمر واقع ذي فاعلية مؤكدة، وقدرة - في الوقت نفسه - على الاستمرار والانتشار»...

وما يقوله الدكتور عماد الدين خليل قد يكون صحيحًا في بعض الفروع المعرفية التي تتمتع بنماذج تطبيقية قويّة في تاريخنا، وذلك مثل المجالات الاجتماعية أو الفلسفية أو الاقتصادية.. بيد أن الأمر في الأدب - بأجناسه الحديثة من رواية وقصة وأقصوصة ومسرحية - لا يتمتع بهذا الرصيد، وما قُدِّم في القرون الأخيرة من أعمال تطبيقية تعبّر عن التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة يعدّ قليلاً جدًا، ولذا فنحن في حاجة إلى تعميق تكتمل له الأدوات الفنية في الأجناس الأدبية المختلفة حتى يصبح تنظيرنا قريبًا من الكمال.

وما يُقال في الأدب يقال في علوم الاقتصاد والاجتماع وشتّى المعارف، شريطة أن نكون واعين بقسماتنا الخاصة وبفروقنا الجوهرية عن الحضارة الغربية؛ من إيمان بالآخرة - مع الدنيا - وبالله - مع الإنسان - وبالغيب - مع المحسوس. وإذا كان العلمانيون يعمدون - عن جهل أحيانا، ومكرٍ في أغلب الأحايين - إلى إنكار «الله» و«الآخرة»، وإلى إذابة الجسور بين الأسطورة والغيب تشويها للغيب من جانب، وتعميقًا للدنيوية الحسِّية الرافضة للدين من جانب ثان، وتحطيمًا لمعنى الوجود الإنساني المتميِّز المسؤول من جانب آخر؛ فإننا يجب أن نقاومهم بالإبداع الذي يترجم رؤيتنا الإسلامية.

والحق إن منطق الإسلام يدحض هذا كله، ويؤكد المعنى والقيمة والمسؤولية لكل التاريخ البشري.. ويقول، كما ورد في كتاب الله: *وما خَلَقْنا السماءَ والأرضَ وما بينَهُما لاعبينَ.* **الأنبياء:١٦.** *ربَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطلاً.* **آل عمران:١٩١.** *لو أردْنا أن نتَّخذَ لَهْوًا لاتَّخذناهُ من لَدُنَّا إنْ كنّا فاعلينَ. بل نقذِفُ بالحقِّ على الباطلِ فَيَدْمَغُه فإذا هُوَ زاهِقٌ.* **الأنبياء:١٧-١٨.**

لكن هذا المنطق الإسلامي يحتاج إلى فاعليتنا وجهادنا وإبداعنا..!!.

فهل يترجم المسلمون تصورهم إلى واقع عملي كما ترجم الماديون تصورهم إلى واقع عملي، سيطروا بأدواته على عقول الناس، وخدعوهم عن «الحق الكامل» و«الميزان الواحد» والمنهاج العلمي (العقلي التجريبي) المتعاون؟!!

إن تحقيق هذا الإقلاع هو التحدي الذي ينتظره منهم الوعي البشري كله، وتنتظره منهم الإنسانية التي تكاد تهوي إلى القاع، بخضوعها للمنهاج المادّي الدنيوي الصراعي الذي لا مكان فيه للضمير ولا للروح ولا للعدل ولا لأخوّة الإنسان لأخيه الإنسان..!!

إسرائيل ركيزة الاستعمار والعدوان ٤

نماذج بشرية غير يهودية استغلتها المطامع اليهودية

د. حسن ظاظا

وإلى جانب هذه الشخصيات اليهودية الخطيرة - جادَّة كانت أم هازلة - ظهرت في ميدان التآمر الاستعماري اليهودي على العالم العربي والإسلامي نماذجُ بشرية أُخرى، من النوع المريض، الذي استغلته المطامع اليهودية التي تستغل كل شيء، فاستنبطت من ضعف نفسه هو قوة لها، ومن هؤلاء الأمريكي «واردر كريسون» المولود في فيلادلفيا سنة ١٧٩٨م ومات في القدس في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٦٠م.

كان ينتمي إلى الطائفة النصرانية البروتستنتية المعروفة باسم «الكويكرز»، وفي سنة ١٨٤٠م اتصل بالحاخام اليهودي الأمريكي إسحق ليسر، وتلقى منه تعاليم اليهودية، وراح يكتب مقالات في صالح اليهود في مجلة كان يصدرها الحاخام ليسر في فيلادلفيا باسم «أوكسيدنت» أي الغرب.

وعلى إثر ذلك حدث من الحكومة الأمريكية أمر مريب، ففي سنة ١٨٤٤م عيَّنت هذا المواطن المتعصِّب لليهود قنصلاً عامًا للولايات المتحدة في فلسطين، وتم افتتاح القنصلية فعلاً في القدس، على الرغم من أن السفير الأمريكي في إستانبول، الذي كانت هذه القنصلية تابعة له، لم يكن يعلم شيئًا عن هذا التعيين، وقد كتب إلى حكومته محتجًا على هذا التجاهل التام له ولسلطاته القانونية المشروعة.

وفي سنة ١٨٤٨م تقدم واردر كريسون إلى حاخامباشي القدس «إبراهام حاي جوجن» بطلب رسمي بالدخول في الديانة اليهودية، وتمَّ له ذلك، وأصبح اسمه الجديد «ميخائيل كريسون بوعز إسرائيل».

وفي السنة نفسها عاد إلى فيلادلفيا، فوجد زوجته وجميع أسرته قد أقاموا دَعْوَى ضده في المحكمة يتَّهمونه فيها بالجنون، ويطالبون بإبطال جميع الإجراءات وإلغاء جميع القرارات والوثائق الخاصة بتهويده، وحُوِّلت القضية إلى المحكمة العليا، ووكل الطرفان عنهما نُخْبة من كبار المحامين، واستمع القضاة إلى أكثر من مئة شاهد. وأخيراً أصدرت المحكمة حكمها بأنه مالك لكل قواه العقلية، وحرّ في تصرفاته، ونشرت مجلة «أوكسيدنت» مرافعة الدفاع عن كريسون، التي ألقاها أمام المحكمة المحامي هوارشيو هوفل.

كان كريسون طوال تلك المدة التي قضاها في فيلادلفيا، يدعو إلى استعمار يهودي لفلسطين. وكان يرى أن نقطة البدء في ذلك هي إحضار المهاجرين من اليهود، وإسكانهم في منطقة النَّقَب الشمالي والعمل على تمليكهم وادي الرفائيم إلى الجنوب الغربي من القدس وبيت لحم، واستعان على ذلك بأموال يهودية أمريكية.

وفي القدس تزوج بامرأة يهودية شرقية، وارتدى قفطان اليهود الشرقيين، وظلَّ خادمًا مطيعًا لسادته اليهود حتى مات سنة ١٨٦٠م، ودُفن في سفح جبل الزيتون، شرقي القدس.

وإلى جانب مقالاته في مجلة أُوكسيدنت، نشر مقالات أخرى طُبعت على حدَة، مشاركة منه في الدعاية لعودة اليهود إلى فلسطين، أهمها مقال عن النبيَّين موسى وإلياهو، ومقال آخر بعنوان «إسرائيل شجرة الزيتون الطيبة»، وهذان المقالان نُشرا في لندن عام ١٨٤٤م.

ولسنا نريد أن نُلقي القول جزافًا، ولكننا نلاحظ أن هذا التحرك المريب اقترن في المرحلة نفسها، وفي السنوات القليلة التالية، بحركات أمريكية لإذكاء نيران الخلافات الدينية في كل منطقة الشرق العربي، بالتوسع في إرسال المنصرين الأمريكان وافتتاح المدارس الأمريكية، إلى أن اشتعلت الحرب الطائفية الأهلية في لبنان في السنة نفسها التي مات فيها واردر كريسون، وهي سنة ١٨٦٠م، وأنشئت في أعقاب ذلك الجامعة الأمريكية في بيروت.

تطلع اليهود إلى أن تكون لهم قومية

وفي منتصف القرن التاسع عشر، ونحن على مشارف الصهيونية السياسية الرسمية، التي رفع لواءها تيودور هرتسل، نلاحظ حركة غليان هائلة في جميع الأوساط اليهودية في أوربا وأمريكا. كان اليهود إذ ذاك ينظرون إلى حركات الوعي القومي التي عمَّت الأوربيين والأمريكان، منذ سقوط نابليون، ويريدون السَّير في هذا الركب، وأن تَتَبلور لهم هم أيضًا قومية ممتازة. وكانوا ينظرون إلى حركات التصنيع والاستعمار راغبين في أن يستفيدوا منها ماديًا. وبالفعل كانوا قد وصلوا في ذلك

كله إلى نتائج ملموسة، فمعَ الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م حصلوا على حقوق الإنسان، وفي ظل نابليون وصلوا إلى أن يكون لهم مجلس ملّي معترف به من فرنسا، يرأسه حاخام أكبر تنتخبه الطائفة. وقامت لهم في ظل الرأسمالية الصناعية الأوربية والأمريكية مؤسسات اقتصادية غنية مزدهرة، تشتغل بالصناعة والتجارة والمال وأعمال المصارف. ومع رقيّ الصحافة، واتساع التعليم، وتطوير الجامعات ظهر من بينهم علماء ومفكرون ومؤلّفون، قاموا بدور كبير في بلورة العصبيّات الإسرائيلية، وجَمْعها تحت شعارات قومية وتاريخية وسياسية كانت الصهيونية آخرها.

رجالات يهود بارزون في أوربا وأمريكا في القرن الماضي

فمنْ رجال السياسة نذكر الوزير البريطاني دزْرائيلي، ومنْ رجال المال والأعمال اشتهرت أسر أوربية يهودية بأكملها منها: روتشيلد وهيرش. ومنَ المفكرين وقادة الرأي اليهودي يأتي في الطليعة الفيلسوف مَنْدلْسون الذي كان من أنصار «الاندماج»؛ أي دخول اليهود في المجتمع الأوربي كمواطنين عاديين لهم كلُّ الحقوق، وعليهم جميع الواجبات. وقد لقيت دعوته رواجًا بين الشبيبة اليهودية في القرن التاسع عشر، كما ارتطمت بمعارضة شديدة من المفكرين القوميين، وفي مقدمتهم الزعيم الاشتراكي اليهودي الألماني «موسى هيس»، الذي نشر عام ١٨٦٢م كتابه الكبير «روما وأورشليم» أو «أحدث مشكلة قومية»، يدعو فيه إلى استعمار اليهود لفلسطين. وقد أكمل المفكر اليهودي لْيون بنسْكر هذه الدعوة بما سماه برنامج «التحرُّر الذاتي»، وهو تخطيط سياسي واجتماعي لإخراج اليهود من العُزْلة، وانتفاعهم بالازدهار الاستعماري والرأسمالي الغربي، دون أن يفقدوا قوميتهم أو يذوبوا في غيرهم من المجتمعات. وقد ساعد على توطيد مثل هذه الأفكار في الأذهان اهتمام من جانب العلماء والأدباء والمؤرخين اليهود، بتقديم صُور من التراث الإسرائيلي ترمي إلى تقوية العصبية بين أبناء قومهم.

وممَّن لا يمكن إغفال ذكرهم في هذا الصدد المؤرخ اليهودي الألماني هنري جريتش، واسمه الكامل «هاينريش صِبي هيرش جريتش» المولود في ٣١ تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٨١٧م في بوزنان من أقاليم بولونيا، ومات في ميونخ يوم ٧ أيلول/ سبتمبر سنة ١٨٩١م. وقد عكف على دراسة تاريخ اليهود منذ البداية إلى القرن التاسع عشر الذي عاش فيه، وفي جميع أصقاع الأرض التي طرقتها أقدامهم قديمًا وحديثًا، وألّف في ذلك كتابه المشهور «تاريخ اليهود» الذي صَدَر بالألمانية في عشرة مجلدات ضخمة، وذاع صيت الكتاب ومؤلفه الذي آلت إليه أستاذية التاريخ في جامعة «برسلاو». وقد تُرجم الكتاب إلى الفرنسية والإنجليزية والبولونية والروسية واليهودية «اليديش» والعبرية، وتأثر به الرأي العام اليهودي في العالم تأثرًا هائلاً، كان ردُّ فعله أن ثارت موجة من التعصُّب الأوربي ضد هذا التكتل اليهودي على أيامه. ويُعدّ الكتاب مَلْحَمة أدبية أكثر منه تحقيقًا تاريخيًا، وقد أدى دَوْره كما أراده له مؤلفه، فألهب شعور اليهود ودخل إلى كل بيت من بيوتهم.

أدولف كريمييه الزعيم اليهودي الفرنسي

إذا كانت كل نواحي النشاط التي أبداها هؤلاء العاملون من اليهود من أجل قومهم تبدو مشروعة ـ في زعمهم ـ، ولا يكاد يكون عليها غُبار، فإنَّ الأمر لم يمنع من أن يظهر في هذه الحقبة نفسها متعصبون لليهودية وصل تطرفهم إلى درجة التآمر الاستعماري المُجرم، وفي مقدمة أولئك: اليهودي الفرنسي أدولف كريمييه، واسمه الكامل إسحق موسى أدولف كريمييه. وكان مولده في نيم سنة ١٧٩٦م، ومات بباريس يوم ٩ شباط/ فبراير سنة ١٨٨٠م، وقد نشأ في بلدته بجنوب فرنسا نشأة عادية واصل فيها تعليمه، ثم ذهب إلى مدينة أكس، حيث حصل على ليسانس القانون عام ١٨١٧م، واشتغل بالمحاماة في هذه المدينة، وبدأ يبحث عن الشهرة من طريق المرافعة أمام المحاكم في القضايا السياسية الكبرى، التي كانت كثيرة في فرنسا في ذاك الوقت.

حفل التاريخ اليهودي بنماذج متطرفة في الدفاع عن مصالح اليهود؛ لكن «كريمييه» فاق كثيرًا من هؤلاء المتطرفين حين وضع أول بذرة للاستعمار اليهودي في فلسطين

وذاع صيته فانتقل إلى باريس عام ١٨٣٠م، وأصبح من كبار المحامين المتخصصين في قضايا الصحافة بالذات، وهو أمر مكَّنه من أن يُخضع لإرادته أقوى وسيلة من وسائل الإعلام وتحريك الجماهير في ذاك الوقت، فانتُخب عضوًا في مجلس النواب الفرنسي سنة ١٨٤٢م، ووقع عليه الاختيار وزيرًا للعدل في الحكومة المؤقتة لثورة سنة ١٨٤٨م، ثم أُعيد انتخابه مرة أخرى عضوًا في الجمعية الوطنية. وبقي يُراوغ ويُداور سنين طويلة، عاملاً على إحياء القومية اليهودية في أوربا كلها، حتى ضاقت به السياسة الفرنسية ذَرْعًا، فانكمش طوال أيام الإمبراطور نابليون الثالث، ولم يَعُدْ إلى الحياة السياسية إلا عام ١٨٦٩م، بعد أن نجح بصعوبة في الانتخابات النيابية في دورتها الثانية.

وعندما تكوّنت في فرنسا الحكومة التي تُسمَّى حكومة الدفاع الوطني ضد التهديد الألماني بقيادة بسْمَرك، تولى منصب وزارة الداخلية فيها، كما آلت إليه وزارة الحربية مؤقتًا، وظل يتقلَّب في أرقى مناصب الدولة حتى أصبح سنة ١٨٧٥م عضوًا دائمًا في مجلس الشيوخ.

وهذا الرجل كان طوال حياته يستغلُّ كل الظروف لصالح القومية اليهودية، ولو تعارضت مع المصلحة العامة أو مع المبادئ الإنسانية كلها!! فبمجرد وصوله إلى باريس رشَّح نفسه لعضوية المجلس المِلّي الأعلى للطائفة الإسرائيلية، وتمَّ انتخابه فعلاً. وبسرعة طالب الحكومة الفرنسية بتقرير مرتبات سنوية في ميزانيتها لرجال الدين اليهودي في جميع أنحاء فرنسا أُسوة بالمتبع مع رجال الدين النصراني إذ

إسرائيل ركيزة الاستعمار والعدوان؛

نماذج بشرية غير يهودية استغلتها المطامع اليهودية

ذاك، وأجيب إلى طلبه. وفي سنة ١٨٣٢م، وكانت فرنسا قد منحت لأبنائها المقيمين بسويسرا جميع حقوق المواطن العادي، طلب مثل هذه الحقوق ليهود سويسرا النازحين من فرنسا وحصل عليها.

أما احتكاكه بالعرب والمسلمين فقد بدأ رسميًا على إثر ما يُسمى في التاريخ اليهودي بـ«تُهمة الدم» في دمشق يوم ٥ شباط/ فبراير سنة ١٨٤٠م. كانت سورية إذ ذلك تحت حكم والي مصر محمد علي باشا، وكان يُمثله في دمشق شريف باشا، فَحَدَث أن اختفى أحد الرهبان الفرنسيسكان الكابوشيين وهو الأب «توما»؛ فشاع في المدينة كلّها أن اليهود خطفوه ليقتلوه ويعجنوا بدمه خبزهم الخاص بطقوس عيد الفصح، ولم يستبعد قنصل فرنسا في دمشق هذه التهمة، كما أن الحكومة الفرنسية لم تتحرك تحركًا يرضي اليهود.

والواقع أن «تهمة الدم» لم تكن الأولى في تاريخ اليهود، على الرغم من أن الدم محرَّم في شريعتهم بالنص، وأن دم البشر أشدُّ تحريمًا لأنه دمٌ كغيره من الدماء، من ناحية، ولأن سفكه واقع تحت وصية من وصايا موسى العشر إذ يقول: «لا تقتل»، من ناحية أخرى. ولكن تكررت التهمة في أماكن كثيرة من العالم يصعب أن يقع بينها تواطؤ أو اتفاق لتباعد الزمان والمكان: من أوائل العصور الوسطى إلى العصر الحديث، وفي إيطاليا، وإنجلترا، وإيران، وفرنسا، وألمانيا... إلخ.

وإذا كان بعض هذه التهم يعدّ افتراءً سببه التعصب ضدَّ اليهود، فإنَّ كثيرًا منها يبدو دامغًا لليهود، بسبب ما كانوا فيه من ظُلمات الجهل بدينهم، والتعلُّق بكثير من البدع والخرافات التي أدى فيها حقدهم على البشر دورًا كبيرًا.

ومهما يكن من شيء فلسنا هنا بمعرض البحث عن دم الراهب «توما»، ولكننا نقرِّر فقط أن الفتنة اشتعلت في العاصمة السورية، فقام شريف باشا بالقبض على سبعة من رؤساء الطائفة للتحقيق معهم، ولا شك في أنه أغلظ لهم العذاب، حتى مات أحدهم وهو محتجز للتحقيق، ودخل آخر في الإسلام ليقسم على القرآن أنه لا يعرف شيئًا عن هذا الأمر. ويقول اليهود: إنَّ حكومة شريف باشا حصلت على اعترافات من اليهود أنفسهم أدَّت إلى وضع عدد منهم في السجن من بينهم بعض رجال الدين. وهنا قام أدولف كريمييه من طريق الصحافة والاجتماعات اليهودية بإيجاد كتلة يهودية أوربية تضم يهود إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، والنمسا، وشرع في مهاجمة محمد علي، ومعه الإسلام كله، وراح - وهو المحامي المشهور - يطالب والي مصر بالاعتذار عما حدث في سورية ودَفْع تعويض ضخم للطائفة اليهودية.

وكانت الدول الأوربية إذْ ذاك تتلمس العلل لخلق المشكلات لمحمد علي ليجدوا منفذًا لسياستهم الاستعمارية في الشرق. وأراد والي مصر أن يتجنب المشكلات، فكتب إليه اعتذارًا، وطلب منه الحضور لمقابلته بالإسكندرية، وتَسلَّم المبلغ المطلوب للتعويض. فكوَّن وَفْدًا انضم إليه فيه المليونير اليهودي البريطاني مونتفيوري، والمستشرق اليهودي الفرنسي المتبحِّر في الشؤون العربية سالمون مونك. ومن الإسكندرية ذهب الثلاثة إلى فلسطين وأسَّسوا بالمبلغ الذي حصلوا عليه مستعمرة يهودية على مشارف النَّقَب الشمالي بالقرب من مدينة عَسْقلان، وافتتحوا بها مدرسة لتخريج المهندسين الزراعيين المدربين على استصلاح الأراضي، لتكون نواة الاستعمار اليهودي في قلب العالم العربيّ.

وهذا الرجل هو نفسه الذي أصدر القانون الخاص بيهود الجزائر بعد احتلال فرنسا لها، وهذا القانون يقضي بمنح الجنسية الفرنسية والامتيازات الخاصة بالمستعمرين لكل اليهود الذين يعيشون في القطر الجزائري، وكان هدفه من ذلك تمكين هذه الجموع الكبيرة من اليهود المغاربة من أن يكونوا عملاءَ للاستعمار الفرنسي في شمال إفريقية، وهو القانون الذي توسعت فيه فرنسا عند احتلالها لتونس والمغرب الأقصى، فطبقته على اليهود هناك أيضًا، وكان من أثَر ذلك أن تعقدت الأمور بين العالم العَربي والإسلامي، من جهة، وفرنسا، من جهة أخرى، عند إعلان دولة إسرائيل وتحت ضغط الرأسمالية اليهودية الفرنسية، مع ما صحب ذلك من نضال المغرب العربي كله ضد المستعمرين. والذي يكشف الارتباط العضوي بين الاستعمار والتعصب اليهودي في المغرب العربي هو هذه الهجرة الجماعية ليهود الجزائر يوم إعلان استقلال هذه البلاد، لشعورهم بكل المؤامرات التي كانوا مسؤولين عنها طوال عهود الاستعمار.

وأدولف كريمييه هو أيضًا الذي أعطى كل جهوده لتدعيم الجمعية المسمّاة بالاتحاد الإسرائيلي العالمي(تُسمَّى: الإليانس الإسرائيلي)، وهي ما تزال إلى الآن تمارس نشاطها في جميع أنحاء العالم بما في ذلك الكثير من البلاد الإسلامية؛ بل بعض البلاد العربية، وهذه الجمعية اليهودية العالمية تسعى إلى خلق اليهودي الصهيوني المتعصب من طريق تربية أطفال اليهود في مدارسها المنتشرة في كل مكان، وكانت دائمًا تنسِّق جهودها مع الأهداف الصهيونية في فلسطين، بجمع التبرعات لإقامة دولة إسرائيل فيها، والإشراف على اختيار المهاجرين والمتطوعين، ونَشْر الوعي بالمنجزات اليهودية من طريق الصحف والندوات والحفلات، كما كانت وراء كثير من المؤامرات الاستعمارية في العالم العربي والإسلامي.

لمحة سريعة إلى المستقبل:
لابد من زوال دولة إسرائيل

إن المتتبِّع لتاريخ اليهود عَبْر العصور سيجد

«تهمة الدم» في دمشق لم تكن الأولى في تاريخ اليهود الحافل بالإرهاب وسفك الدماء والتآمر على البشر. وكان حقدهم على الناس وتعلقهم بالخرافات السبب في ذلك!

إسرائيل ركيزة الاستعمار والعدوان؛

نماذج بشرية غير يهودية استغلتها المطامع اليهودية

أنَّ دولة إسرائيل المغروسة بالإكراه في قلب العالم العربي هي الخلاصة العصرية للتعصب اليهودي الكامن المنقوع في الأحقاد العنصرية المريضة، التي حرص هذا المجتمع الغريب على تنميتها.

وهي تقوم على استقراء هذا التاريخ، وتطبيق الوسائل الجهنمية الهدَّامة التي أثبتت قوتها في تجارب مختلفة على مرِّ الزمان. وهي كلها تتلخص في أن من يُسمُّون أنفسهم «شعب الله المختار» يدركون في قرارة أنفسهم أنهم، وعددهم لا يتجاوز في العالم كله الخمسة عشر مليونًا، لن يتمكنوا من السيطرة على هذا العالم وتحقيق حلمهم الرهيب في استعباده، إلا إذا رَضُوا أن يكونوا عملاء وأذنابًا وكلاب حراسة للأمم القوية عبر التاريخ، ولا يهمُّهم أيَّ الأمم هذه، فقد تعاونوا قديمًا مع الفراعنة ثم انقلبوا عليهم، وراحوا ينافقون إمبراطوريات العراق القديم، ثم خانوها مع إيران عندما قويت شوكة الفُرْس، ثم عادوا فانقلبوا عليهم وخضعوا للإسكندر اليوناني، وطالت مُراوغَتُهم للرومان حتى ضاقوا بهم ذرعًا فاقتلعوهم اقتلاعًا. وبقي النهج القديم والداءُ القديم أيضًا ينمو في قلوبهم المظلمة، فما إن ظهرت أول حركة استعمارية في العصر الحديث بزعامة نابليون بونابرت حتى خَطَبوا ودَّها ومن بعدها الاستعمار البريطاني، وتغزَّلوا كثيرًا في القوة الشيوعية الناشئة في روسيا وأوربا الشرقية، حتى إذا نالوا منها أقصى ما يستطيعون انقلبوا نحو الاستعمار الأمريكي الجديد فربطوا سياستهم بسياسته الظالمة المتجبرة.

وبين العصور القديمة والعصر الحديث رأينا الأيام الجميلة المعسولة التي قضوها في أحضان العرب والمسلمين طُوال العصور الوسطى، مستفيدين لأنفسهم من ذلك أثمن ما كانوا يحلمون به وهو إحياء التراث العبري، والنجاة من الفَناء، والحصول على ركائز من الغنى والجاه! ولَن يدهشنا أن نراهم غدًا في إسرائيل، وقد اكتشفوا المخلب السحري الذي يشبكون به كيانهم في قوة هائلة من قوى المستقبل هي الصين الشعبية، أو أن نراهم بعد غد حلفاء لطاقة علمية واقتصادية عظيمة كاليابان، أو نراهم في مستقبلٍ ما، قريب أو بعيد، وقد استطاعوا أن يوحِّدوا بين وجودهم ووجود العرب والمسلمين! كلُّ هذا ممكن، وليس عجيبًا منهم ما دام رائدهم هو المصلحة الخاصة لعنصرهم فقط، على حساب جميع العناصر البشرية التي لايضيرهم في شيء أن يُضَحُّوا بها.

وقد قيل عنهم في كثير من المجتمعات الأوربية: إنهم يمثلون في العالم «الأقلية الساحقة» وهي سخرية تتعدى النكتة البسيطة إلى الإشارة إلى خطورة هؤلاء الناس على المجتمع البشري كله، والمتتبع لخُطب قادتهم وزعمائهم في أيامنا هذه يلاحظ سرعتهم جميعًا في التَّلْويح بالحلول الجهنمية، والتهديد بالدمار الشامل إذا هم لم يصلوا إلى تحقيق أغراضهم، وهي ـ ويا للأسف ـ لا نهاية لها، ولا حدود تقف عندها، ولا حتى من النيل إلى الفرات. إن إذلال الإنسانية كلها، واستعبادها لبني إسرائيل أمرٌ مغروس في العقل الباطن لهؤلاء الناس. وهم يقولون إن شعب الله المختار، بكل نقائه وامتيازه وعظمته وجلالته، قد أصبح مُسْتَعْبَدًا لفرعون، ثم سبيًا مستباحًا لبختنصر، ثم ضحايا للرومان، ثم حَطَبًا لنيران الهتلرية، فماذا على العالم لو انعكست الآية؟ وهم وراء كل هذا يقولون دائمًا: إنَّه إذا كان على إسرائيل أن تنهار فإن علي العالم أن ينهار معها أيضًا في الوقت نفسه .

وهذا تهديد صريح للسلام العالمي يجب أن تفهمه الإنسانية كلها في أبعاده الجدية الحقيقية. أما فيما يعنينا ـ نحن العرب وأمم الإسلام ـ فإن الجولات السابقة مع إسرائيل، وهي جولات سلبية النتائج على طول الخطِّ، لابدَّ أن تعلِّمنا شيئًا مهمًّا أشرنا إليه منذ البداية، وهو أن زوال إسرائيل أمرٌ ضروري لحرية العالم العربي والإسلامي وازدهاره ورقيِّه، وأن النتائج السلبية التي واجهناها لا تعني على الإطلاق أن نتزحزح عن هذا الهدف الأساسي، كما يبدو من صنيع بعض السياسيين والمفكرين مِنَّا، الذين يحاولون أن «يتأقلموا» في الوجود الصهيوني الإسرائيلي الاستعماري.

إن المشكلة الآن هي أن يتحول زوال الكيان الصهيوني عن وطننا من هدف تكتيكي إلى هدف استراتيجي. أي إننا نعمل له مهما طال المدى؛ تمامًا كما عمل اليهود لإنشاء إسرائيل، والمهمُّ هو ألاَّ يغيب عن أنظارنا، وألا تلهينا عنه، أو تميته في ضمائرنا، الحلولُ البديلةُ أو التسويات الوقتية وما تَعدُ به من أمن وراحة واسترخاء. زوال الكَيان الصهيوني من هذا الركن من العالم أمانة في أعناق العرب والمسلمين مهما استغرق ذلك من أجيال.

ونحبُّ أن نقول في النهاية: إننا لا نَعْني بزوال إسرائيل من المنطقة وزوال الصهيونية من العالم، إبادة اليهود أو الدعوة إلى إفنائهم، أو حتى اضطهادهم والتعصب ضدهم، ولكننا نقول كما قال الكثيرون من المستنيرين منهم: إن اليهودي إذا شُفي من حقده على العالم استطاع أن يجد له وطنًا في كل مكان، كالنصراني والمسلم والبوذي والزنديق. وهو وراءَ ذلك كله واجدٌ وطنه القومي والروحي في التوراة والتلمود، كما يجده المسلم في الكتاب والسنة، والنصراني في الإنجيل وأعمال الرسل.

وقد عَرَف الإسلام قديمًا كيف يشفي قلوبَ اليهود المريضة؛ بحيث تم التفاهم بين الأمتين في ظل الراية الإسلامية، لا المسلم يَجُورُ على اليهودي ولا اليهودي ينال من المسلم، وكان ذلك عصرًا ذهبيًّا باعتراف كل أقطابه ومفكريه. وإنما بدأت اليهودية تتردى إلى الحضيض عندما ضَعُفَ أمر العرب، وتمزق ملك المسلمين، ودبت الفتنُ في مجتمعهم. هنا وجد اليهودي نفسه بلا وَلِيٍّ ولا نصير، وقد يَجدُ نفسه في مثل هذا الموقف في فلسطين في المستقبل القريب أو البعيد، إن ظلَّ محترفو العنصرية العمياء هم القادة الذين يقررون مصير قومهم في إسرائيل، حينئذ سيكون الأمر أخطر من مجرد صراع بين اليهود والعرب، لأنه سينتهي حتمًا إلى كارثةٍ عالمية لا يعلمُ أبعادَ الدمار فيها إلا الله.

من التراث التربوي

محاولة مبكرة ورائدة في أدب الطفولة

محمد حسن بريغش

يلاحظ الباحث في موضوعات التربية والدراسات النفسية، وما يخص الطفل، أن أكثر المهتمين بهذا النوع من الدراسات والأبحاث، وكذلك المهتمين بأدب الأطفال، يتجاهلون - أو يجهلون - ما يتعلق بهذه الموضوعات في تراثنا، ويعتمدون بشكل كبير على الدراسات الغربية حول النفس الإنسانية، وحول الطفولة والتربية وأدب الأطفال. وكان لهذا الأمر أثره الكبير فيما يُقَرَّر ويُنْشَر في عالمنا العربي والإسلامي، ومانتج منه على صعيد التربية والتعليم، والأفكار والأخلاق والآداب. وظهرت نتائج ذلك في الشخصية الجديدة التي فقدت هويتها، وعجزت عن تحديد انتمائها وشخصيتها، وتمزقت داخليًا، وأصبحت تبحث عن شيء يُعوِّضها مما خسرته؛ فاهتمت بالمظاهر، وتعلقت بالأشياء بدلاً من القيم، واهتمت بالتكديس والاستهلاك بدلاً من البناء والإنتاج(١)، وغرقت بالترف واللهو ونسيت الضرورة والجد.

وفي مـجـال الطفـولة وأدب الأطفال، كان ذلك واضحًا؛ فما يُقَدَّم لأطفالنا - في الأغلب - صورة مقلَّدة لما يُقَدَّم للطفل الغربي، لأن أكثر المهتمين بالطفولة وأدب الأطفال يأخذون ما كتبه الغربيون عن الطفولة - بوصفها مرحلةً من مراحل العمر - وعن علم النفس كأنه حقائق ثابتة لا تقبل المناقشة أو المراجعة، ثم ينقلون الصور الغربية في أدب الطفل إلى عالمنا، أو ينسجون على منوالها.

والغريب في هذا الأمر أن هؤلاء الدارسين لا يرون أيّ عناء في الرجوع إلى الدراسات الغربية بلغاتها المختلفة وترجمتها إلى لغات العالم الإسلامي، ويطلقون على ذلك ألقاب: البحوث العلمية، والدراسات المتخصصة مادامت منقولة عن الغربيين، بينما يرون كل العناء، في الرجوع إلى تراثنا، وبلغاتنا الواضحة لتعرُّف ما احتواه حول النفس والتربية والطفولة، ولا يرون في مثل هذا الأمر عملاً علميًا، وبحثًا متخصصًا. ويُنزلون نتائج الدراسات الغربية منزلة الحقائق ولو كانت تتعارض بشكل واضح مع نصوص قرآنية أو حديثية حول الأمر ذاته.

ولا نعود هنا إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلا لتأكيد حقيقة كونية لا تقبل الشك وهي أن ما ورد في كتاب الله - عز وجل - عن النفس البشرية، هي الحقائق الثابتة التي لا يمكن نقضها، أو تغيرها، لأنها حقائق مقررة من خالق النفس وبارئها. ولهذا ندعو بشكل ملح إلى بناء علم للنفس مستند في جذوره وحقائقه إلى هذه النصوص التي وردت في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وهذا الأمر يحتاج إلى مؤسسة علمية متخصصة تنهض به ويتفرغ للبحث فيه رجال مؤمنون، لم تهزهم أوربا بجبروتها المادي، ولم يتلوثوا بالأمراض النفسية الغربية (حتى أصبحوا تبعًا ممسوخًا للحضارة المادية الغربية)، حتى تكون أبحاثهم بريئة من الهوى والمرض.

إن هذه الظاهرة لا تعني أبدًا إغلاق الأبواب والنوافذ، أو عدم الاستفادة مما عند الغرب من دراسات وبحوث، وإنما تعني أن نتحرر من التبعية، ونتحرر من الشعور بالانبهار، والعجز معًا، وأن يوقن الباحث أن لديه كنوزًا لا يملكها غيره، وأنه يحتاج إلى معرفة ثوابته اليقينية التي تمثل وجوده

وشخصيته قبل أن يبحث عمَّا لدى الآخرين.

ومما يقضي بالعجب - أيضًا - أن بعض الدارسين حين يذكر شيئًا من تراثنا في هذه الموضوعات المهمة، يذكرها شواهدَ تؤيد وجهة النظر الغربية، ويحاول أن يبرهن على أن في هذا التراث شيئًا مفيداً وافق ما عند الغربيين. وبعض الدارسين الآخرين لا يذكر تراثنا إلا كما يذكره الغربيون أنفسهم، فيردد مقولاتهم، ويترجم آراءهم.

وعلى سبيل المثال نرى بعض الدارسين يذكر في أدب الطفل عدداً من الكتب المشبوهة، التي صنعها مؤلفوها لغايات لم تعد خافية، وأرادوا - من بين أهدافهم - زعزعة عقيدة المسلمين، وتشويه صورة المجتمع الإسلامي والإساءة إلى عدد من الخلفاء والقادة والولاة، وبذر بذور الشك والريبة لدى الناس في الأخلاق والقيم، وإثارة نوازع الجنس، وتحطيم صور القدوة والفضيلة في نفوس النشء، ومن هذه الكتب: ألف ليلة وليلة(٢)، والأغاني(٣) وغيرهما.

وكان بعضهم يربط بين ما في تراثنا من قصص وحكايات تصلح للأطفال والأساطير التي يلعب فيها الخيال دوراً كبيراً، بل وصل بهم الأمر إلى الطعن في تاريخنا، ورواياته الموثقة، بما فيها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما أشاروا إلى أمثلة من الحكايات والروايات المملوءة بالأساطير، وذكروا أمثلة على ذلك كتاب: أخبار اليمن وشعرائها وأنسابها المنسوب إلى عُبيد بن شَرْيَة الجرهمي، وتاريخ الطبري والسيرة النبوية لابن هشام، والأغاني، والعقد الفريد، والحيوان، والبيان والتبيين، وغيرها. وكان مقصوداً الجمع بين هذه الكتب ووصفها بأنها ملأى بالأساطير، ويلعب فيها الخيال دوراً كبيراً، وتحوي قصصًا إسرائيلية كثيرة(٤) للتشكيك في سيرة النبي، وتاريخ الإسلام، والروايات الموثقة.

إن هذه الشواهد تشير إلى تجاهل تراثنا من ناحية، والإساءة إليه بالتشويه والدس، بدلاً من العودة إليه لتعرُّفه، وتحقيقه، وتوثيقه، والاستفادة مما فيه، بالدراسة الموضوعية المتأنية، والنظرة العادلة البانية.

وإن من حق ديننا علينا، ومن حق أطفالنا أيضًا، التماس الحقيقة وتوضيح الطريق، لكي نضع لهم معالم ثابتة يهتدون بها في عجيج هذا العصر وضوضائه، وهيمنة القوة الإعلامية الغاشمة عليه. وإن من التماس الحقيقة بناء المنهج التربوي المنبثق من ديننا، من نصوصه الثابتة، وحقائقه الأزلية، وأن نبني علمًا صحيحًا عن النفس الإنسانية التي خلقها الله عز وجل وكرَّمها، وجعل لها خصائص ومميزات، وفطرها على أمور كثيرة ثابتة، لأنها جزء من كينونتها المفطورة عليها، وثوابتها اللازمة لإنسانيتها. وإن في تراثنا ما يعيننا على توضيح ذلك إذا أردنا أن نستهدي بالبصائر التي ضمها كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكذلك في كثير من كتبنا في التخصصات المختلفة، شريطة العودة إليها ببصيرة المؤمن، وحيادية المسلم، وليس من خلال النظارات الغربية، والمقاييس المادية المصطنعة، أو النوازع الحيوانية(٥).

لقد ساقني إلى الحديث السابق أحد الكتب الفريدة، الذي ألفه صاحبه قبل أكثر من ثمانية قرون ليكون كتابًا لابنه الطفل وأمثاله، وكان تجربة مبكرة جداً في هذا اللون المتخصص من أدب الأطفال، قبل أن يعرف الغرب ذلك، وقبل أن تُؤلَّف الكتب المتخصصة للأطفال. والكتاب هو «ألف باء» للشيخ أبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي المالقي الأندلسي المالكي، المعروف بابن الشيخ(٦). وقد كان المؤلف عالمًا باللغة والأدب، ولد في مالقة بالأندلس سنة ٥٢٩هـ، وتولى الخطابة بها، وزار الإسكندرية في حجه في أثناء ذهابه وإيابه في عامي ٥٦١-٥٦٢هـ. وكان أحد الزهاد المشهورين. ويقال: إنه بنى بمالقة نحو اثني عشر مسجداً بيده، وحفر أكثر من خمسين بئراً، وغزا عدة غزوات مع المنصور بالمغرب، ومع صلاح الدين بالشام، ولم تفته غزوة في البر أو البحر(٧).

وقال ابن الأبّار: بنى ببلده خمسة وعشرين مسجداً من صميم ماله، وعمل فيها بيده، وكان يلبس الخشن من الثياب(٨). وقال عنه الذهبي: «كان ربانيًا متألهًا قانتًا لله، كثير الغزو، يعد من الأبدال وفحول الرجال، تلا بالسبع، وأقرأ وأفاد»(٩). توفي بمالقة في رمضان سنة أربع وستمئة، وله كتاب «ألف باء» وكتاب آخر توسع فيه بما أوجز في ألف باء من أخبار وأشعار سماه «تكميل الأبيات، وتتميم الحكايات مما اختصر للألباء في كتاب ألف باء»(١٠). وقد طُبع كتاب «ألف باء» عدة طبعات في مجلدين كبيرين.

يوضح المؤلف ابن الشيخ في مقدمة كتابه غرضه من التأليف، وهذا يدل على وضوح غايته، ومعرفته - وهو الأديب اللغوي العالم - بالعمل الذي أقدم عليه فقال: «فإني عزمت بعد استخارة ذي الطَّوْل، ومن بيده القوة والحول، ورغبتي إليه في السداد والعمل والقول، على أن أجمع في هذه الأوراق كل معنى رق أو راق، مما هو عندي مُستحسَن لا مُستخشَن، ومُستملَح لا مُستقبَح، وأثبتَ فيه من الفوائد ما يزري بالفرائد، ومن بدائع العلوم والفهوم ما يرتقي به من التخوم إلى النجوم، وجعلت ما أؤلف فيه وأبني، لعبدالرحيم ابني، ليقرأه بعد موتي، وينظر إليَّ منه بعد فوتي، إذ لم يلحق بعد لصغره درجة النبلاء، ولم يبلغ مرتبة العقلاء، أرجو أن يجعله الله منهم، ولا يقطع به عنهم، فيكون - إن شاء الله تعالى - بقراءة هذا الكتاب في الزيادة، إلى أن يلحق بالسادة، وسميت ما جمعت لهذا الطفل المربى، كتاب ألف با، وقلت فيه:

هذا كتاب ألف با
صنعته يا ألبَّا
من أجل نجلي المرجّى
إذا شدا أن يَلبَّا
أدعو لعلم ومن حـ
ـق من دعا أن يُلبّى
وأنت عبدالرحيم الطف
ـل الصغير المربّى
إذا عقلت فقل: قد
رضيت بالله ربّا
ودين الإسلام دينا
وبالنبيّ المُنبّا
محمد قل: رسولا
وقل نبيًا محبّا
ثم استقمْ واتَّبعهُ
تزددْ من الله قربا
وذا الكتاب اتخذه
لداء جهلك طبا
هذي وصاة أب لم
يزل لشخصك صبا
ولو يطيق عليك الخـ
ـيرات أجمع صبّا(١١)

وواضح من هذه المقدمة النثرية والشعرية أن المؤلف يريد تحديد غرضه، وغايته، ومنهجه، وطريقته، مع تحديد بعض الأمور الأساسية التي يريد لابنه أن ينشأ عليها، ولاسيما فيما يخص الاعتقاد والتمسك بدين الله عز وجل.

فمن المقدمة نتبين أنه يتوجه بهذا الكتاب إلى ابنه الطفل الصغير، ولأمثاله - كما ذكر في موضع آخر - أيضًا: «وهذا الكتاب ألفته، كما ذكرتُ، لولدي، أو لمن يكون كمثله من مبتدي»(١٢).

وهو تفكير مبكّر لعالم كاتب يرى أهمية الكتابة للأطفال، وتخصيص نوع من الكتب لهم، ويربط بين هذه الغاية والتربية، لأن الكتابة للأطفال، وأدب الأطفال غايته الأهم هي التربية، كما أجمع على ذلك علماء التربية في الغرب والشرق(١٣)، ولذلك نرى المؤلف يكتب ما كتب لينشأ ابنه نشأة صالحة، ويلحق بالعقلاء النبلاء من الرجال فيما بعد، بل يوضح في شعره وبشكل مباشر، من طريق الخطاب الأبوي الحاني لابنه ماذا يقول، ليكون سليم الاعتقاد، مستقيم السلوك، ناجحًا في دنياه وآخرته:

إذا عقلت فقل: قد
رضيت بالله ربًا
ودين الإسلام دينًا
وبالنبيّ المنبًا
محمد، قل: رسولاً
وقل: نبيًا محبّا
ثم استقم واتبعه
تزدد من الله قربا
وذا الكتاب اتخذه
لداء جهلك طبًا

فهذه ثوابت التربية: أن يبني المسلم

العقيدة الصحيحة في نفس ولده، ويُعلّمه بالقدوة والاتباع، والتوجيه الأبوي أن يدين بالإسلام ويؤمن بالله ورسوله، ويستقيم في هذا الإيمان وهذا التدين ليكون عند الله من الفائزين. ولتحقيق هذه الثوابت التمس السبيل والأسلوب الذي رآه مناسبًا، فاختار أن يتصف كتابه هذا بالأسلوب الواضح، حتى يكون قريب المتناول، سهل الفهم، كثير الفائدة، متميزًا بالتنوع والطرافة، بالاختيارات المختلفة التي تجمع الفائدة، وتحقق التنوع، وتزيد الثقافة، وتوسع المعرفة، وتجذب القارئ فلا يمل، ولا ينأى عن الكتاب، لأنه يظفر في كل سطر بجديد: «ورغبتي إليه - سبحانه وتعالى - في السداد والعمل والقول، على أن أجمع في هذه الأوراق كل معنى رقّ أو راق، مما هو عندي مستحسن لا مستخشن، ومستملح لا مستقبح». وهذه من صفات الكتابة للأطفال، وضحها المؤلف بهذه العبارات وهي: المعنى اللطيف، والفكرة المستحبة للأطفال، والأسلوب الحسن الجميل، والطريقة الواضحة، بعيداً من الصعوبة والقبح والغرابة والخشونة. وأن يجمع في الكتاب كثيراً من الأفكار والمعلومات، والفوائد، والموضوعات لترتقي بالطفل (وابنه) إلى النجوم، وتزوده بالخبرة والمعرفة، والقيم ليصبح عاقلاً نجيبًا نبيلاً لبيبًا.

وأوضح أيضًا أنه جمع في كتابه هذا أنواعًا مختلفة من المعلومات والمعارف لتناسب طبائع الأطفال، وميولهم وأحوالهم، ولم يخْفِ أنه جمع فيه «بين الغث والسمين، والرخيص والثمين، والجد والهزل، والضعيف والجزل، كما تقدم فيه القول من قبل، وجلبتُ ما حضر من يابس وأخضر»(١٤).

ولابد من التوقف عند تسمية الكتاب، إذ لهذه التسمية دلالتها على الغاية التي قصدها، والطريقة التي اتبعها، والمرحلة السنّيّة التي كتب من أجلها. فكما أن الحروف الهجائية تبدأ من هذين الحرفين، وتتدرج بعدها لتؤلف الحروف كلمات، والكلمات عبارات، فكذلك أراد أن يكون الكتاب ابتداء التوعية والتعليم لابنه، وابتداء المعرفة والتربية والنجابة بعد حين. إنه يشير إلى البدء من البسيط إلى الأصعب، ومن الحرف إلى المعنى، بناء متدرجًا متتابعًا مترابطًا ليصل بالطفل إلى الغاية المنشودة.

وأوضح المؤلف في موضع آخر طريقته هذه فقال: «إني أكرر الألف مع الباء وما شاكلها مراراً شتى، ثم أشفعها بالوزن، حتى تكون بيتًا، بعد أن أضم إليها كلمتين متشاكلتين باسم القافية - دامت لنا ولكم العافية -، ويكون الشكل في الكل واحداً والمعنى على خلافه، فافهمْ. ثم أفعلُ ذلك بالألف مع سائر حروف المعجم ليكبر الكتاب ويكثر الكلام، وتعظم الفائدة، وتعم المنفعة، إلا أنه لم يصح لي ذلك إلا بضم الأشكال المؤتلفة في حروف المعجم، على تأليف بلادنا بعضها إلى بعض، مثل الباء والتاء والثاء في بيت، والجيم والحاء والخاء في آخر، والدال والذال وغير ذلك، وبالحري باجتماعها فيكمل منها كلها بيت وبيت، وربما يضيق بعض الأبيات عن جملتها فأذكرها خارجًا عن البيت، وربما لم يكمل إلا بمعكوس اللفظة، فأكمله بها، ثم أفسر اللفظة بما أدريه، وما وجدته في كتب اللغة، وما ذكره العلماء، وأستشهد على ذلك بما أحفظه من الشعر، وبما قالته العرب، وربما ذكرت ما قاله غيرهم من المولَّدينَ المشهورين، وربما ذكرت شعر من لقيته من أشياخي، وربما ذكرت من شعري ما يليق بالباب...».

وأكمل توضيح الطريقة لنظم الأبيات المؤلفة من الألف وبقية الحروف الهجائية ومعكوسها ومقلوبها، وضرب أمثلة على ذلك بكلمات «أب، وأخ، وأد...» إلى آخر حروف المعجم، ومعكوسها «وبا، وتا، وثا...» بإضافة واو العطف، ومقلوبها ألفٌ بين حرفين مثل «وباب، وتاب، وثاب...» ومقلوبها أيضًا حرف بين ألفين مثل «وأبا، وأتا، وأثا...»(١٥).

ثم أكمل شرح الطريقة، ونظم هذا الكلام في أبيات شعرية(١٦)؛ هذه الطريقة التي تبدو شكلية، ونوعًا من تركيب الحروف الهجائية بعضها مع بعض ليشكل منها كلمات، تشبه الألعاب البسيطة، كما يفعل الطفل عندما يرى بين يديه حروفًا مقطعة، فيجمع بينها، فإذا هي تشكل كلمات لها معان، ويبدأ البحث عن دلالات هذه المعاني.

طريقة شكلية - كما قلت - ولكن المؤلف أراد من طريقته هذه أموراً يستحث بها الطفل على التفكير، واكتشاف الجديد من المعاني والخبرات، وكلما جمع حروفًا أو قلبها دخل إلى علم ما، أو موضوع ما. يقول المؤلف: «بُنيَّ، تركت لك هذه الأبيات ذوات الأشكال ذات إشكال، لكونها بَرِيَّةً من الضبط، عَرِيَّةً عن النقطْ، وفعلتُ ذلك لتفتح لها ذهنكَ، كما فتحت جفنك، وتشحذ قريحتك، فتريح ذبيحتك، وتنظر ما أنتجت معرفتُك، وأخرجت مغرفتُك».

فابن الشيخ لا يريد لابنه أن يتناول الأبيات بسهولة، فيحفظها ويرددها دون فهم ولا معرفة، بل تركها أمامه مختلفة في شكلها، و«ذات إشكال» تحتاج إلى تفكير وتدبُّر لفهمها، ومعرفة معناها، ولاسيما أنه تركها من دون تنقيط ولا تشكيل، ليتيح لابنه فرصة التفكير، والوصول إلى الكلمة المناسبة المؤتلفة مع غيرها في البيت الواحد. إنه عمل طريف، يجذب اهتمام الطفل، ويثير انتباهه ويدفعه إلى محاولة الوصول إلى الشكل الصحيح. وهذه الطريقة فيها نوع من اللغز في نظم الحروف في أبيات موزونة، مع تركها دون تشكيل أو تنقيط. والطفل - عادة - ينجذب إلى الأمر الغريب، وينشط خياله مع الأشياء الجديدة، وغير المألوفة، وهذا ما قصد إليه المؤلف: «لتفتح لها ذهنك، وتشحذ قريحتك» وهو من أساليب التربية والتعليم، يدفع الصغير للتفكير، والتجريب وممارسة هواية مفيدة، وهي معرفة معاني هذه الألغاز، بعد ضبطها بالشكل، مع تكرار المحاولة ليصل الطفل إلى المعنى المقصود من كل كلمة، والمعنى المترابط مع غيرها من الألفاظ.

ولا يكتفي المؤلف بذلك؛ بل يطلب من ولده فهم المعنى، واستيعاب الفكرة، حتى لا تصبح العملية تكراراً، أو حفظًا من دون فهم. وهذه هي الطريقة التي يحرص عليها المربون في أحدث الطرائق التعليمية، وهذا ما قصد إليه المؤلف في عبارته: «فاشْكُلْهَا ببيانك قبل بنانك، وبفصاحتك قبل راحتك..»، ثم دعا له بالبركة والتوفيق.

وهذا أسلوب تربوي سليم، وطريقة عملية موفقة يسبق إليها المؤلف لتقديم ما ينفع الطفل، بأسلوب وطريقة يتفاعل معها، ويشحذ همته وفكره، ويشارك بجهده العقلي والحسي، ويكون هذا الجهد وسيلة لتسليته وتعلّمه وتربيته معًا.

وقد يتعثر الطفل، ويعجز عن الوصول إلى الغاية وفهم المقصود. ويحسب المؤلف لهذه الحالة حسابها، فيوجه، ويقدم النصح والمعونة له إذا احتاج إلى ذلك، لأن وقوف الطفل أمام الصعوبات طويلا، وعجزه عن المعنى، أو حل اللغز يدفعه إلى الهرب والملل، وهنا يقول المؤلف مرشداً، وموضحًا للطريقة: «فإن كسوت الأبيات جلبابها، ومنحت أسبابها، وفتحت أبوابها، فاشْكُلْها ببيانك قبل بنانك، وبفصاحتك قبل راحتك، وأنت حينئذ الولد، وزين البلد، ولمثلك يقال: أجدت، طلبتَ فوجدت، بارك الله فيك وفيما تخرجُه من فيك»(١٧).

حين يصل إلى الحل يلقى الثناء والتشجيع، وكل عبارات التقدير والاستحسان، أما في الحالة الثانية: «وإن

جمع مؤلف كتاب «ألف باء» ثوابت التربية: بناء العقيدة الصحيحة في نفوس النشء، وتعليمهم - بالقدوة والاتباع - الإيمان بالله ورسله، والاستقامة على ذلك للفوز في الآخرة

كانت الأخرى - أي عدم معرفة معاني الأبيات، أو العجز عن شكلها وفك ألغازها - ولم تقوَ عليها البتة، وعجزتْ عنها قريحتك المَيّتة، فانظرها في آخر الكتاب مخطوطة، مشكولة منقوطة، مفسرة ميسرة، مكسوّة معطرة، وكف عن لومي، وبُؤ بالعجز على نفسك، وسل مرشداً»(١٨).

ألم تصبح هذه الطريقة شكلاً من أشكال المسابقات، وحل الألغاز، والأسئلة في كتب الأطفال ومجلاتهم؟ أليس ذلك سبقًا لهذا المؤلف قبل أكثر من ثمانمئة سنة، وقبل أن يعرف الغرب أدب الأطفال، أو أي نوع من أنواع الكتابة للأطفال؟

وحتى لا يظن القارئ أنني أضيف إلى عبارات المؤلف احتمالات ومعاني لم يقصدها، نكمل عبارته حيث يقول: «وبعد، فهي كما تراها نوعٌ من المُعمّى، والاسم الذي لا يُسمّى، وضرب من اللغز، وجنس من الرمز، إذ يُشْكِل حتى يُشكَّل،

وإذا شُكِّلَ وقُرئَ لم يفهم، إذ هو مُبهم، حتى يُفتح مُقفَلُهُ، ويشرح مُغْفَله، فإذا فُسر يَسُرَ، وإذا شُرحَ فتح، فتلج - إن شاء الله - الباب، ويُرفع لك الحجاب...»(١٩).

أمْرٌ في غاية الوضوح: استخدام الكلمات بطريقة فيها شيء من الغموض، وإدخال الألغاز والرموز في هذه الطريقة لحث الطفل على التفكير، والبحث عن الحل والمعرفة. وكذلك يشرح مراحل حل (المعمّى) و(اللغز) بتشكيل هذه الكلمات بشكل صحيح، ثم شرح الغامض منها، فعندها يتوصل إلى حل اللغز، أو فهم المعنى المقصود من البيت.

لقد أوضحنا الطريقة الشكلية التي سار عليها المؤلف في كتابه هذا، بحيث جعل كل بيت من هذه الأبيات مفتاحًا لباب من أبواب الكتاب، فقال في بداية هذه الأبواب: «قد وقفت - أعزك الله - على بداءة الشعر، وما رأيته قبله من الأبيات ذوات الكلمات المزدوجات، فإن أعجبتك فحسن، وإلا فاسلك هذا السنن، واجعل ابتداء الأبيات: جمعتُ لغات، واستعن بالله الكريم، وقل: بسم الله الرحمن الرحيم:

جمعتُ لغات وضمنتُها
حروفَ الهجاء كالٍ وألْ
وآب وأبٌّ وآبٌ وأب
وآتٌ وأتٌ وبلٌ وبَلْ

ثم يبدأ الشرح فيقول: وقد تقدم تفسير الحروف ووجوهها، وأفسر لك هنا معنى الهجاء»(٢٠). وفي طريقه لتوضيح معنى الحروف أو الكلمات يجول بين مختلف العلوم، فهو يتكلم عن اللغة، والأدب، والطرائف، والتاريخ، والسيرة النبوية، وتراجم الصحابة والتابعين، وعن الأعداد والحساب، والفلك، وكثير من الأمور التي

يستطرد إليها، أو يقتضيها السياق. ويقدم الفائدة تلو الفائدة، ويشير إلى ذلك حتى تغدو استراحات أو خلاصات ينتهي إليها ويتوقف عندها، ليستفيد منها ابنه، أو أي قارئ لكتابه.

وهنا تتجلى معرفة المؤلف لكثير من العلوم، وثقافته الواسعة التي جعلته يجمع كل هذه المعارف، وكثيراً ما يستشهد بالآيات الكريمة، ويقف عند معانيها، أو عند بعض كلماتها أو أحكامها، ويورد الأحاديث الشريفة، ويستشهد بالعبارات المناسبة، والأبيات الشعرية، وفي هذا يصبح الكتاب شبيهًا ببعض كتب الأمالي، أو الأخبار.

وطريقة المؤلف في فصوله المختلفة تبدأ من كلمة، ويمضي في شرحها وشرح اشتقاقاتها، ويورد كل اسم يتعلق بها، ويسوق الأخبار والأحاديث والأشعار التي تتصل بأي اشتقاق لها، ويستطرد على طريقة التداعي، أو بما يشبه طريقة الوحدات المترابطة في المناهج، حيث يبدأ الحديث فيها عن موضوع، أو نقطة محددة، ثم يتوسع الحديث ويتفرع، ويتشقق كالدوائر التي تنداح في الماء بعد إلقاء حجر فيه، حتى يصل إلى مدى بعيد يحيط بالكلمة أو الموضوع الأصل.

والمؤلف يتحدث في موضوعات كثيرة، رآها ضرورية للطفل قبل البدء في أبواب الأحرف، ومن الموضوعات التي يتحدث فيها، موضوعات العلم والتعلم، وما يحتاج إليه المتعلم والتعلم من مزايا وصفات وهمة عالية، وفضل العلم وأدب المتعلم ومكانة العالم، والفرق بين المتعلم والجاهل، وأثر ذلك في الفرد والمجتمع. ولا يعرض هذه الأفكار بشكل مباشر؛ بل يسوق الأخبار والأحداث والحكايات، والآيات، والأحاديث، والأشعار، وسير العلماء.. إلخ. فطريقته ليست طريقة صارمة جامدة، وإنما يعتمد على التنوع، والاستقصاء، والاستطراد بأسلوب عفوي واضح بسيط، لا يجد القارئ عناء في متابعته وفهمه، مع وصول المؤلف إلى غايته من الموضوع، والإلمام بكل جوانبه.

واستغرق المؤلف أكثر من ٢٥٠ صفحة قبل أن يدخل إلى عرض طريقته، وخلال ذلك استعرض كثيراً من الموضوعات التي اختارها لتكون مفتاح هذا الكتاب، أو فصولاً ضرورية للدخول إليه، وخلال هذه الموضوعات قدم لابنه - أو للأطفال - كثيراً من الفوائد في مجالات السلوك والاعتقاد والتاريخ، والمعرفة، والأخبار.. إلخ.

ومن الموضوعات التي عرضها في هذا القسم من الكتاب:

- المعلم والمتعلمون، وشروط التعلم وآداب المتعلمين.
- البلاغة ومعانيها وأهميتها.
- فضل الكلام على السكوت، وفضل السكوت على الكلام.
- تعلم العربية، وخطر اللحن والجهل بالعربية.
- قول في الشعر، والشعراء، ومأثور الشعر، والأوزان.
- الحديث عن كتاب ألف باء، والاعتذار عما يقع فيه من أخطاء.
- الذوق وأنواعه، ولاسيما في الشعر.
- ثم ينتقل للتحدث عن حروف المعجم، وشرفها، وفضلها، وفي الكتابة وبداياتها.
- الحروف المقطعة في أوائل السور.
- مُعلِّم القرآن، وما ينبغي له وما يُكرَه.
- الخط والكتابة.
- حسابات أبجد هوز، والحساب بالحروف، ومعرفة حلول الشمس في منازل الفجر.
- الساعة ودابَّة الأرض وبعض الأمور الخاصة بالقيامة.
- ثم عاد للحديث عن الحروف واشتقاقاتها ومعانيها.

ولا ينسى المؤلف أن يطلب من القارئ تنبيهه على السقطات التي تقع في الكتاب، إن كان حيًا، وإذا كان ذلك بعد مماته، فليأخذ بالفائدة وليترك ما لا فائدة منه: «وأنا أقول لمن وجد في هذا الكتاب لفظًا مستعملاً مبتذلاً، أو كاملاً مقفراً موعراً:

انظر إلى الفائد لا غيره
وخذه ولو كان على الغرّة
ولا تلم من ضمه الوزن أن
يجمع بين الجزع والضرة

ويقول لمنتقديه معتذراً، ومعترفًا بتقصيره، وموضحًا صعوبة ما أقدم عليه:

أنا المقرّ بجهلي
وأنت صاحب فضل
أخو ذكاء وعقل
وذو زكاء ونبل
قل ما تريد فإني
جعلت في الحِلِّ خلّي
ولست في ذاك بدعًا
قد قيل في الناس قبلي
لكن ترى سائر البا
ب باقيًا دون قفل
التاء والثاء حتى
للياء سهلَ بن سهل
انزل عليه وألّف
وضم شكلاً لشكل

توجه مؤلف الكتاب إلى الأطفال ليقدم لهم ما اهتدى إليه بعلمه وتجربته، ووضع لهم علامات تبصرهم بطريق الرقي والنجابة والاستقامة، وقدَّم لهم مايغذي الروح والفكر

حتى ترى كيف تقفو
وكيف تسلك سبلي
أو كيف تعجز عنها
تقول ماذاك شغلي(٢١)

ويورد بعض الشواهد على عملية التأليف فيقول: «وحدثني السلفي رحمه الله فيما رواه عن أبي نصر عن أحمد أنه قال: سمعت أبا بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ يقول: من صنّف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس، وأنا قد عوّلت على هذا فاسترحت، وجعلت الناس مني في حلٍ فأرحتُ، وقلت:

هنيئًا مريئًا غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلّت

لكن على شريطة من رأى خللاً فلينبهني عليه إن كنت حيًّا، وإن كنت ميتًا فليصلحه إن كان من أهل العلم وذوي الفهم...»(٢٢). واستشهد على ذلك بقول للإمام الخطابي(٢٣).

ولكي نزيد الأمر إيضاحًا نستشهد بفقرة من كتابه، لتوضيح الطريقة التي سار عليها، وكيف يستطرد، وينتقل من معنى لآخر، ومن كلمة لخبر، لحديث... وهكذا.

تحدث عن كلمة «دنر» فوضح معناها، وذكر من تسمى باسم من اشتقاقاتها مثل: بني دينار، وذكر عددًا من الأخبار التي تتعلق بأي كلمة مشتقة من الكلمة الأصلية، واستشهد بعدد من الأشعار، ثم انتقل للحديث عن الغنى ومعانيه، وأنواعه، والمحمود منه والمذموم، فذكر نصوصًا وأخبارًا وأشعارًا، وتكلم على غنى النفس، وغنى المال، والغنى والفقر، وفضل الغنى، وأخطاره، والإنفاق والزكاة والصدقات، والكنز، والمكتنزين، والأخبار الطريفة المتعلقة بهم، والصالحين، وتعاملهم مع الدراهم.. إلخ.

وفي القسم الثاني من الكتاب، في جزئه الأول، يبدأ في ترتيبه للحروف على الطريقة التي اختارها، ويأخذ كلمة: آب(٢٤) فيضعها في بيت من الشعر، ويشقق الكلمة، ويستعرض ما حولها من معان وأخبار وأحكام، ويمضي في هذا إلى أن ينتهي إلى باب الألف مع الياء(٢٥). وينهي الكتاب بهذه السطور: «والحمد لله ربّ العالمين، وأستغفر الله الغفور الرحيم، وأنت فلا تظنن هذا الكلام المنتقى سهل المرتقى، بل هو عندي أغرب من العنقا، وأبعد منالاً من تخوم البلقا، إلا على من يسّره الله تعالى عليه، وسهله وأقامه له وأهله، فإن كنت في ريب من هذا أو شك، فالتجربة هي المحك، اسبرْ واخبرْ تعلمْ، أو اقبر واستر تسلمْ، وأنا قد فرغت من مقالتي، وأعدها من بطالتي، وأتيت على قدر مقدرتي، وقدمت معذرتي وأقول:

أستغفر الله مما ذكرت لغواً وسهوا
وأنت إن كان هذا الكلام عندك لهوا
خذ ما أردت، وما لا تريد فاتركه رهوا
وقل: سواء، ولا تَثْنِ عنه عطفك زهوا

ثم توجه بالدعاء والاستغفار والرحمة، والفوز بمرضاة الله عز وجل، والصلاة على النبي محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه وسلم(٢٦).

هذه لمحة سريعة عن هذا الكتاب النفيس في بابه، المتقدم في التنبيه على ضرورة التأليف والكتابة للأبناء، كتابة متخصصة مقصودة، والاجتهاد في تقديم ما يفيدهم، ويسهم في ترتيبهم وإعدادهم للمستقبل، ويتوجه المؤلف في كتابه هذا، إلى هذه الفئة المهمة، ليقدم لهم ما اهتدى إليه بعلمه وتجربته، وليجتهد في وضع علامات تبصرهم بطريق الرقي والنجابة والاستقامة، واختار فيما قدّم ما يغذي الروح والفكر والنفس، ويزود الأطفال بالعلم والمعرفة والخبرات المختلفة والمهارات المتنوعة. وجال مع الأبناء في حقول المعرفة والعلوم، والتاريخ والمجتمع والأدب والسلوك، واستخدم الطرق المباشرة وغير المباشرة، من طريق الآية الكريمة، والتفسير المنتقى، والحديث الشريف، والخبر المأثور، والحكاية المناسبة، والأبيات الدالة على المعنى، والحكم المختارة، والطرائف الظريفة. وكان يتوقف بين حين وآخر ليقدم فائدة ويقول للقارئ: إن هذه «فائدة»، «وهذه أيضًا فائدة في السند أيها الولد»، و«فائدة زائدة»(٢٧)، و«فائدة في القوافي، دامت لنا ولكم العوافي»، «وخذ هداك الله فائدة، على ما تقدم زائدة في معنى اللغز»(٢٨). والفوائد يسوقها بأسلوب بسيط أليف، فيه كثير من التحبب والتقرب إلى الطفل، والوضوح والعفوية والحنو.

لقد خط المؤلف في هذا الكتاب - في نظري - طريقًا جديدًا متخصصًا في الكتابة، قبل أن يكون هناك من تنبّه إلى ذلك في الشرق أو الغرب، وحمل الدعوة إلى أدب متخصص للأطفال، وكتابة متخصصة للأبناء، واجتهد في تقديم صورة عملية، قدم من خلالها كل ما لديه من معرفة وخبرة وثقافة، وعلم، وإلمام بما يناسب النشء في زمانه، وما يصلح من شأن الأولاد ويعينهم على النشأة السوية والتربية الصالحة.

وإذا كان أسلوب الكتاب - كغيره في ذاك العصر - مشحونًا بالسجع والجمل المتوازنة، والمحسنات البديعية الأخرى، فإن ذلك تابع لذوق العصر، وسمة الكتابة فيه، وليس هذا عيبًا في حد ذاته، لأن الكتاب مناسب لعصره، في أسلوبه واختياراته، ومن الخطأ أن نحاكم طريقته وموضوعاته وأسلوبه بمقاييس عصرنا، فلقد رأينا من يقود الجيوش، ويدير أمور الدول، ويجلس مجلس العلم ليحدث الناس وهو حدث صغير. والمؤلف يراعي ذلك فيما اختار، بل إنه في هذا التنوع، والانتقال من موضوع لآخر، ومن فكرة لثانية، ومن طرفة إلى حكاية إلى خبر إلى رأي.. إلخ، قد أضاف ميزة مهمة لكتابه. فالقارئ لا يملّ، ولا ينفر من صرامة الفكر وجدية العلم، بل يجدد نشاطه، وينتقل بقراءته من موضوع لآخر.

إن هذا الكتاب بحاجة إلى دراسة مستقصية، ترصد ما فيه من موضوعات وأفكار، وآراء، وحوادث وأخبار، وتبين أنواع الأساليب التي استخدمها، وتنقل بينها، لكي يصبح الكتاب واضحًا، وليكون معلمًا من معالم تراثنا في هذا المجال.

إن سيرة المؤلف الصالحة، وعلمه الغزير أمليا عليه هذا التأليف النفيس الذي لا يزال غفلاً، يحتاج إلى كثير من البيان، وإلى دراسة عميقة شاملة(٢٩).

وحسبي أنني - في هذه العجالة - نبهت على هذا الكتاب، وأشرت إلى بعض ما فيه، لأسهم - كما أسلفت - في العودة إلى تراثنا في هذا الباب وفي غيره، لكي لا نلقي بأجيالنا المقبلة في بحر الظلمات، عندما نسلمهم إلى التقليد، والمسلسلات الخطرة، والكتابات التي جعلت ما ينتجه الغرب نبراسًا لها، يُلقى به إلينا، لنأخذه مستهلكين، لا منتجين، ونترك أطفالنا وسط هذا الخضم لتتزلزل عقائدهم، وتُقتلعَ أصولهم، وتُغرسَ في نفوسهم شتى الاتجاهات والميول التي تنأى بهم عن دينهم وأمتهم، وتجعلَهم أتباعًا ومقلدين، تجرهم شهواتهم ومطامعهم إلى الآخرين، ويُديروا أظهرهم لأمتهم.

الهوامش:

١- انظر كتاب: شروط النهضة لمالك بن نبي رحمه الله، فصل: بين التكديس والبناء.
٢- انظر كتاب: أدب الأطفال لهادي نعمان الهيتي ١٠٣.
٣- السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني، لوليد الأعظمي.
٤- انظر: في أدب الأطفال، د. علي الحديدي ٢١٦، و:في الرواية العربية لفاروق خورشيد من ١٧٧-١٨١، ومن ١٨٥-٢٠٤. وانظر لصاحب البحث كتاب: في القصة الإسلامية المعاصرة ١٥-٤٤.
٥- انظر لصاحب البحث كتاب: أدب الأطفال، أهدافه وسماته، ط٢ (١٦-٢٤)، (٥٢-٦١).
٦- لقد دلني على هذا الكتاب فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالرحمن الباني حفظه الله، وقد أشار إلى أهميته وأسبقيته في هذا الفن.
٧- كما ورد عن المنذري في كتاب: التكملة لوفيات النقلة، ج٢١.
٨- الأعلام ٩-٣٢٧.
٩- سير أعلام النبلاء ٢١/٤٧٩، ٢٤٣.
١٠- الأعلام، وكشف الظنون ١/١٥٠.
١١، ١٢- كتاب: ألف باء ١/٣، ١/٦٤.
١٣- أدب الأطفال للمؤلف ١١٣.
١٤-٢٢- ألف باء ١/٦٤، ١/٨٧، ١/٩-١٠، ١١-١٢، ١/١٢، ١/١٣، ١/٣٤٥-٣٤٦، ١/٦٦، ١/٦٧.
٢٣- الإمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (٣١٩-٣٨٨هـ)، من علماء الحديث المشهورين.
٢٥-٢٨- الكتاب ١/٢٤٧، ٢/٥٧٠، ٢/٥٩٣، ١/٤، ١/١٠-١١.
٢٩- إن الكتاب في طبعته الحالية، لا يساعد الدارس على إنجاز ما يريد، وهو بحاجة إلى تحقيق علمي رصين، وطباعة واضحة، وإخراج فني مناسب، وتبويب وتقسيم وفهرسة، لكي تتوضح ميزاته، وترصد معلوماته وموضوعاته وأفكاره وأخباره وأعلامه.



بين البادية والحاضرة

د. محمود جبر الربداوي

قال القُطامي يفخر بقومه وبالبادية على الحاضرة(١):

ومَنْ تكنِ الحضارةُ أعجبتْهُ	**فأيَّ رجالِ باديةٍ ترانا؟**
ومن ربط الجِحاشَ، فإنَّ فينا	**قَنًا سُلُبًا(٢) وأفراسًا حِسانا**
وكُنَّ إذا أغرنَ على جَنابٍ(٣)	**وأعوزهن كُوزٌ حيث كانا**
أغرنَ من الضِّباب(٤) على حَلالٍ	**وضَبَّةَ، إنه من حان حانا**
وأحيانًا على بكرٍ أخينا	**إذا ما لم نجد إلا أخانا**

مرّ الجنس البشري بمراحل متعددة من صور الاجتماع وأشكال التمدن قبل أن يصل إلى هذه المرحلة التي نحن فيها من التطور الحضاري، واستغرق مكوثه في كل مرحلة زمانًا طويلاً، وطول هذا الزمان كانت تفرضه عوامل البيئة التي كان يعيش فيها، وما يتناوب عليها من عوامل مناخية من خصب وجُدوبة، وتصحّر ورطوبة، وعوامل اجتماعية من أمن وخوف وحرب وسلام. ولعل آخر مرحلة سبقتْ مرحلة حضارتنا هذه تلك المرحلة التي ودّعناها قبل قليل والمسمّاة بمرحلة البداوة، وهي مرحلة مديدة عاشها آباؤنا وأجدادنا العرب في جزيرتهم المسماة باسمهم، وقد أحبوها لدرجة العشق، على ما قيل فيها من سلبيات وإيجابيات. تقاسموا معها شظف العيش ومرارة الحياة، ولكنهم قلما هجروها وارتادوا غيرها، كانوا يتحاربون ويقتتلون ولكنْ للبقاء فيها، وكانوا، وما زالوا، يفتخرون بحياتهم البدوية هذه، على شظف العيش وشُحّ الموارد. والذين قُدِّر لهم أن يستبدلوا بها حياةً مدنية حضرية حافلة برفيه العيش ما زالوا يحنّون إلى تلك الصور من حياتهم البدوية، وهو حنين طبيعي في الجِبِلَّة البشرية؛ لأنهم، عدا عن حنينهم لأوطانهم ومرابع صباهم، يحنّون أيضًا لماضيهم فيها؛ لأنه مستودع ذكرياتهم، ومراتع أحلامهم الأولى، ومنبت طموحاتهم وتطلعاتهم، فلهذا تنزع إليها نفوسهم، ولاسيما عندما يقابلونها بحياة المدنية، وما تسرّب إليها من فساد النفوس البشرية، وتكالب على متاع الدنيا الزائل، وتنافس على سقط المتاع، لذلك تدور في مخيلاتهم حياة البداوة البريئة من كثير من مفاسد الحضارة؛ فيتشوقون إلى عيش ألفوه ثم ولّى ولم يعد ثانية، يحنّون إلى حياة البداوة التي تخلق في المرء الرجولة، وتنمي فيه أسباب الحرية والطباع الأصيلة، وتجعله يحافظ على الموروثات الرصينة والأخلاق الفاضلة التي لم تهبَّ عليها رياح الغرب والشرق فتلوث نقاءها، وتكدّر صفاءها.

يقول ولْ ديورانت في قصة الحضارة: «إن البدوي كان يحب الصحراء القاسية؛ لأنه يتمتع فيها بكامل حريته»، ويصف المستشرق دي فرجييه البدوي بعبارة مختصرة أنه (جمّاع أضداد)، فهو قوي الشكيمة، صعب المراس، رفيقه سلاحه وفرسه، محب للحرية، يأنف من الظلم، لا يؤمن إلا بالمساواة، محبٌّ لعشيرته وقبيلته، يتفانى في الدفاع عنهما، كريم يوقد النار ليلاً للضيوف، يدافع عن الجار، وعن العرض، يصنع المعروف ويمد يد العون، ويحمي الضعيف، ويحافظ على العهد، يقدّس القوة ويكره الجبن. تلك بعض خصال البدوي، فمن لا يعشقها ولا يهوى الانتماء إليها؟!

ولهذا وجدنا شاعرًا قديمًا كالقطامي(٥) ينفر من حياة الحضارة وحياة المعجبين بها، ويرى أن الحياة هي حياة رجال البادية الذين يُعدّون ما استطاعوا من رباط الخيل و(الأفراس الحسان) والرماح الطوال، ألم يبدأ قصيدته بعرض هذه الثنائية: ثنائية حياة الحضارة وحياة البادية عندما قال:

ومن تكن الحضارة أعجبته
فأيّ رجال بادية ترانا؟!
ومن ربط الجحاش، فإن فينا
قنًا سُلُبًا وأفراسًا حسانا

إلى أن يدفعه التطرف في المدح، والمبالغة في الفخر بالفروسية إلى الإغارة على إخوته من قبيلة بكر عندما لم يجد من يغير عليه سوى بكر. وإذا

كنا لا نُقرّه على أن يفجّر هذه الطاقة التي طال إعداده لها، فإننا نلتمس له العذر أن يقول:

وأحيانًا على بكر أخينا

إذا ما لم نجد إلا أخانا

لأنه أولاً يعيش أو يتردد إلى منطقة صحراوية، ذات موارد شحيحة، وكل من فيها يطمح للبقاء، والبقاءُ هنا للأقوى، وثانيًا، هو العربي صاحب الشمم البدوي والعنجهية العربية والصلف التغلبي، أليس هو من القوم الذين:

لا يسألون أخاهم حين يندُبُهم

في النائبات على ما قال برهانا؟

هذه ثنائية الحضارة والبداوة كما صورها شاعر بدوي من شعراء القرن الهجري الأول، تردد بين نجد وبادية الشام. فماذا عن البداوة والحضارة في شعر شاعر عاش في القرن الرابع، وتردد بين بادية السماوة ومدن الشام ومصر والعراق؟ ذلكم هو الشاعر الذائع الصيت أبو الطيب المتنبي (ت:٣٥٤هـ)، فله رأي حصيف طريف في هذه الثنائية، ولكن ثنائيته من نمط طريف أيضًا هي ثنائية البدويات والحضريات. والمتنبي مهما قيل عن رأيه في المرأة ومشاعره تجاهها؛ فهو يحب البدويات ويفضلهن على الحضريات، ويرى في البدويات صفاء الخَلْق والخُلُق، الخلق الطبيعي الذي لم تمتد إليه يد الحضارة بالتزويق والتمويه والبهرجة و(الماكياج). وأظنك قد استوقفتك في يوم من الأيام أبياته التي يقول فيها:

ما أوجُهُ الحَضَر المستحسناتُ به

كأَوجُه البدويَّات الرَّعابيب(٦)

حُسْنُ الحضارة مجلوبٌ بتطرية

وفي البداوة حُسْنٌ غيرُ مجلوبِ

أفدي ظِباء فلاة ما عرفن بها

مضغَ الكلام ولا صَبْغَ الحواجيبِ

ولابرزنَ من الحمَّام ماثلةً

أوراكُهنَّ صقيلات العراقيبِ

ومِن هوى كلِّ من ليست مموّهةً

تركتُ لون مشيبي غير مخضوبِ

عُد إلى ديوان المتنبي إذا كان من مقتنياتك، واقرأ قصيدته البائية التي منها هذه الأبيات تجد صورة رائعة لطبيعة كل من البدويات والحضريات، ولكن ألهانا - نحن قراء المتنبي - عن تأمل الغزل الرائع في مطلعها المدحُ والحكمة التي تناثرت بين أبياتها.

فلو وقفت على موازنته بين البدويات والحضريات، والفرق بين الجمال المطبوع والجمال المصنوع لأدركت أن المتنبي (عليمٌ بحالات النساء خبير).

ولكن دعني من المتنبي وغزله بالبدويات، فليس غرضي هنا أن أتحدث لا عن غزل المتنبي ولا عن بدوياته، وإنما أريد أن أعود بك من حيث بدأت عن البادية وتعلق إنسانها بها، ونزوعه إليها، وأحيلك معي إلى رسالة ألفها الجاحظ سماها «الحنين إلى الأوطان» قال فيها: «وترى الأعراب تحن إلى البلد الجدب، والمحل القفر، والحجر الصلد، وتستوخم الريف»(٧). «بل لقد بلغ من حب العرب لديارهم أنهم كانوا إذا رحلوا للغزو أو للنُجعة حملوا معهم من تربة الدار رملاً أو ترابًا يستنشقونه عند نزلة أو زكام أو صداع»(٨).

ولقد أوقفتك فيما مضى من حديث على رأي شاعرين كبيرين في البادية ورجالها ونسائها، ولكنني أريد أن أعرِّج بك على رأي المرأة في البادية والحنين إليها. وحنينُها أشد من حنين الرجل، وأظنك توافقني على ذلك إذا تذكرتَ معي قصة ميسون بنت بحدل الكلبية (ت: نحو٨٠هـ) زوج معاوية بن أبي سفيان وقصيدتها الفائية التي صوَّرت فيها نزوعها لحياة الخيمة في البادية، وتنازلت فيها عن حياة قصور الخلافة في دمشق، ومنها:

ولبس عباءة وتقرّ عيني

أحب إليَّ من لبس الشفوف

ومثلها من النساء البدويات عدد كبير(٩).

ولكني هنا أكتفي بقصة حسانة الضبّيَّة التي روت قصتها وقصيدتها كتب كثيرة، منها رسالة الجاحظ في الحنين إلى الأوطان، نقل الجاحظ عن زوج حسانة أنه قال: «أمرتُ بصهريج لي في بستان، عليه نخلٌ مُطل أن يُملأ، فذهبتُ بأم الحسام إلى الصهريج، فلما نظرت إليه قَعَدَت عليه وأرسلتْ رجليها في الماء، فقلتُ لها: ألا تطوفين معنا على هذا النخل لنجني ما طاب من ثمره؟ فقالت: ههنا أعجب إليّ... فانصرفنا وهي تخضخض رجليها في الماء وتحرك شفتيها، فقلت: يا أم الحسام، لا أحسبك إلا قد قلتِ شعرًا، قالت: أجل، ثم أنشدتني(١٠):

أقول لأدنى صاحبيَّ أُسِرُّهُ

وللعين دمعٌ يحدرُ الكُحل ساكِبُهْ

لعمري لنِهْيٌ(١١) باللوى نازح القذى

نقيُّ النواحي غير طرق مشاربُهْ

أحبُّ إلينا من صهاريج(١٢) مُلِّئتْ

للعب، فلم تَمْلُح لديَّ ملاعبُهْ

فيا حبذا نجدٌ وطيبُ ترابه

إذا هضبتْهُ(١٣) بالعشيِّ هواضبُه

وريحٌ صَبا نجد إذا ما تنسَّمت

ضحًى أو سرت جُنحَ الظلام جنائبه(١٤)

وأقسم لا أنساه ما دمتُ حيَّةً

ومادام ليلٌ من نهارٍ يعاقبُه

أرأيت إلى هذه البدوية وتعلقها بالبادية وتراب نجد ونسيمها، وتفضيلها لغدير صغير كالمستنقع في ناحية قصيّة من البادية على بركة حسناء تحفُّ بها الأشجار وتتدلى فوقها الثمار، وما ذاك إلا لحب الوطن وعشق العطَن.

الهوامش:

١- ديوان القطامي ٧٦/٧٧.
٢- قنًا سلبًا: رماحًا طويلة.
٣- جناب: اسم قبيلة، وكُوز: قبيلة من أسد.
٤- الضباب أو الرباب: مثل جناب قبيلة من بني كلب.
٥- القُطامي: هو عمير بن شييم التغلبي، شاعر أموي، يقال: كان نصرانيًا ثم أسلم، توفي في أول القرن الثاني الهجري، وقيل سنة ١٣٠هـ، له ترجمة في أكثر المصادر القديمة، وجُمع ديوانه، وله قصائد جميلة، أجملها التي مطلعها:

إنّا محيُّوك، فاسلم أيها الطَّلَلُ
وإن بَليت وإن طالت بك الطِّيَلُ

والتي يقول فيها:

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزللُ

٦- الرعابيب: جمع رعبوبة: وهي الفتاة الطويلة الممتلئة. انظر القصيدة كاملة في ديوانه ص٤٤٨، دار صادر، بيروت.
٧- رسائل الجاحظ، رسالة الحنين إلى الأوطان ص٨ من الجزء الثاني من الرسائل.
٨- السابق نفسه، ص٢٠..
٩- انظر المقال الذي كتبتُه بعنوان: عندما تحنّ البدوية إلى البادية. ومقال آخر بعنوان: مشاعر بدوية تزوجت في الحاضرة.
١٠- رسالة الحنين إلى الأوطان ٣٩٨/٢، ومحاضرات الراغب ٢٧٦/٢، وشرح درة الغواص ص٩٩.
١١- النِّهي: الغدير الصغير. اللوى: منعطف الرمل. والطرق: المطروق أي على طريق المارة.
١٢- الصهريج: البركة الاصطناعية.
١٣- يقال: هضبتهم السماء: أي أمطرتهم، والهواضب: السحائب.
١٤- الجنائب: جمع جنوب، وهي الرياح التي تأتي من الجنوب، عكس الشمال.



هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة ـ وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر ـ ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة حولها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، بحوار رشيد وطرح موضوعي يعمق أسس الحوار، حيث يتحلى بالحكمة لندرك الصواب، ويتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس، ويتحلى بالعلم لنلتقي على ثوابت راسخة، ويتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبالحلم قهراً للغضب، وبالعفة نؤدب بها نشوة الشهرة بأدب الشرع وميزان العقل.

س ما تفسير مصطلح «موت المؤلف» الذي يكثر استخدامه في النقد الحديث؟ ولماذا لا نبادر ـ نحن العرب ـ إلى إبداع المصطلحات النقدية التي تلائم النتاج الإبداعي العربي؟

تامر محمد يعقوب
أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

VIA AIR MAIL
PAR AVION

السؤال من شقين يستفسر أولهما عن مصطلح «موت المؤلف» الذي كان يكثر استخدامه في النقد الحديث، وأودّ من الأخ السائل أن يلحظ قولي: «كان يكثر استخدامه» لأنه مصطلح ينتمي إلى مرحلة النصوصية التي صار إليها الناقد الفرنسي رولان بارت ROLAND BARTHES في أواخر الستينيات، وتوّجها كتابة «لذة النص» ١٩٧٣م؛ فهو إذاً، ليس من مصطلحات البنيوية كما يقول الدكتور عبدالله الغذامي (ثقافة الأسئلة ١٩٩٢م)، ولكنّه جاء لدى بارت في مرحلة دخوله إلى النص على أنه عالم حي متحرك ومفتوح والقارئ يدخله بوصفه عاشقًا ومولّها يغار عليه حتى من صاحبه.

يقول بارت في لذة النص: «ليس وراء النص كائن فاعل، وليس أمامه كائن منفعل»؛ وإنّ هذا القول وغيره مما نجده عند بارت كان إرهاصًا بالتطور الذي حدث في مفهوم النقد، إذ صار للناقد منزلة لا تقل عن منزلة المؤلف (المبدع) إن لم تتجاوزها؛ وهذا ما عُرف بنظرية التلقي أو «الاستقبال». إن مفهوم «القارئ المبدع» ـ أو حسب ما قاله الدكتور الغذامي «المنتج» ـ: «لن يحدث إلا بتراجع سلطان المؤلف على النص، أو بالأحرى لابد من إزاحة الكاتب عن عمله وإحلال القارئ محله لكي يتحرك النص بالقوة الجديدة الطارئة عليه، ومن هنا يمكن للنص أن تتجدد فيه الحياة ويتأسس المرة تلو الأخرى حسب تعاقب القراءة المنتجة، وهذه هي غايتها».

إنّ قراءة نص من النصوص بحضور مؤلفه في كُلّ مرحلة من مراحل القراءة يجعل تلك القراءة أحادية النظرية، مقيدة بقيود الوضع الاجتماعي والنفسي والثقافي لشخص المؤلف. إن مفهوم «الموت» في المصطلح «لا يعني الإزالة والإفناء ولكنّه يعني أن القراءة تحصل موضوعيًا على عدة مراحل: مرحلة الاستقبال، ثم التذوق، ثم التفاعل وإعادة إنتاج النص». وإذا أردنا لذلك أن يتم موضوعيًا فإنه ينبغي أن يتم بغياب المؤلف، حتى إذا ما تم للقارئ إعادة إنتاج النص فإنه من الممكن حينئذ أن يعود المؤلف إلى النص ضيفًا عليه؛ فالمؤلف كما قال المتنبي:

أنامُ ملءَ جفوني عن شواردها
ويَسْهَرُ الخلقُ جرّاها ويختَصِمُ

لقد كان تفسير العمل قبل مصطلح موت المؤلف يتجه على الدوام إلى جانب من أنتجه، وقد كان في ذلك العمل على الدوام أيضًا صوت شخص واحد؛ إنّه صوت المؤلف الذي أدلى «بمكنوناته». لقد تغير الوضع بعد ظهور مصطلح «موت المؤلف»، وصار النظر النقدي ينصب على النص الذي أعاد القارئ إنتاجه.

إن الموت هنا إرجاء وتعليق للعلاقة بين الكاتب ونصه، وليس الموت هنا موتًا بالمعنى الدنيوي. إنه ابتعاد المؤلف، ابتعاداً حقيقيًا يجعل الحديث عن «فك رموز» النص زعمًا لا فائدة منه، وبذلك يصبح النص مفتوحًا قابلاً للتوضيحات المتتالية، ويختصم الخلق جرّاه وهذه صفحات النص الخالد، وهي سمات لا تتوافر إلا في عدد قليل من النصوص.

أمّا الشق الثاني من السؤال فإن الإجابة عنه تحتاج إلى مكان أوسع ولكنني أقول باختصار: إن المصطلح يتم نقله من سياق ثقافي إلى سياق ثقافي آخر يكتسب معه دلالات لم تكن له في السياق الأصلي؛ وهذه هي الحال منذ ترجمة «كتاب الشعر» لأرسطو إلى العربية وحتى يوم الناس هذا. ولكن ذلك النقل وإكساب المصطلحات دلالات جديدة ينبغي أن يقوم به القادرون على ذلك ممن خبروا تراث الأمة بكل جوانبه، وبذلك يصبح للمصطلحات مفهومات مختلفة عن حالها لدى أصحابها الذين اصطنعوها. إن وهم الخصوصية والمصطلحات التي تلائم النتاج الإبداعي لشعب دون آخر أصبح اليوم أمرًا يكاد يكون مستحيلاً وقد تحوّل العالم إلى قرية صغيرة. إن الحفاظ على التراث وتطعيم المعاصرة بإبداع عقول الآخرين أمران ينبغي أن يكونا متوازنين وبذلك لن يكون هناك ضير من استخدام مصطلحات الآخرين بعد أن تخضع لعملية التحويل التي تجعل لها مكانًا في سياقنا الثقافي العربي.

د. محمد خير البقاعي

أبدأ في ردي على السؤال الأول من حيث انتهى رولان بارت صاحب هذا المصطلح الذي أسيء فهمه كما أسيء استخدامه. يقول رولان بارت: «إن إعطاء نصٍ ما مُؤلِّفًا يعني أن نفرض حدودًا على النص، وأن ندخل فيه غائية ذات فائدة معينة تنهي عملية الكتابة». أي إن رولان بارت يفترض - وهذا حقه في الطرح النظري - أن وجود المؤلف إبان العملية النقدية يفسد الذائقة النقدية. فهو يرى أن المؤلف تعريفًا يعنى «الماضي» أو القَبْليَّة بالنسبة لنصه، أما الكتاب/ النص فيعني البَعْديَّة أو «الحاضر». والنص في نظره «نسيج من المقتطفات تُشتَقّ من عدد لا حصر له من مراكز الثقافة». وإجمالاً هو يرى «أنه عندما يبدأ المؤلف في دخوله إلى الموت، تبدأ الكتابة».

ولست أرى في ذلك التعريف الذي يطبقه رولان بارت على الرواية، ويختص به «مالارميه»، أي اعوجاج أو انحراف فكري. فالرجل يريد أن يوفر للنقد جميع أجواء الموضوعية الممكنة. فهو يستثني حياة الكاتب، ومغامراته، والأجواء الاجتماعية والسياسية التي عاش فيها، حيث يرى أن الكتابة «تفكيك لكل صوت، ولكل نقطة أصل. والكتابة هي الوسط المحايد المركب وغير المباشر الذي تتدفق إليه موضوعاتنا. والكتابة أيضًا هي الوسط السالب الذي تضيع فيه كل ملامح شخصية المؤلف، وتبدأ معها ملامح شخصية الذات الكاتبة»(١).

ولقد هوَّل بعضهم موقف بارت حول موت المؤلف، وحَمَّلوا نظريته - التي لخصناها في الفقرة الأولى قدر المستطاع - أكثر بكثير مما هي في الأصل. ولا يعقل أن تكون ست كلمات بين قوسين في مقالة بارت مسرحًا لهذا الخطل الذي نسمع به من وقت لآخر حول نظرية بارت الذي يُعَرِّف النص قبلها على أنه «ليس أسطرًا من كلمات تفضي إلى معانٍ «لاهوتية».... ولكنها وسط متعدد الأبعاد تختلط فيه وتتصارع العديد من الكتابات لا يكون لأي منها صفة الأصالة»(٢).

وسوء الفهم في حالة رولان بارت، وتحميل نصه ما لا يحتمل بسبب الحكم المسبق على كل النظريات النقدية الحديثة، يقودنا إلى الشق الثاني من السؤال: لماذا لانبادر - نحن العرب - إلى إبداع المصطلحات النقدية التي تلائم النتاج الإبداعي العربي؟ وأود بداية أن أقول: إن عقدة الدونية تسيطر على معظم الأعمال الإبداعية العربية الحديثة، وهذا مما جعل النص العربي تقليدًا للنصوص الغربية في معظمها: نثرًا وشعرًا. والدراسات الجادة وغيرالجادة تتحدث من وقت لآخر عن سرقة أعمال لكتاب غربيين أو ترجمتها إلى العربية مع بعض التحريف. ومع موجة النقل الأعمى عن الغرب - مع الشعور بالدونية تجاهه - نشأ سبب مباشر في تحقير كل محاولة للإتيان بمصطلح عربي من البيئة واللغة العربيتين. فنحن ننقل ولا نتفحص، ولذا امتلأت ساحات النقد العربي في أيامنا هذه بمصطلحات لا تُفهم. وهي - في معظمها - ترجمة حرفية لما يدور في النصوص الغربية، التي لا نعاديها، ولكن نعادي ضيق أفق مترجمها وناقلها. وإليك مثال: «إن إحدى خصيصات الأبحاث المترجمة هنا هي كونها تسعى لإقامة تصور منهجي ونظري يستهدف البحث في خصوصية النص دون أن يعني ذلك التقوقع المعرفي فيما عرف بالمحايثة أو مايمكن دعوته بالجوهر الجواني للنص»(٣). وهذه هي الفقرة الأولى من تقديم ترجمة كتاب جوليا كرستيفا «علم النص» لفريد الزاهي ومراجعة عبدالجليل ناظم. وإليك فقرة ثانية: «في أيديولوجيم الرواية (كما في أيديولجيم الدليل) لا يتم القبول بلا اختزالية الأطراف المتعارضة إلا إذا كان الفضاء الفارغ للقطيعة التي تفصل بينهما مملوءًا بتركيبات سيمية ملتبسة»(٤).

إلا أن الحكم بالدونية أمام الغربي ليس قاطعًا، فقد شهدت الساحة النقدية العربية محاولات جادة لتقديم مصطلح عربي نقدي خاص بنا ومساير، في الوقت نفسه، للمصطلح الغربي، ومن تلك المحاولات: «معجم مصطلحات الأدب» (١٩٧٤م) للدكتور مجدي وهبه؛ «المعجم الأدبي» (١٩٧٩م) للأستاذ جبور عبدالنور؛ «النظرية الأدبية المعاصرة» (١٩٩١م) لرامان سلدن، ترجمة الدكتور جابر عصفور؛ «دليل الناقد الأدبي» (١٩٩٥م) للدكتور سعد البازعي بالاشتراك مع الدكتور ميجان الرويلي؛ وأخيرًا: «المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزي عربي» (١٩٩٦م) للدكتور محمد عناني. وهي محاولات علينا أن نشجعها وأن نستثمر جهد أصحابها في الاستمرار بقوة الدفع التي تعطيها للمصطلح النقدي في اللغة العربية بطريق الترجمة أو التأليف أو النحت.

وتبقى مشكلة التطبيق على النصوص العربية قائمة. وإخال أن من يفصل بين النقد النظري والنقد التطبيقي إنما يعبر عن ضعف شديد في أدواته النقدية. فكيف يمكن أن نسمع من ناقد محاضرة كاملة عن موت المؤلف، مثلاً، ثم لا نسمع تطبيقًا على مثال واحد من الرواية؟ ومشكلة ثانية، هي الاجتراء على النصوص. فرولان بارت - على سبيل المثال - حينما طبق نظريته في «موت المؤلف» كانت القصة مجاله؛ فهو يعرف حدود التجربة النقدية التي يتبعها. إلا أننا نجد في أبناء العربية من يطبق هذه النظرية على الشعر العربي الجاهلي كله دون أن يضع أي حساب لوسطيْ التطبيق في حالة بارت وحالته. بل إنه يفاخر أن تطبيقاته على الشعر الجاهلي هي من دواعي فخره واعتزازه، ويقول: «لكن الشعر كان المجال الذي اخترت لعملي أن يتم فيه، وكانت الصعوبات في تطوير المنهج ضخمة بحق، ضخمة دونما تراث نقدي متطور يستند إليه العمل. لكن النتائج التي كانت تتجلى كانت تُغري، بثرائها النظري والتطبيقي، بمتابعة البحث ومواجهة الصعوبات بمتعة حقيقية بارتياد آفاق مليئة بالجدة والإثارة»(٥).

د. بشير العيسوي

الهوامش:

١- ROLAN BARTHES, THE DEATH OF THE AUTHOR, IN K. M. NEWTON,S, TWENTIETH CENTURY LITERARY: THEORY A READER (HAMPSHIRE: MAMILLAN, 1993), PP. 154 -157

٢- IBID. , P. 156

٣- الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٩٧م، ص١.

٤- السابق: ٢٧.

٥- د. كمال أبو ديب: «الرؤى المقنعة: نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي»، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص١٠.



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري



الثنائية بين قطعية العلم ووجوب العمل

هذه ثنائية يجب إحكامها، وهي عظيمة النفع جدًا في حل إشكال عويص بين المتكلمين والمحدِّثين. وما جعل الله المتكلمين مجردين من الصواب، وما جعل الله المحدِّثين معصومين من الخطأ.. بل الحكمة ضالة المؤمن.. إلا أن البحث عن الضالة يقتضي صبرًا، وأداة، ونزاهة عقلية، وأمانة سلوكية.

خذ مثالاً لإحكام هذه الثنائية: إن خبر الواحد العَدْل، عن الواحد العَدْل، بسند متصل: ظني العلم في نسبة القول إلى من نُسب إليه؛ لأن العدل يخطئ وينسى؛ فيسند إلى العدل سهوًا، أو يروي القول بالمعنى ويُغْفِل من اللفظ ما هو مهم، أو يلتقط بعض الخبر مُجَرَّدًا من سياقه.. إلخ.

إلا أن خبر الواحد العدل عن الواحد العدل بالإسناد المتصل في نقل الشريعة: قطعي، وموجب للعمل؛ لأن معظم بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم جاء بهذا النحو من النقل، والله ضامن حفظ دينه، فقضاؤه الكوني برهان على صدق بلوغ قضائه الشرعي.. ولكن ذلك القطع، وذلك الوجوب ليسا على إطلاقهما؛ بل بشرط الخلو من القوادح.. كأن لا يكون خبر العدل الصحيح منتقضًا بحجة عقلية يقينية؛ فحينئذ يكون ظنيًا في دلالته أو ثبوته.

وقد يكون خبر الواحد الصحيح إسنادًا ظنيًا في دلالته؛ لأنه مُعارَضٌ بغيره.. إلا أن الرجحان بجانبه؛ فيكون العمل به واجبًا وإن لم يكن قطعيًا؛ لأن إسقاط الرجحان عناد، والأخذ بالمرجوح سَفَهٌ وتحكّم.

ولا شُنْعَةَ في القول بأن بعض أحكام الشرع ظنية ـ سواء أكانت فقهية أم عقدية مما توقف فيه بعض العلماء ـ.. إلا أن بعض المتكلمين خصوا بالظنية الأحكام الفقهية، ثم عَمَّمُوا الحكم بظنيَّتها.. ولقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية المذاهب في ذلك بهذا السياق التاريخي.. قال: «إن طوائف كبيرة من أهل الكلام من المعتزلة، وهو(١) أصل هذا الباب كأبي علي (٣٠٣هـ)، وأبي هاشم (٤١٥هـ)، وعبدالجبار (٤١٥هـ)، وأبي الحسين (٤٣٦هـ) وغيرهم، ومن اتَّبعهم من الأشعرية كالقاضي أبي بكر (٤٠٣هـ)، وأبي المعالي (٤٧٨هـ)، وأبي حامد (٥٠٥هـ)، والرازي، ومن اتبعهم من الفقهاء يُعَظِّمُون أمر الكلام الذي يسمونه أصول الدين.. حتى يجعلوا مسائله قطعية، ويوهنون من أمر الفقه الذي هو معرفة أحكام الأفعال.. حتى يجعلوه من باب الظنون لا العلوم(٢).

قال أبو عبدالرحمن: القطع والظن صفَة للأدلة، وَصِفَة لطريق الوصول إلى تصحيحها دلالة وثبوتًا، ولطريق الجمع بينها أو الترجيح، ولِمَسلك المجتهد في كشف الواقعة التي يتعلق بها الحكم. ومسائل الظن قليلة في العقيدة كثيرة في الفقه؛ لظواهر سبق لي الحديث عنها.. وكثرة التفرق والاختلاف بين المتكلمين جاء في المسائل القليلة التي استجد حدوثها، وفي كثير مما اتفق عليه الصدر الأول؛ فالظنون بسبب مناهجهم الحادثة، لا في الأدلة.. وتفرقت بهم الظنون فيما أغلبه قطعي من العقائد، ولهذا قال شيخ الإسلام: «ومن فروع ذلك أنهم يزعمون أن ما تكلموا فيه من مسائل الكلام هي مسائل قطعية يقينية، وليس في طوائف العلماء من المسلمين أكثر تفرقًا واختلافًا منهم، ودعوى كل فريق في دعوى خصمه الذي يقول: إنه قطعي(٣).. بل الشخص الواحد منهم يناقض [نفسه].. حتى إن الشخصين والطائفتين، بل الشخص الواحد والطائفة الواحدة يدَّعون العلم الضروري بالشيء ونقيضه.. ثم مع هذا الاضطراب الغالب عليهم يُكَفِّر بعضهم بعضًا كما هو أصول الخوارج والروافض والمعتزلة وكثير من الأشعرية»(٤).

ثم قال شيخ الإسلام: «وقد رتبوا على ذلك أصولاً انتشرت في الناس.. حتى دخل فيها طوائف من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث.. لا يعلمون أصلها، ولا ما تؤول إليه من الفساد.. مع أن هذه الأصول التي ادَّعوها في ذلك باطلة واهية، كما سنبينه في غير هذا الموضع؛ ذلك أنهم لم يجعلوا لله في الأحكام حكمًا معينًا حتى ينقسم المجتهد إلى مصيب ومخطئ، بل الحكم في حق كل شخص ما أدى إليه اجتهاده.

وقد بيَّنا في غير هذا الموضع ما في هذا من السفسطة والزندقة؛ فلم يجعلوا لله حكمًا في موارد الاجتهاد أصلاً، ولا جعلوا له على ذلك دليلاً أصلاً، بل ابن الباقلاني وغيره يقول: وما ثم أمارة في الباطن.. بحيث يكون ظن أصح من ظن، وإنما هو أمور اتفاقية؛ فليست الظنون عنده مستندة إلى أدلة وأمارات تقتضيها كالمعلوم(٥) في استنادها إلى الأدلة.

ثم إنه(٦) وطائفة ـ مع هذا ـ(٧) قد أبطلوا أصول الفقه ومنعوا دلالتها حتى سموا واقفة».

قال أبو عبدالرحمن: لا شناعة في القول بأن كثيرًا من أحكام الفقه ـ بالاستقراء ـ ظنية؛ لكثرة الاختلاف فيها.. وإنما الشناعة في أمرين:

أولهما: تعميم هذه الدعوى.

وثانيهما: دعوى أن الله لم يجعل في أفعال المكلفين حكمًا معينًا، ثم بناء النسبية على ذلك بدعوى أن الحكم في حق كل شخص ما أدى إليه اجتهاده.. بل الصواب أن لله حكمًا معينًا، ولكنه في غير القطعيات سبب للاختلاف؛ فتكون الإصابة لدى طائفة من المختلفين؛ لأنها حكم معيَّن في مراد الله، ويكون الجميع

مصيبين؛ للفرق الذي أسلفته بين صواب الاجتهاد، وإصابة المجتهد.. وقال شيخ الإسلام عن المتكلمين: «ثم إنهم صنفوا في أصول الفقه (وهو علم مشترك بين الفقهاء والمتكلمين؛ فبنوه على أصولهم الفاسدة.. حتى إن أول مسألة منه؛ وهي الكلام في حد الفقه لما حدّوه: بأنه العلم بأحكام أفعال المكلفين الشرعية): أورد هؤلاء كالقاضي أبي بكر والرازي والآمدي، ومن وافقهم من فقهاء الطوائف كأبي الخطاب وغيره، السؤال المشهور هنا، وهو أن الفقه من باب الظنون(٨): لأنه مبني على الحكم بخبر الواحد والقياس والعموم والظواهر، وهي إنما تفيد الظن؛ فكيف جعلتموه من العلم.. حيث قلتم: العلم؟(٩).

وأجابوا عن ذلك بأن الفقيه قد علم أنه إذا حصل له هذا الظن وجب عليه العمل به كما قال الرازي: «فإن قلت: الفقه من باب الظنون فكيف جعلته علماً؟: قلت: المجتهد إذا غلب على ظنه مشاركة صورة لصورة في مناط الحكم قطع بوجوب العلم(١٠) بما أدى إليه ظنه، فالعلم حاصل قطعاً(١١)، والظن واقع في طريقه»(١٢).

وقد ظن طائفة من الفقهاء الناظرين في أصول الفقه أن هذا الجواب ضعيف لقوله: العلم حاصل قطعًا، والظن واقع في طريقه»(١٣).

قال أبو عبدالرحمن: كون الظن في طريقه يعني أن مسلكه في البحث غير موصل بيقين، فكيف يكون علمه يقينيًا؟!.. أما القاطع فليس هو العلم، بل ثمرته، وهي العمل، فتجوزوا بالعلم لثمرته؛ لأنها علم شرعي بأدلة الشرع الموجبة للعمل.. إذن حكم الفقهاء المذكورين بضعف هذا الجواب حكم صحيح في كثير من مسائل الفقه.. لا في عموم الفقه؛ لأن علم الفقه ليس كله من الظنون، بل فيه قطعي كثير يدل عليه مسائل الإجماع، وما لا يُعلم فيه خلاف.

ومنه ظني لدى باحث دون باحث.. تكافأت عنده المرجحات، أو لم توجد؛ فلزمه التوقف... وذلك مسائل قليلة توقف فيها بعض العلماء كجواز الوضوء بفضل وضوء المرأة وعدم جوازه، وجواز الشرب واقفًا وعدم جوازه، والحكم في العمرة هل هي واجبة أو مستحبة؟.

ومنه ظنّي برجحان.. ولكنه أصبح علمًا قطعيًا بحكم الشرع واعتباره، وبشهادة العقل، وهي أن الرجحان يقتضي العلم والعمل؛ لأن الأخذ بالمرجوح تحكُّم وعصيان متعمد للمقتضي وهو الرجحان، وهو سَفَه.. والتوقف إلغاء لمقتضٍ مانع من التوقف، وهو الرجحان؛ فهو عناد أيضًا؛ فتَعَيَّن الأخذ بالرجحان، وكان من يأخذ بالرجحان مصيبًا حينئذ وإن لم يوافق الحق في الواقع، بل له أجر ومعذرة.

قال أبو عبدالرحمن: ولقد حدثني بعض الفضلاء أنه حضر مجلسًا للملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله، فكان يعيد السؤال على كل من استجد حضوره من العِلْية: هل نقول: إن الصك الشرعي حكم الله أم لا؟!.. فاضطربت أجوبة القوم، وتوقف بعضهم.

والمحقق أن الصك الشرعي إذا اكتسب قطعيته يكون حكم الله؛ لأن إمضاءه واجب، ولو عطلناه لَوُصِفْنا بعصيان الشرع، وتعطيل حدود الله؛ ولأن حكم الله في حقنا أن نحكم بما تأيد لنَا بيقين أو رجحان أنه حكم الله.

إذن هذه المسائل من الفقه علمية بحكم الشرع والعقل؛ لأنها مقتضى الرجحان لدى المجتهد.. والعمل بمقتضى الرجحان واعتقاده علمٌ ما بقي الرجحان قائمًا.

أما كون هذا العلم قطعيًا أو ظنيًا: فالصواب أنه لا هذا ولا ذاك، بل منه قطعي، أو ظني مستوي الطرفين، أو رجحاني.

أما حكم ظَنِّيه: هل له حكم اليقيني، أو الظني: فله اعتباران:

الأول: اعتبار مطابقة الواقع: فهو ظني وإن وجد الرجحان، فقد يترجح له اجتهاداً جهة القبلة ليلاً في غيم، فيتضح له في النهار أنه مخطئ.. وقد يقضي القاضي بشهادة العدول، أو بنحو مما يسمع، ثم يبين فيما بعد أن الواقع خلاف الحكم.

والثاني: اعتبار المراد الشرعي.. وللشرع مرادان: أدنى وأعلى.. فالأعلى أن يصيب ويكون له أجران.. فالحكم الفقهي ها هنا ظني مع الرجحان؛ إذ قد يخطئ ويكون له أجر واحد.

والمراد الثاني أدنى، وهو أن يجتهد ولا يألو.. وليس بقدرته إصابة الحق؛ فيكون الحكم صحيحًا باعتبار الشرع؛ لأن فيه ارتفاع الإثم وحصول أجر واحد؛ ولهذا كان كل مجتهد مصيبًا، وليس كل اجتهاد صوابًا.

ثم قال شيخ الإسلام: «قالوا(١٤): والحكم بالنتيجة يتبع أضعف المقدمات وأخس(١٥) المقدمات؛ فالموقوف على الظن أولى أن يكون ظنًا(١٦).

وليس الأمر كما توهموا، بل لم يفهموا كلام هؤلاء؛ فإن هذا الظن ليس هو عندهم دليل العلم بوجوب العلم(١٧) به، ولا مقدمة من مقدمات دليله.. ولكنهم(١٨) يقولون: قامت الأدلة القطعية من النصوص والإجماع مثلاً على وجوب العلم(١٩) بالظن الحاصل عن خبر الواحد والقياس، وذلك العلم(٢٠) حصل بأدلته المفيدة له.. لم يحصل بهذا الظن ولا مقدماته(٢١).

لكن التقدير: إذا حصل لك أيها المجتهد ظن فعليك أن تعمل به، وحصول الظن في النفس وجدي يجده المرء في نفسه ويحسه كما يجد علمه ويحسه؛ فمعرفته بحصول الظن يقيني، ومعرفته بوجوب العمل به يقيني؛ فهاتان مقدمتان علميتان: إحداهما سمعية، والأخرى وجدية»(٢٢).

قال أبو عبدالرحمن: مرادهم بأضعف المقدمات أن أصول الفقه ظنِّية، فالفقه ظني من باب أولى.. والمحقق أن في أصول الفقه ظنيات كثيرة من جهة العلم، وفي بعض تلك الظنيات ما يجب العمل به من جهة الأصل؛ فالإسناد المتصل من خبر الواحد المؤلف من ثقات ومستورين، أو من مستورين: الأصل وجوب العمل به ما لم يعارضه أرجح منه، أو يظهر قادح فيه.

قال أبو عبدالرحمن: ولم يتحصل من الكلام السابق شيء يفيد في محل النزاع، والمقدمتان اللتان مر ذكرهما لا تنتجان: أن الفقه يقيني.. وإنما النتيجة أنه ظن يُعمل به.. وليس هذا محل نزاع.

ومضى في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: «فإن هذا الظن ليس هو عندهم دليل العلم بوجوب العلم به»، وقوله: «والإجماع مثلاً على وجوب العلم بالظن».. والذي يليق بمقدمته الأولى أن يكون صحة الكلام هكذا: «بوجوب العمل به».. و«وجوب العمل بالظن»، فلعل في الكلام تطبيعًا، أو تحريفًا في الأصل من الناسخ، أو سهوًا من المؤلف.. وشيخ الإسلام يكتب كثيرًا، ولا يعاود عبارته بالتنقيح، ولا أسلوبه بالتجميل.

وأعود إلى تحليل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وأرده إلى أصوله على هذا النحو:

١- الظن هو مدلول بعض الاستدلالات الفقهية التي هي من نص نقلي، أو من نصوص مجتمعة، أو من نصوص وأعمال فكرية كالقياس.. وكان المدلول ظنًا لأن النصوص ظنية الدلالة، أو ظنية الثبوت، أو لأن منهج الاستدلال ظني التوصيل.

٢- ليس كل فقيه يجد في نفسه أن أحكامه ظنية؛ لغياب أو خفاء المُدافع في فكره؛ بسبب غفلته عن مثير الشك في دليله، أو استدلاله.

٣- على فرض أنه حصل الظن في وجدانه، وطاوع من يقول: الفقه ظني: فلا مدلول لهذا الوجدان في محل النزاع عند من يقول: إن الفقه علمي لا ظني.. بل هذا تأييد لعكس الدعوى، وهو أنه ظني!.

٤- الظن يُطلق على الحكم الفقهي ذاته، وعلى درجة علم الفقيه به في ذهنه.

٥- قول شيخ الإسلام: «الظن ليس هو دليل العلم»: ليس بمعنى الحكم.. ولا يمكن أن يكون الظن في كلامه بمعنى الحكم؛ لأن النتيجة «ليس الحكم هو دليل العلم

الثنائية بين قطعية العلم ووجوب العمل

بالحكم» وهذا كلام فاسد بالنسبة لسياقه.. فالمراد إذن درجة العلم في الذهن.. أي ليس الظن في ذهن المجتهد الحاصل من أدلته هو دليل الحكم، أو ليست الأدلة الظنية ـ المولدة للظن في ذهنه ـ هي دليل الحكم.. وهذا كلام غير صحيح، بل دليل الحكم الظني هو تلك الأدلة الظنية كتعليق الحكم باليمين وقد يكذب الحالف، أو بالشاهد العدل وقد يخطئ أو يكون غير عدل في الواقع.

٦ـ الأدلة على العمل بخبر الواحد الصحيح ليست أدلة العلم بالحكم الفقهي، بل هي دليل العمل به، ودليل العلم به والعمل به معًا إذا ترجح العلم به، أو استوى الطرفان؛ فكان دليل العمل زيادة ترجيح للعلم؛ فدليلي على العمل أن الله أمرني بقبول خبر العدل.. أيِّ عدل، ودليلي على العلم بصحة خبر هذا العدل المعين أدلة ظنية أبحث بها عن عدالته بالسؤال عن أحواله وتدينه، أو مشاهدتي لذلك، ويكفيني في العمل رجحان العلم.. ولكن إذا استوى طرفا الاحتمال كان دليل العمل مرجحًا للعلم.

إذن لم يدفع شيخ الإسلام ابن تيمية الظنية، بل قررها أكثر من المطلوب؛ إذ جعل كل فقيه محصلاً للظن وجدانًا.. وغاية ما جاء به الاستدلال على وجوب العمل بالظن.. في حين أن الخلاف في وصف الفقه بأنه علمي، وليس الخلاف في العمل بالظني.

ثم قال شيخ الإسلام: «وصار هذا كما لو قيل له: إذا حصل لك مرض في الصوم أنه يجوز لك الفطر، وإذا حصل لك مرض يمنعك القيام في الصلاة فاعلم أن عليك أن تصلي قاعدًا؛ فإذا وجد المرض في نفسه علم حينئذ حكم الله بإباحة الفطر، وبالصلاة قاعدًا؛ فهكذا وجود الظن عندهم في نفس المجتهد»(٢٣).

قال أبو عبدالرحمن: سبحان الله المتفرد بالكمال.. ولو كان الكمال لبشر لكان هذا العقل الكبير ـ عقل الإمام ابن تيمية ـ من العقول البشرية الأولى بالكمال؛ ولكن الله يُري البشر قصورهم بألسنة الكبار، فيُظهر منّته عليهم بالتوفيق والذكاء وقوة الفكر في مئات المسائل، ويُظهر ضعفهم بآحادها.. وهذا الاستدلال لا يليق بعقل ابن تيمية الكبير ألبتة، فأمثلته هذه عن وجود ظن بيقين؛ فالموجود الظن، واليقين صفة لوجود الظن؛ لأن اليقين محمول على الوجود.. أي إن وجدانه للظن في نفسه يقين بهذا الوجود. ثم إن وجود الظن ليس محل نزاع ها هنا؛ فلم ينكر أطراف النزاع في المسألة وجود الظن في النفس؛ بل هم (لوجود الظن في النفس) يقولون: أحكام الفقه ظنية.. وإنما المطلوب ـ حسب محل النزاع ـ إثبات أن الفقه علم يقيني.

ولا يترتب على إثبات الظن في النفس إقامة حجة على ما ذهب إليه شيخ الإسلام من كون الفقه علمًا ويقينًا لا ظنًا.

قال أبو عبدالرحمن: ثم اعلم أن وجود الظن في الفقه ـ غلبة، أو مساواة، أو بقلّة ـ لا يترتب عليه خبر من الله أو حكم بخلاف الواقع؛ إذ قَبِلَ من عباده المجتهدين مَا وقف عنده علمهم من ظن.. وبيان ذلك أن الظن جاء من إحدى جهتين:

أولاهما: تعيين الحكم الذي أنزله الله من جواز الجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية، أو عدم جواز الجهر مثلاً.. فمراد الله بلا ريب واحد هو الجهر أو الإسرار، وليس مراد الله الحكمين معًا في آن واحد وحالة واحدة؛ لأن تكليف العباد تحقيق المحال ـ من الجمع بين النقيضين ـ محال.. ولكن رحمة من الله وإحسانًا وعدلاً: قَبِل من العبد اجتهاده الخاطئ فلم يؤثمه بعدله، ومنّ عليه بأجر واحد من إحسانه.

وليس في أداء المكلف الذي رُزق الصواب ولم يرزق الإصابة أداء محال، ولا حكمٌ بخلاف حقيقة في الطبيعة.. بل أصاب أحد أمرين من الجهر أو الإسرار.. ولا خلاف لأحكام الوجود في الطبيعة بأن يجعل الله المراد الإسرار وحده، أو أن يجعل المراد الجهر وحده.

وأخراهما: تعيين الواقعة التي أرادها الله، فالواقعة يكتشفها العبد بوسائله الحسية والعقلية؛ لأن الشرع لا ينزل كل يوم؛ فيقول: زيد من الناس المعيَّن الذي تستشهدونه في الأموال والفروج عدل، وعمرو المعيَّن من الناس غير عدل.. بل علق الله الحكم بصفة العدل لا بتعيين عدالة الشخص بعينه؛ فالخطأ في معرفة العدل من فعل المجتهد، وليس هو منطوق الخطاب الشرعي.. ثم إن الخطأ في الواقعة قسمان:

أحدهما: أن يطبق المجتهد الحكم الشرعي على واقعة غير صحيحة ولا يترتب على ذلك شيء غير مجرد إخطاء الواقعة؛ فيصلي مثلاً إلى غير القبلة (وهو مأمور بالاجتهاد في معرفتها ليصلي إليها)؛ فهذا حكمه حكمُ الجهة الأولى حول تعيين الحكم؛ فكما هو مأجور معذور في الخطأ في تعيين الحكم المراد: فهو معذور مأجور في تعيين الواقعة غير المرادة، وليس في أدائه محال تأباه حقائق الوجود؛ فلو جعل الله الاتجاه إلى غير الكعبة لكان ذلك شرعًا صحيحًا.

وثانيهما: أن يترتب على تطبيقه واقعة غير صحيحة إسقاط حقّ مخلوق، أو أن يُؤخذ منه ما ليس بحق كحكم القاضي بشهادة معدل، ثم بان فيما بعد أن العدل أخطأ، أو أنَّ مَنْ ظَنَّهُ عدلاً كان غير عدل.. فمن جهة المجتهد فهو معذور مأجور كما مر، ومن جهة الشرع المطهر فحكمه حسب الواقع، وهو أن يكون الحق لصاحب الحق.. ونَصَب دلالة أحقيته بشهادة عدل يشهد على مثل الشمس.. وكون الحق سُلب من صاحبه، وأخذه غير صاحبه باجتهاد خاطئ رضيه الشرع ورفع الوزر عنه: يعني أن الحكم الخاطئ حكم شرعي.. والجواب عن هذا من جهتين:

أولاهما: أن مراد الله إصابة الواقعة الصحيحة، ولكن المجتهد أخطأ فعذره الله، ومنَّ عليه بأجر؛ لأن ذلك وسعه في تحري الحق.

وثانيتهما: أن العباد خلق الله وملكه يفدحهم في الدنيا بالنقص في الأموال والأنفس بقضائه الكوني؛ ليعظم أجرهم في الحياة الدنيا على سنة ابتلائه لعباده.. وقبوله سبحانه ما ترتب على الاجتهاد الصحيح (الذي لا يألو صاحبه) من إخطاء الواقع من جملة قضائه الكوني القدري.

ثم قال شيخ الإسلام: «وإذا علم أن هذا حقيقة قولهم»(٢٤).

قال أبو عبدالرحمن: ليس هذا حقيقة قولهم المعبر عنه بكلام الرازي الذي دافع عنه ابن تيمية، وهو أن العلم حاصل قطعًا في الفقه.. بل العلم في الفقه يحصل عند بعض المجتهدين قطعًا، ويحصل بظن معه رجحان، ويحصل بظن مستوي الطرفين، ويحصل بظن مرجوح بسبب ما يعتور الاجتهاد من نقص وغفلة.

الهوامش:

١ـ لعل الصواب: وهم.
٢ـ الاستقامة ١/٤٧ـ٤٩.
٣ـ الاستقامة ١/٥٠.
٤ـ هكذا في الأصل المطبوع، ولعل المعنى: أن من كثرة اختلافهم أن كل فريق يدعي الظن مقابل دعوى خصمه.. إلخ.. وشيخ الإسلام رحمه الله لا ينقح عباراته، ولا يراجع مسوداته.
٥ـ أي بخلاف ما هو معلوم من استادها.
٦ـ يعني ابن الباقلاني.
٧ـ الإشارة إلى ما سبق من حكاية مذهبه.
٨ـ قوله: «وهو أن الفقه.. إلخ» هو جواب السؤال المذكور آنفًا.. وجواب هذا السؤال هو خبر «إن» في قول ابن تيمية السابق: «حتى إن أول مسألة».
٩ـ في حدهم السابق بأن الفقه هو العلم بأحكام أفعال المكلفين.
١٠ـ هكذا في الأصل المطبوع، والمحقق أن الصواب: العمل.
١١ـ أي بأدلة وجوب العمل القطعية.
١٢ـ أي طريق بحثه في القياس، أو تصحيح خبر الواحد.. والعلم: أي ثمرة العلم، وهي العمل، وهي حاصلة بأدلة العمل بالظن.
١٣ـ الاستقامة ١/٤٧ـ٥٠ و٥٠ـ٥١.
١٤ـ القائلون هم الفقهاء المتقدون كلام الرازي.
١٥ـ قال أبو عبدالرحمن: في الأصل المطبوع: أحسن.. وهو خطأ، والمراد ما أثبته، وهو بمعنى أخص.. قال الشاعر:
إن الزمان لتابع للأنذل
تبع النتيجة للأخس الأرذل
والأخس عند المنطقيين بالسين يراد به الأخص بالصاد، ولم يوفقوا في التعبير.
١٦ـ ليس هذا دليلاً على أن الفقه ظني، وإنما هو تفريع على ظنيته إذا ثبت أنه ظني.
١٧ـ هكذا في الأصل المطبوع، والمحقق عندي أن الصحة: العمل.
١٨ـ في هذا السياق (المكتفي بالإحالة إلى الضمائر: قالوا: وتوهموا، وكلام هؤلاء، وعندهم) تشويش على القارئ.. وليزول التشويش فعلى القارئ أن يستحضر من مر ذكرهم وحقيقة أقوالهم، فيجد ثلاث فئات:
أـ عموم المتكلمين الذين يرد على دعواهم ظنية الفقه ونسبية المعرفة كابن الباقلاني.
ب ـ خصوص واحد من المتكلمين وهو الرازي الذي نصر شيخ الإسلام قوله: «العلم حاصل قطعًا والظن واقع في طريقه».
ج ـ بعض الفقهاء الذين خطّؤوا كلمة الرازي، وتابعوا المتكلمين في أن أصول الفقه ظنية، فالفقه ظني من باب أولى.
١٩ـ بل الصواب: العمل.
٢٠ـ بل الصواب: العمل.
٢١ـ محل النزاع ليس في وجوب العمل بالظن، وإنما هو في المسائل الظنية هل تكون علما، أو لا؟
٢٢ـ الاستقامة ١/٥٢.
٢٣ـ الاستقامة ١/٥٢.
٢٤ـ الاستقامة ١/٥٢





محمود مال بكري

رئيس لجنة العلماء بالكاميرون

نحتاج إلى حوار نزيه بين الجمعيات الإسلامية

أجراه في الكاميرون: **محمد بن علي القعطبي**

«إفريقية نصرانية عام ٢٠٠٠م» شعار رفعته المنظمات التنصيرية وعملت على تحقيقه بشتى الوسائل والسبل، ومع ذلك، لا يزال نور الإسلام يشع في أرجاء هذه القارة، بل إن الواقع يشهد أن كثيرين من الأفارقة يدخلون كل يوم في دين الله أفواجًا.

وعلى قلة الإمكانات، فإن هناك من يقبضون على الجمر ويعملون بكل ما يستطيعون لمواجهة الحملات التنصيرية الشرسة، على هدي من تعاليم ديننا الحنيف.

الشيخ محمود مال بكري رئيس لجنة العلماء بالكاميرون يكشف في هذا الحوار بعض جوانب الواقع الذي يعيشه المسلمون في هذا البلد الإفريقي.

- كم عدد سكان الكاميرون؟ وكم نسبة المسلمين فيها ونسبة النصارى والوثنيين؟

* هناك نشرة صادرة من وزارة التخطيط عنوانها: إعلان السياسة الوطنية في السكان، وقد ذكرت هذه النشرة ما يلي:

في عام ١٩٥٠م كان تعداد سكان الكاميرون أربعة ملايين ونصف المليون، وفي عام ١٩٦٧م قفز العدد إلى سبعة ملايين ونصف المليون، ثم ارتفع عام ١٩٨٧م إلى عشرة ملايين ونصف المليون، وهذه هي الإحصائية الأخيرة؛ وهناك نشرة أخرى أضيفت إلى النشرة المذكورة ذكرت أن عدد سكان الكاميرون عام ١٩٩٣م وصل إلى اثني عشر مليونًا وخمسمئة وأربعين ألف نسمة، وهذا تقدير تقريبي. وإحصائية عام ١٩٨٧م نُشرت دون أن تُبيِّن ما يخص الطوائف الدينية. وهكذا بقي ذلك في طي الكتمان، ومن ثم، فلا يمكن إعطاء نسبة صحيحة للطوائف الدينية، وهذا ما جعل هذه النقطة مجالا لتقديرات تخضع للرغبات الشخصية؛ ولنأخذ نحن بمعيار الوسطية فلا نرتفع كثيرا ولا ننزل كما يحاول المغرضون أن يفعلوا فنقول: إن نسبة المسلمين تصل إلى ٤٠٪ - أربعين في المائة - من مجموع السكان على أن تحتل الطوائف النصرانية من العدد الباقي ٣٥٪ والباقي للوثنيين ٢٥٪.

- ما مدى توسع النشاط التنصيري في الكاميرون؟ وما أهم البعثات التنصيرية الموجودة في البلاد؟ وكيف تقوم بأداء دورها التنصيري؟ وكيف تقوّمون نجاح هذا الدور؟

* قديمًا كان النشاط التنصيري قاصرًا على البيئات الوثنية، ولم يكن المسلمون يحسّون بأنهم مستهدفون مباشرة بالحملة التنصيرية، أما الآن فإن المسألة قد وضحت؛ فالتنصير نَشطَ في الأوساط المسلمة كما هو نشيط في الأوساط الوثنية، فوسائل التنصير المباشرة وغير المباشرة تعمل جنبًا إلى جنب متعاونة في تقديم النصرانية إلى كل المستشفيات والمستوصفات والمدارس ومراكز التدريب المهني، كل هذه تعمل بهدوء وبتؤدة

تحت قاعدة: ارم البذرة أنت وليقطف الثمرة غيرك. والمنشورات المجانية توزع في المدارس والمستشفيات والسجون دون تفريق بين مسلم وغيره.

ومحاولات التنصير تجري على الطرق العامة أحيانا حيث يلتقي الشخص بآخر على قارعة الطريق فيكلمه في المسيح إلخ.. والكنيسة الكاثوليكية هي الرائدة في ذلك؛ إذ هي التي تمتلك الكنائس الضخمة والمستشفيات والمستوصفات والمدارس ومراكز التدريب المهني إلخ...

ونجاح التنصير في البيئات الوثنية أمر بارز لا يمكن إنكاره، فهذه المجتمعات تتحول جماعيًا وبسرعة نحو النصرانية، وكل ما يقال مما يتناقض مع هذا هو دعوة إلى الإخلاد إلى الراحة وليس حقيقة. وجهود الكنائس هذه تدعمها جهود المنظمات الخيرية الأوروبية التي تأتي أساسا بصبغة علمانية ولكنها تختار المناطق الوثنية لتصب فيها كل جهودها التي تصبح إما تمهيدا للعملية التنصيرية، وإما دعمًا لها.

- ما دور الدعاة العاملين للإسلام في الكاميرون في مواجهة أنشطة البعثات التنصيرية؟ وإلى أي مدى تنسق جهودهم في مواجهة هذا المد التنصيري؟

كلمة «مواجهة» كلمة مرنة، نقول: فلان يواجه فلانًا، وفلان يواجه حملة شرسة من الجهة الفلانية، فالمواجهة إذن لا تستلزم التكافؤ في العدد والوسائل حسب المقاييس المادية، فالدعاة يواجهون هذه الأنشطة بالوسائل التالية:

- التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بأن يحمي لهذه الأمة عقيدتها، وأن يوفر لكل فرد منها أسباب المناعة ضد هذه الحملات التنصيرية؛ وهذا التوجه هو أقوى سلاح نطمئن إليه.

- توعية المسلمين توعية هادئة بأنهم مستهدفون، وأن دراسات مستفيضة تجري عليهم بغية تعرف أنجح السبل لاجتذابهم نحو النصرانية، وأن عليهم أن يكونوا يقظين لأنفسهم ولذراريهم حتى لا يقعوا في شرك التنصير.

ثم إن أي عملية تعليمية أو دعوية من شأنها ربط المسلم بالإسلام - حتى لو لم تتصل بهذه النقطة - هي داخلة ضمن وسائل المواجهة.

- توعية المسلمين بهدف جمع التبرعات منهم؛ سواء أكانت التبرعات نقودًا أم ملابس - حتى المستعملة منها - والاتجاه بها بعد جمعها نحو المناطق التي يعمرها مسلمون جدد، ثم توزيع ذلك عليهم بغية إبراز شعور إخوانهم المسلمين نحوهم وربط قلوبهم بهم وبالإسلام، وقد دلت التجارب على فعالية هذه الخطة.

وهنا يحسن بنا إثارة مشكلة المنظمات الخيرية الإسلامية التي كان ينبغي أن يكون لها دور ملموس يساند هذه الجهود المحلية البسيطة. ولكن مما يؤسف عليه أن بعض القائمين على هذه المنظمات الذين نلتقي بهم يَشْكون مما يسمى بتجفيف المصادر وأنهم لا يستطيعون أن يتوسعوا في برامجهم الدعوية، والمسلمون مطلوب منهم أن يفكروا في هذه النقطة تفكير الغيورين على هذا الدين، والله نسأل أن يوفقهم وأن يسدد خطاهم.

- كيف تقوِّمون الأنشطة الدعوية المساعدة التي تأتي من خارج الكاميرون، وما أهم هذه الأنشطة؟ وإلى أي مدى أسهمت في إعانتكم؟

* إن الدعوة إلى الله تعالى تنطلق من مصدر واحد هو الكتاب والسنة، ولكنها تتجه إلى مواقع مختلفة وتعالج أوضاعًا تلتقي أحيانًا وتفترق أحيانًا أخرى، ومن ثم فإن كل عامل في هذا الميدان يحمل معه تجاربه الخاصة بحكم الموقع الذي يكون فيه وبحكم الأوضاع التي يعالجها، ومن هنا فإن أي لقاء بين الدعاة له آثاره وثماره. والدعاة الذين يصلون من خارج الكاميرون: منهم من يتم اللقاء بينهم وبين الدعاة المحليين في لقاء عام حيث يلقون كلماتهم في المساجد، ومنهم من يتم اللقاء معه في اجتماع خاص يُسْدُون فيه النصائح إلى الدعاة المحليين وفي الكل خير. وهناك دعاة نشطون يأتون إلى الكاميرون بين فترة وأخرى على الرغم مما يقال عنهم من أنهم أخذوا جانب الأمر بالمعروف وتركوا جانب النهي عن المنكر، وأنهم يستعملون الأحاديث الضعيفة في بياناتهم، ومع هذا فإن ما تركوه من آثار في نفوس كثير من الناس أمر لا يمكن إنكاره ولا تخفى آثاره.

وهذه الآثار الملحوظة يمكن استخدامها تربة صالحة لغرس العقيدة الصحيحة والتوجيه السليم للفرد. والقاعدة: أن يتعاون المسلمون في الإيجابيات، ويبتعدوا من السلبيات، ويحاولوا تقليلها ثم إزالتها.

- بوصفك رئيسًا للجنة العلماء في الجمعية الإسلامية بالكاميرون، ما الدور الذي تؤديه هذه اللجنة في خدمة المسلمين؟ وما أنشطة هذه الجمعية في الواقع؟

* إن الجمعية الثقافية الإسلامية أسست في الكاميرون منذ أكثر من ثلاثين سنة، والأنشطة التي برزت بها هذه الجمعية أنشطة تعليمية، إذ اعتنت بتأسيس المدارس الإسلامية، وهذه المدارس فئتان:

- المدارس الفرنسية العربية أو مدارس فرنكو عرب FRANCO ARABE كما تُسمى هنا، واسمها هذا جاء من أنها تقرر في مناهجها مناهج وزارة التربية الوطنية في المرحلة الابتدائية، ثم تضيف إليها مناهج خاصة في اللغة العربية والتربية الإسلامية.

- المعاهد الإسلامية، وهذه المعاهد أسست أول ما أسست تحت اسم معاهد المسلمين، وكان الهدف منها في أول الأمر تخريج دفعات من المعلمين بالمدارس الفرنسية العربية، ثم تحولت إلى المعاهد الإعدادية الإسلامية بعد حذف مواد التربية منها، ثم تطورت الآن فأصبحت المعاهد الإسلامية. ويشمل برنامجها التعليمي القسمين الإعدادي والثانوي، وقد تخرجت هذه السنة أول دفعة للقسم الثانوي؛ وهذه المعاهد أربعة: معهد نغاوندري، ومعهد غاروا، ومعهد ماروا، ومعهد مورا.

وكانت الجمعية، قبل أن تدخل في مرحلة الأزمة المالية، تتكفل لبعض الدعاة برواتب شهرية، ولكن هذا قليل. هذا باختصار مجمل نشاط الجمعية، وهو نشاط ينصب بكامله في التعليم.

وبإيجاد هذه الهيئة: لجنة العلماء أضافت بعدًا آخر أوسع من نطاق التعليم فراجعت اللجنة مناهج التعليم العربي والإسلامي في مدارس الجمعية، كما عقدت عدة اجتماعات حول عدد من المشكلات: الدعوة وتوحيد مواعيد الصوم والفطر والنحر في جميع أنحاء البلاد.

وعندما اندلعت الفتن بين المسلمين من قبيلتي العرب وكوتوكو في منطقة كوسيري شكلت

نجاح التنصير في البيئات الوثنية أمر لا يمكن إنكاره ! ومحاولات التنصير تتم على قارعة الطريق أحيانًا !

نحتاج إلى حوار نزيه بين الجمعيات الإسلامية

فإذا لم تكن عوامل الفساد أكثر قوة وشراسة في مواجهة عوامل الإصلاح، وهذا ما نرجوه من الله، فإن كل شيء سيكون إن شاء الله على مايرام.

- ما مشكلات تعليم المسلمين في الكاميرون؟

* مشكلات تعليم المسلمين يمكن تصوّرها على النحو التالي:

- مشكلات ذاتية، أي نشأت منهم هم.
- مشكلات فُرضت عليهم لأسباب خارجية.

فالنوع الأول نشأ من نظرتهم إلى التعليم الفرنسي أولاً، فقد حاربوا هذا التعليم مستندين إلى أنه يؤدي إلى الانخلاع من الإسلام، فمنعوا أولادهم من دخول المدارس الفرنسية، ولكن هذا العامل قد ضعف الآن ولم يعد له تأثير، لأنّ أجيالاً قد تخرجت في هذه المدارس ولم يروا منها ما يسوّغ خوفهم.

أما النوع الثاني فقد فوجئوا به بعد انتباههم إلى قيمة التعليم المذكور، فالدراسة التي كانت مجانية أصبحت دراسة مكلفة يدفع لها الطالب رسوما، والطالب الذي كان يتقاضى منحة دراسية في كل شهر، أصبح عليه أن يدفع رسومًا للدراسة لكل سنة، وزامن كل هذا تدهور الأحوال المادية بحلول الأزمة الاقتصادية الخانقة في البلاد. ثم إن سياسة التعليم المطبقة لا تحاول أن توجد توازنًا بمساعدة الجانب الأقل تعلمًا حتى يستطيع هذا الجانب تضييق الفجوة بينه وبين الفئات الأخرى في مجال التعليم، فنتجت من ذلك أمور منها: قلة المسلمين في الجامعات طلبة بله أن يكونوا أساتذة بها، وقلتهم في المستشفيات أطباء وغير ذلك، وهم مدركون جيدا هذا النقص، والكلام في هذا جار على ألسنة الكل، والبحث عن العلاج يشغل تفكير كثير منهم.

وعلاج هذا النقص في نظري يتلخص في أمرين:

- التنظيم الداخلي الذي يحرص على تغيير هذا الوضع.
- الشجاعة في مواجهة العوامل الخارجية بحكمة وبصيرة. فإذا تحقق هذان الأمران فالوسائل معروفة والوصول إلى الحل مضمون إن شاء الله، وإن على الدول الإسلامية التي يهمها شأن المسلمين ألاّ تقصر المنح التي توزعها على الدراسات الإسلامية والعربية، بل تخصص جزءاً منها للأقسام العلمية لأبناء المسلمين.

محمود مال بكري في سطور

- **من مواليد مدينة ماروا، شمالي الكاميرون، ١٩٤٧م.**
- **درس في الكتاتيب، ثم على يد والده على النهج التقليدي المعروف في إفريقية، وهي دراسة مركزة على الفقه واللغة والنحو.**
- **درس في المعهد الثانوي التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم تخرج في كلية الشريعة عام ١٩٧٣م، حيث حاز الإجازة العالية (الليسانس)، واجتاز دورة للتربية بعد التخرج.**
- **يعمل منذ تخرجه في ميداني الدعوة والتدريس.**
- **إمام الجامع الكبير بمدينة ماروا، ورئيس لجنة العلماء بالكاميرون.**

اللجنة وفدًا وطنيًا كبيرًا ضم كبار التجار والعلماء وممثلي السلاطين، فزار الوفد تلك المنطقة وحاول رأب الصدع بين الفريقين المختلفين.

وأيا كانت الأحوال فإن اللجنة خلية فريدة من نوعها بين التنظيمات الإسلامية في البلاد، وستكون، إن شاء الله، نواة لتجمع يصبح مرجعًا في المسائل الدينية بالبلاد. والله ولي التوفيق.

- ما أهم المشكلات التي تواجه الدعوة في هذه المنطقة، وكيف تعالجون هذه المشكلات؟

* أهم المشكلات التي تواجه الدعوة في نظري هي النزعات نحو تأسيس الجمعيات الإسلامية المتعددة من قِبَل أناس ترى في نيل أهدافهم نظرًا، فروح الانتقاد والطعن متفش بين هذه الجمعيات، وكذلك تقاذف الاتهامات، ومحاولة تجريد بعض الجمعيات بعضها الآخر من مزاياها؛ كل هذه السلوكيات تجعل من الصعب إيجاد صيغة عامة تتبناها الدعوة وتسير في ضوئها. ولعل الحوار النزيه بين هذه الجمعيات الذي يزيل السلبيات ويؤيد الإيجابيات، كل هذا إذا تحقق سيصبح عاملاً فعالاً في معالجة هذه المشكلات؛ وهذا التفكير موجود ونرجو من الله سبحانه أن يتحقق.

- كيف تنظرون إلى مستقبل الدعوة الإسلامية في الكاميرون؟ وكيف تقوّمون نمو الأنشطة الدعوية فيها؟

* المؤمن متفائل دائما، فالإسلام هو الذي يبعث في نفسه روح التفاؤل: *ولا تَيْأَسُوا مِنْ رَوحِ اللَّه إنه لا يَيْأَسُ مِنْ رَوحِ الله إلاّ القومُ الكَافِرُون*. **يوسف**:٨٧. فالماضي والحاضر هما اللذان يزودان الشخص بأدوات الحكم على المستقبل، فإذا نظرنا إلى الواقع الآن نجد كثيرًا من الإيجابيات: المدارس الإسلامية التي تنشأ هنا وهناك، حلقات التعليم في المساجد، خطب الجمع والمواعظ التي تُلقى فيها، نشاطات الشباب المسلم في المدارس العامة وفي الإذاعة، والعناية بتعليم المرأة المسلمة، كل هذه إيجابيات.

ولاشك أن عوامل كامنة في الماضي أسهمت - بشكل منفرد أو بشكل مزدوج بعوامل وقتية - في ظهور هذه الظاهرة، والمتوقع أن وليد الحاضر الذي هو المستقبل سيكون له إن شاء الله فرص في تنظيم أمور الدعوة وتقديمها في صورة أكثر قابلية.

حارب المسلمون التعليم الفرنسي ظنًا منهم أنه يؤدي إلى البعد من الإسلام، ثم أقبلوا عليه بعد ذلك !



فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا

عبدالجبار العلمي

الجزيرة الخضراء

أول مدينة تطؤها قدمك في التراب الإسباني بعد عبورك مضيق جبل طارق، تنقلك إليها إحدى بواخر شركات الملاحة التجارية الإسبانية التي تمخر عبابه جيئةً وذهابًا طوال اليوم دون فتور أو كلال.

أول قدم عربية لمست تراب هذه المدينة هي قدم الفاتح موسى بن نصير (ت:٩٧هـ). دخل هذه البقاع حاملاً معه فسائل الحضارة العربية ليغرسها في كل ركن منها، فانبثقت الحدائقُ والمدائنُ ناطقة بأروع ما انبثق من أنامل الإنسان العربي من إبداع.

هذه المدينة التي نحتت النخوة العربية على صخور شواطئها بدايات الفتح العربي الإسلامي، أصبحت تستقبل الإنسان العربي في أبشع صور المهانة والشقاء. في هذه المدينة لا ترى إلا وجوهًا تنضح بالآلام والمعاناة التي لا يفلح في طمس آثارها عن العيون حتى ذلك الفرح الغامر بفرحة الوصول واحتضان الأهل والوطن بعد رحلة طويلة ملأى بالمشاق ومخاطر الطريق. إنهم آلاف العابرين الذين قُدِّرَ عليهم أن يكتووا بنار الغربة وجحيم العنصرية وراء البحار. ها هم أولاء الآن يتعرضون لاستغلال آخر في هذه المدينة التي تعج بأسراب غربان السماسرة ومُرَوِّجي العملات في السوق السوداء، حيث تُباع لهم تذاكر العبور بأثمان مضاعفة، وتلحقهم شتى أشكال الغبن والابتزاز.

هل هي جزيرة خضراء؟ دعني أُسمِّها جزيرة المأساة، بل جزيرة المآسي التي تتكرر فصولها كل موسم صيف. هل ثمة وصف لديك أكثر دلالة على ما يحدث كل موسم لدى عبور قوافل مهاجرينا هذا الميناء الجهنمي؟

قد تغضب عليك السماء، ومع ذلك لن يلحقك ما يلحقك إذا حللت بهذه المدينة وأنت تلتهب حنينًا إلى نسمة حب بين أحضان الأهل والوطن، فتحول سيارتك إلى إحدى الساحات الكبرى لتنتظر هنالك أيامًا وليالي حتى تحظى بحيز لسيارتك على ظهر الباخرة. لا داعي أن أزيد همومك وأحزانك بوصف المعاناة التي ستلقاها أنت وصغار زغب الحواصل تحت قيظ جهنمي، وفي قلب الليل الساهر.

طريفة

طريفة. باب المجهول. أول مكان مسته قدم الإنسان العربي المسلم، الطامح إلى اكتناه الأسرار العذرية في الجزائر البعيدة. في هذه المدينة الوديعة، نزل محارب عربي شاب اسمه طريف ليقرع باب المجهول، ويفتحه على مصراعيه لتنفذ منه أجمل نسائم الحضارة العربية، وتضمخ كل ركن في الأندلس. فأين موطئ قدمك يا طريف على شاطئ هذه المدينة لأطبع على أديمه ألف قبلة حب؟ أنت الذي عَبَّدت الطريق لطارق العظيم. المجد لك والمجد لطارق الذي عَلَّم العالم كيف ينبغي له أن يتخذ القرارات الحاسمة في اللحظات التاريخية الدقيقة.

وأنت تعبر المضيق بحذاء جبل طارق على باخرة «ترانسميد طرانيا» ستذكر حتما تلك الأبيات التي جاشت بها نفس طارق في أثناء العبور:

ركبنا سفينًا بالمجاز معبرا
عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوسا وأموالاً وأهلاً بجنَّة
إذا ما اشتهينا الشيء فيها تَيَسَّرا

وحتما ستذكر أيضا خطبته الشهيرة: «أيها الناس! أين المفر؟ البحر وراءكم، والعدو أمامكم...».

لقد أعطى هذا القائد الفذ للعالم أروع أمثلة الإقدام والشجاعة في اقتحام المجهول، والتصميم على التضحية من أجل الغايات النبيلة، والإيمان العميق بالرسالة الحضارية حين توغل داخل أرض مجهولة ينشر

ظلال حضارة أمته الورافة.

أتصور أن كل الزهور، وكل أشجار النخيل والنارنج والصنوبر والأكاليبتوس والزيتون التي تتزين بها الحقول والحدائق في أندلس اليوم، إنما زَرَعت فسائلَها أناملُ عربية، بل كل نبتة أو غرس في الأصص العطرة التي تزين شرفات البيوت الأندلسية هي من صنيع الأنامل المبدعة التي كانت كلما مست بقعة من أرض، أو قطعة من رخام، أو مساحة في جدار أصبح هذا كله يموج بالجمال وسحر الإبداع.

طريفة اليوم، مدينة صغيرة، وديعة، يحضنها البحر بحنان، تمتلئ شرفات بيوتها بآلاف الأصص المزهرة، وتتسلق جدرانها أشجار الياسمين، ويعبق في شوارعها عبير فاغم، لكن أجمل نسمة تسللت إلى كل مسامي وتغلغلت في كل خلية من جسدي بها، هي نفحة عطرة من رداء طريف وابن زياد مازالت تتجول في شوارع هذه المدينة.

إشبيلية

في مدينة إشبيلية يستوقفك نهر الوادي الكبير، يخترق جسد المدينة كسيف صقيل تركه المعتمد بن عباد من دون غمد، وهو في غمرة تأهبه للرحيل إلى أغمات صحبة يوسف بن تاشفين. مازالت مويجات الوادي الكبير تردد في كل الأماسي الوردية أطيب ذكريات ذلك الأمير الشاعر، وتستعيد لقاءه الأول بجاريته الأثيرة «اعتماد».

وقف الأمير الشاعر صحبة صديقه الشاعر ابن عمار يتأمل جمال النهر، وخطر له أن يصفه، فقال:

صنع الريح من الماء زَرَدْ

بيد أنه لم يتمكن من إتمام البيت، فاستنجد برفيقه الشاعر فعجز؛ فسمع صوتًا أنثويًا خلفه:

يا له درعًا منيعًا لو جَمَدْ

مازالت مويجات الوادي الكبير تروي حكايات أفراح هذا الشاعر وأحزانه، وأروع ما ترويه لكل من يصيخ السمع لأحاديثها المنسابة، قصة موقفه حين اضطرته الظروف أن يختار بين التشبث بعروبته، والارتماء في حضن ملك الإسبان، فاختار أن يكون راعي جمل على أن يخون قومه: «لأن أكون راعي جمل عند يوسف بن تاشفين خير من أكون قائدًا كبيرًا عند الإدفونش».

على صفحة نهر الوادي الكبير، تتراقص أمامك شتى الأحداث من عهد ملوك الطوائف الغابرة. تتذكر عهدًا للطوائف في سائر وطنك العربي الممزق، تلمح المعتمد بن عباد وهو يعجن المسك والكافور والعنبر ليحقق لجاريته الأثيرة أمنيتها المترفة، ولكنك ترى أيضا على صفحته مثالا لسرعة التحول، فتكاد تسمع صوتًا واهنًا يصدر من خلال الموج:

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا
فجاءكَ العيدُ في أغماتَ مأسورا
ترى بناتكَ في الأطمار جائعةً
يغزلن للناسِ ما يملكن قِطْميرا

إشبيلية صبية حسناء، رائعة الجمال تتزين بأجمل الحلي العربي، بيد أن أجمل حلْية يحق لها أن تزهو بها على أجمل مدائن الدنيا هي صومعة «لاخيرالدا».

في إشبيلية، وفي كل مدن الأندلس: غرناطة، قرطبة.. ستجد نفسك مشدودًا إلى تاريخك العربي، وحضارتك العربية الإسلامية ذات الشأن، وهناك سيغمرك شعور أخذ يصير غريبًا في هذا الزمن العربي الرديء الذي لا يذوق فيه المرء سوى مرارات الهزيمة والإحباط. ذلك الشعور هو شعور الفخر والاعتزاز بالانتساب إلى العروبة والعرب.

سترى، سواء في غرناطة وأنت داخل أبهاء قصر الحمراء وردهاته، وأمام جدرانه الناطقة، ومياه أحواضه الدافقة، أو في قرطبة وأنت داخل مسجدها الأعظم وأمام منبره وتحت أقواسه المخططة، سترى هناك أمة التقدم التقاني، منبهرة مشدوهة أمام إبداع الإنسان العربي الخالد. ولذلك أجدُني في هذه السطور مشدودًا بخيوط قوية إلى هذا الماضي المجيد. ألا تواجه الذات عادة، في لحظات قصورها، تحديات الحاضر بالتشبث بما في مخزونها الثقافي والحضاري من مفاخر وإيجابيات؟ هذا الانشداد إلى التاريخ، يبعدك من الالتفات إلى مظاهر جميلة منبثة هنا وهناك في هذا الفضاء الجميل المؤثث بحذق أنامل فنان. أجمل هذه المظاهر التي تجتذبك من انغماسك في أغوار الماضي لتجعلك وجهًا لوجه إزاء حاضر جميل، لكن هذه المرة من صنع يد الإنسان الإسباني، هي انتشار الحدائق والساحات العمومية الكبرى التي تلقي بظلال أشجارها على الممرات المنسقة، والمقاعد المريحة لتستقبل العابرين، وتقدم إليهم لحظة ظليلة، منعشة، مغمورة برائحة الريحان ورذاذ المياه المنبجسة من نافورة قريبة. تكاد توجد في إشبيلية بين كل ساحة عمومية وأخرى، ساحة عمومية ثالثة أعدت لتجميل المدينة، وتوسيع فضاءاتها لتحس النفس بالارتياح والانطلاق، ولتكون ملاذًا ظليلاً للسابلة والعابرين المجهدين. هنا تحس بأن هناك تفكيرًا في المواطن، سهرًا على راحته، حتما ستفكر في وطنك، ستنهشك أصابع الغيرة. في وطنك تجد بين كل مقهى ومقهى، مقهى آخر. حتى داخل الحدائق العمومية تنبثق بدل الأشجار والخضرة مقاه ومطاعم، بل ما أكثر الحدائق التي اغتيلت أشجارها وأزاهرها وتحولت إلى أماكن مهملة. آه ما أشد حاجتنا إلى الاستفادة والتقليد، فكم هي المظاهر الجميلة التي تتوق النفس إلى نقلها إلى حيز بلادنا، وكلها تضع في اهتمامها دائمًا خدمة الإنسان.

في كل المدن الأندلسية التي مازالت آثار الإنسان العربي المسلم منقوشة في كل زاوية فيها كنت موزع النفس بين التاريخ العربي المشرق، والحاضر العربي القاتم، متقلاً بهموم الوطن وهموم الإنسان العربي، ألتحم بالشعر وبالتاريخ المكتوبين على صفحة نهر الوادي الكبير، والمنقوشين في كل جدران الأندلس وأزقتها، وأبحث عن لحظة ظليلة مغمورة بالصفاء والجمال والحرية والفرح البريء.

التعليم المعاصر والأصالة المفقودة

د. محمد بن لطفي الصباغ

في حديثنا هذا عن التعليم أود أن نورد إلمامة سريعة بواقع التعليم المعاصر، وأن نتأمل صورًا تاريخية عن التعليم في ماضي أمتنا، فقد تقوم في ذهن القارئ موازنة بين ماضٍ وحاضر.. وإنه ليحلو للمرء في كثير من الأحيان أن يوازن بين مرحلتين متفاوتتين من حياته، ومن أجل ذلك يحرص بعض الناس على الاحتفاظ بصور أخذت لهم في مناسبات وأوقات متباعدة.. وكثيرا ما تكون هذه الموازنة نافعة لإصلاح عيب تفاقم على الأيام، أو للمحافظة على وضع كريم لاحت أمارات تزحزحه عن مكانه، وإذا كان ذلك في الفرد أمرًا تستريح إليه النفس وينتفع به الفرد فنفعه أكبر بالنسبة إلى الأمة.

إن أمة الإسلام أمة العلم، فقد دعا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلى العلم. قال تعالى: *فَلَولا نَفَرَ من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقَّهُوا في الدِّين ولِيُنْذِرُوا قومَهُم إذا رَجَعوا إليهم لعلَّهم يَحْذَرون*. **التوبة**:١٢٢. وقال سبحانه: *هل يَستوي الذين يعلمُون والذين لا يعلمُون*. **الزمر**:٩. وقال عز من قائل: *يَرْفَعِ اللهُ الذينَ آمنُوا منكم والذين أُوتُوا العِلمَ دَرَجاتٍ*. **المجادلة**:١١، وقال صلى الله عليه وسلم: «طَلَبُ العلم فريضةٌ على كل مسلم»(١). وقد أوجب الشرع على كل مسلم أن يتعلم ما تصح به عقيدته وعبادته، وأوجب على كل من واجهته مسألة من أمر دينه أن يسأل عنها حتى يعلمها، لا يُعفَى من ذلك مُكلَّف عاقل، وهذا فرض عيني.

وهناك فرض كفائي وذلك بأن يتخصص متخصصون بالعلوم التي تحتاج إليها الأمة سواء أكانت علومًا شرعية أم علومًا تجريبية. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... ومَنْ سَلَكَ طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سَهَّلَ الله له به طريقًا إلى الجنة»(٢).

وعن أبي الدَّرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ سَلَكَ طريقًا يبتغي فيه علمًا سَهَّلَ اللهُ له طريقًا إلى الجنة، وإنَّ الملائكة لَتَضَعُ أجنحتَها لطالب العلم رِضًى بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفَضْلُ العالم على العابد كفَضْلِ القَمَر على سائر الكواكب، وإنَّ العلماءَ وَرَثَةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُوَرِّثُوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورَّثُوا العلم، فَمَنْ أخذه أخذَ بحظٍّ وافر»(٣).

وقد كانت هذه النصوص وأمثالها سببًا لازدهار الحياة العلمية في أمتنا ـ كما سنشير إلى ذلك إشارات خاطفة في هذه الكلمة ـ وكانت القرون: الثالث والرابع والخامس من القرون الذهبية في مجال العلم والإبداع في التأليف ـ واستمر الحال على ذلك ـ إلى أن أصاب الأمة مرحلة ضعف لأسباب عدة ليس المجال مجال تعدادها.

وتقوم في هذه الأيام نهضة في التعليم(٤)؛ بسبب اليقظة التي هبت رياحها على العالم الإسلامي.. وتعم بلاد المسلمين اليوم رغبة صادقة في التعلم، وازدياد في عدد المدارس والطلاب في كل مستويات التعليم، وأصبحت هناك في معظم البلدان أزمة في المدرسين لمواجهة هذا الازدياد في الإقبال على طلب العلم. ولكن كيف تعليمنا اليوم؟ وكيف كان من قبل؟

كنت أود أن نحافظ على الاستمرار في الاعتماد على أن تكون دراستنا قائمة على القرآن تلاوة وحفظا، وهذا ما كانت تقوم به الكتاتيب، ذلك لأن الكُتَّاب مدرسة قائمة على القرآن. وقد أدت الكتاتيب مهمة عظيمة جدًا في تربية الأجيال على القرآن في مرحلة التكوين الثقافي الأولي، فقد تخرجت أجيال هذه الأمة بالقرآن منذ أن بدأ التعليم فينا إلى قريب من الوقت الحاضر(٥).

إن هذه النهضة التعليمية يمكن أن نعدها استئنافًا على نحو ما لما كان عليه الحال في أمتنا في عصورها الذهبية. فقد كان فيها إقبال عظيم على العلم ومجالسه.

فمن أخبار تلك العصور أن الجامعات ـ وهي مجانية ـ كانت تفتح أبوابها على مصاريعها لكل راغب في العلم، لا يصدّ طالبَ العلم صادٌّ، ولا تعرقل تحصيله العلمي شكليات القبول، وصعوبات تجاوز الحدود المصطنعة وتحصيل السمات والتأشيرات وجوازات السفر.

وكانت رغبة الإنسان في الاستمرار في طلب العلم تتحقق دون أي صعوبة، وكانت متابعته الجادة تصقل موهبته وتمكنه من النجاح.

وكانت مواهب الإنسان واستعداداته هي التي تجعله يفيد من هذه المتابعة، أما الذين قصرت بهم مواهبهم واستعداداتهم فكانوا يتركون؛ يأخذون ما يأخذون وما هم بضارين من أحد، ولا يعدمون انتفاعًا مهما قلّ.

ومن أخبار تلك العصور بشأن كثرة الطلاب في مجالس العلماء ما روى الخطيب البغدادي عن يحيى بن أبي طالب قال: سمعت يزيد بن هارون في مجلسه ببغداد وكان يقال: إن في مجلسه سبعين ألف رجل(٦).

ويزيد هذا ولد سنة ١١٨هـ وتوفي سنة ٢٠٦هـ، ففي هذا الوقت المبكر

كان هذا الإقبال على العلم.

هذا مجلس واحد ومثله كثير.

ومن هذه الأخبار ما حَدَّث به علي ابن محمد بن حبيب البصري قال: حدثني أبي قال: كنا نحضر مجلس أبي إسحاق إبراهيم بن علي الهجيمي للحديث، فكان يجلس على سطح له، ويمتلئ الشارع بالناس الذين حضروا لسماع الحديث، ويبلغ المستملون عنه. قال: وكنت أقوم في السحر فأجد الناس قد سبقوني وأخذوا مواضعهم، وكان يحضر مجلسه ثلاثون ألف رجل(٧).

وذكر السمعاني أن المعتصم وَجَّه من يحزر مجلس عاصم بن علي بن عاصم فحزروا المجلس عشرين ألفا ومئة ألف(٨).

وذكر أيضًا أن محمد بن إسماعيل كان يجلس ببغداد وكان يجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا(٩).

وهناك طرائق لتبليغ هذا العدد تجعل كل طالب مستوعبًا ما يقوله الأستاذ متابعًا له.

وفي بغداد عدد كبير من أساطين العلم كانوا يجلسون للطلبة يحدثونهم ويعلمونهم، فإذا كان مجلس كل عالم على هذا النحو فإننا نستطيع أن نتصور الحجم الضخم لعدد الطلبة المقبلين على العلم.

وهناك مدن أخرى كثيرة يشع منها نور العلم، وتنبثق عنها فيوض المعرفة غير بغداد، كالبصرة والكوفة وواسط ومكة والمدينة ودمشق وبخارى وغيرها من مدن العلم ومراكزه، وفي هذه البلاد مجالس ومساجد عامرة مزدحمة بطلبة العلم على نحو ما رأينا في بغداد، فإذا حاولنا تقدير عدد الطلاب في هذه البلاد عرفنا مدى الإقبال على طلب العلم في تلك الأيام.

بل هناك حادثة ذات دلالة عظيمة أنقلها على الوجه الذي ذكرته في كتابي «أبو داود حياته وسننه»: «وانتقل أبو داود إلى البصرة بطلب من الأمير أبي أحمد الموفق الذي جاء إلى منزله في بغداد، واستأذن عليه ورجاه أن يتخذ البصرة وطنا له، ليرحل إليه طلبة العلم من أقطار الأرض، فتعمر بسببه، فإنها قد خربت وهُجرت وانقطع الناس عنها لما جرى عليها من فتنة الزنج»(١٠).

وهذا الخبر يدل على أن شهرة أبي داود قد طبقت الآفاق؛ فالناس يعرفون له قدره وفضله، وأحست الدولة بذلك فطلبت إليه أن يرحل إلى البصرة البلدة المنكوبة لتعود إليها الحياة ولتعمر من جديد.

وفي هذا دليل على طبيعة حضارتنا، ومنزلة العلم والعلماء فيها، فإن سكنى أبي داود فيها كان العلاج لرد العمران إلى بلد مخرب مهجور»(١١). ويدل على كثرة الطلاب أيضًا فقد عمرت بهم مدينة كبيرة.

وكان طلاب العلم في تلك الأزمنة يقبلون على العلم للعلم، ويرحلون من أجل ذلك إلى البلاد، ومن النصوص الجميلة كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية فيهم فقد قال: «...فَسَافَرُوا في ذلك إلى البلاد، وهجروا فيه لذيذ الرقاد، وفارقوا الأموال والأولاد، وأنفقوا فيه الطارف والتلاد، وصبروا فيه على النوائب، وقنعوا من الدنيا بزاد الراكب، ولهم في ذلك من الحكايات المشهورة، والقصص المأثورة، ما هو عند أهله معلوم، ولمن طلب معرفته مرسوم، فَتَوَسُّدُ أحدهم التراب، وتَرْكُهُم لذيذَ الطعام والشراب، وتركُ معاشرة الأهل والأصحاب، والتصبُّر على مرارة الاغتراب، ومقاساة الأهوال والصعاب، أمر حببه الله إليهم وحلاّه...»)(١٢).

وكان هناك تنوع في دراسة العلوم.. فهناك مدارس للشافعية، ومدارس للحنفية، ومدارس للمالكية، ومدارس للحنابلة، ومدارس للحديث، ومدارس للقراءات، ومدارس للعربية، ومدارس للرياضيات والطب والجغرافيا ونحو ذلك، وكانوا يريدون بكلمة «مدرسة» ما ندعوه اليوم: جامعة أو كلية جامعية.

وكان طلاب العلم يجدّون وينصرفون انصرافا كليا إلى طلب العلم بدأب ومصابرة، فأتاح ذلك لأصحاب المواهب أن ينبغوا ويبدعوا ويتركوا للأجيال زادا قيما من المعرفة تمثل بهذه المؤلفات المدهشة.

وكان إلى جانب هذه الدراسات النظرية «مدارس مهنية» تتمثل في حوانيت الصناع، ودكاكين التجار، وحقول الفلاحين.. فيختار كل فتى المهنة التي يميل إليها، بعد أن يكون قد قضى في الكتّاب عددًا من السنوات حفظ فيها قدرًا من القرآن مع إتقان تلاوته، وتعلم القراءة والكتابة، وما يهمه من أمور الدين.

إن الإقبال على المدارس المهنية في عصرنا إقبال ضعيف جدًا، وإن هذه المدارس قليلة أيضًا.. إن ذلك ما نفتقده في واقعنا التعليمي، إذ نرى أن التعليم العام يجتذب العدد الأكبر من النشء وهذا الخلل في التوازن له نتائجه الضارة.

وإذا كانت حاجة دولنا النامية إلى موظفين يديرون دوائرها ومؤسساتها اقتضت فيما مضى أن يتجه الشباب إلى التعليم العام فإن هذه الحاجة لم تعد ملحة كما كانت، ولا يجوز أن يستمر الوضع السابق، لأننا سنفاجأ بأعداد كثيرة من الشباب لا عمل لهم، فتكون البطالة التي تنتج الفاقة والفساد والجريمة واضطراب الأحوال.

هذا بالنسبة إلى التعليم العام الذي يجتذب الكثرة الكاثرة من الطلاب اليوم. وهناك أمر آخر لا يقل عنه خطرًا: وهو متابعة الدراسة الجامعية لكل حامل للثانوية مهما كان استعداده نتيجة لفكرة خاطئة سادت أوساط كثير من الناس، وهي ضرورة أن يحصل كل فتى أو فتاة على شهادة جامعية!!

كان طلاب العلم في الأزمنة الماضية يُقبلون على العلم للعلم. أما اليوم فالسمة الغالبة: التعلم للحصول على الشهادة؛ إما للحصول على الوظيفة، وإما للتفاخر بها!

فترى المؤهَّلين للدراسة والبحث وغيرَ المؤهلين ينخرطون في الدراسة الجامعية، وإذا لم يستطع أحدهم الالتحاق بجامعة بلده بسبب ضعف درجاته التمس جامعة خاصة في بلده أو في خارج بلده والتحق بها.

فيمضي المؤهَّل للدراسة في دراسته ويحقق نجاحًا علميًا ضمن المدة المحددة للدراسة الجامعية، ويتعثر غير المؤهل للدراسة.. ويبقى يحاول المستحيل، ولا يصل إلى شيء مما يبغي، ويظل في مكانه لا يتحول عنه عالة على أسرته.. تنفق عليه وتتحمل في كثير من الأحيان مالا تطيق.

وغالبًا ما يضيق صدره فيترك الجامعة بعد أن يكون قد ضيع من عمره

التعليم المعاصر
والأصالة المفقودة!

سنوات دون فائدة. وقد يظل مكابراً فيستمر في الدراسة عشر سنوات أو أكثر، وكان المفروض أن ينهيها في أربع.

ثم يتخرج يوم يتخرج غير قادر على العطاء والإبداع مخفقًا في عمله، يتعثر في كل خطوة في حياته.. ويترك هذا الوضع آثاراً نفسية واجتماعية مؤلمة. أقول: لماذا كل هذا العناء؟

إن هذا الإنسان لو انصرف من بدء حياته العملية إلى العمل المهني الذي يوافقه لأتقنه، فكان خيرا له وللأمة، وربما استطاع أن يحقق من وراء عمله ثروة كبيرة.

إن العمل الحر من تجارة وصناعة وزراعة ميدان واسع، والعمل فيه بإتقان يحقق للأمة اكتفاء ذاتيًا ما أشد حاجتها إليه.

إن هذا الواقع يحتاج إلى مزيد من الدراسة والنظر والإصلاح، وليست فكرة التحديد التي تأخذ بها بعض البلاد العربية حلاً للمشكلة، والبديل الأفضل هو التوعية التامة لأفراد الأمة، وتبصيرهم بمصلحة أبنائهم، ومصلحة الأمة.

إن الموازنة بين ماضينا في مجال التعليم وحاضرنا لتوقفنا على حقائق في غاية الأهمية:

١- منها أن العلم للعلم كان سمة طلاب العلم في ماضينا الأغر.

أما السمة الغالبة اليوم على طلاب المدارس والجامعات فهي أن التعلم للحصول على الشهادة التي تمكنه من الوصول إلى الوظيفة، أو التي يفتخر بها بين الناس.

وهذا الواقع المؤلم من أسباب ضعف المستوى العلمي في الوقت الحاضر، فإن الطالب اليوم يكد ذهنه بحفظ معلومات يختزنها ليوم الامتحان فإذا انقضت الحاجة إليها سرعان ما تأخذ طريقها إلى النسيان، وكثيراً ما يكون الحفظ خاليا من الفهم، وذلك يكون أدعى إلى سرعة ذهابها.

٢- ومنها أن العلم كان مقدمة للعمل، ولاسيما بالنسبة إلى العلوم الشرعية. قال الحسن البصري: «إنّ مَنْ كان قبلكم رأوا القرآن رَسَائلَ إليهم من ربِّهم فكانوا يتدبَّرونها بالليل وينفذونها بالنهار»(١٣).

وعن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن(١٤).

وعن أبي عبدالرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا(١٥).

وأضحى العلم اليوم عند بعض الناس «ثقافة» منقطعة عن العمل.

٣- وقد كانت الأصالة سمة من سمات العلم في ماضينا، وكان الاعتزاز بعلومنا وثقافتنا سمة العلماء في ذلك العصر الأغر.

ونتج من ذلك الإبداع والعطاء الغزير الأصيل الذي حققته أمتنا في مجالات عدة.

وإنه ليؤسفني أن أقرر أن بعض المثقفين المعاصرين أصيبوا بعبودية فكرية للغرب، فهم يرون بأعين الغرب، ويفكرون بأدمغة الغرب، وصاروا إلى التقليد الأعمى، والمحاكاة التامة، والانبهار بالآخرين، والإحساس بالنقص أمام الآخرين.

ونتج من ذلك خمول في النفس وسطحية في الذي يقدمونه.. أو عجز عن الإبداع.

٤ - كانت ثقافتنا مرتبطة بالدين مصطبغة بصبغته، وكان التعليم يُعنى بهذا الارتباط أيما عناية، فعلوم اللغة كانت تدعى علوم الآلة، وكانت لخدمة الكتاب والسنة، وعلوم الحساب والفلك والجغرافيا والطب وغيرها كانت مرتبطة بحياة المسلمين مصبوغة بصبغة إيمانية تقود إلى تعظيم الله سبحانه وتعرّف بديع صنعه، والاستدلال على اتصافه بالصفات المثلى الكريمة. فكل ما في العلوم يذكّر بالله سبحانه.

أما التعليم المعاصر في كثير من بلاد المسلمين فهو متشبع بروح الثقافة الأوربية التي لا تعير هذا الموضوع تلك الأهمية.

٥ - أمة الإسلام أمه واحدة: *إنّ هذه أُمَّتُكُم أُمَّةً واحِدَةً*. **الأنبياء**:٩٢، وكانت الحياة العلمية والتعليمية تحقق هذه الوحدة.. فقد كان التعارف قائمًا بين علماء هذه الأمة يعرف بعضهم بعضا من قبل أن يتقابلوا، وكان هناك تواصل علمي سريع بين العلماء على تباعد أقطارهم وضعف وسائل المواصلات، حتى غدوا كأنهم أسرة واحدة يعيشون في مدينة واحدة.

فالإمام أبو داود يؤلف كتاب «السنن» في بغداد، فيطلع عليه أهل مكة، ويرسلون إليه رسالة يستوضحون فيها عن منهجه في كتابه، ويجيبهم عن رسالتهم برسالة نفيسة(16).

ويؤلف ابن عبد ربه (أحمد بن محمد المتوفى ٣٢٨هـ) - وهو أندلسي - كتاب «العقد الفريد» فيحرص الصاحب بن عباد (إسماعيل بن علي المتوفى ٣٨٥هـ) على الحصول على نسخة من هذا الكتاب، وقال لما تأمله: هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا(17).

ويقول الشاعر قصيدة في الحجاز، فلا تمضي أسابيع حتى يرددها المنشدون في الشام والعراق وخراسان ومصر والأندلس.

بينما نشكو في عصرنا الحاضر من تفرق هذه الأمة الواحدة ومن العزلة القائمة بين أقطارها والتقوقع في المجال الثقافي، فلا يعرف كثير من أهل المشرق العربي إلا القليل من إنتاج إخوانهم في المغرب العربي، بل إن التواصل الثقافي بين أهل المشرق أنفسهم ضعيف جداً، وكذا الحال في المغرب العربي.

٦ - وأخيراً فإن الإقبال الكبير على التعلم الذي نشهده اليوم في بلاد المسلمين بعد احتكاكنا بحضارة الغرب ليس بدعًا في تاريخنا، بل عرفنا ما يقاربه ويزيد عليه عندما كانت حياتنا في تلك الحقبة الميمونة تقوم على الإسلام.

وإني لأرجو أن نبني نهضتنا التعليمية على القرآن الكريم، الذي حفظ على أمة الإسلام كيانها ومقومات وجودها، وحمى لغتها من الضياع، وأن نتفاعل مع عصرنا مشاركة في علومه واختراعاته، وأن نحافظ على مقومات شخصية أمتنا، وأن نعتز بالإسلام العظيم الذي أكرمنا الله به وبتراثنا وثقافتنا، وأن نُعنى بالكيف لا بالكم. والله ولي التوفيق. وصلى الله على سيدنا محمد وآله. والحمد لله رب العالمين.

الحواشي:

١- رواه ابن ماجه برقم ٢٢٤ وهو حديث صحيح.
٢- رواه مسلم برقم ٢٦٩٩.
٣- رواه أبو داود برقم ٣٦٤١، والترمذي برقم ٢٦٨٢، والدارمي ٩٨/١، وابن ماجه ٨١/١، وأحمد ١٩٦/٥.
٤- تتسنم المملكة العربية السعودية الذروة في سلم الإنفاق على التعليم كما جاء في إحصائية اليونسكو التي قررت أن المملكة هي الدولة الأولى في الإنفاق على التعليم بالنسبة إلى الدول النامية.
٥- انظر كتابنا: لمحات في علوم القرآن، ص ١٣٦.
٦- تاريخ بغداد ٣٤٦/١٤، وتهذيب التهذيب ٣٦٨/١١.
٧- أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ١٨.
٨- أدب الإملاء والاستملاء ١٦-١٧.
٩- أدب الإملاء والاستملاء ١٧.
١٠- طبقات الحنابلة ١٦٢/١، وطبقات الشافعية ٢ /٢٩٣، ومعالم السنن للخطابي ١٢/١.
١١- انظر كتابنا: أبو داود حياته وسننه، ص١٨.
١٢- مجموع الفتاوى ٦/١.
١٣- تفسير ابن عطية ٢٣/١.
١٤- تفسير الطبري ٨٠/١، وتفسير ابن كثير ٣/١.
١٥- تفسير الطبري ٨٠/١، وتفسير ابن كثير ٣/١.
١٦- وقد حققتُ هذه الرسالة وقدمتُ لها، وطُبعت ثلاث طبعات، وهي الآن تحت الطبع.
١٧- الوافي بالوفيات ١٠/٨.

الشعر العربي قضاياه وهمومه المعاصرة ٢

محمود حامد

لقد تعودنا في النص الشعري إيقاعًا وموسيقى يكوّنان جزأين مهمين من التركيبة الفنية لذلك الشعر. فالإيقاع يمثل التفعيلة، والموسيقى تمثل النغمة في البيت من الشعر تتبعه بعد ذلك باقي أبيات القصيدة، وعندما بدأ الشعر الحديث يشكل أحد قطبي الشعر العربي المعاصر؛ كانت الخاصية الأولى فيه هي الخروج عن قاعدة التفعيلة المألوفة وبعث حركة جديدة في التفعيلات بجعل عددها متحركًا في شطر وشطر آخر دون التزام صدر وعجز ومحتوى كل منهما من التفعيلات.

لكن الشيء الذي بقي محافظا عليه في المرحلة الأولى من القصيدة الحديثة هو الموسيقى، وإيقاع حركة الشطرة في إطار القصيدة الواحدة، وهذا مالاحظناه في المقطع الشعري من قصيدة: عينان زرقاوان لبدر شاكر السياب؛ حيث أخرجنا فيها السياب من مألوف بيت الشعر العربي لواقع آخر بحركة تفعيلية جديدة، لكنه حافظ على نغم وإيقاع وإن تميزا بترداد أسرع جاء نتيجة الحركة النفسية الداخلية للشاعر الحديث:

عيناك.. أم غاب ينام على وسائد من ظلال؟
ساجٍ تلثَّم بالسكون فلا حفيف ولا انثيال
إلاّ صدى واه يسيل على قياثر في الخيال
إني أحسُ الذكريات يلفها ظل ابتهال
في مقلتيك مدًى تذوب عليه أحلام طوال
وغفا الزمان.. فلا صباح، ولا مساء، ولازوال!
إني أضيع مع الضباب سوى بقايا من سؤال:
عيناك.. أم غاب ينام على وسائد من ظلال؟(١)

تلك هي قصيدة: عينان زرقاوان لبدر شاكر السياب في مقطعها الأخير، وقد كُتبت القصيدة بتاريخ ١٩٤٨/١/٦م؛ أي في البدايات الأولى لانبثاق حركة الشعر الحديث، ومع ذلك فالقصيدة ذات جمالية وشفافية وموسيقى رائعة، إنما كما ذكرنا تم التلاعب بحركة التفعيلات مع المحافظة في كل مقطع على قافية خاصة به، وهذه حركة أخرى في الشعر العربي الحديث، إذ أصبح لكل مقطع فيها قافيته، وصار كل مقطع يشكل فاصلا في نسيجه العام تربطه علاقة المضمون وحركة التفعيلة الواحدة ضمن سياق القصيدة كلها:

متفاعلن ـ متفاعلن ـ متفاعلن ـ متفاعلان

هذا ماجاء في المطلع الأول وتليه الأبيات كلها على هذه الشاكلة إنما تبقى التفعيلة أساسًا في حركة البيت، والقافية، والإيقاع الموسيقي، ويبقى الأهم، بل الأهم جدا؛ يبقى انتماء الشاعر المعاصر الأصيل لهموم أمته وقضاياها، ويبقى انتماؤه الشعري انتماءً للفكر العربي وتاريخه وأصوله وجذوره؛ لأنه حتى في تطوره المعاصر كان مازال يستقي وينهل من ينابيع الشعر، العذبة والرائعة.

إذًا شاعر كالسياب وآخرون كُثْر في تعدادهم وحضورهم في الساحة الشعرية العربية يمثلون ظاهرة صحية للغاية من حيث قدرة عطائهم الشعري في شكليه القديم والحديث، ومحاولة ارتقائهم بالشعر العربي إلى مستوى الحاضر وظروفه وخصوصيته، وأفكاره. هم لم يحاولوا الانسلاخ عن ماضي هذه الأمة ولا عن تراثها العظيم، لكنهم، بالمقابل، رأوا أنه من الضروري أن يتطور الشعر في شكله ومضمونه ومُعطياته وأفكاره بما يناسب روح العصر، والمرحلة الراهنة التي تمثل مناخًا مغايرًا تمامًا، ومتطورًا جدًا عن ماض بات محفوظًا في ذاكرة التاريخ ورفوف المكتبات التراثية والأكاديمية. وكانت نقلة نوعية، ومذهلة في الستينيات وماتلاها عندما بدأت مذاهب الرفض تغذي انفلات الحداثة من أُطر القيد التي أسرتها طويلاً، وتعويم حركة الحداثة بحيث تكون هي البديل لتراث أصبح في حكم المخزون تراثيًا للدراسات الأكاديمية وطلاب العلم والدراسات العليا. في هذه المرحلة تحررت القصيدة من إرثها أولاً، ومن القافية والتفعيلة والموسيقى ثانيًا، واختلط الحابل بالنابل، وضاع الخط الفاصل بين الشعر والنثر. إنما بقي، على تلك الظاهرة الخطيرة جدا، شعراء كانوا كالمتراس في وجه الطغيان العبثي يدافعون عن الأصيل، ويثبتون بشعرهم وقصائدهم الرائعة أنهم في المواجهة هم

الباقون في ساحة الشعر، وهم السائرون بالشعر العربي إلى مبتغاه، وبالقصيدة المعاصرة إلى أصولها وجذورها. وهذا ماكان يحصل فعلا إذ بدأت انتفاضة الستينيات الرافضة للشعر العربي الأصيل، والمطالبة بالاستقلالية التامة عنه، بدأت تنتهي وتذوب أمام صوت الشعراء والشعر الحقيقي الذي امتلك أيضًا مفتاح الحداثة بكل أبعادها ورموزها وكذلك دلالاتها، والسبب الأقوى في هذا أن الشعراء المبدعين أبدعوا في شعري الأصالة والحداثة نتيجة لـلخلفية الثقافية التي كانوا يمتلكونها وكانت تدعمهم بكل قوة؛ بينما الغالبية من شعراء الرفض كانوا يمتلكون بنيانًا هشًا اعتقدوا من خلاله أنهم بتملكهم مفردات الرمز والأسطورة (الميثولوجيا) امتلكوا مفاتيح الحكمة والشعر كلها، لكنهم في قرارة أنفسهم كانوا يعلمون تماما أين موقعهم في ساحة الشعر، بل أين موقعهم في وجدان الفكر العربي كله.

وأنا أتابع من ساحتي الشعرية مايجري، ومايكتبه المبدعون، ومايكتبه الآخرون. فإنني بانتمائي لحركة الشعر العربية الأصيلة، بشكليها القديم والحديث، كنت أحس كم هي رائعة تلك المعاناة التي تفرز شعراء حملوا همَّ أمتهم وسكبوه في وعاء هذه الأمة الثقافي ملاحم باقية لم يهزها حدث، ولا أدماها خطب، ولا روعتها كارثة:

إذا ملكوا الدنيا على الحُرِّ عُنوةً
فـفي نفسه دنيا هي العِزّ والكِبْرُ
وإن حجبوا عن عينه الكون ضاحكا
أضاء له كون بعيد هو الفكرُ
فليلته صبح وعسرته غنًى
وأحزانه نُعمى وآهاته شعرُ
أُطِلُّ على الدنيا عزيزًا أضمَّني
إليه ظلام السجن أم ضمني القبرُ
وما حاجتي للأفق ضحيان مشرقًا
ونفسي الضحى والأفق والشمس والبدرُ
وماحاجتي للكائنات بأسرها
وفي نفسي الدنيا وفي نفسي الدهرُ
ونفسي لو أن الجمر مسَّ إباءها
على بشرها الريان لاحترق الجمرُ(٢)

أمام هذه الملحمة المعاصرة، مبنًى ومعنًى، نقف عند قصائد أخرى للزميل الشاعر خليل نعيمي ونوازنها بتلك الأبيات الملحمة لبدوي الجبل، ونحس ماذا يمثل الشعر العبثي في ديوان الشعر العربي، بل ماذا يمثل شعر الرفض كله الذي اتكأ على مفردات الرمز والأساطير وشعر الغرب فكان خارج سربه، خارج الوطن، خارج وجدان الأمة وخارج همومها وقضاياها التي تمثل وعاء الفكر الخصب للمبدعين - المبدعين حقا -. وماأقدمه الآن من نماذج، فإن كل نموذج منه يكوّن في مفهوم شاعره خليل نعيمي قصيدة مستقلة بذاتها في تكوين يمثل أخطر انحراف حداثوي في تاريخ الشعر العربي كله، وقد اخترنا تلك القصائد - والتي أطلقت عليها أنا اسم: صيغة شعرية - من ديوان: صور من ردود الفعل لأحد أفراد العالم الثالث(٣):

قصيدة أولى: هذيان:
قتلتُ نفسي مرتين
وعندما أفقت
وجدت عند قدمي
الناس كالكلاب

(ص٢٦ من الديوان المذكور).

قصيدة ثانية: أنا:
إبهام
وزيف
وضياع
وشرود
وانتباه
وانفكاك
وعلاقات وثيقة

(ص٢٩ من الديوان المذكور).

قصيدة ثالثة :إخلاص:
فصَلّوا
من الأعلام
تنانيرَ للنساء

(ص٣٥ من الديوان المذكور).

قصيدة رابعة: إخلاص آخر:
وفي الساحات
نصبوا
تماثيل للشهداء

(ص٣٦ من الديوان المذكور).

قصيدة خامسة: ثبات:
لا ثبات

(ص٤٨ من الديوان المذكور).


سعد الحميدين

قصيدة سادسة: وهم:
بلا ظل تستريح الريح
والموتى
وتبقى الأرض
كالصابون

(ص٥٥ من الديوان المذكور).

هذه نهاية المطاف عند نهاية العبث.

فنحن من خلال رؤية فكرية شاملة ومتفائلة نؤمن إيمانًا كاملاً بأن الأصالة باقية وهي التي تصنع المعاصرة وتوجهها، وبأن فكر هذه الأمة من خلال الفقه الأعلى فيه، وهو الشعر، مازال يفرز بالمقابل شعراء رائعين يعيدون للشعر العربي توهجه وقوته، ويعودون إليه انتماءً وسلوكًا ووجدانًا؛ ينهلون من معين العرب، ويفرغون في وعائه الثقافي ما يمثل بحق القيم العليا للإبداع، وذروة مايقال له شعر، بخصوصية متميزة ومتفردة شكلا ومضمونًا، معنًى ومبنًى، مفردة مختارة من قضايا الأمة ومناخ الوطن ووجدان المبدع.

فهذا الشاعر عبد الله الصيخان في قصيدته: «هواجس في طقس الوطن» يعيد للقصيدة العربية وهجها الممتع، ويعيد انتماءها الأصيل لهذا التراب وهذه الأمة من خلال رؤية تجمع الأصالة والمعاصرة معًا. ومن عُمْقٍ واعٍ ومعاناة حادة يخرج صوت الصحراء ساخنًا كشمسها، ولكنه ندي كنسيم نخيلها ليطرح مافي وجدانه من هموم وقضايا تمثل هموم وقضايا الوطن والأمة من خلال نص شعري بالغ الروعة مزج بذكاء ملهم بين صيغتي أصيل ومعاصر.

ففي بدء النشيد يقول الصيخان:

قد جئت مُعتذرًا مافي فمي خبر
رجلاي أتعبها الترحال والسَّفر



عبدالله الصيخان

فالترحال والسفر مدلولان حسيَّان حولهما الشاعر إلى مدلولين معنويين عميقين للغاية نتحسس من خلالهما غربة الوطن وغربة الأمة وغربة الشاعر عن عالم لايمتُّ لنا بصلة، وواقع لا يعنينا من قريب أو بعيد، ومجهول لا يخصنا أبدًا، فغربة الشاعر غربة جماعية لا فردية، غربة وطن، وغربة أمة، وغربة روح.

يتابع الصيخان غناءه العذب:

ملَّت يداي تباريح الأسى ووعت
عيناي قاتلَها ماخانها بصرُ
إن جئتُ ياوطني هل فيك متسعٌ
كي نستريح ويهمي فوقنا مطرُ
وهل لصدرك أن يحنو فيمنحني
وسادةً حلمًا في قيظه شجرُ(٤)

يقول الدكتور سعد البازعي في مقالته المنشورة في التوباد بعنوان: جغرافية الوعي في الشعر السعودي المعاصر، وهي مقالة تتفرع إلى فرعين في دراستها: الفرع الأول خاص بقصيدة الصيخان، والفرع الثاني عام متعلق بالقصيدة السعودية المعاصرة. يقول د. البازعي فيما يخص قصيدة الصيخان:

«إن ماتتأمله (القصيدة) هو خيط متصل من ظروف المعيشة والوعي. هذا الخيط يبتدئ بحقائق البيئة الجغرافية وينتهي بإشكالات مُجتمعية تتداخل تداخلا رمزيا بتلك الحقائق، أي إن تلك الحقائق تعود في النهاية لتوظف كأدوات توصيل الوعي والمعاناة». إن المدلولات التي طرحها د. البازعي تشكل لدينا تفاؤلا مدهشًا للخط التصاعدي الذي تسير فيه القصيدة السعودية المعاصرة بشكليها اللذين طرحهما الصيخان بمتعة متميزة؛ ففي شعره الكلاسيكي إبداع ومعاصرة، وكذلك في شعره الحديث:

تعبت رملة في «النفود» فقلت لك
القلب متكأ والغمام
فلك..
فاستديري به
ثم حطي على جبهتي
أنا واقف لمجيئك..
أعرف
بعد الغبار تغني السماء لنا
أغنية
تصب لنا الماء عطش الكأس
وقتئذ مطر أشعلك(٤)

مفردة وسبك وحداثة واقعية تمثل الشعر الحقيقي. وهذا الشاعر سعد الحميدين، وهو أحد رموز الحداثة في المملكة، يعود لمدرسة الأصالة يستقي منها قصيدته: الكناري يحتضر؛ مما يثبت أن المبدع في أصالته يبدع في حداثته لأن مخزونه الثقافي يساعده في مرونة تحركه ضمن الشكلين الشعريين، وبقوة:

هو شاعر نسج الزهور وشيَّد الكلمات.. صَوَّرْ
وبقلبه حبلت همومك ياحياة.. وما تحجَّرْ
حفر الحقيقة في القلوب (بريشة) القلم المطهَّرْ
رفقًا به، أوصيك بالفنان رفقًا لو تهوَّرْ
وطبيعة الفنان في كل المواطن لاتُؤَطَّرْ

هذا مقطع من قصيدة الحميدين التي كتبت سنة ١٩٦٧م، ونُشرت في «الفيصل» العدد ١٩٨، حزيران/يونيو ١٩٩٣م، وهي تمثل رؤية ممتعة في أصالتها وصورها الحديثة.

في قصيدة: الفحمة والماسة استطاع الشاعر صالح هواري؛ هذا الشاعر المبدع؛ من خلال قصيدته المذكورة أن يحول العناصر الكيماوية المادية البحتة إلى عناصر جمالية خالصة بتوازن مدهش بين الحس الشعري الأصيل، والرؤية المعاصرة. يقول في مقطع من قصيدته: الفحمة والماسة:

قُل لمن جار على الإنسان بالمال وسَاسَهْ
يا (-) دبَّجَ الفيروز بالوهم لباسهْ
أنت من أنت سوى إنسان ذلٍ وتعاسه
أنكر الطين له أصلا فعاداه وداسه
لست أخشاك أنا فاشدد على (-) الحراسهْ
أنا فلاح عريق أنضج الله غراسهْ
منجلي الصابر في الشمس يغني في حماسهْ
كل غصن شامخ يسطيع أن يحطم راسهْ
إن قسا العود عنادا لاتخف فيه يباسهْ
لاتقل عنه عظيم شمتَ بالوهم قياسهْ
فإذا ماشئت أن تكَشف في النور التباسهْ
أُنبش الإنسان من أغواره تعرف أساسهْ
تلد الماسةُ فحمه.. تلد الفحمة ماسهْ!(٥)

هذا هو المقطع الأول من قصيدة: الفحمة والماسة، وهو الذي يهمنا من القصيدة، على الرغم من أن القصيدة كلها ذات جمالية مُمتعة. والقصيدة تمثل انتماءً واعيًا لمذهبي الأصالة والمعاصرة بدلالات ورموز مدهشة... فالشاعر لم يغادر ساحة الشعر العربي الأصيل، ولا وقف عند حدود الجمود، بل طور فنيته الشعرية شكلا ومضمونًا، بتلك العلاقة المبدعة بين شكلي الشعر ومن خلال ومضة خاطفة هي محك القصيدة ومحورها:

تلد الماسة فحمه.. تلد الفحمة ماسه

لم يسبقه شاعر إلى مثل هذا التعبير. هنا تكمن الجمالية الحادة في التجديد: عملية التحول الكيماوي في عنصري الفحم والماس، إلى تفجر وجداني حار مذهل الجمالية كما ذكرنا. عملية تركيبية مزدوجة ثنائية الحركة. فعل مادي (التحول) وفعل وجداني (الولادة). من هنا كان الشاعر صالح هواري شاعر اللقطة الخاطفة، والومضة المدهشة، والشاعر الصيخان والحميدين والثبيتي وآخرون سآتي على ذكرهم بالتفصيل بدراسات وافية تشكل كشفًا لتوهج رائع أبدع ويبدع. ومن هنا نؤكد أن الشعر العربي سيظل بألف خير مادامت هناك أصوات مبدعة ترفده بالعطاء الأصيل والمعاصر معًا، وتشكل امتدادًا لحركة تاريخ الفكر العربي بأبهى صورها وأشكالها.

الهوامش:

١- ديوان بدر شاكر السياب، ص٦٤، مقطع من قصيدة: عينان زرقاوان.
٢- ديوان بدوي الجبل، ط دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٧٨م. مقطع من قصيدة الإباء والكبرياء. ص١٤، من مقدمة لأكرم زعيتر.
٣- ديوان: صور من ردود الفعل لأحد أفراد العالم الثالث، د. خليل نعيمي، صدر بدمشق عام ١٩٦٨م.
٤- جغرافية الوعي في الشعر السعودي المعاصر، د. سعد بن عبدالرحمن البازعي، مجلة التوباد، المجلد الأول، العدد الأول، سبتمبر ١٩٨٧م، ص١٦-١٨.
٥- ديوان صالح هواري: الدم يورق زيتونا، الصادر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام ١٩٧٣م، قصيدة الفحمة والماسة، ص١٠٩.

المدينة الفاضلة

بين الماضي والحاضر

د. عمر فوزي نجاري

في متاهات التاريخ وأروقة الزمان ضلَّ المفكرون طريقهم إلى المدينة الفاضلة، فكانت أحلامهم أضغاث أحلام، وكان سعيهم الحثيث هباءً منثورًا، فلقد ضلوا السعي وتاهوا كما تاه بنو إسرائيل في سيناء.

كانت المدينة الفاضلة سرابًا في أعين المفكرين؛ بدءًا من أفلاطون وانتهاءً بمفكري عصر التنوير في أوربا، كلما شدوا الرحال إليها وجدوا أنهم لن يصلوا إليها.

ولما كان الإنسان ـ على حد قول أرسطو ـ اجتماعيا بالطبع فقد سعى للحفاظ على وجوده عضواً في جماعة، وذلك من خلال تنظيمه الاجتماعي من طريق العادات والتقاليد ونقل التراث من عهد إلى آخر من طريق التنشئة الاجتماعية. ففي مصر القديمة، مثلا، كان نقل العمل يتم من طريق التبني، حيث يتبنى الابن عمل أبيه لأن ذلك أمر ديني يجب الحفاظ عليه، وقد بقيت هذه الطريقة في تبني الأعمال متبعة في بلدان عديدة حتى وقت قريب.

وإذا كان هدف العمل اليوناني القديم خدمة المدينة اليونانية من خلال التركيز على وحدة الجماعة وتماسكها. «فإن الأثينيين كانوا قادرين على أن يفصلوا بين كونهم أناسًا أحراراً متساوين وبين الآخرين من الرعايا أو التابعين لملوك الفرس أو المصريين القدماء. وقد فرق الأثينيون أيضًا بين المواطن الذي يعي الحرية والديموقراطية والمساواة والتابع أو العبد الذي لايعرف هذه المفاهيم»(١).

وقد عدَّ أفلاطون في جمهوريته الحكماء والفلاسفة هم الوحيدين القادرين على القيام بمهمة وضع القوانين التي تسيِّر المجتمع وتنظمه. «أما في العصر الروماني فقد هدف العمل إلى الإعلاء من شأن الدولة وبناء القوة العسكرية حتى لو كان ذلك على حساب الفرد»(٢).

ومع ظهور النصرانية آمن النصارى بأن مدينة الله أفضل بكثير من مدينة الإنسان، ولم يمانعوا في انتماء الفرد لكلتا المدينتين، على أن ينصاع الفرد للقوانين الإلهيه في حال وجود تناقض بين قوانين السماء (مدينة الله) وقوانين الدولة، وقد أدى البابا (ظل الله على الأرض) خلال هذه المرحلة دورًا مميزًا في تسيير الأمور لمصلحة الكنيسة فكانت ديكتاتورية الكنيسة التي حَدَّت من الحرية الفردية وغيَّبتها(٣).

«وأما العرب فقد عرفوا المدينة الفاضلة أول مرة في ظل دولة الإسلام التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم، في المدينة المنورة؛ ذلك أن الإسلام دين مدني تميزت حضارته باعتمادها على تشريع إسلامي مفصل لمختلف مناحي الحياة، ودستور سارت عليه حركة المجتمع. فقد أذاب الإسلام العصبيات، وألغى الحدود والتمايزات، وساوى بين الناس، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وطبق العدالة، وأوضح حقوق أبنائه، وحدد واجباتهم مما ساعد على رص صفوف الجماعات المكونة له على اختلاف مشاربها»(٤).

كما حث الإسلام على العمل وأكد ضرورة احترام الملكية الخاصة للمواطن، وبالمقابل حارب الإسلام الفقر فكان أول تشريع في العالم يعدّ مكافحة الفقر واجبًا رئيسًا من واجبات الدولة وذلك من خلال الفرائض المالية التي أقرها الإسلام كالزكاة والخراج والفيء والجزية والعشور...إلخ.

وقد جاء على لسان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو كان الفقر رجلاً لقتلته». وقد هيأت هذه الدولة لأبنائها الاستقرار والتقدم والازدهار ومنحتهم السعادة في أبهى صورها حيث وازنت بين حياتهم الروحية ومتطلباتهم المعيشية والحياتية، وأكدت لهم أن الناس قد خُلقُوا من ذكر وأنثى ليتعارفوا وأن أكرمهم عند الله أتقاهم وأنهم جميعا متساوون في الحقوق والواجبات.

ومن ثم فإن دولة الإسلام الأولى لم تكن دولة مسخرة لمصلحة الفرد أو لطبقة أو فئة معينة من فئات الشعب أو الأمة. وإنما هي دولة اعتمدت القرآن دستورًا لحياتها، ومن ثم فإن السيادة فيها لله وحده وليس للحاكم أو للشعب، وهدف الدولة إقامة العدل بين المواطنين بغض النظر عن أشكالهم وألوانهم وأنسابهم، تشهد على ذلك مقولة سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، تلك المقولة المشهورة الموجهة إلى والي مصر عمرو بن العاص: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟».

فالعقد الاجتماعي السياسي في دولة

الإسلام لا يكون بين الحاكم والمحكوم، وإنما يكون بين الحاكم والمحكومين من جهة، وطاعتهم جميعًا لقوانين الله وتطبيقها من جهة أخرى.

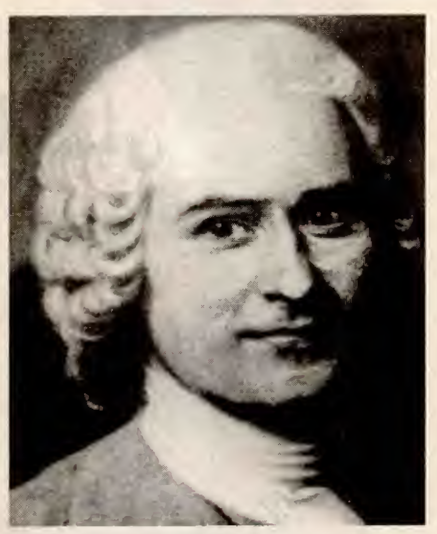
ولما تولى الأمويون زمام الخلافة تحول أسلوب الحكم من حكم يقوم على الشورى ويغلب عليه طابع المدينة الفاضلة التي عرفها المسلمون في صدر الإسلام إلى حكم ملكي عضود تم دعمه وتثبيت أركانه بمختلف الأساليب؛ فانهارت المدينة الفاضلة. «وفي القرن التاسع الميلادي بدأت الوحدة السياسية الإسلامية في التفكك حيث أصبح للفرس أولاً ثم للأتراك ثانيًا من السلطة والنفوذ درجة كانوا يخلعون فيها الخليفة ويعينون بدلاً منه. كما ظهرت سلطة الأسَر في الأقاليم واستقلالها الذاتي على الرغم من اعترافها بسيادة الخليفة العباسي»(٥).

وعاد المفكرون للبحث عن المدينة الفاضلة ثانية «ففي القرن العاشر الميلادي ارتأى الفلاسفة المسلمون ضرورة أن يتميز الحاكم بالحكمة على غرار ماجاء في جمهورية أفلاطون، وأن مهمة الحاكم أن يقيم العدل في المجتمع، وقد أكد الفارابي أن الدولة الفاضلة إنما هي تلك التي يتعاون أفرادها للوصول إلى الخير العام»(٦).

وفي عصر النهضة في أوربا نظر المفكرون والفلاسفة في بحثهم عن المدينة الفاضلة نظرة مشابهة للنظرة الأرسطية. «فقد ميز روسو بين الفرد الحاكم (المواطن) وبين الفرد المحكوم (التابع)، كما تضمن مفهوم المواطن عند روسو مشاركة الشعب في السيادة السياسية أما التابع فيتميز في تقبله وانصياعه للقواعد والقوانين التي تسنها الدولة (أي المواطنون)»(٧).

وإذا كانت تلك هي حال مفكري العصور الغابرة في بحثهم عن المدينة الفاضلة؛ فما هو موقف مفكري القرن العشرين ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين من المدينة الفاضلة؟ وما هو موقف مفكري القرون الخوالي فيما لو وجدوا بين ظهرانينا؟

لاشك أن نظرتهم للمدينة الفاضلة ستتغير وتتبدل، فالعصر الحديث، ولاسيما العقدين الأخيرين منه، قد ترك بصماته واضحة جلية



جان جاك روسو

على مختلف مناحي الحياة، لا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فقط؛ بل البيئية أيضا، فتغيرت المفاهيم واختلت الموازين وأضحى لكل تعبير معناه الخاص به المتعلق بزمانه ومكانه ونسبيته.

وهانحن أولاء الآن على مشارف القرن الحادي والعشرين وقد شهدنا انهيار النظرية الاشتراكية والشيوعية في العديد من بلدان العالم، وهذا عائد إلى كونها نظرية مادية صمَّاء خرقت كل القيم وحطمت كل الأسس التي يمكن للمجتمع أن يحقق ذاته من خلالها. فقد أثبتت هذه النظرية عجزها عن تطوير حضارتها فحكمت على نفسها بالموت بعد أن فقدت مصداقيتها لدى أبناء شعبها، وقام مواطنوها بهدمها بأنفسهم، وهذا ماشاهدناه في دول أوربا الشرقية بدءًا من ألمانيا الشرقية فرومانيا إلى ألبانيا ويوغسلافيا مرورا بالاتحاد السوفيتي وبلغاريا، وكذا في الصين حيث ثار الشعب الصيني على نظام حكمه رافضًا نظريته في الحكم والحياة، ومالانتفاضة الشباب الصيني في ساحة تيان مين (صيف عام ١٩٨٩) منَّا ببعيدة.

وإذا كانت الشيوعية الصينية قد تمكنت من البقاء حية بعض الوقت، ولو ظاهريًا، فإنها تحمل في أعماقها جذور انهيارها، فكثبان الرمال المتحركة التي تقف عليها سرعان ماستميد بها وتدك أركانها كما دكت أركان الاشتراكية الروسية اللينينية بعد محاولة الانقلاب الخاسرة التي قامت بها جماعة الثمانية في آب/ أغسطس ١٩٩١م.

وهكذا لم يبق على الصعيد العالمي الآن سوى النظرية الرأسمالية التي تحاول جاهدة البقاء واقفة على قدميها مستغلة انهيار منافسها الوحيد: النظام الاشتراكي أبشع استغلال، لتفرض نفسها على العالم أجمع من خلال فرض نظام عالمي جديد يحقق مصالحها ويسعى لإطالة عمرها، وذلك في محاولة منها لرأب التصدع والشرخ الكائن في أعماقها.

ولما كانت الرأسمالية نظاما مملوءًا بالثقوب فإنها لن تحتاج إلى أكثر من هزات بسيطة حتى تنهار كما انهارت سابقتها. وسيجد أنصار المذهب الرأسمالي في أنفسهم من الفراغ الروحي ما وجده أنصار المذهب الاشتراكي من فراغ روحي ومادي، ولن يُسَدّ هذا الفراغ إلا بتنظيم حضاري واقتصادي مدني يكون الإنسان فيه جوهر الحضارة، وعندها سيدرك أبناء تلك المدنيات أن الخلاص مرتبط بدين الإسلام فكرا وعملا، وأنه لن يمر أكثر من جيلين حتى يتبين لهم أنه الحق.

وعلى الرغم مما يعانيه العالم العربي والإسلامي اليوم من تشرذم وضعف سياسي؛ إلا أنه لا يزال يحتفظ بإمكاناته البشرية وثرواته الأسطورية التي ستتيح له في المستقبل القريب القيام بدوره الحضاري البنَّاء - إن شاء الله -.

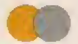
تلك هي معاناة المدينة الفاضلة عبر التاريخ، وها نحن أولاء الآن على أعتاب القرن الحادي والعشرين. فهل ستتحقق أحلام المفكرين بالوصول إليها وتكتحل بها العيون؟.. لاندري.

هناك مثل ياباني يقول: «من يعش ير».

الهوامش:

1- Bertrand Russell, A history of western philosophy, (London: Simon & Schuster,1972)
2- Jean-Jacques Rousseau, Social contract, translated by Murice Caranston (New York: penguin Books, 1968) P.P.88-96

٣- المرجع السابق.
٤- د. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، منشورات دار الفكر، الطبعة الثامنة، ١٩٨٠م، ص١٩١-٢٠٩.
٥- الماوردي، الأحكام السلطانية، القاهرة: مكتبة مصطفى الحلبي، ١٩٦٦م، ص٥٤.
٦- الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق د. علي عبدالواحد وافي، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٣م، ص١٢٣.
٧- المرجع السابق، رقم (٢).





بخيت سليمان

عاد مسلمًا بعد أن نَصَّرُوه صغيرًا!

حكايته تكشف عن الوسائل الدنيئة التي يتبعها المنصِّرون لتحقيق مخططهم التنصيري، واستغلالهم ظروف الفقر والعوز والحاجة لدى فقراء المسلمين، لإرغام أولياء الأمور على ترك أبنائهم لمدارس التنصير، لتقوم الأخيرة بعزلهم عن دراسة لغتهم العربية، حتى تقطع كل صلة لهم بدينهم وتحول بينهم وبين قراءة القرآن الكريم.

وهذا ما حدث للمهتدي بخيت سليمان ككي بشير، الذي وُلد لأبوين مسلمين في مطلع أول أيام عام ١٩٥١م، في جبال النوبة في أواسط غرب السودان؛ إذ تفتحت عينا بخيت على الحياة وسط فقر مدقع تحياه الأسرة، وتلقى علومه الأولية، كعادة مسلمي السودان، بإحدى الخلاوى (الكتاتيب) بالخرطوم، ثم ذهب مع والده إلى عطبرة، لكن ظروف الأسرة المادية حالت دون تمكينه من الدراسة، مما اضطره للعودة إلى الخرطوم مرة ثانية، فتلقفته المدارس التنصيرية، وكان - آنذاك - في نحو العاشرة من عمره.

في مدارس التنصير التي يسمونها - كذبًا - تبشيرية، وجد بخيت الطعام الوفر والملابس النظيفة، والرعاية والاهتمام تحوطه من قبل المنصّرين، الذين استغلوا عوزه وفقره فأطعموه وكسوه وعلموه ما يحتاج إليه عدا لغته العربية لغة القرآن الكريم، إذ كانوا حريصين أشد الحرص على عزله عنها وعن المجتمع المسلم، ومحو كل أثر للقرآن الكريم قد يكمن في داخله.

وبين أوساط المنصِّرين ومدارسهم قضى بخيت خمسة عشر عامًا يتعلم عقيدة التثليث ليكون حين ينتهي من دراسته مُنصِّرًا بين أهله، أو خنجرًا مسمومًا في جنوب المسلمين، ولم تبخل عليه هيئات التنصير بالتعليم الراقي، فأوفدته إلى بريطانيا وكندا وأمريكا وإيطاليا ليدرس «اللاهوت» وعلوم النصرانية، وحين أتم دراسته وجد الوظيفة جاهزة بالمرتب السخي، حيث عُيِّن منصرًا في أحد المراكز الكنسية التابعة للكنيسة الكاثوليكية، وتفانى في عمله حتى لقد استطاع أن يؤسس ثلاثة عشر مركزًا في الخرطوم وخارجها تعمل على تنصير أبناء المسلمين تحت دعوى النشاط الاجتماعي.

واستطاع بخيت أن يحقق نجاحات كبيرة في عمله التنصيري مستغلاً الظروف الاجتماعية السيئة التي يحياها الناس في بلاده، حيث تمكن، خلال أربع سنوات من العمل التنصيري، من تنصير ما يزيد على أربعة عشر ألفًا من المسلمين وغير الدينيين، حتى رفعه رؤساؤه إلى رتبة «بشير» وهي رتبة كنسية عالية تعلو مرتبة القس، وصار همه أن يقيم تجمعًا نصرانيًا في منطقة النوبة - التي تضم ٩٩ قبيلة تتحدث بلغات ولهجات مختلفة - يضع نهاية للإسلام في تلك المنطقة.. وحفزه إلى تحقيق هذا الهدف ما حققه من نجاح بين أهله حيث تمكن من تنصير بعضهم، بل إنه نَصَّر مسلمة وتزوجها.

قد يسأل سائل: وأين كانت أسرته حين وقعت كل تلك الأحداث؟ الواقع أن والديه لم يدركا الخطأ الذي وقعا فيه بإدخاله مدارس التنصير إلا بعد فوات الأوان، بعد أن عاد إليهما قسًا مُنَصِّرًا، فعارض والده بشدة، وبكت والدته بكاءً حارًا، آملة أن يعود إلى الإسلام، إلا أنها ماتت قبل أن تشهد تحرر روحه من جديد وتطهره من أدران الشرك، أما الوالد فقاطعه كليًا، بعد أن أخفق في إقناعه بترك التنصير، ولم يقبل بلقائه إلا بعد أن علم بتوبته وعودته إلى دين الحق، وانهمرت من عينيه دموع الفرح بخلاص روح ابنه.

ويعود الفضل - بعد الله - في اهتداء بخيت للحقيقة واستجابته لنداء الفطرة إلى الصداقة الوطيدة التي ربطته بالملحق الثقافي السعودي في الخرطوم جويعد النفيعي، إذ أتاحت له تلك الصداقة أن يدخل مكتبة الملحقية بما عمرت من كتب إسلامية. ولم يبخل الملحق الثقافي السعودي على صديقه بشرح الكثير عن الإسلام، كما أتيح له أن يلتقي في المكتبة أعضاء لجان التعاقد التي ترسلها المملكة العربية السعودية للتعاقد مع أساتذة الجامعات السودانيين، فكان يجلس معهم، مناقشًا موضوع الإسلام والنصرانية، عاقدًا موازنات بينهما، فيجد لديهم إجابات واضحة عن كل ما يعن له من أسئلة أو ما يحاول التلبيس به عليهم من طلاسم النصرانية وألغازها؛ مما اضطره إلى أن يقرأ القرآن الكريم لعله يتمكن من التغلب عليهم. وفاجأهم بطلب حوار معهم بعد أن وضع نقاطًا محددة في القرآن الكريم والنصرانية، آملاً أن يعجزهم، فحدث عكس مبتغاه وأفحموه بردودهم.

عاش بخيت ثلاثة أشهر بعد هذا الحوار في صراع، إذ تأكد من خلال قراءته للقرآن الكريم أن هذا الكتاب بإعجازه هو كلام الله - عز وجل - ويستحيل أن يأتي به بشر، وأحس بأنه يفتقد شيئًا، فالعقيدة النصرانية لا تلبي طلبات روحه، بل على العكس، فيها كل عناصر فسادها وتحريفها، فليس هناك اتفاق بين النصارى على المسيح نفسه، بل تتعدد وجهات النظر حوله، باختلاف الكنائس، فليس في كنائس النصارى مسلك واحد كما هو حادث بالنسبة للمسلمين، الذين إذا اختلفوا في أمر ردوه إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهما

أصل واحد لكل المسلمين على اختلاف جنسياتهم وبلدانهم وألوانهم.

وللمرة الأولى شرع بخيت يفكر: كيف يمكن أن يكون المسيح عيسى بن مريم إلهًا، بينما إنجيل يوحنا، الإنجيل الأساسي لدى النصارى، يقول ما نصه: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك وعيسى بن مريم الذي أرسلته».

توقف بخيت عند هذا النص، فوجده مؤيدًا لما يذهب إليه المسلمون من القول بوحدانية الله، وبأن عيسى عليه السلام نبي مرسل من لدن حكيم خبير ليدعو إلى الإيمان برب واحد لا شريك له، وهو ما يناقض أساس شريعة النصارى المحرّفة. وتنامت إلى أذنيه آيات القرآن الكريم مرتلة: *ومَن يبتغِ غيرَ الإسلام دينًا فلن يُقبَلَ منه وهُو في الآخرة من الخاسرين*. **آل عمران**:٨٥. فلانت جوانحه وقام من فوره فاغتسل وتوضأ ونطق بالشهادتين مودعًا بهما سنوات طويلة قضاها في غيهب الضلالة والشرك بالله.

وكان أول ما فعل بعد أن مَنَّ الله عليه بالعودة إلى الإسلام أن أقبل على زوجه آملاً إعادتها إلى دين الحق مثلما كان السبب في ظلمها حين دفعها إلى الارتداد، ولم يجد صعوبة تُذكر في إقناعها، لأنها كانت - في داخلها - ما تزال مسلمة، رافضة للنصرانية، وفعل الشيء نفسه مع مَنْ تَنَصَّرَ على يديه من أقاربه فعادوا جميعًا إلى حظيرة الإسلام، تائبين عن سنوات الشرك والضلالة.

وبدأ والمهتدين الجدد في دراسة الإسلام من جديد، ليكونوا دعاة إلى الإسلام، وليكفّروا عما ارتكبوه في سنوات الضلالة، ومَنَّ الله على بخيت وزوجته وطفله بزيارة بيت الله الحرام، ليرى بأم عينيه كيف يتساوى المسلمون جميعًا أمام الكعبة المشرفة بلباسهم وخشوعهم وتضرعهم إلى خالقهم في مساواة يندر أن توجد في مكان آخر أو لدي عقيدة أخرى.

ويعمل بخيت الآن داعية إلى الله، غير آبه بالتهديدات التي يتلقاها من زملائه السابقين بالكنيسة، التي أغضبها أن يتمرد على سلطانها وأن يُسَخِّر ما تعلمه منها في كشف زيفها واستغلالها للفقراء.



صباح الخير يا سارة

شعر: أحمد القدومي

صَباحَ الخَيْرِ يا سَارهْ ... ويا أنداءَ نُوَّارهْ

ويا فَرَحًا يُعَايشُنا ... يُغَنِّي الطَّيْرُ أشْعارَه

ويا أحلامَ سَوْسَنَةٍ ... يُدَاِدلُها الهَوى نارَهْ

طُفولتكِ التي ارْتَسَمتْ ... على الأزهارِ مِعْطَارَهْ

نَسَجْتِ بَراءَةَ الأطفا ... لِ في عَيْنَيْكِ قِيثَارهْ

وَصُغْتِ سَعادَةَ الدنيا ... فَوَلَّى الحُزْنُ أدْبارَهْ

وغَنَّى قلبُكِ الشَّادي ... فَأحْيا فِيَّ أزْهَارَهْ

وأهْدَى فَجْرُكِ الآتي ... لِهذا الكَوْنِ أنْوَارَهْ

وَعِشْتِ حَبِيبَةَ الأبَوَيْـ ... ـنِ للقَلْبَيْنِ أمَّارَهْ

فَبِتّ بُنَيَّتي قَمَرًا ... يَبُثُّ الليلَ أسْرارَهْ

وباتَ الحُسْنُ أحْجِيَةً ... على شَفَتَيْكِ يا سارَهْ

صَباحَ الخَيْرِ يا سَارهْ

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح الفوزان

العمرة نيابة عن الأحياء

حججت واعتمرت، والحمد لله، أسأل الله القبول. فهل أعتمر عن غيري من الأحياء؟

حسن كاف
حضرموت، اليمن.

إذا حج الإنسان عن نفسه جاز أن ينوب غيره في الحج ممن هو بحاجة إلى النيابة عنه لعجز أو موت، وذلك من التعاون على البر والتقوى.

مشاهدة القنوات الفضائية

ربُ أسرة يشاهد القنوات الفضائية بما تحويه في وقت الراحة، لكن دون أن يتأثر بما فيها. هل تدخل الرؤية والاستماع ضمن المحذور الذي حذّر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم للمستمع والناظر؟

س. سليمان
الخرطوم، السودان.

لا يجوز للمسلم أن ينظر إلى ما حرم الله النظر إليه من النساء المتبرجات والسافرات، والنظر إلى من يرتكبون الجرائم الخلقية بواسطة شاشات البث الفضائية أو غيرها من الفيديو، أو الصور التي تكون في المجلات والصحف الخليعة لأن ذلك يؤثر في القلب ويجر إلى الفساد.

الحجاب الشرعي للوجه

الخمار الذي تضعه بعض النساء مغطيًا الأنف ومظهرًا العينين تبرقان وتلمعان بشكل أشد إثارة من ظهور الوجه، هل هو الحجاب الشرعي؟

جميلة عبدالرحيم
الطائف.

هذا ليس خمارًا وإنما هو لثام لا يكفي في ستر الوجه؛ فوجوده كعدمه. والواجب على المسلمة أن تتقي الله وأن تغطي وجهها كما أمر الله ورسوله، فإن ذلك عين مصلحتها وسلامتها من عقاب الله وحفظ لها من ذئاب البشر المفترسة.

الإيداع من دون فوائد

بعض الناس يودعون أموالهم في البنوك حفاظًا عليها فقط، دون أخذ فائدة، ويأخذون منها حسب حاجاتهم. ما الحكم في ذلك؟

صالح علي المعمر
أبها، عسير.

لا بأس بإيداع الأموال في البنوك لمجرد الحفظ عند الحاجة إلى ذلك بشرط ألاّ يستثمرها في الربا، والله أعلم.

معنى الآيات

جاء في كتاب الله عز وجل قوله: *تَجري من تَحتها الأنهار*، **وقوله:** *تجري تَحتَها الأنهار*. **نرجو توضيح ذلك؟**

عبدالجواد علي
المدينة المنورة، السعودية.

معنى الآيتين واحد، وهو أن الأنهار تجري من تحت مساكنهم ومجالسهم زيادة في البهجة والسرور. نسأل الله أن يجعلنا وإخواننا المسلمين منهم.

قضاء الأيام الفائتة

المرأة الحائض في رمضان هل تقضي ما فاتها أيامًا متتابعة، أم يجوز قضاؤها متفرقة؟

سميحة شعبان
القاهرة، مصر.

الأفضل متابعة القضاء في الصيام، ويجوز تفريقه ما لم يتضايق الوقت؛ بحيث لا يبقى على رمضان إلا قدر الأيام التي يريد قضاءها فلابد من التتابع حينئذ.

الدخان

ما حكم شرب الدخان، وبيعه والاتّجار فيه؟

عبيد سالم الشريف
الرياض.

الدخان مادة خبيثة ضارة لا نفع فيها بوجه من الوجوه. فلا شك في تحريم شربه وبيعه وشرائه لقوله تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: *ويحل لهم الطيبات ويحرِّم عليهم الخبائث*. **الأعراف:** ١٥٧. والدخان من الخبائث فهو حرام. وكذلك الدخان ضار، وكل ما فيه مضرة فهو حرام لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»؛ فهو ضار لأنه يسبب حدوث أمراض خطيرة كما قرر الأطباء، لذا لا شك في تحريمه، وإذا حَرَّم الله شيئًا حَرَّم ثمنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

متى أقرأ الفاتحة؟

ما حكم سكتة الإمام بعد الفاتحة لحين يقرأ المأموم الفاتحة، وإذا لم يسكت الإمام فمتى يقرأ المأموم الفاتحة؟

عبدالله محمد الأسمري
الطائف.

الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم السكوت بعد الفاتحة حتى يرجع إليه نفسه. وأما تمديد السكوت إلى أن يقرأ المأموم الفاتحة فلم يثبت به حديث لكن من فعله فلا بأس، وإذا لم يفعله فالمأموم يقرأ الفاتحة في سكتات الإمام. وإن لم يتمكن فلا حرج عليه وتكفي قراءة الإمام إن شاء الله. لقول الله تعالى: *وما جعل عليكم في الدين من حرج*. **الحج:** ٧٨.

الحلف بالتحريم والطلاق

ما حكم الحلف بالتحريم والطلاق، حتى إنه صار كالعادة للحالف؟

صبري عبدالرحيم
جدة.

الحلف بالتحريم أو الطلاق معناه استعمالهما استعمال اليمين في المنع من الشيء أو الحث عليه، أو التصديق أو التكذيب؛ فيأخذان حكم اليمين في وجوب الكفارة إذا حنث فيهما، لا أنهما مثل الحلف بغير الله فيكون ذلك من الشرك. ولا ينبغي للمسلم أن يستعمل الطلاق أو تحريم الحلال استعمال اليمين لما في ذلك من الحرج، وقد قال الله تعالى: *يا أيها النبي لم تُحَرِّم ما أحلَّ الله لك*. **التحريم:** ١. والطلاق أبغض الحلال إلى الله عز وجل، وقد يترتب عليه الفراق بين الزوجين.

تقنيات المعلومات في خدمة التعريب

عبدالله القفاري

الحديث في أمر يتعلق بقضية التعريب هو حديث - في الغالب - ذو شجون كثيرًا ما استثارت الخطاب الإعلامي العربي الحماسي لينادي بالتعجيل بدفع المسيرة نحو تحقيق هذا الهدف الذي خيِّل للعرب يومًا أنه قريب المنال؛ فإذا بهم يكتشفون، مع مضي الوقت، أنهم لم يحققوا الكثير في هذا المضمار.

ونقصد بالتعريب هنا: تعريب العلوم وإنجاز المشروع الحضاري العربي الذي يؤكد أهمية التعلم والتعليم باللغة الأم لصياغة عقلية جيل يدرك إمكانات لغته، ويستطيع أن يُدخل مفرداتها قاعات المعامل ومراكز الأبحاث وأروقة المحاضرات.. إلا أن هذا الهدف الذي ظل العرب يتفيؤونه شعارًا في العقود القليلة الماضية أصابه ما أصاب كثيرًا من أمانينا وطموحاتنا التي لم يُنجز منها على أرض الواقع إلا القليل.

وضمن إطار هذه المسألة فإن عجلة العلوم المتسارعة التي يقود دفتها الغرب قطعت شوطًا بعيدًا، وترانا في كل يوم يمضي من أيامنا يتباعد ما بيننا وبين اللحاق بها مسافات أخرى بعيدة. لقد ظلت الأدوات التي ابتدعها أوائلنا لنقل العلوم واستئناف مسيرتنا الحضارية تُبنى أساسًا على اعتبارات النقل والترجمة عن علوم الغرب والشرق المتقدم حضاريًا وصناعيًا وتقنيًا.. وذلك في سبيل إشاعة المعرفة العلمية باللغة الأم، وتوفير كم مناسب وجيد من العلوم المنقولة يمكن عدُّه أساسًا لبناء وعي معرفي تتلوه صناعة للمعرفة تُستنبت من أرض البيئة العربية؛ لتكون رافدًا ينمو ويقوى ويسهم في مسيرة الحضارة الإنسانية، وليكون من ثماره بناء مجتمع قادر على التغيير والبناء من خلال اعتماده على تقنيات ناتجة من تطوير لأدواته المعرفية وما يترتب عليها من إنتاج للعلم والتفاعل مع نتائجه.

ويظهر أن مسيرة تعريب العلوم واستخدام العربية لغة للتعليم في أغلب جامعات البلاد العربية ومعاهدها لم يحققا النتائج المرجوة؛ إما لعدم السعي الجاد في مباشرة هذه المسألة وإما لضعف أدوات نقل العلوم ومباشرة الترجمة، وغياب السياسات التي تنظم هذا التحول الذي رافق الزخم القومي على امتداد الدول العربية المتأثرة بتياره.

ولقد بدا أن مهمة لملمة هذا الشتات مما يُترجَم ويُؤلَّف بالعربية في حقل العلوم ومصطلحاتها، بالإضافة إلى الاعتماد اليدوي في مباشرة هذه المسألة، كان أحد الأسباب التي شكلت - كما يرى بعض الباحثين - عاملاً مؤثرًا ومهمًا في ضعف التوجه نحو تعريب العلوم والكتابة العلمية باللغة العربية.

ومع أن العقد الماضي حمل تطورًا شديدًا في تقنيات الحاسوب وتطبيقاته؛ إلا أنه حمل كذلك أملاً كبيرًا في أن يسهم في دعم الكتابة العلمية باللغة العربية، وربما استثمرت تلك الإمكانات التي صاغتها ثورة المعلومات في دعم غير متوقع لمسألة نشر العلم باللغة العربية ودعم الكتابة العلمية باللغة العربية والنشر بها.. وهذا هدف بعيد المدى (استراتيجي) لا يتصور من دون تحقيقه واستغلال الوسائل المتاحة لبلوغه أن تتحقق خطوة كبيرة في امتلاك أدوات التقنية وتطويرها لصالح الإنسان العربي.

ولعل هذه الورقة تلقي شيئًا من الضوء على بعض التطبيقات التقنية وأثرها في حل بعض الإشكالات المتعلقة بالتعريب ونشر العلم والمعرفة باللغة العربية.

أولاً: بنوك المصطلحات

لقد ظلت إشكالية المصطلح تمثل أبرز الإشكاليات التي تظهر لدى النظر في مباشرة تطبيق التعريب(١)، وتتمثل هذه الإشكالية في عدم مواكبة الإنتاج المصطلحي العربي لسيل المصطلحات التي تقذف بها مراكز البحوث والجامعات ودور النشر في بلاد العالم المتقدمة علميًا. وتقدر بعض الدراسات التي أجريت في هذا المجال أن نحو ٥٠٪ من مفردات لغات البلدان المتقدمة علميًا تتكون من مفردات المصطلحات العلمية، ومعظم هذه الألفاظ بات يُستخدم على نطاق العالم(٢).

لقد أشارت بعض التقديرات التي ظهرت قبل عشر سنوات تقريبًا(٣) إلى أن هناك ربع مليون مصطلح غير مدون في المعاجم العربية، سواء العامة منها أو المتخصصة، وإذا كانت التقديرات تشير إلى أن المستجدات المصطلحية تربو على خمسين مصطلحًا يوميًا، فهذا يعني ظهور ١٨ ألف مصطلح جديد كل عام، في مختلف المعارف الإنسانية والعلمية. كما ظلت إشكالية انتشار المصطلح المعرب على مستوى العالم العربي قائمة، بالإضافة إلى مشكلات توحيد المصطلح والاتفاق حول مناهج التوحيد والنشر الخاصة بالصناعة المعجمية. إن من يطلع على تلك التقديرات الخاصة بالإنتاج المصطلحي والمؤشرات الخاصة بانتشار المصطلح العربي يدرك حجم القصور الهائل في التصدي لإشكالية المصطلح، وتدني الوسائل المتخذة في مجال تعريب المصطلح ونشره عن بلوغ الغايات التي يمكن أن ترقى باللغة العربية لتصبح لغة للعلم والتقنية.

ولأن المصطلح العلمي المعرَّب من حيث صياغته وطريقة نشره وإشاعته وتوحيده يشكل الركيزة الأساسية والدعامة القوية في حركة الترجمة والتعريب، فقد برزت في العالم العربي العديد من الجهود المؤسسية الرسمية والخاصة التي تعنى بصياغة المصطلح العربي ونشره، ومن هذه المؤسسات: مجامع اللغة العربية، ومكتب تنسيق التعريب، وبعض المؤسسات والمراكز والمعاهد، وبعض المنظمات التي عُنيت بنوع أو أكثر من الإصدارات المعجمية، وكذلك دور النشر الخاصة. إلا أنه، على تلك الجهود المبذولة، لم يرق ذلك النشاط إلى

المتابعة الطبيعية والحتمية لحركة المصطلحات. وأمام التطورات التقنية المتسارعة في عالم اليوم، ظهرت بنوك المصطلحات التي تحاول أن تستثمر إمكانات الحاسب الآلي في دعم برامج النقل والترجمة بين اللغات(٤).

وقد برزت بنوك المصطلحات للوجود منذ ثلاثين عامًا تقريبًا. فقد بدأ العمل في بنك المصطلحات الذي تمتلكه شركة سيمنز في ميونخ عام ١٩٦٨م. وأُسِّسَ بنك المعطيات المصطلحية التابع للجماعة الأوربية بلكسمبورج عام ١٩٧٥م، وتسلمت الإدارة العامة الكندية للمصطلحية والتوثيق بنك المصطلحات الحكومية عام ١٩٧٧م. لقد برز الاهتمام ببنوك المصطلحات تلبية لحاجة ملحة أملتها التطورات المتسارعة للمعرفة الإنسانية العلمية والتقنية، والتي رافقتها ازديادات هائلة في عدد المصطلحات الموضوعة والمترجمة، بحيث لم تعد الذاكرة البشرية ولا المعاجم المتخصصة قادرة على احتواء هذا العدد الضخم من المصطلحات، أو استيعاب الحد الأدنى من المعلومات الضرورية المتعلقة بها.

لقد كان الهدف الأساسي من بنوك المصطلحات تزويد المترجمين بالمقابلات المطلوبة في لغة الهدف (اللغة المترجَم إليها). أما وسيلتها فهي بناء قاعدة أو أكثر من قواعد البيانات المدارة بالحاسوب، بحيث يشتمل كل مصطلح مخزون في القاعدة على عناصر أساسية حددها - فيما بعد - المؤتمر الدولي الأول لبنوك المصطلحات الذي عقده مركز المعلومات الدولي للمصطلحات (انفوتيرم) في فيينا عام ١٩٧٩م، حيث تم الاتفاق على معايير نوعية ينبغي لها أن تتوافر ببيانات المصطلحات التي تخزن في البنك؛ وذلك بغية تسهيل الاستفادة منها عند استرجاعها وتيسير المعلومات بين بنوك المصطلحات المختلفة. ويمكن حصر أهداف بنوك المصطلحات في واحد أو أكثر من الأهداف الرئيسة التالية(٥):

١- مساعدة المترجمين في عملهم من خلال تزويدهم بمقابلات المصطلح المطلوبة في لغة الهدف بسرعة ودقة، مع توفير جميع المعلومات المتعلقة بتلك المصطلحات.

٢- تنميط المصطلحات وتقييسها وتوحيدها بما يتطلبه ذلك من تجميع للمصطلحات على اختلاف درجة صلاحيتها ودراستها.

٣- توثيق المصطلحات لتيسير الاطلاع عليها واسترجاعها ونشرها.

ولقد برزت العديد من الجهود المؤسسية في العالم العربي التي عُنيت باستخدام إمكانات الحاسوب في معالجة المصطلح العربي وتيسير توثيقه واسترجاعه ونشره بين المهتمين والمتخصصين. كما نجحت بعض المؤسسات العربية في إنشاء عدد من بنوك المصطلحات لدعم برامج أعمالها المصطلحية وضبط نظم معلوماتها، حيث توجد الآن ثلاث مؤسسات عربية تملك بنوكًا قائمة للمصطلحات، هي: معهد الدراسات للأبحاث والتعريب في الرباط، ومجمع اللغة العربية الأردني بعمان، ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض.

قاعدة المعطيات المعجمية (معربي)

أنشئت هذه القاعدة عام ١٩٧٨م(٦) في معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في الرباط بمساعدة من (اليونسكو) وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ويؤكد المعهد أن قاعدة المعطيات التي يملكها ليست بنكًا مصطلحيًا؛ بمعنى أنه قاموس محوسب متخصص مرصود لاستخدام المترجمين على الخصوص، بل هو في الأساس أداة عمل للمصطلحيين. فالمعلومات المخزنة غير منتقاة وحشوية الطابع (حيث يتم اقتباس المصطلح من عدة مصادر). ويعد هذا الوضع ضروريًا لأنه يقدم لعلماء المصطلحات منظرًا عامًا متنوعًا يبرز الاختلافات الموجودة في استخدامات المصطلح والصياغة الحالية له في سبيل إيجاد طريقة أفضل للضبط المصطلحي والتوحيد اللغوي.

إلا أنه يؤخذ على هذه القاعدة أنها ذات إطار محلي ضيق، والوصول إلى معطياتها أمر صعب حتى على العاملين والمهتمين بالمصطلح هناك، مما يجعل إسهامها الحقيقي في دعم عملية التعريب وإشاعة المصطلح العربي محدودًا للغاية، ولا يتوقع ضمن الإطار الذي يتم العمل به حاليًا تحقيق أي تقدم في هذا المجال.

بنك المصطلحات في مجمع اللغة العربية الأردني

أنشأ مجمع اللغة العربية الأردني بنك المصطلحات الخاص به في عام ١٩٨٥م، وذلك للإفادة من تقنيات الحاسوب وبرمجياته في تخزين المصطلحات العلمية والفنية، ومن أجل تيسير عملية الترجمة والتعريب على المختصين والمهتمين في هذا المجال، وذلك ضمن إطار أعمال المجمع، ويعد حاليا ليحقق أهدافًا أكثر شمولية، تتمثل في تأسيس خدمات مصطلحية ولغوية محوسبة تخدم المستفيدين من طريق الاتصال المباشر، كما يسعى إلى تطوير إمكاناته مستقبلاً ليعمل على تصميم أدوات حاسوبية لتحسين معالجة اللغة العربية بالحاسوب، وكذلك لتطوير المنهجيات النظرية والتطبيقية للعمل المصطلحي وتوحيد الممارسات المصطلحية من طريق البحث العلمي والتدريب وفق الأسس الحديثة لعلم المصطلح(٧). ولا يظهر حاليًا أن البنك تجاوز مرحلة توثيق بعض مصادر المجمع وإصداراته، وبقيت إمكاناته المحدودة، وعدم الاتفاق على مستوى العمل في إطار المشروع (هل هو مستوى محلي أردني، أم مجمعي عربي)، من العوامل التي عاقت تطوير العمل في هذا المشروع، ومن ثم لم يحقق أيًا من أهدافه خارج إطاره المحلي.

البنك الآلي السعودي للمصطلحات

بدأ البنك الآلي السعودي للمصطلحات بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية فكرةً في عام ١٩٨٣م، حيث تولت لجنة خاصة وضع اللمسات الأولية للمشروع، كما قام وفد من المدينة بزيارة أهم بنوك المصطلحات المعروفة في أوربا الغربية؛ بالإضافة إلى زيارة منظمة المقاييس الدولية في جنيف ومركز معلومات المصطلحات (انفوتيرم) في فيينًا.

ثم بدأ العمل في تطوير البرامج اللازمة لإدخال بيانات المصطلحات واسترجاعها في الحاسوب الموجود بالمدينة، كذلك تم اختيار طرفيات مناسبة لأداء المشروع تتميز برمز واحد لكل حرف عربي، ويقوم المطراف بتحديد شكل الحرف وفقًا لبرنامج خاص به، كما تتميز هذه الطرفيات بتوافر علامات الحركات من فتح وضم وكسر وشد وغير ذلك.

في عام ١٩٨٦م بدأ الإدخال الفعلي للمصطلحات ابتداءً بإصدارات مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب، خلال سنوات العمل الأولى التي انصب الاهتمام فيها على الحصر والتخزين. وتفوق موجودات البنك الآلي السعودي للمصطلحات حاليًا ٣٥٠٠٠٠ سجل مصطلحي(٨)، إلا أن هذا الكم الكبير من هذه المصطلحات بقي حبيس الحاسوب المركزي، ولم تتم الاستفادة من موجوداته؛ لا من طريق الشبكة الحاسوبية المحلية ولا من طريق خدمات المعلومات التي تقدمها المدينة، بالإضافة إلى أن نظام التوثيق والمعالجة لم يخضع لمنظومة رسمية معتمدة، وبقيت أساليب العمل اجتهادية خضعت لرؤى من شاركوا في الإشراف على هذا المشروع واجتهاداتهم.

مما مر يتضح الإسهام الكبير الذي يمكن أن تؤديه التقنيات الحاسوبية الحديثة وأنظمة المعلومات في دعم التوجه نحو تعريب العلوم، وترجمة مصادرها، ودعم الاتجاه بشكل عام نحو الكتابة العلمية باللغة العربية، حيث إن إشاعة المصطلح والمفهومات والمعلومات المتعلقة به باللغة العربية ومقابلاته الأجنبية، واستثمار القدرات التخزينية الهائلة للحاسوب، والمعالجة السريعة لتلك المعلومات، واستخدام أنظمة استرجاع البيانات بشكل فعال، من خلال شبكات حاسوبية تربط المستفيد من منزله أو مقر عمله بالحواسيب المركزية، أو

من خلال إصدارات معجمية متخصصة تصدرها تلك البنوك لتكون في متناول الباحثين والمؤلفين والمترجمين والدارسين؛ كل هذا يشكل مصدرًا ثرًا يستطيع أن يحتوي جهود الأولين والآخرين في حقل العمل المصطلحي، ويصب أخيراً في مصلحة دعم استخدام المصطلح العربي ونشره.

ولأننا تطرقنا إلى بنوك المصطلحات كمثال مهم في مجال استثمار التقنيات الحديثة في مجال المعلومات لدعم قضايا حيوية مثل تعريب العلوم، فإن هناك أمثلة أخرى متعددة يمكن أن تسهم فيها التقنية في رفد هذا التوجه ودعمه، ومنها بناء قواعد المعلومات العربية.

ثانيا: قواعد المعلومات

ظهرت فكرتها في الخمسينيات، وتطورت من حيث قابليتها لنظم الاسترجاع في الستينيات. ولقد نشطت في السنوات الأخيرة مشروعات بناء أنظمة معلومات عربية تخدم المستفيد، وتقدم له خدمات معلوماتية وتوثيقية وإحصائية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية. ومن أقرب التطبيقات التي تُسَخَّر تلك التقنيات المعلوماتية لخدمة قضية تعريب العلوم: بناء قواعد إحصائية (ببليوغرافية) شاملة لحصر الدراسات والمقالات والكتب والمراجع التي يريد الباحث الوصول إليها في أقصر وقت وتوثيقها..

وقد يبدو مستغربًا ومثيراً للدهشة، ونحن نطرح مسألة استثمار تقنية قواعد المعلومات لدعم تعريب العلوم، أن نعلم أن المكتبة الأكثر توثيقًا للكتب العربية هي مكتبة الكونجرس الأمريكية.. وعلى الجهد المبذول في البلاد العربية على مستوى المؤسسات الخاصة والعامة والمستوى الفردي في مجال تأليف الكتب العلمية العربية وترجمتها؛ إلا أنه لا توجد جهة واحدة (على امتداد الوطن العربي) تُعنى بتوثيق شامل للإصدارات العربية عدا جهود جزئية متفرقة قامت بها بعض المؤسسات والجهات الرسمية والخاصة. من هنا تظهر أهمية استثمار القدرات التخزينية الهائلة وأنظمة الاسترجاع ذات الكفاءة العالية في دعم التوجه نحو توثيق شامل للإصدارات العلمية العربية، فكثيراً ما يظهر أن ما يتم في بلد عربي من جهد في الترجمة أو التأليف يكون قد سُبق إليه في بلد آخر - وبخاصة في مجال العلوم - أو على أقل تقدير أن النشاطات المتعلقة بالتأليف والترجمة في أي قطر عربي لا يُعرف عنها إلا القليل في الأقطار الأخرى؛ مما يحد من الاستفادة منها ويقلل فرص انتشارها، ومن دون وسائل توثيق ونشر متقدمة للإنتاج العلمي العربي ستظل آلية انتشار المعرفة بين الأقطار العربية محدودة.

ولعلنا هنا نشير إلى أن مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض، في ضوء مهامها ومنطلقاتها نحو دعم البحث العلمي بأشكاله كافة، أسهمت في بناء قاعدة بيانات شاملة للكتاب العلمي العربي والمعجم المختص نتمنى أن تظهر آثار الاستفادة منها قريبًا. وقد انبثقت أهمية هذا المشروع من خلال دوره المتوقع في دعم مشروعات تعريب التعليم العالي(٩)؛ إذ يظل الكتاب العلمي العربي يشكل الركيزة الأساسية التي من دونها لن تتأتى المباشرة في جعل اللغة العربية لغة علم وتعلم في الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث العربية، وتأتي هذه القاعدة لتسد نقصًا واضحًا في مجال توثيق الكتاب العلمي العربي والمعجم المختص، ولتكون إسهامًا جيداً في دعم مشروعات تعريب العلوم.

مما سبق يتضح أيضًا دور تقنية المعلومات، وإسهامها في دعم مهمة المشتغلين في حقلي التأليف والترجمة وتسهيلها، ونقل المعارف والعلوم إلى العربية.

ثالثا: الترجمة الآلية

لعل من أبرز النتائج التي تمخضت عنها تقنيات وبرمجيات الحاسوب وعلاقتها بقضية التعريب، تلك النتائج الممتازة التي أظهرتها تجربة استخدام عدد من البرامج التي ظهرت في الأسواق مؤخراً والتي تعنى بالترجمة الآلية.

وإذا ظلت الترجمة الآلية تطور إمكاناتها التقنية والفنية التحريرية على النحو الذي حدث في السنوات القليلة الماضية؛ فإننا نتصور أن جزءاً كبيراً من إشكاليات التعريب سيتم التعامل معه من خلال دعم هذه البرامج التي توفر الآلية التقنية المناسبة لنقل النص الأجنبي إلى العربية بسرعة وكفاءة ممتازين، والتي مازالت تتطلب التدخل البشري لإعادة صياغة النص بالعربية.. إلا أن هذه المساحة من التدخل قد تتضاءل مع إصدار برامج أكثر ذكاءً في هذا الحقل العلمي التقني الذي نرى أن استثماره يجب أن يكون في مستوى الحاجة إليه، ودعم منتجي مثل هذه البرامج ضرورة مرحلية لتحسين أدائها مستقبلاً.

رابعًا: النشر الإلكتروني

تأتي مسألة النشر الألكتروني، وهو استخدام الأساليب التقنية الجديدة من أوعية المعلومات لنقل تلك المعلومات من المصدر (سواء أكان قاعدة بيانات أم بنك مصطلحات أم غيرهما مما أشرنا إليه..) إلى المستفيد، وعندها يتم استبدال الحاسوب بوسائل الطباعة التقليدية، واستبدال المحطات الطرفية بالورق. وقد ينحصر النشر الإلكتروني في حدود استعراض مجلة أو كتاب على الحاسوب، وقد يتسع ليشمل كل أنواع قواعد البيانات ونظم النقل على الأقراص والبريد الإلكتروني. هذه الوسيلة والأداة التقنية يمكن أن تسهم إلى حد كبير في نشر المعلومات باللغة العربية عند توافر البرمجيات الحاسوبية وقواعد المعلومات العربية، بالإضافة إلى إمكانات النشر الهائلة من المعلومات التي يمكن أن تستوعبها أقراص الحاسوب والتي لا تزيد أبعادها على بضعة سنتيمترات ولكنها يمكن أن تخزن آلاف الصفحات؛ مما يسهل الرجوع إليها والاستفادة من محتوياتها بسهولة وسرعة فائقين خاصة مع توافر الاسترجاع في الأقراص المدمجة التي تطورت إمكاناتها بسرعة شديدة خلال السنوات القليلة الماضية.

كل ما تم عرضه يؤكد أن انتشار تقنيات المعلومات والحاسوب والتطور في استخدام اللغة العربية في تلك التقنيات، التي حرصت عليها كثير من الشركات لأهداف التسويق في المنطقة العربية، يمكن أن يصب في مصلحة توظيف تلك الإمكانات التقنية لخدمة التعريب.. ونعتقد أن كل الأدوات التي عرضنا بعضها كفيل بخلق حركة نشطة تدعم نشر العلوم بالعربية وتسهل وسائل الوصول إلى المعلومة وتضعها بين أيدي المشتغلين في التأليف والترجمة والتعريب في أقصر وقت.. وربما كانت المهمة الكبرى أن تُنسق تلك الجهود التي تظهر هنا وهناك ويتم التعريف بها على نطاق أكبر لدى شرائح اجتماعية أوسع.. وهو ما يعني خدمة المهمة الجليلة التي شغلتنا ردحًا من الزمن ومازالت.

الهوامش:

١- عبدالحليم محمد حامد: منهجية وضع المصطلح العلمي، المؤتمر الأول حول الكتابة العلمية باللغة العربية: واقع وتطلعات، بنغازي، ليبيا، ١٠-١٣ مارس ١٩٩٠م.

٢- محمد جابر الأنصاري: التعريب الجامعي وحمية المقاربة الميدانية، رسالة الخليج العربي.

٣- عمرو أحمد عمرو: دراسة منهجية عربية للمصطلح أساسها التقييس والحوسبة، ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علمًا وتطبيقًا، تونس ٧-١٠ يوليو ١٩٨٦م.

٤- علي القاسمي: نحو تطوير بنوك المصطلحات كأداة للبحث المصطلحي والتوثيق العلمي، ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات، تونس ٧-١٠ يونيو ١٩٨٦م.

٥- علي القاسمي: المعاجم العربية المتخصصة ومساهمتها في الترجمة ونقل التكنولوجيا، اللسان العربي، ص٤٥، ١٩٨٥م.

٦- أحمد الأخضر غزال: إدخال اللغة العربية في المعلوميات، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط ١٩٨٧م.

٧- فارس الطويل: نحو منهجية شاملة للعمل المصطلحي، ندوة تطوير وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته، عمان ١٩-٢١ ربيع الأول ١٤١٤هـ.

٨- عبدالله القفاري: نحو استراتيجية شاملة للبنك الآلي السعودي للمصطلحات، ١٩٩٥م، تقرير غير منشور.

٩- عبدالله القفاري: بناء قاعدة بيانات شاملة للكتاب العلمي العربي والمعجم المختص: مقارنة ميدانية، المؤتمر السنوي الثالث لتعريب العلوم، القاهرة، ١٢ مارس ١٩٩٧م.

تأثير اللغة العربية في نشأة اللغة الفارسية الحديثة وتطورها

د. محمد نور الدين عبدالمنعم

أخذت اللغة العربية تنتشر بين سكان إيران بعد الفتح الإسلامي، وأصبح الفرس ينظرون إليها نظرة مقدسة بصفتها لغة القرآن والدين الجديد. فتعمقوا في دراستها حتى يتمكنوا من فهم دينهم وكتابهم الكريم؛ مما ساعد على انتشار هذه اللغة ورواجها. وقد ظلت اللغة العربية في المرتبة الأولى من الناحية الأدبية حتى أواخر القرن الثالث الهجري تقريبا، حين أخذت القومية الفارسية تنهض من جديد، وتحاول إحياء اللغة الفارسية؛ فنشأت الفارسية الحديثة أو الإسلامية معتمدة في كثير من كلماتها ومصطلحاتها على اللغة العربية، كما أنها كتبت أيضا بحروف عربية.

والواقع أن عصر النهضة الفارسية لم يقم معتمداً على اللغة الفارسية الخالصة في حد ذاتها، بل شرع الكتّاب والشعراء يأخذون بعض مفردات اللغة العربية وعباراتها، ويقتبسون من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والأمثال العربية، وقد استخدموا في شعرهم بحور الشعر العربي، وزادوا عليها، وغيّروا فيها بعض التغيير، واستحدثوا صوراً شعرية جديدة في مقدمتها المثنوي والرباعي. وأصبح الشاعر الإيراني بعد الإسلام لا يستطيع قول الشعر بلغته الفارسية ما لم تكن معرفته باللغة العربية كاملة، حافظًا لأشعار العرب مطالعًا لأقوالهم.

ونتيجة لهذا التأثر بالعربية وآدابها؛ أصبح من غير الممكن أن يكتب الكاتب أو ينظم الشاعر شيئًا بالفارسية بحيث تكون كتابته خلواً من الألفاظ العربية، وخير مثال على ذلك: شاهنامة الفردوسي (نظمت نحو سنة ٤٠٠ هجرية) التي قصد ناظمها إلى صياغتها في أقدم العبارات والأساليب الفارسية، لا يمكن لأحد أن يدّعي خلوّها من الألفاظ العربية. وربما كان موضوع الشاهنامة الذي يتناول فيه الشاعر تاريخ إيران هو الذي دعاه إلى الإقلال من استعمال الكلمات العربية، ومحاولة جعلها منظومة فارسية خالصة. ويرى بعض الباحثين أن الشاهنامة تحتوي على ما يقرب من ثمانمئة كلمة عربية، وقد يقل هذا العدد أو يكثر لدى كل باحث من الباحثين، ولكن الحقيقة التي لا شك فيها هي وجود كثير من المفردات العربية في هذه المنظومة التي يصل عدد أبياتها إلى ستين ألف بيت.

ويقول المستشرق إدوارد براون في هذا الصدد: «ولو أن أحداً أراد أن يكتب شيئًا بالفارسية بحيث تكون كتابته خلواً من الألفاظ العربية لتعسر عليه الأمر، كما يتعسر على الذي يريد أن يكتب شيئًا بالإنجليزية بحيث تكون كتابته خالية من كل كلمة يرجع اشتقاقها إلى أصل يوناني أو لاتيني أو فرنسي. ولربما استطاع بعض الناس أن يفعلوا ذلك على نطاق ضيق، ولكن كتاباتهم تظل عسيرة الفهم إذا لم يستعن القارئ على فهمها بمعجم من المعاجم اللغوية»(١).

وقد مثل براون على ذلك بالمقالة التي كتبتها جماعة من مجوس يزد، وبكتاب «خسروان نامة» أي كتاب الملوك الذي ألفه أحد الأمراء، وهو تاريخ مختصر للدولة التي قامت في فارس قبل الإسلام، ونُشر في مدينة فينّا عام ١٨٨٠م.

ونرى كتّاب الفرس يشيرون إلى أهمية الاطلاع على الأدب العربي، والاقتباس من اللغة العربية، ومن هؤلاء النظامي العروضي السمرقندي؛ الذي يقول في كتابه «جهار مقاله» أو المقالات الأربع (المؤلف نحو سنة ٥٥٠هـ): «.. فعليه (أي الكاتب) أن يجعل ديدنه قراءة كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب، وكلمات العجم، ومطالعة كتب السلف، والاطلاع على صحف الخلف، مثل: تَرَسُّل الصاحب والصابي وقابوس.. ومن دواوين العرب: ديوان المتنبي والأبيوردي والغزي..»(٢).

ويقول عنصر المعالي كيكاووس في كتابه «قابوسنامة» الذي ألفه سنة ٤٧٥هـ، ناصحًا ابنه كيلانشاه: «.. وزيّن رسالتك بالاستعارات والأمثال والآيات القرآنية والأخبار النبوية، وإذا كانت رسالتك بالفارسية فلا تكتبها بالفارسية الخالصة فإنها ليست مقبولة..»(٣).

وكذلك يعيب الشاعر منوجهري الدامغاني(٤) (متوفى سنة ٤٣٢هـ) على

أحد الشعراء عدم خبرته ودرايته بالشعر العربي، ويفخر بتفوقه في هذا المجال، إذ يقول: إنني أحفظ كثيرًا من دواوين أشعار العرب، وأنت لا تستطيع قراءة: ألا هبّي بصحنك فاصبحينا.

وقد ساعد على انتشار اللغة العربية في بداية الأمر أنها أصبحت لغة الدولة بالإضافة إلى كونها لغة الدين، وكان على كل من يريد الوصول إلى منصب أو مكانة مرموقة في السياسة أو العلم أن يتعلم العربية ويتقنها، ومن هنا اهتم الفرس بتعلم هذه اللغة.

وأول بوادر التأثير العربي بعد دخول الإيرانيين في الإسلام، أن كثيرين منهم بدؤوا يسمون أنفسهم بأسماء عربية، كما أخذوا يلقبون أنفسهم بألقاب عربية. وظهرت العبارات العربية منذ سنة ٣٢هـ على العملات التي استُعملت في تلك البلاد، ثم ظهرت أسماء خلفاء بني أمية بعد ذلك على العملات الإيرانية.

وقد ظلت اللغة العربية لغةً أولى من الناحيتين الأدبية والعلمية خلال العصور: الصفاري والساماني والغزنوي؛ إذ نجد كثيرًا من المؤلفات قد كُتب بالعربية، وبخاصة في العصر الساماني، ومن ذلك مثلاً: كتاب «مفاتيح العلوم» لأبي عبدالله محمد بن أحمد الخوارزمي. وظلت العربية هي لغة الرسائل والديوان في هذه العصور المذكورة، إلا أننا نجد بعض الرسائل في العصر الغزنوي يُكتب بالفارسية أيضًا، وكانت هذه الرسائل تبدأ بعبارات عربية.

ونرى البيهقي يقول في كتابه «تاريخ البيهقي» (المؤلف في القرن الخامس الهجري): «إن السيد العظيم (يقصد أحمد بن الحسن) قد قال فصلاً بالعربية، وهو جميل جدًا»(٥)، وكان ذلك عند استقبال رسول الخليفة في البلاط الغزنوي. وهذا يعني أن العربية كانت تستعمل في البلاط وفي الرسائل الديوانية بجانب الفارسية، وأن كتّاب ذلك العصر كانوا من أصحاب اللسانين، ومن هؤلاء: أبو نصر محمد بن عبدالجبار العتبي صاحب كتاب «تاريخ اليميني» وكتاب «لطايف الكتّاب» وهما بالعربية، وكذلك أبو الفتح البستي (متوفى بين سنتي ٤٠١ و٤٠٣هـ) الذي كان ينشد الشعر بالعربية والفارسية.

وقد تأثرت كتب النثر الفارسي باللغة العربية تأثرًا كبيرًا، وبخاصة الكتب التي تُرجمت عن العربية مثل ترجمة «تاريخ الطبري» وترجمة «تفسير الطبري» في القرن الرابع الهجري. وأخذ التأثير يزداد يوما بعد يوم، ونلاحظ زيادة التأثير العربي بوضوح في كتاب «تاريخ البيهقي»، وتتحول كتابة الرسائل، فيما بعد، إلى اللغة الفارسية في العصر السلجوقي على يد عميد الملك الكندري الوزير السلجوقي. ولكن هذا لم يمنع تأثير العربية في كل ما كتب بالفارسية؛ فالعربية قد تركت بصماتها على هذه اللغة الجديدة، وشاركت في بنائها، ولم يعد من الممكن التخلص من مفرداتها أو عباراتها.

وهناك من العلماء المسلمين من ألّف كتبًا بالفارسية فقط، وهناك أيضًا من ألّف بالفارسية والعربية، ومن الفئة الثانية نذكر ابن سينا وأبا حامد الغزالي والخيام النيسابوري ونصير الدين الطوسي. وهناك من الكتّاب الفرس من ارتبطت شهرتهم باللغة العربية وآدابها أكثر من الفارسية، ومن هؤلاء عبدالقادر الجرجاني وبديع الزمان الهمذاني. ولكن لماذا اقتصر بعض الإيرانيين على التأليف بالعربية دون الفارسية؟ يرجع هذا في حقيقة الأمر إلى أن العربية كانت هي اللغة الأولى من الناحيتين الأدبية والعلمية، كما ذكرنا، وهي لغة الثقافة عمومًا، كما أنها كانت أصلح من الفارسية في تأدية بعض الأغراض العلمية بسبب ثرائها بالأصول والمشتقات الناتجة من هذه الأصول.

ومن المؤلفات الأدبية ما كُتب باللغتين أيضا، ومن ذلك كتاب «حدائق السحر في دقائق الشعر» لرشيد الدين الوطواط (متوفى ٥٧٣هـ). وطريقة الوطواط في كتابه الذي يتحدث فيه عن البديع الفارسي، هي أن يذكر الفن البديعي ويُعرِّفه، ثم يستشهد عليه بأمثلة من القرآن والحديث، ثم بأمثلة من النثر العربي فالشعر العربي، ويتبع ذلك بأمثلة من النثر والشعر الفارسيين.

ويرى بعض الكتّاب أن التأليف باللغة الفارسية مما يستحق الاعتذار، ويتطلب ذكر الأسباب المقنعة للإقدام على هذا العمل. ومن ذلك ما جاء في مقدمة كتاب «كليلة ودمنة» الذي ترجمه أبو المعالي نصر الله بن محمد بن عبدالحميد الكاتب لبهرامشاه الغزنوي (٥١١ -٥٤٨هـ) من أنه نقل هذا الكتاب إلى الفارسية لأنه لم يعد للناس رغبة في مطالعة الكتب العربية، ولذلك ظلت تلك الحكم والمواعظ مهجورة، فأراد المترجم أن ينقلها إلى الفارسية مزينا إياها بالآيات والأمثال، حتى يُحيي هذا الكتاب الذي مات منذ عدة مئات من السنين، وحتى لا يحرم الناس من فوائده(٦).

ومن مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية ما يلي:

أولاً: ذكر الجمل والعبارات العربية بين العبارات الفارسية، وبخاصة جمل الدعاء.

ثانيا: ذكر التواريخ بالعربية.

ثالثا: ذكر آيات من القرآن والأحاديث والأمثال والأشعار العربية في المؤلفات الفارسية.

رابعًا: ذكر مقدمة الكتاب المؤلَّف أو خطبته بالعربية، وتبدأ بحمد الله ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام، وتختم بذكر اسم الأمير أو السيد الذي قُدِّم إليه الكتاب.

خامسا: ذكر عناوين الفصول بالعربية في الكتب النثرية المؤلفة بالفارسية.

سادسا: تسمية الكتب الفارسية بأسماء عربية، وقد يعتقد بعض الناس عند سماع هذه الأسماء أول مرة أنها أسماء كتب عربية؛ إلا أنه بمجرد قراءة ما بداخلها يعرف أنها مؤلفة بالفارسية، ومن ذلك مثلاً: عتبة الكتبة، تذكرة الأولياء، زاد المسافرين، لباب الألباب، جامع التواريخ، روضة الصفاء، حبيب السير. وأحيانًا تكون أسماء الكتب عبارات تظهر فيها الصنعة اللفظية أو المعنوية، مثل: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، كشف الأسرار وعدة الأبرار، أبكار الأفكار في الرسائل والأشعار.

سابعًا: التلميع؛ والملمع من الفنون الشعرية التي تعتمد على لغتين، ويكون بنظم مصراع عربي وآخر فارسي، ويجوز أن يكون مؤلفًا من بيت عربي وآخر فارسي، أو بيتين عربيين وآخرين فارسيين، أو عدة أبيات عربية وعدة أبيات فارسية.

ثامنا: وهذا الفن أيضًا يعتمد على اللغتين، ويكون بنقل أبيات من العربية إلى الفارسية شعرًا، أو العكس. وهناك أمثلة كثيرة لترجمة الشعر الفارسي إلى العربية.

يضاف إلى كل ما سبق تلك الأفكار والمضامين العربية التي دخلت الفارسية من طريق اللغة العربية، ومثال ذلك أسماء كثير من العرب الذين اشتهروا بصفة معينة مثل حاتم الطائي وشهرته بالكرم، وليلى والمجنون وشهرتهما بالحب، ويوسف وزليخا وقصتهما التي وردت في القرآن الكريم، وغير ذلك من الموضوعات التي تأثر بها الفرس في شعرهم ونثرهم، ونظموا كثيرا من منظوماتهم حولها.

أما بالنسبة إلى الكلمات العربية المستخدمة في الفارسية؛ فهناك عوامل كثيرة ساعدت على دخول هذا العدد الكبير منها في الفارسية؛ وأول هذه العوامل: ترك الدين القديم والدخول في الدين الإسلامي، مما أدى إلى انتشار نفوذ اللغة العربية

لم يقتصر تأثير اللغة العربية في الفارسية على انتقال المفردات؛ بل تعدى ذلك إلى تأثير قواعد العربية في الفارسية، وهو شيء نادر الحدوث بين اللغات!

وثقافتها في إيران. ومن أهم مظاهر هذا النفوذ أن الإيرانيين تركوا الخط البهلوي القديم المعقد إلى الخط العربي الذي وجدوه أيسر في الكتابة وأوضح، فمن عيوب الخط البهلوي أنه كان يعبر عن أصوات كثيرة بحرف واحد، كوجود حرف واحد للنون والواو والراء؛ مما يوقع القارئ في اللبس. وقد سهلت الكتابة بالحروف العربية انتقال كثير من الكلمات العربية إلى اللغة الفارسية الإسلامية المكتوبة بهذه الحروف، كما شجعهم ذلك على قراءة المؤلفات العربية والاطلاع على الأدب العربي شعره ونثره. والمعروف أن هناك لغات إسلامية أخرى كتبت بالأبجدية العربية نذكر منها: التركية العثمانية والأوردية والبشتوية، وغيرها.

ومن ذلك أيضًا أن الإيرانيين وجدوا الكلمات العربية أسهل في بعض الأحيان من الكلمات الفارسية القديمة، كما أنهم استعملوا بعض المصطلحات والمفردات التي لم يجدوا لها مقابلاً في لغتهم. وأهم أنواع هذه المصطلحات تلك التي تعبر عن المفاهيم الجديدة التي لم يسبق لها مثيل في لغتهم. والمعروف أن الفرس تركوا لغتهم لا يكتبون ولا ينظمون بها مدة تجاوزت القرنين، مما جعلهم ينسون كثيرًا من الألفاظ، فأخذت تحل محلها ألفاظ عربية، وكان هذا من الأسباب التي ساعدت أيضا على دخول كثير من الألفاظ العربية في الفارسية.

ولا ننسى أن نقول أيضًا: إن أوائل كتّاب الفارسية الحديثة كانوا من ذوي اللسانين، وهذا في حد ذاته يوضح لنا مدى تأثر الفارسية بالعربية وثقافتها، إذ نقل هؤلاء كثيرًا من المفردات والمصطلحات، وكذلك الأفكار والمضامين التي عرفوها وأجادوها من العربية إلى الفارسية، ونظم بعضهم الشعر باللغتين، كما ألف بعضهم الآخر الكثير من الكتب النثرية باللغتين أيضًا. ولم يقتصر التأثير على انتقال المفردات؛ بل تعداه إلى تأثير قواعد العربية في قواعد الفارسية. ويعد هذا في حد ذاته شيئًا نادرًا، إذ من النادر أن تؤثر قواعد لغة ما في قواعد لغة أخرى مثلما حدث بالنسبة إلى العربية والفارسية.

وقد ساعدت ترجمة بعض الكتب العربية إلى الفارسية على انتقال مجموعة كبيرة من هذه الكلمات إلى الفارسية، ونحن نلاحظ على مثل هذه الكتب كثرة المفردات العربية فيها بالنسبة إلى غيرها من الكتب المؤلفة بالفارسية أصلاً.

ومن الأسباب التي ساعدت على رواج اللغة العربية ودخول ألفاظ عربية كثيرة في الفارسية، ولاسيما في العصور المتأخرة، ذلك الاهتمام الشديد بالمحسنات اللفظية، والتي كانت تحتاج إلى مفردات كثيرة. ولم يجد الكتّاب والشعراء بدًا من الاستعانة بالعربية، وهي بحر زاخر بالمفردات والمشتقات، لكي يتمكنوا من إظهار براعتهم في مجال تلك الفنون البديعية. وقد نظم بعض الشعراء الفرس قصائد بديعية، وهي ما تسمى بالبديعيات، محاولين أن يذكروا في كل بيت من أبياتها فنًا من فنون البديع المختلفة، ومن هؤلاء نذكر قوامي الكنجوي شاعر القرن السادس الهجري وقصيدته التي يصل عدد أبياتها إلى مئة بيت، والتي تُعرف باسم «بدائع الأسحار في صنايع الأشعار». وقد وصل الإفراط في استخدام الكلمات العربية إلى حد أننا، عندما نطالع بعض الكتب الفارسية المتأخرة، نجدها تغص بالكلمات العربية، وربما لا نجد فيها من الفارسية سوى الروابط والقيود والأفعال.

والآن، وفي عصرنا الحاضر، فإن كثيرًا من الكلمات العربية المستعملة يصعب الحصول على مرادف لها في الفارسية، وأصبح مرادفها مهجورًا لا يستعمل مثل: كتاب، تأثير، إحساسات، حج، منارة، خليفة، أمين، أمانت، شعر... إلخ، ويشاهد الدارس للغة الفارسية كثيرًا من المصطلحات العربية التي صاغها الفرس لأنفسهم في مقابل المصطلحات الحديثة أو الاختراعات الجديدة، ولا يوجد مثيل لها في العربية ومثال ذلك اصطلاح: «تحكيم روابط» في مقابل: «توطيد العلاقات» و«روابط عمومي» في مقابل: «العلاقات العامة»، و«رشد اقتصادي» في مقابل: «النمو الاقتصادي».

ومازالت العربية تسهم في إنشاء المصطلحات الجديدة في الفارسية على وجود الرغبة لدى الإيرانيين في تكوين هذه المصطلحات من أجزاء فارسية خالصة، ومثال ذلك قولهم: «تشنج» في مقابل: «توتر»، و«معلول» في مقابل: «معوق» و«مناطق إشغالي» في مقابل: «المناطق المحتلة» و«خط مشي» في مقابل: «سياسة أو منهج».

وأعتقد أن الدعوة إلى ترك الكلمات العربية كلها وإحلال كلمات فارسية محلها دعوة مستحيلة التحقيق، ذلك أن مثل هذه الكلمات قد استقرت في الفارسية منذ زمن بعيد، بل إن بعض المصطلحات المركبة من أصول عربية لا تجد لها مثيلاً في العربية، فهي من اختراع الفرس، وهي بذلك لا تعد عربية إلا من ناحية الأصل، ولكنها فارسية من ناحية الاستعمال. فمن منا يستعمل مصطلح «خلع سلاح» بدلاً من: «نزع السلاح»، أو مصطلح «بين المللي» بدلاً من: «دولي»؟ إنها مصطلحات فارسية لا تتصل بالعربية إلا من ناحية الأصل كما قلنا.

ونطالع اليوم - بين الحين والآخر - محاولات لإيجاد مقابل فارسي لبعض الكلمات العربية، وهي محاولات قد تكون ناجحة من حيث تكوين المقابل الفارسي وتركيبه، ولكني أعتقد أنه من الصعب أن تطغى مثل هذه المصطلحات الجديدة بسهولة أو بسرعة على الكلمات العربية، ولا يكفي أن تظهر مثل هذه المصطلحات في كتاب واحد أو مقالة واحدة؛ بل لابد من تعميمها في وسائل الإعلام المختلفة حتى تشيع بين الناس، إن قُدّر لها ذلك. وعلى الرغم من أن اللغة التركية - على سبيل المثال - قطعت شوطًا كبيرًا في هذا المجال؛ إلا أننا لا نستطيع أن نقول إنها تخلصت تماما من الكلمات العربية. ولا ضير في أن يحاول أهل كل لغة تنقية لغتهم من المفردات الدخيلة عليها، وهذا ما نحاوله نحن في العربية، وبخاصة في مواجهة ذلك السيل الجارف من المصطلحات الحديثة التي تفد إلينا من البلدان الأجنبية، وأرى أن خلق ألفاظ جديدة في اللغة الفارسية في مقابل المصطلحات والألفاظ التي تفد إليها في عصرنا الحاضر أجدى من محاولة إبدال الكلمات العربية المستقرة في الفارسية بكلمات فارسية أصيلة، فستظل المفردات العربية موجودة في الفارسية، وستظل تشارك في بناء هذه اللغة وتطورها إلى الأبد.

والواقع أن كثرة المفردات العربية في اللغة الفارسية تخلق صعوبة بالغة لمن يتعلم هذه اللغة، ولمن يترجم أيضًا؛ حيث ينبغي له أن يتعرّف كل هذه المفردات العربية حتى لا يخطئ في استخدام كلمات عربية أخرى عند الكتابة بالفارسية، أو الترجمة من العربية إلى الفارسية، وهذا ليس بالأمر اليسير، ويحتاج إلى وقت طويل في دراسة هذه اللغة، وخبرة كبيرة في عملية الترجمة.

والكلمات العربية المستخدمة في الفارسية تنقسم إلى نوعين:

أولا: الكلمات البسيطة أو المفردة كبعض الأسماء مثل: مجلس، عالم، وبعض الصفات مثل: لايق، عميق، وبعض الحروف مثل: أما، لكن، وغير ذلك.

ثانيا: الكلمات المركبة كقولهم: فوق العادة، في الجملة، عليهذا.

أما قواعد اللغة العربية في الفارسية فقد استُخدمت سواء مع الكلمات أو

المفردات العربية التي دخلت الفارسية خضعت لكثير من القواعد الصوتية الخاصة بالفارسية؛ كما أصابها تغيير في المعنى أيضًا، وكذلك في النطق والإملاء!

العبارات العربية التي دخلت الفارسية، أو مع الكلمات والعبارات الفارسية نفسها. وعلى الرغم من أن لكل لغة من اللغتين قواعدها الخاصة بها، وعلى اختلاف أصل كل منهما، فقد تأثرت الفارسية بقواعد العربية نتيجة اختلاطها بها، ودخول العديد من المفردات والتراكيب العربية فيها. والمعروف أن الكلمات العربية التي دخلت الفارسية كانت تخضع في البداية لقواعد الفارسية، إلا أنها سرعان ما خضعت لقواعد العربية، ومن هذه القواعد: النسبة مثل: إيراني، تهراني، والتثنية مثل: مجلسين، طرفين، والجمع مثل: روحانيون، صادرات، ميادين، والتنوين مثل: مستقيمًا، أصلاً، ومطابقة الصفة للموصوف مثل: صفات حميدة، أكابر رجال، وغير ذلك.

ولكن هل تخضع الكلمات العربية المستخدمة في الفارسية لبعض التغيير؟ الواقع أن أي لغة تقتبس مفردات من لغة أخرى فإنها تخضعها، كلها أو بعضها، لخصائصها الصوتية، حتى تتلاءم مع مفردات اللغة الأصلية، وتصبح جزءاً من هذه اللغة. وقد حدث هذا مثلا مع الكلمات الفارسية التي دخلت العربية، فغيرت فيها بعض الحروف، وأخضعتها لقواعد الصرف العربي، حتى إنها بعدت من أصلها في كثير من الأحيان، وأصبح من الصعب معرفة ذلك الأصل إلا بالدراسة وتتبع تطور الكلمات. وهكذا كان الحال بالنسبة للمفردات العربية التي دخلت الفارسية؛ إذ خضعت لكثير من القواعد الصوتية الخاصة بالفارسية، ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ بل تعداه إلى تغييرات حدثت في المعنى أيضا. ويمكن أن نجمل التغييرات التي طرأت على بعض الكلمات العربية المستعملة في الفارسية فيما يلي:

أولاً: تغييرات في نطق الكلمات؛ كنطقهم لكلمة «حيوان» بسكون الياء بدلاً من فتحها، ونطقهم لكلمة «متداول» بكسر الواو بدلاً من فتحها.

ثانيا: تغييرات في الشكل أو الإملاء؛ ككتابة كلمة «مبتلا» بدلاً من «مبتلى»، وكلمة «مسئول» بدلاً من «مسؤول»، وكلمة «جرئت» بدلا من «جرؤت»، وهكذا.

ثالثا: تغييرات في معاني الكلمات مثل كلمة «رعناء» وهي تعني في العربية: المرأة الحمقاء أو الهوجاء في منطقها، وتعني في الفارسية: المرأة الجذابة الجميلة المنظر والمديدة القوام، وكلمة «كثيف» التي تعني في العربية: الغليظ أو الكثير، وتعني في الفارسية: القذير، وكلمة «صدا» التي تعني في العربية: صدى الصوت، ولكنها تعني في الفارسية: الصوت نفسه، وكلمة «نشاط» التي تعني في الفارسية: السرور، وكلمة «حرف» التي تعني: الكلام، وغير ذلك.

ويصادف المترجم صعوبة كبيرة في هذا الصدد أيضًا، حيث يواجه كثيرا من المفردات العربية المستخدمة في الفارسية وقد تغيَّر معناها، وأصبح لها مدلول آخر، ولذلك نجد دارسي اللغة الفارسية في بداية دراستهم ينقلون أحيانًا الكلمة العربية كما هي دون أن يتنبهوا إلى أن معناها قد تغير، ولذلك يلزم للمترجم معرفة الدلالات الجديدة لتلك الألفاظ العربية التي تغير معناها لدى أهل اللغة الفارسية. وأعتقد أنه من المناسب هنا أن نشير إلى الفرق بين اقتباس العربية من الفارسية واقتباس الفارسية من العربية، وهو على النحو التالي:

أولا: أن ما أخذته العربية من الفارسية قليل جدا إذا قيس بما أخذته الفارسية من العربية، ذلك لأن اللغة العربية كانت لغة قوية معبرة، ذات كيان متكامل، صالحة للتعبير عن كل المعاني المتصلة بشؤون الحياة ومطالبها، ومن هنا أخذ العرب بعض الألفاظ والمصطلحات الديوانية والإدارية، وكذلك بعض الألفاظ التي تعبر عن وسائل وأدوات جديدة أو أنواع من الأطعمة والملابس والنباتات، إلا أن اللغة الفارسية كانت لغة جديدة في حاجة إلى مصطلحات وألفاظ جديدة حتى تقوى ويشتد عودها، وتتمكن من التعبير عن المفاهيم الجديدة. كما أن الإيرانيين قد دخلوا دينا جديدا؛ فتركوا الألفاظ والمصطلحات الدينية القديمة واستعملوا مصطلحات عربية خاصة بالدين الجديد.

ثانيا: أخضع العرب كل ما اقتبسوه من الفارسية للتغيير حتى يتفق مع أصوات لغتهم، بينما ظل كثير من الألفاظ العربية كما هو في الفارسية، ويخضع أيضا لقواعد العربية.

ثالثا: أخذ العرب ما يحتاجون إليه فقط، ولكن الفرس بالغوا في الاقتباس حتى إنهم أخذوا ألفاظا لا مرادف لها عندهم.

رابعا: لم تأخذ العربية من الفارسية عبارات أو جملاً، بل أخذت ألفاظًا فقط؛ بينما أخذت الفارسية ألفاظًا وعبارات، وتشهد على ذلك المؤلفات الفارسية.

خامسا: لم تأخذ العربية من الفارسية إلا أسماء فقط، ولم تأخذ أفعالاً أو حروفا، ولكن العرب اشتقوا بعض الأفعال من الأسماء الدخيلة كما هو الحال في كلمة «لجام» التي اشتقوا منها: ألجم الدابة، وجمعوا اللجام على لُجُم وألجمة.

ويهتم الإيرانيون اليوم بتدريس اللغة العربية في مراحل مختلفةَ من التعليم، ويرجع ذلك في رأيي إلى الأسباب التالية:

أولا: أن العربية، بالإضافة إلى كونها لغة مؤثرة في الفارسية، هي لغة حية يتحدث ويكتب بها ملايين من أفراد البشر، فتعلُّمها ومعرفتها يفيد الدارس لها بصفتها لغة حية كسائر اللغات الأجنبية مثل الفرنسية أو الإنجليزية أو أي لغة أخرى. والعارف بهذه اللغة يستطيع أن يتعرَّف من ثم ثقافة الشعوب العربية وفكرها وحضارتها قديما وحديثا.

ثانيا: أن العربية من ناحية أخرى لغة الدين، ولابد لمن يريد فهم دينه وقرآنه أن يكون مُلمًّا بها وبقواعدها من نحو وصرف، وبعلومها من بلاغة وأدب ونقد وغير ذلك. بل لابد لمن يريد أن يتخصص في العلوم الدينية أن يجيد هذه اللغة، ذلك لأن معظم كتب الفقه والتفسير وغير ذلك من العلوم الإسلامية مدون بها.

ثالثا: لابد أيضا لمن يريد أن يطلع على ما ألَّفه الإيرانيون أنفسهم بالعربية أن يعرف هذه اللغة، فقد أسهم كثير منهم في هذا المضمار وألَّفوا الكثير من الكتب الأدبية والعلمية.

رابعا: من تلك الأسباب أيضًا أن يفهم الإيراني لغته الفارسية فهمًا أفضل؛ فقد رأينا أن الفارسية استعارت كثيراً من المفردات العربية، ومازالت بعض هذه المفردات خاضعة لشكل الكتابة العربي، وأيضا للقواعد العربية، ولا يمكن فهم هذه المسائل إلا بدراسة العربية، ومعرفة نحوها وصرفها.

خامسا: أن القارئ الإيراني كثيرًا ما يصادف في أثناء قراءته لبعض المؤلفات الفارسية؛ سواء القديم منها أو الحديث؛ استشهادات من القرآن الكريم أو من الأحاديث الشريفة أو الأمثال والأشعار العربية، ولابد لفهم تلك الاستشهادات أن يكون القارئ مجيدا للعربية أيضا.

الحواشي:

١ـ تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ص١٤، ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربي، طبعة القاهرة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.

٢ـ المقالات الأربع (جهار مقاله) ترجمة د. عبدالوهاب عزام ود. يحيى الخشاب، ط١، القاهرة ١٩٤٩م، ص٢٣.

٣ـ قابوسنامه، كيكاوس قابوس بن وشمكير زيارى، تهران ١٣٤٣هـ.ش، ص١٦٤.

٤ـ ديوان منوجهري دامغاني، ص٨١، باهتمام وبير سياقي، تهران ١٣٢٦هـ. وهو يشير في هذا البيت إلى مطلع معلقة عمرو بن كلثوم:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا

٥ـ كزيده تاريخ بيهقي، ص٩٧، أبو الفضل بيهقي، به كوشش محمد دبير سياقي، تهران ١٣٥٢هـ.ش.

٦ـ انظر مقدمة كليلة ودمنة، ص٢٣، باهتمام وتصحيح وتحشيه عبدالعظيم قريب، ١٣٢٧ش ١٣٦٧ق.

التنوّع والاختلاف في المذاهب النقدية ١

د. حامد أبو أحمد

إذا كان ينبغي للقرن العشرين أن يحمل لافتة تدل عليه في مجال نظرية الأدب، فإن هذه اللافتة يجب أن تأتي على النحو التالي: «إنه قرن التعدد الثقافي الذي جاء نتيجة للاختلاف والصدام، أكثر من مجيئه نتيجة للوفاق والائتلاف». وهذا ما تشير إليه، بصراحة ووضوح، معظم الكتب التي صدرت في أوربا وأمريكا لشرح نظريات الأدب الكثيرة التي ظهرت خلال هذا القرن العشرين. وسوف أكتفي منها بمثال واحد من كتاب ك.م. نيوتن «نظرية الأدب في القرن العشرين» المنشورة طبعته الأولى في هامبشير ولندن عام ١٩٨٨م(١).

يقول معد الكتاب ك.م. نيوتن في المقدمة (ص٩): «إن النظرية مجال نقاش وصدام متواصلين. ويستدعي الإدراك الدقيق لها امتلاك معرفة لا تشمل الحجج الأساسية لوجهة نظر خاصة أو وجهتي نظر فحسب، بل لمواقف بديلة على خلاف معها علانية أو ضمنًا. وكذلك لا يكفي التمثيل للنظريات الرئيسية بمثال واحد فقط، لأنه ليس ثَمّتَ خلافٌ ونقاشٌ بين النظريات المختلفة فحسب؛ بل يمتد الخلاف داخل هذه النظريات نفسها».

وبنظرة سريعة على فهرس الكتاب السالف الذكر نعثر على سبعة عشر اتجاهًا أو تيارًا في مجال نظرية الأدب(٢). وقد قسم نيوتن الكتاب قسمين كبيرين، أولهما: من الشكلية الروسية إلى البنوية الفرنسية، ويضم عشرة تيارات، من بينها ـ إضافة إلى المذكورين ـ النقد الجديد، والنقد الليفزي، والنقد الظاهراتي، والنقد الماركسي.. إلخ.. إلى أن يصل إلى النقد اللغوي ثم البنوية الفرنسية، وبالتحديد عند تزيفتان تودوروف، وجيرارد جينيه ورولان بارت. ثم يأتي القسم الثاني من الكتاب تحت عنوان: «ما بعد البنوية وما تبع ذلك»، وفيه نجد فصولاً عن ما بعد البنوية عند جاك دريدا، ورولان بارت، وبول دي مان، وإدوارد سعيد، وفصولاً (عددها ستة) عن علم العلاقات، وعلم التأويل السلبي، والنقد القائم على التحليل النفسي، ونظرية التلقي، والنقد القائم على استجابة القارئ، والماركسية ما بعد الألتوسرية، والنقد النسائي.

وهذا التنوع الهائل القائم على الخصام والنزاع، أكثر من أيّ شيء آخر، جعل ك.م. نيوتن يلجأ إلى نوع من التمثيل لتوضيح الوضع الراهن للنقد الأدبي ونظرية الأدب، إذ قال: «وهكذا فلعل التشبيه الأكثر قدرة على وصف الموقف الراهن للنقد الأدبي ليس هو أنه مكوَّن من عدد من الجماعات المنفصلة، بل إنه مثل البرلمان. فقبل التفجر الأخير في النظرية الأدبية كان ذلك البرلمان، في العالم الناطق بالإنجليزية، مثل برلمان فيه حزبان أمسكا بزمام السيطرة وأحزاب أصغر لم يُسند إليها سوى دور ضئيل. كان ثمتَ استقرار ونظام نسبيان، حيث أحد الحزبين يسيطر إلى حين ثم يتبعه الآخر، لكن الحزبين كليهما ظلا دائما كبيرين إلى حد لا يحسان فيه بأنهما مهدَّدان. وكان هذان الحزبان هما «النقد التاريخي» الذي أكد مسائل من قبيل النص

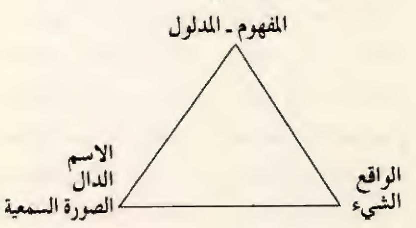
فيما يتصل بعصره، وما قصد إليه المؤلف، والنظرات القائمة على النوع الأدبي. والحزب الثاني هو «النقد الجديد» بميله المضاد للقصدية، وتأكيده النص بوصفه بنية تامة في ذاتها. وما حدث للبرلمان في المرحلة الأخيرة هو أن سيطرة الحزبين المذكورين قد هُدِّدت لأن أحزابا صغيرة كثيرة دخلت البرلمان، وهي تحول دون أن يحقق أي حزب وحده الأغلبية التامة. وتعتقد معظم هذه الأحزاب أنها تمتلك فرصة الظفر بالسلطة، وتسعى إلى إقناع أولئك الذين ينتمون إلى الأحزاب الأخرى بالانضمام إليها. وثمة رجحان للائتلافات وإعادة التحالفات. لقد غدا النقاش ملحًا ولاذعًا، وغدت المسائل النظرية أساسية مرة أخرى. وهكذا يبرز النقد الأدبي في صورة صراع على السلطة بين أحزاب هي في موقف لا تستخدم فيه سوى الحجاج العقلي واللغوي أداتين لإقناع أعداد كافية لدعمها في سبيل تحقيق الأغلبية»(٣).

ولعل هذا التنوع القائم على الصدام في كثير من الأحيان، بله الائتلاف في أحيان أخرى، هو الذي جعل مؤلِّفًا مهما، من العالم المتحدث بالإنجليزية أيضا، في مجال نظرية الأدب هو جوناتان كولر، يقرر في مقدمة كتابه «عن التفكيك» الصادر عام ١٩٨٢م أن النظرية المعاصرة تعاني من الاضطراب. يقول كولر في مطلع هذه المقدمة: «لو حدث واستطاع المراقبون والعاملون في حقل الدراسات الأدبية أن يصلوا إلى اتفاق بشأن المناقشات الأخيرة حول النقد، فإن هذا الاتفاق يمكن أن يتمثل في أن النظرية النقدية المعاصرة مخطئة ومضطربة»(٤). ويعزو كولر هذا الخطأ والاضطراب إلى عوامل كثيرة من بينها: الصعوبة في تحديد ما هو الأهم، ومتى وكيف تتعارض النظريات المتواجهة، وعدم استقرار المصطلحات، ذلك أن المصطلح يتغير وفقًا لمستوى التخصص في النقاش النقدي، ووفقًا للتعارضات أو الاختلافات التي تعمل في هذا المستوى، إضافة إلى المزاعم الكثيرة، مثل النزعة العلمية، التي يلجأ إليها كل فريق لتدعيم حججه وإضفاء مصداقية على طروحاته النظرية.

ولاشك أن النقد الأدبي خلال العقود الأخيرة، قد قفز ليحل محل الفلسفة. وهذا ما أكده الفيلسوف التحليلي الشهير ريتشارد رورتي R. RORTY في قوله: «أعتقد أن النقد الأدبي في إنجلترا وأمريكا قد حل محل الفلسفة - في الوظائف الثقافية الرئيسية - بوصفه مصدرًا يصف الشباب من خلاله اختلافاتهم الخاصة إزاء الماضي»(٥). وهذا التحول جعل النقد الأدبي مصدرًا مهمًا من مصادر المعرفة. ولما كانت المعرفة الفلسفية قد قامت منذ نشأتها على الجدال والخصومة وتعدد المذاهب والتيارات؛ فإنه من الطبيعي أن يأخذ النقد الأدبي حاليًا هذه الصفة، التي هي - في رأينا وفي رأي الكثيرين - أبرز خصائصه خلال العقود الأخيرة. وفي هذا يقول إدوارد سعيد: «وأجد نفسي الآن أقول: إنه إذا كانت كل معرفة - كما حاول فوكو أن يبين - مثيرة للخصام فإن النقد، من حيث هو نشاط ومعرفة، يكون أو ينبغي له أن يكون مثيرًا للخصام تمامًا أيضًا»(٦). وهكذا لم تعد المعرفة في العلوم الإنسانية في عصرنا - كما يقول هيدن وايت - تأخذ شكل البحث عن التشابهات والتماثلات (كما فعلت في القرن السادس عشر)، أو شكل التجاوزات وجداول العلاقات (كما فعلت في العصر الكلاسيكي)، أو شكل التماثلات والتتابعات (كما فعلت في القرن التاسع عشر)؛ بل شكل الأسطح والأعماق، وهو ما ولدته عودة «الصمت» الذي لا اسم له، والذي يكمن تحت كل خطاب، ويجعل كل أشكاله ممكنة، بما في ذلك العلم، إلى مستوى الوعي. وهذا هو السبب الذي يجعل المعرفة في عصرنا تميل إلى أن تأخذ إما شكل الصياغات الشكلية أو التفسيرات، وتتكشف في إطار إدراكنا لعجز الوعي عن تعيين أصله، وعجز اللغة عن الكشف عن الموضوع، وذلك لأن الخطاب لابد من أن يعترض المسافة بين الذات وموضوعها المفترض. وهذا هو ما يفسر انصباب كل تفكيرنا الآن على مسألة: ما اللغة؟ وكيف نفلت منها لتبدو لنا على ما هي عليه بكل ثرائها؟(٧).

التعددية بين العلوم المختلفة

ومما يدل على أن النظريات في حقل الدراسات الإنسانية - وربما العلوم الطبيعية كذلك - لم تكن مسلَّمات مقطوعًا بها على نحو ما أخذها بعض كُتَّابنا ونقادنا في مرحلة من المراحل، وبخاصة خلال تصاعد موجة المد البنوي، هو أن العلوم الإنسانية أخذت طريق المناقشة والجدل فيما بينها في مرحلة مبكرة، إضافة إلى الحوارات الكثيرة داخل كل علم أو اتجاه على حدة. ولنأخذ مثالاً لذلك من مناقشة «علم الدلالة» لنظرية الدال والمدلول اللغوية عند فرناندو دي سوسير. ففي بحث مهم للباحث الإسباني آنخل رايموندو فرنانديس جونثاليث عنوانه: «علم الدلالة - مدخل تاريخي وموضوعات رئيسية»(٨) قال تحت عنوان «الواقع والموضوع الذهني»: «إن الواقع، في حد ذاته، ليس هدفًا لعلم اللغة، لأنه يقع خارج اللغة. ذلك أن اللغة تعني نقل الواقع، لكن هذا النقل لا يُفهم إلا عندما يرتبط بالواقع الذي انتقل. ومن ثم فإن اللسانيات لا يمكن أن تتجنب الموضوع الذهني أو المفهوم لأنه بدوره نتاج للفكر ويرتبط بالواقع خارج اللغة EXTRA-LINGUISTIQUEâ. بعد ذلك يقدم آنخل رايموندو مثلث أولمان ULLMANN المشهور في علم الدلالة والمستقى أساسا من مثلثي أوجدين OGDEN وريتشاردز RICHARDS ومن نظرية فرناندو دي سوسير اللغوية. ويأتي هذا المثلث على النحو التالي:



إن الإضافة الواضحة في هذا المثلث، كما نرى، هي العنصر الثالث الخاص بالواقع أو الشيء، وهي إضافة إلى العنصرين الآخرين المعروفين في نظرية دي سوسير اللغوية وهما الدال والمدلول. ومعروف أن العلاقة بين الدال والمدلول عند دي سوسير اعتباطية، والمدلول ليس وجودا عينيًا في الواقع الخارجي؛ وإنما هو مجرد مفهوم تجريدي في الذهن أو الإدراك أو

النفس. وكأن العالم لا وجود له قبل اللغة، لأن اللغة وحدها هي التي تبني العالم من حولنا، وإدراك هذا العالم يتحدد من خلال اللغة المستخدمة في تحديده. نعود إلى أولمان فنجده أطلق على الدال مصطلح «الاسم»، كما أطلق على المدلول مصطلح «المفهوم». وهناك مثلث آخر لعالم لغوي هو هومبولت HUMBOLDT يتفق مع السابق، وإن كانت المسميات مختلفة، لأن المحاور أو العناصر الثلاثة في مثلث هومبولت هي: الروح، واللغة، والشيء. وفي هذا المثلث لا تكون اللغة مجرد وسيلة للفهم المتبادل (الوظيفة الاجتماعية للغة)، بل هي، إضافة إلى ذلك، منظم لعلاقات الروح بالأشياء.

ومن كل ما سبق يخلص آنخل رايموندو إلى الفقرة التالية - وهذا هو بيت القصيد فيما نحن بصدده - قائلاً: «وبهذا المعنى فإن التأكيد الذي ختم به دي سوسير كتابه «فصول في علم اللغة» من أن اللغويات ليس لها إلا هدف واحد وحقيقي هو اللغة التي ينظر إليها في ذاتها وبذاتها، هذا التأكيد زائف FALSO لأن علم الدلالة يتطلب أن نمضي من اللغة إلى العالم ومن العالم إلى اللغة»(٩).

وبهذا يكون علم الدلالة قد سلط الضوء، من وجهة نظر أخرى، على نظرية الدال والمدلول عند فرناندو دي سوسير، وذلك بتوضيح خطأ إهمال الواقع الذي لا يمكن الاستغناء عنه في إنتاج الدلالة؛ ومن ثم جاء مثلث أولمان واضحا وصريحًا في هذه المسألة. ولاشك أن بحث علم الدلالة في هذه النقطة قد تزامن (أو تبعته) أبحاث كثيرة في مجالات أخرى، سواء في امتدادات البنوية أو في الاتجاهات التالية التي تعرف حاليا باسم تيارات ما بعد البنوية. وفي الجانب الأول يمكن أن نتوقف عند الاتجاه التحويلي التوليدي لنجده قد أدخل مفهوم الدلالة في التحليل وفي الوصف، وهو ما كانت تعجز عن فعله البنوية. فقد كان مفهوم البنية عند البنويين يتميز بخصوصياته الشكلية، وجاء التوليديون فأضافوا إليه خصوصيات معنوية، حتى أصبح يقوم على معايير دقيقة للتفرقة بين



رولان بارت



إدوارد سعيد

البنيات اللغوية المختلفة من جهة، ومفهوم البنية والمفاهيم اللغوية الأخرى من جهة ثانية. وإضافة إلى ذلك أدخلت التوليدية حدْس الإنسان المتكلم في الدراسة، ورأت أن النص الذي يوضع تحت الدرس يتميز باللانهائية، وهذه اللانهائية تظهر عندما يتدخل هذا الحدس، لأن الإنسان يولد مزودًا بالكفاية اللغوية، وهذه الكفاية توصف بأنها لا نهائية(١٠) وبهذا نجد أن العلوم الجديدة (أو الاتجاهات) تدخل في حوار ونقاش بعضها مع بعض في نوع من التعددية الثقافية الخصبة. وهذا ما فعله أيضًا «علم النص» الذي حمل عنوانا جانبيًا هو أنه علم عبر التخصصات -INTERDISCIPLINARI؛ أي عبر مجموعة من العلوم والتخصصات المختلفة مثل علوم اللغة، والأدب، وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، والاقتصاد، والسياسة، والدراسات التاريخية، والقانونية..الخ، وهو علم يستهدف اللغة في كل تجلياتها الشفاهية والكتابية، أي إنه لا يركز على اللغة الأدبية؛ بل يتجاوزها إلى الأنماط اللغوية الأخرى، مثل لغة الصحافة، والقانون، والسياسة، والحوار أو المحادثة وغيرها. وهذا التلاقي بين العلوم المختلفة، سواء بالاعتراض والتصحيح أم بالمتابعة والتنمية، له جوانبه الإيجابية الكثيرة الممثلة في التراكم الكمي للمعرفة، والذي يتبعه، دون شك، تراكم كيفي على النحو الذي أوضحه المؤرخ كارل جورج فابر في قوله: «إن دراسة التاريخ ما هي إلا دراسة للخبرة. وهذه الخبرة تعود إلى الوراء وتتغير من خلال المعارف المضافة. والنمو الكمي، أي قيام كل لحظة بإضافة أحداث جديدة إلى الماضي، يعني أنه يحدث، في الوقت نفسه، تغير كيفي في المحصلة النهائية للماضي. ومن ثم فإن كل جيل لابد أن يعيد كتابة التاريخ»(١١). وهذا ما نقول به في مجال المعرفة الإنسانية، بمعنى أن كل جيل ينبغي له أن يعيد قراءة المعارف المضافة، في إطار العلم الواحد أو فيما بين العلوم بعضها مع بعض على السواء؛ وهذا ما فعلته - وتفعله الآن - النظريات الجديدة في دراسة الأدب ونقده. وسوف نمثل لذلك بمثالين أولهما: من أعمال الناقد الاجتماعي الدلالي (السيميوطيقي) السوفيتي يوري لوتمان، وكيف صحّح الكثير من مفاهيم الشكليين الروس، وياكوبسون. والثاني: من رولان بارت، الناقد الفرنسي الشهير، وتحولاته التي لم تقف عند حد، لدرجة أنها صبغت الفكر النقدي المعاصر بلون من التعددية شديد الخصوبة والتنوع حتى صار بارت، في شخصه وفي أعماله، نموذجًا قويًا في تفرّده وامتيازه. ولا يكاد يشبه بارت في هذا التوجه إلا الفرنسي الآخر ميشيل فوكو وخطابه الذي بلا مركز والسطحي بشكل متعمد، كما ذكر عنه نقاده(١٢).

التنوع والاختلاف في المذاهب النقدية ١

يوري لوتمان وشروط ثلاثة

يُنسب يوري لوتمان - كما أسلفنا - إلى جماعة (السيميوطيقيين) السوفيت الآخذين بمبدأ علم الدلالة، والذين يمكن أن ننظر إليهم بوصفهم الحلقة الثالثة بعد الشكليين الروس وحلقة براغ البنوية. وكان لهذه الحلقات - أو المدارس الثلاث - أثر مهم في تطوير نظرية الأدب انطلاقًا من المفهوم الذي عبر عنه شلوفسكي عام ١٩١٤م في مقال نشر في سان بطرسبورج جاء فيه: «اليوم مات الفن القديم، لكن الفن الجديد لم يولد بعد. فالأشياء ميتة على نحو ما، لأننا فقدنا الإحساس بالعالم. ولاشك أن إبداع أشكال فنية جديدة يمكن أن يعيد إلى الإنسان وعيه بالعالم، ويبعث الأشياء من جديد، ويقتل التشاؤم»(١٣). أي إن الإيمان بالجديد - سواء في مجال الإبداع أم في مجال النقد الأدبي - كان هو القاعدة التي انطلق منها هؤلاء. ويُنظَر إلى المقال المذكور لشلوفسكي على أنه بداية لما سُمِّي، فيما بعد، بالشكلية الروسية التي انتهت عمليًا، وبطريقة فجائية عام ١٩٣٠م. وكانت النقاط السبع حول «مشكلات دراسة الأدب واللغة» التي أعلنها يوري تينيانوف ورومان ياكوبسون عام ١٩٢٨م تلخص المواقف الرئيسية للمرحلة الأخيرة للشكلية، وتتضمن، في الوقت نفسه، بذور نظريات البنوية التشيكية.

كان الأعضاء الأساسيون لحلقة موسكو اللغوية هم رومان ياكوبسون، وبيتر بوجاتيريف، و ج. و. فينوكور. وقد أُسِّست تلك الحلقة عمليًا عام ١٩١٥م. وبدأ ياكوبسون منذ ذلك الوقت ينظر إلى النظرية الأدبية أو الشعرية على أنها جزء لا يتجزأ من علم اللغة LINGUISTICA وقد أطلق عام ١٩٢١م مقولته الشهيرة من أن الشعر هو اللغة في وظيفتها الجمالية. وقد كرر هذه المقولة، مع بعض التغييرات الطفيفة، بعد ذلك بأربعين عامًا في مقاله الشهير «علم اللغة والشعرية» (١٩٦٠). ومنذ عام ١٩١٦م ظهرت جماعة أخرى في لينينجراد عُرفت باسم «جمعية دراسة اللغة الشعرية» (OPO-JAZ) ومن أشهر من شاركوا فيها: فيكتور شلوفسكي وبوريس إيخنباوم، وانضم إليهما فيما بعد في «المعهد القومي لتاريخ الفن» في لينينجراد كل من: يورى تينيانوف، وبوريس توماشيفسكي وفيكتور فينوجرادوف. ومنذ البداية اهتم كل هؤلاء بمشكلات تتعلق بالتاريخ الأدبي؛ بما في ذلك التقييم VALO-RACION والمسائل اللسانية. وكما يقول مؤلفا كتاب «نظريات الأدب في القرن العشرين» فإن كل المدارس الجديدة من منظِّري الأدب في أوربا يعود أصلها إلى التراث الشكلي، سواء بتسجيل توجهات مختلفة في إطار هذا التراث، أم بمحاولة تقديم تفسير خاص للشكلية وكأنه هو التفسير الوحيد الذي يوصف بالصحة(١٤). أي إن هناك مراجعات متواصلة وتصحيحات داخل الحركة نفسها، مما يدل على أن الحقيقة المطلقة التي لا تقبل التعديل أو التصحيح في مجال الدرس الأدبي - بل في مجالات العلوم بصفة عامة - أمر صعب المنال، ومن ثم تكون التعددية وتداخل الأفكار أو تخالفها والخروج من ذلك بفكرة جديدة أو رأي جديد أمرًا في غاية الأهمية.

ولن نتوقف في هذه العجالة عند الآراء المختلفة داخل الشكلية الروسية والفروع التي انبثقت منها، أو عند الأهداف والمبادئ الرئيسية في كل من الشكلية المذكورة، وحلقة براغ البنوية وكيف جاءت الأخيرة مختلفة عن الأولى، حتى قيل: إن بنوية براغ قد قضت على أحادية الشكلية، أي على الاهتمام الفائق بالجانب الشكلي، وأوجدت آليات جديدة للنظر إلى العمل الأدبي في مجمله. ويكفي أن نقول الآن: إن أحد أهداف الشكلية الروسية كان هو الدراسة العلمية للأدب، ومنذ الإصدارات الأولى اهتم أعضاء هذه المدرسة بهذا الجانب؛ حيث نجد شلوفسكي يهتم منذ عام ١٩١٦م بما أسماه «قوانين اللغة الشعرية»، وأعلن ياكوبسون عام ١٩٢١م عن الحاجة إلى أن ننظر إلى علم الأدب على أنه علم حقيقي، وقال تينيانوف (عام ١٩٢٧م): إن تاريخ الأدب، لكي يصبح علما حقيقيًا، ينبغي له أن يصل إلى الدقة. وفي نظر بعض الباحثين أن أفضل من صاغ المشكلات المنهجية في هذا الصدد كان «إيخنباون» عندما طرح في أحد أعماله (عام ١٩٢٦م) مفهومًا حديثًا للبحث العلمي يشبه المنهج الافتراضي الاستنتاجي الذي استعان به، فيما بعد، «بوبر»(١٥).

الهوامش:

١- ظهرت ترجمة عربية لهذا الكتاب عام ١٩٩٦م عن دار نشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالقاهرة، والترجمة من عمل د. عيسى علي العاكوب.

٢- أحد الكتاب العرب، وأعتقد أنه عز الدين المناصرة في عمل له لا أذكره الآن أحصى تسعة وعشرين اتجاهًا نقديًا.

٣- ك. م. نيوتن، المرجع السابق، المقدمة ص١٥ من الترجمة العربية.

٤- جوناثان كولر، عن التفكيك، الطبعة الإسبانية الصادرة عن دار نشر كاتدرا CATEDRA عام ١٩٩٢م، ص١٩. وقد ناقشتُ هذا الموضوع بالتفصيل في فصل تحت عنوان «اضطراب النظرية المعاصرة» في كتابي «نقد الحداثة»، سلسلة كتاب الرياض، ص٤٢-٤٨.

٥- نقلا عن جوناثان كولر، المرجع السابق، ص١٥.

٦- نقلا عن ك.م. نيوتن، المرجع المذكور، ص١٧٨.

٧- هيدن وايت، ميشيل فوكو، ضمن كتاب «البنيوية وما بعدها - من ليفي شتراوس إلى دريدا» من تأليف جون ستروك، وترجمة د. محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، فبراير ١٩٩٦م، ص١٣٨.

٨- نشر هذا البحث ضمن كتاب «مدخل إلى علم الدلالة» الذي يضم بحثين آخرين غير هذا، وصدر عن دار نشر كاتدرا، مدريد، ١٩٧٧م، ويقع هذا البحث الأول لآنخل رايموندو في ١١٣ صفحة من القطع المتوسط.

٩- انظر المرجع السابق، ص٣٣-٣٤.

١٠- انظر في ذلك المقدمة التي كتبتها لترجمتي لكتاب خوسيه ماريا بوثويلو إيبانكوس «نظرية اللغة الأدبية» دار غريب بالقاهرة، ١٩٩٢م، ص٧.

١١- انظر د. و. فوكيما وإيلرود إبش، نظريات الأدب في القرن العشرين، الطبعة الإسبانية، كاتدرا ١٩٨٤م، ص١٦٨.

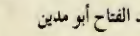
١٢- انظر هيدن وايت، البنيوية وما بعدها، ص١١٤.

١٣- نقلنا هذه الفقرة عن كتاب «نظريات الأدب في القرن العشرين» لفوكيما وإبش ص٢٧، وسوف نعتمد على هذا المرجع، بصفة أساسية، في هذا الجزء الخاص بيورى لوتمان، إضافة إلى كتاب ك.م.نيوتن «نظرية الأدب في القرن العشرين».

١٤- نظريات الأدب في القرن العشرين، ص٢٨.

١٥- السابق، ص٢٩.

العنوان: حمزة شحاته ظلمه عصره.
المؤلف: عبدالفتاح أبو مدين.
الناشر: نادي جدة الأدبي، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ٢٣٤ص.

عبد الفتاح أبو مدين



غلاف الكتاب

ذكر المؤلف في المقدمة أن ما سَطَّره في هذا الكتاب هو خواطر، مردها إلى قراءة سريعة لبعض شعر الأديب الكبير حمزة شحاته رحمه الله، وبعض نثره، وشيء مما كُتب عن هذا وذاك. وهذه الوقفات على شعره ونثره لا تخلو من تأمل، فإعجابه بشخصيته القوية، وبشعره الرائع القوي، وبنثره الأخاذ الساحر أدى عنده إلى إعجاب بعيد به.

يقول المؤلف: «إن ما خلّفه الشاعر من شعر أو نثر جدّ قليل، فقد تفرق وضاع بدداً، لأن صاحبه لم يحفل به، وقد زهد فيه، لا أقول: إنه لم يرض عنه من حيث القوة والجودة، ولكن هذا الأدب لم يفد صاحبه، ولم ينهض به، فاحتقره، ولعله اعتبره مغرماً». وقال: «وسبق أن قرأت رسائله إلى ابنته شيرين، كما قرأت «رفاة عقل»، وكتبت عنهما صفحات في كتابي «في معترك الحياة». وقرأت ما تحدث به بعض أدباء مصر عن أديبنا الكبير، وقرأت بعض شعره في ديوانه المطبوع، فأخذت أتأمل في تراكيب هذا الشعر وديباجته وقوته وجمال الأداء فيه، وقرأت من قبل - قبل أربعين سنة - القصائد التي نشرها له عبدالسلام الساسي رحمه الله في كتاب «الشعراء الثلاثة» الذي صدر عام ١٣٦٨هـ.

وقرأت رائعته «جدة»، و«غادة بولاق»، وقصيدة: «بعد صفو الهوى». وكلما قرأت شيئاً من روائعه ازددت إعجاباً بهذا الأديب الكبير. وصدق الأستاذ عزيز ضياء رحمه الله الذي قال عنه إنه: قمّة عُرفت ولم تُكتشف».

وقال: «وحين صدر ديوانه الذي حوى بعض شعره، وهو ما بقي من أدب حمزة شحاته، بجانب القليل جداً من النثر، شرعت أقرؤه بأناة وتأمل، ووعي وانبهار..».

ووصف أدبه بأنه أدب قوة، ولم يكن في يوم من الأيام أدب ضعف يتسم بالهزال والتخاذل لأنه أدب حي نابض، أدب نفس قوية، مسارها إباء وشمم وعزة.. إنه شاعر قرأ فلسفة البلاغة، فجاء شعره كذلك.

وقد ناقش المؤلف في مطلع الكتاب مقولة عزيز ضياء «قمة عرفت ولم تكتشف»، وشبّه حمزة شحاته بأبي العلاء المعري، وتوصل إلى أنه ظلمه عصره فظلم نفسه، ودفعه الجحود لمكانته الأدبية البارزة المتوهجة، وعبقريته الفذة المتميزة إلى الاعتزال والانقطاع والبعد عن الناس ودفن ما بقي عنده من آثار، حرقاً وتمزيقاً، لأنه إنسان فيه إباء، واعتزاز بالنفس، ولأنه لا يحسن المداجاة والمداهنة.

ويؤيد المؤلف في الكتاب رأي عزيز ضياء الذي يصف حمزة شحاتة بأنه فارس الحوار والرسائل، وأنه ليس من يمكن أن يكون شبيهاً له إلا سقراط.. ويقول: أنا شخصياً لم أعرف له نظيراً حتى اليوم.

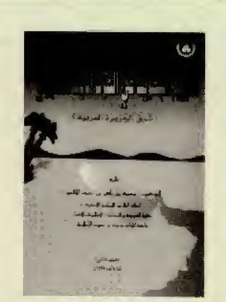
ويذكر أيضاً أن الذي نُشر من شعر حمزة شحاتة ليس أقل القليل فحسب، وإنما هو قطرة من بحر... ويروي بعض قصائده، ويعلق عليها، ويشيد بما يتفاعل مع نفسه من جيده، وأكثره كذلك.. ويشير إلى ما رأى أنه اكتنفه شيء من تكلف لفظة أو صدر أو عجز، في يسر لا عسر فيه ولا تجن ولا مماراة.

ويناقش المؤلف بعض الأدباء الذين تحدثوا عن حمزة شحاتة فيوافق بعضهم ويخالف بعضهم الآخر فيما ذهبوا إليه.

وتحدث عن ديوان حمزة شحاتة وتمنى أن يُشرح ويدرس. وانتقد مقدمة المشرف على طباعة الديوان الدكتور بكري شيخ أمين فقال عنها: إنها ليست مغنية، ولكنها سطحية.. وكذلك خطأ شرحه لمعاني كثير من الكلمات وحمل عليه حملة عنيفة.

ثم تناول قصائد الديوان واحدة واحدة وعلّق عليها تعليق أديب ذوّاقة للشعر عارف بمعانيه ومراميه، ويقول معلقاً على قصيدة «جدّة» التي ختم بها كتابه: وهي من عيون الشعر الوجداني، وإنها تستحق القراءة والوقوف لأنها أنموذج فريد في الشعر الحديث، بل الشعر القديم، لأن صاحبها يتقن النسيج المتميز فيما ينظم من شعر قوي أخّاذ؛ لأنه شاعر ابتداعي من طراز فريد، وأكثر شعر شحاتة قوي بجزالة ألفاظه وسبكه ونسيجه المتماوج المتدفق كأنه يمٌ تتلاطم أثباجه، وتترادف أمواجه، فهو نبض الحياة الدافق المنساب..

العنوان: تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري (شرق الجزيرة العربية).
المؤلف: د. محمد بن ناصر بن أحمد الملحم.
الناشر: نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ط١، ٤٠٤ص.



غلاف الكتاب

الكتاب دراسة تأريخية عن البحرين قبل الإسلام وبعده مشتملة على سكان البحرين وأحوالهم وأوضاعهم السياسية والدينية والقبلية، خلال القرن الأول الهجري. ويبدو أنه رسالة جامعية نال بها الكاتب درجة الدكتوراه. ويحوي الكتاب بين دفتيه مقدمة ذكر فيها الباحث أسباب اختياره لهذا الموضوع، والصعوبات التي اعترضته، وناقش المصادر التي رجع إليها وذكر أهمها. وأعقب المقدمة تمهيد عن جغرافية البحرين تناول أصل كلمة البحرين، وحدودها، وتضاريسها، وعيونها الكثيرة، وجزرها وقراها.. وقد اكتمل هذا الكتاب - إضافة إلى المقدمة والتمهيد - في أربعة فصول، وخاتمة، وملحقين، وبعض الخرائط التوضيحية.

أما الفصل الأول فقد عقده الباحث للحديث عن البحرين قبل الإسلام، فتناول فيه سكان البحرين، وأول من سكنها، وأشهر قبائلها العربية. ثم تحدث عن أحوال البحرين السياسية مشيراً فيها إلى ثورة ملك الفرس، ويوم الصفقة،

ويوم ذي قار. ثم ذكر ديانات البحرين من وثنية ويهودية ونصرانية ومجوسية وأسبذية (عبادة الخيل) وغيرها.
وناقش في الفصل الثاني البحرين في ظل الإسلام، فبدأ بالحديث عن بداية انتشار الإسلام في البحرين في قبيلة عبدالقيس، ثم شيبان. وتكلم كذلك على وفود قبائل البحرين على الرسول صلى الله عليه وسلم.
وتناول في الفصل الثالث الحالة السياسية للبحرين في عهد الخلافة الراشدة؛ متحدثًا عن أهم الأحداث فيها كارتداد بعض القبائل وقتالهم، وبعض المعارك، وفتح بعض مدنها، وغزو فارس بقيادة العلاء بن الحضرمي، وأشهر ولاتها، ودور أهلها في معركتي الجمل وصفين.
وخص الفصل الرابع للحديث عن الخوارج في البحرين؛ مبتدئًا بذكر ثورة نجدة بن عامر الحنفي الحروري، ومتعرضًا لبعض آرائهم وأفكارهم وعقائدهم وحروبهم، ثم ذكر ثورة أبي فديك الخارجي، ثم انضمام عبدالقيس إلى الخوارج، وأخيرًا حروبهم والقضاء عليهم.
وختم كتابه بخاتمة ضمنها أهم النتائج التي توصل إليها في بحثه وبملحقين: الأول ذكر فيه أسماء الولاة على البحرين خلال القرن الأول الهجري، والثاني ذكر فيه الكتب المتبادلة بين أهالي البحرين والمدينة المنورة. كما زوّد كتابه بخرائط توضيحية لموقع البحرين في شبه الجزيرة العربية، وتوزع القبائل العربية فيها.
وأنهى الباحث الكتاب بصنع فهرسين: الأول للمصادر والمراجع، والثاني للموضوعات. وهو كتاب قيّم في بابه غطّى حقبة زمانية ومكانية مهمة في تاريخ البلاد العربية الإسلامية.

العنوان: شعر الجهاد في العصر الحديث (مصر ١٣٠٠هـ-١٤٠٠هـ).
المؤلف: د. نبيل بن عبدالرحمن المحيش.
الناشر: المؤلف نفسه، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٣٢٣ص.

د. نبيل بن عبد الرحمن المحيش



غلاف الكتاب

الكتاب دراسة أدبية تأريخية قيّمة لمساحة زمنية مهمة في تاريخنا المعاصر من عام ١٣٠٠هـ-١٤٠٠هـ تناولت موضوعًا مهمًا وحساسًا في الساحة الأدبية العربية هو موضوع شعر الجهاد. ويبدو أن هذه الدراسة رسالة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه. وذكر المؤلف في المقدمة أن سبب اختياره لهذا الموضوع «هو الواقع المؤلم الذي يعيش فيه العرب والمسلمون في هذا العصر، وما يتعرضون له من هجمات متلاحقة من قبل الأعداء لإضعاف عقيدتهم، وامتصاص خيراتهم، وإبقائهم تابعين ضعفاء، وقد كنت موقنًا بأنه لا سبيل أمام المسلمين للخروج من هذا الوضع إلا بالجهاد، ولذلك أحببت دراسة شعر الجهاد..».
ويبدأ الباحث الكتاب بمقدمة ضمّنها ذكر سبب اختياره لهذا الموضوع، ثم بمدخل إلى البحث، وقد قسمه ثلاث فقَر: الأولى أسماها: الجهاد في الإسلام. وانشعبت هذه الفقرة إلى أربعة أبحاث: الأول: تعريف الجهاد ومراحل تشريعه، والثاني: أهدافه، والثالث: حكمه ومكانته وفضله والإعداد له، والرابع: آدابه وأهميته ومكائد الأعداء للنيل منه. والفقرة الثانية عنوانها: شعر الجهاد في التاريخ الإسلامي. وتوزعت هذه الفقرة في ثلاثة أبحاث: الأول: رسالة الشعر في الإسلام، والثاني: تعريف شعر الجهاد، والثالث: لمحة عن مواكبة الشعر للجهاد عبر العصور. والفقرة الثالثة: البيئة السياسية في مصر في العصر الحديث وأثرها في الحياة الأدبية والفكرية. وانطوت تحتها أربعة أبحاث: الأول: ملامح من الحياة السياسية في مصر قبل الثورة العرابية، والثاني: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، والثالث: انقلاب الجيش ١٩٥٢م، والرابع: أثر البيئة السياسية في الحياة الأدبية والفكرية.
بعد هذا المدخل يبدأ الفصل الأول وعنوانه: بواعث شعر الجهاد. وقسم هذا الفصل خمس فقر، وكل فقرة انضوى تحتها عدة أبحاث. ففي الفقرة الأولى تحدث عن أول باعث من بواعث شعر الجهاد، وهو الصراع مع الاستعمار، ودرس فيها تاريخ الاستعمار، وآثاره في العالم العربي، وموقف شعراء مصر من الاستعمار.
وفي الفقرة الثانية درس الصراع مع اليهود، وتناول فيها عداوة اليهود للمسلمين، ووعد بلفور، والحروب العربية اليهودية، ومعاهدة الصلح بين مصر واليهود، وموقف الشعراء من الصراع مع اليهود. وتناول في الفقرة الثالثة الدفاع عن الخلافة الإسلامية، وتحدث عن جهود دول الغرب للقضاء على الخلافة الإسلامية، وتأييد الشعراء لدولة الخلافة. أما الفقرة الرابعة فقد خصّصها للحديث عن اليقظة الإسلامية، وتناول فيها عوامل ظهور اليقظة الإسلامية، وآثار اليقظة الإسلامية في المجتمع، واستغلال الشعراء المناسبات الدينية في الدعوة إلى الجهاد. وتكلم في الفقرة الخامسة على الصراع ضد الشيوعيين، وتناول الشيوعية ومأساة المسلمين، والغزو الشيوعي لأفغانستان، وتفاعل الشعراء مع الجهاد الأفغاني.
وأما عنوان الفصل الثاني فموضوعاته شعر الجهاد، وتناول في هذا الفصل أولاً: التحذير من مكائد المستعمرين من إثارة الخلافات بين الشعوب الإسلامية وفئات الشعب الواحد، وإعطاء الوعود الكاذبة بالاستقلال، وعقد المعاهدات والأحلاف لتضليل الشعوب، وتواطؤ الاستعمار مع اليهود.
وتناول ثانيًا: الحض على الجهاد، وثالثا: هجاء المستعمرين وتصوير فظائعهم، ورابعًا: مهاجمة أعوان الاستعمار، وهجاء الزعماء الموالين للاستعمار، وهجاء الحكومات والنظم العربية الموالية للمستعمرين، ومهاجمة القوى المؤيدة للاستعمار كالدول الغربية. وخامسًا: وصف المعارك والبطولات والانتصارات والهزائم، وسادسًا: الرثاء، كرثاء الأشخاص، ورثاء الديار، وسابعًا: موضوعات أخرى كمدح الشهداء والأبطال، وتمجيد بطولات الشعوب، والفخر بالأمجاد الماضية، وبعث ذكريات المناسبات الدينية العظيمة، والمدائح النبوية، والفخر بالأبطال والقادة.
وخصص الفصل الثالث للدراسة الفنية لشعر الجهاد كبناء القصيدة، والتجربة والعاطفة، والأفكار والمعاني، والصورة الشعرية، والأسلوب، والموسيقى... إلخ.
وختم الكتاب بخاتمة لخص فيها موضوعات الكتاب وأهم النتائج التي توصل إليها البحث، وأخيرًا صنع فهرسًا للمراجع والمصادر وفهرسًا للموضوعات.





رحلتي مع الشعر

محمد سعد دياب

تقول سيرتي الذاتية: إنني تخرجت في كلية التربية بالسودان متخصصًا في اللغة الإنجليزية.. وتم ابتعاثي إلى جامعة ليدز بإنجلترا لأتلقى دراساتي فوق الجامعية في مجال تخصصي نفسه، وإلى هذه اللحظة فأنا أزاول تدريس اللغة الإنجليزية.. صدر لي ديوانان: «حبيبتي والمساء» و«عيناك والجرحُ القديمُ» الذي تمت طباعته في بيروت وأعيدت طباعته ثلاث مرات بعد ذلك.. وتم توزيعه في السودان والمملكة العربية السعودية.

كلما سألوني عن بداياتي يحلو لي أن أقول - ولكم رددت هذا في أكثر من موضع -: كانت البدايات في ذلك العمر الذي يكون فيه لألوان الطيف معنًى آخر.. ولوجه القمر المسافر بريق آخر.. ولنسمة الصيف العابرة مذاق ما عرفته سوسنة من قبل.. كنت قد تخطيت المرحلة الابتدائية.. وقتها أحسست بما يشبه الجذوة تبرق في دواخلي.. ويبدو أن قبسًا من تلك النار المقدسة كان له ثمة حضور في مسرى شراييني.. بدأت أُهوِّم في كل المدارات.. أنصت كأنما هنالك صوت عبر المدى يناديني.. لم تعد إطلالة القمر هي إطلالة القمر فقط! ولا النجم المُسَجَّى على هدب خاطرة مبحرة عبر المدى، هو النجم فقط! غدت الأشياء تأخذ بُعْدًا آخر.. وعرفت أن الشعر زارني ليسكن الجوارح.. وحينما احتدم عنفوانه أخذ نبضي القلم ليكتب.. قد تكون البدايات فيها بعض الهشاشة.. ولكن الرحلة لم تتوقف.. وكانت يفاعة عمري توهمني بشيء من الزهو وأنا أسفح مشاعري الباكرة.. وكبرت المحاولات.. وفي كلية التربية بدأت الإطلالة على مساحات أرحب.. ونُشرتْ لي أول قصيدة كاملة دون حذف أو اختزال في صحيفة أدب متخصصة.. وكانت فاتحة خير أرست أولى دعائم الثقة في حروفي المتواضعة، وبعدها لم تتوقف المسيرة.

* تكون البدايات دائمًا فترة انبهار لا حدود لها بأعمال الذين كان لهم ألق السبق في أن تضيء خطى إبداعهم في الدرب.. وفترة حلم يورق في الحنايا أن يكون المرء مثلهم، لأن الأحلام في فترة مثل هذه أحلام مترفة الجنوح.. ولا تثريب على المبتدئ أن يسافر خياله كل هذا السفر.. من هنا يبدأ التأثر، بل إن شئت فسمها المحاكاة.. طبيعة المرحلة توجب هذا إلى أن يصلب العود ويقوى المتن؛ ومن ثم يبدأ التفرُّد وبروز الظل الخاص والنمنمة التي يكون وشيُها له خصوصية النسيج.

* كثيرًا ما سألوني: من أشعلك إعجابًا وأنت تقرؤه؟ وكنت دائمًا أقول: أنا يستبيني الحرف الموّار قدرة.. كنت أطرب حتى النخاع حينما أقرأ قصيدة يتأجج فيها عنفوان البوح، وتشمخ فيها روعة الفاصلة.. كان لي دفتر صغير أرصد فيه، بالإعجاب كله، أجمل ما جاء في ديوان العرب.. لم أترك شعراء الجاهلية، ولا فحول الزمن الوسيط، ولا شموس الفترة المعاصرة، ولكن نأيت بحرفي عن منطقة التأثر. كنت عندما أقرأ لقافلة المعاصرين أشعر أن فدوى طوقان قد سرقتني في حزنها النبيل، وأن نزار قباني قد أعارني مظلة وجبّةً من ياسمين، وأحس أن محمد الفيتوري قد أضرم النار في عروقي بحرفه المصادم وتركيب مفرداته المثقلة بالسلاسل التي أدْمَتْ معصم إنسان إفريقية المنسحق في ظل العبودية.. هؤلاء من ضمن الذين أعجبني حرفهم.

* في مرحلة المدرسة المتوسطة قرأت المتنبي.. والرُّواءُ يشدني من كل جانب.. قرأته إضمامة صورة تسبي وقواف هي الإعجاز.. والذي قال عنه بعض النقاد في الوطن العَربي: إنه عندما مدح لم يكن صادقًا إنما كان وصوليا، نفعيًا في كل حرف، وكان تاجرًا يبيع إبداعه.. وصعقني التعجب.. فقلت عنه: المتنبي: شاعر الكوفة المتفرد مقطعًا وقصيدًا، هذا الشامخ أبدًا، الباسط ظله الأسطوري على كل العصور، والذي أضاف إلى ديوان العرب شعرًا تمتد قامته إلى جبين الشمس. عنده وحده كبرياء الحرف، وعنفوان القوافي، والصورة الواصلة إلى الجوزاء روعة وتوهجًا وحكمة ومصادمة. المتنبي هو التفرد الذي لن يجود الزمان بمثله، هو الذي أشعل الدنيا انبهارًا وشغل الناس. فالإعجاز لا يأتي في الدهر مرتين.. هذه مُسَلَّمَةٌ لا نقاش فيها ولا جدال. يكفي أنه ذلك الفارس الذي أذهل الآفاق قبل أكثر من ألف سنة، وسوف يظل يذهل كل حدقة رائية إلى أن يطوي الله الأرض وما عليها.. كان مملوءًا بالطموح من

قمة الرأس إلى أخمص القدم، وكان فيّاضًا بالشموخ الذي لا يُداني. كان يرى أن مقعده ينبغي له أن يكون فوق السُّها، وكان محقًا في ذلك، فحرفه التيّاه قدرةً يبوِّئه ذلك المكان السامق. من كان مثله من الشعراء ومن يكون؟ أيُّ قلب هذا الذي لا يحفظ شيئًا للمتنبي؟ وأيُّ ذاكرة هذه التي لم يحفر المتنبي فيها شيئًا من قصيده المدهش؟ أسألوا وجدان كل عربي أو عربية من الماء إلى الماء.

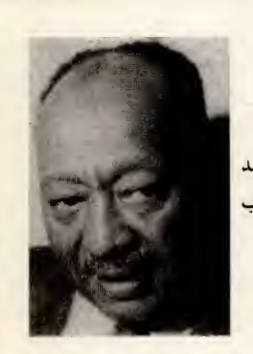
وكما قلت كثيرًا: كنت أقرأ أيضًا لشعراء آخرين زانوا الثريا وتمددوا ألقًا في كل مساحات الزمن العربي: البحتري، أبي تمام، ابن زيدون. وقبلهم للذين سامتوا البدر إعجازًا في العصر الجاهلي. حدث كل ذلك في تلك السنوات الخضراء حيث يهوِّم الطيف وتحلق الرؤى.

* سألوني عن رأيي في الشعر الحداثي، أو دعوى الحداثة التي يروج لها بعض الناس. قلت: يمكن للشعر أن يُكتب على نسق العمودية ويكون شعرًا رائعًا، ويمكن أن يُكتب على نسق تجزئة التفعيلة ويكون شعرًا رائعًا أيضًا.. فالمحك والمقياس في الحالتين هو ما يزخر به المقطع من شعر. الشعر إما شعر أو لا شعر.. إنه الشيء الوحيد الذي لا تنفع فيه أنصاف الحلول.. القضية قضية إبداع لا قضية قالب.. والحداثة، كما أفهمها، هي حداثة الرؤية وعصريّة الصورة.. ويمكن لهذا أن يكون في الشعر العمودي كما يمكن أن يكون في شعر التفعيلة.. نحن مع تحديث التناول والرؤية ولكن في إطار ما هو شعر حقًا، أما هذا الغثاء الذي يدافع عنه من أسموا أنفسهم بالحداثيين فما هو إلا مقدمة لزمن رديء قادم سيملأ وجه الشعر الجميل بالتقيحات الصديدية والبشاعة.. إنه زمن الانحطاط الزاحف على الشعر، فانتبهوا أيها السادة لهذه الهجمة الطاعونية التي تنذر بشرٍ ماحق ومصيبة فوق الوصف.

تصوروا أحدهم يكتب هذيانًا قبْحُهُ فوق التخيُّل، يدَّعي فيه الحديث عن أبطال الحجارة قائلاً: «وتمنطقوا حجرًا راضعًا من المستحيل، ومشتجرًا من رحم الدخان.. يا طفلاً مخبوء الانفجارات متعوسجًا من ثدي حبات الرمال وديناميت الزهرات والبوم».. هل فهمتم هذا السخف الحداثي؟ هل يفهمه حتى من يتشدقون بسخفه وادعاء ابتكاره؟

الحداثة بهذه الصورة المزرية ما هي إلا دعوى فاقدي الموهبة، وفاقدي القدرة، الذين لا يجيدون إلا التطاول على قممٍ دون إدراكها سَفَرٌ لألف سنة ضوئية.. أدعياء الحداثة هم هذه الطامة القادمة لتزرع التشوهات النكراء في جبين أجمل ما عند العرب، وأحلى ما تبقى بعد فقدان كل شيء، وهو الشعر.

وأعود - في لمحة سريعة - إلى شعر التفعيلة.. ففي



محمد أحمد محجوب

ظني أن الشاعر لا يمكن أن يكتب شعر تفعيلة رائعًا إلا إذا تمكن أولاً من ناصية الشعر العمودي وإجادته، لأن الشعر العمودي يعطيه المقدرة على السيطرة على تفعيلات الأبحر والإمساك - بأستاذية - بمقابض أدواته.. وانظروا إلى أشعار كثير من شعراء القمة ممن يكتبون بالطريقتين: العمودية والتفعيلية.

* وسألوني عن قصيدة النثر.. فقلت أيضًا: قصيدة النثر أراها نوعًا من الهراء والبلاء والوبال على شعرنا العربي.. هي متكأ العاجزين وعديمي الاستطاعة، وحائط العجز الذي يستند إليه الأدعياء للولوج إلى ساحة الشعر وهم لا يملكون من وهجه شيئًا.. يقولون: إن قصيدة النثر هي انطلاق إلى رحاب أوسع للقصيدة العربية!! أيُّ رحاب أوسع هذه وكسيحو القدرة هم الذين يقودون زمامها.. وما هو الشعر حين يفقد أبجدية جماله المتمثلة في رنين موسيقاه وطلاوة قوافيه إن كان شعرًا عموديًا أو شعر تفعيلة.. لأن شعر التفعيلة ما هو إلا تجزئة لتفعيلات البحر الواحد وليس سخفًا يبعث على الغثيان كما نرى في قصيدة النثر. وأنا استعمل كلمة «قصيدة» هنا تجاوزًا لأن بين هذا الهراء والقصيدة مسافة مليون سنة ضوئية.. ثم كيف تدخل ديوان العرب وهي أصلاً لا تصنف في خيمة الشعر، بل هي بكل المقاييس كلام مرذول وسمج وقبيح.

* الحديث عن دواويني التي صدرت حديث يفرحني كثيرًا. إن ديواني الأول «حبيبتي والمساء» قال عنه صاحب دار النشر السودانية التي تولت طباعته في بيروت: إنه ما مرَّ على داره منذ إنشائها ديوان شعر وزع بهذا الكم الخرافي؛ وأذكر استطلاعًا أجرته إحدى الصحف السودانية مع صاحب أقدم (كشك) لتوزيع المطبوعات ذكر فيه أن كتابين أذهلا نظره في التوزيع ثانيهما ديوان «عيناك والجرح القديم».. والحمد لله كثيرًا.

* أستعد الآن لطباعة ديواني الثالث «ونكتب في زمن الحزن».. وكما يقولون فإن الخطاب يكفي عنوانه.. ويكفي عنوان هذا الديوان ليلقى توقعًا لمحتواه في زماننا المترع بالصاب والعلقم والحزن الذي لا شطآن له. ويبدو أنني سأتحدث في موضع آخر عن بحر الأحزان عندما



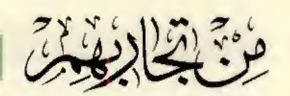
محمد الفيتوري

أتحدث عن الأوصاب الراعفة مدًا لا يعرف الخواتيم أبدًا في أرضنا العربية اليوم.

إنني عندما أتذكَّرُ بعض قصائدي مثل قصيدة «قراءة متأنية في دفتر الشجن» والتي نشرت في الصحف، فالتذكُّر يبكي جوانحي.. ولكن دعوني أستعيد ظلال طيف أراه يراوح أمامي الآن لأقول: عندما أخرجت للناس ديواني «عيناك والجرح القديم» جاء الشعر فيه يرفُّ بطلاوة العشب وأريج نسيمات الصبًا. سكبت فيه بوحًا رسمتُ فاصلته على آماق ما رأى المساء نظيرًا لها، وعلى شعْر راحل على الكتفين أُغنية مذهلة ما عرف مثلها تاريخ الغناء. كان فيه الشدو الذي هَمَتْ به تلك الأيام الوضيئة، ورج بالصبابات كل خلية في جسمي وقلمي وفاصلتي؛ فانسكب ذلك على كل سطر أراح جبينه على صفحة الورق، وانداح آمادَ طلا لوَّنت بالألق كل ديواني الذي صافح نواظر الناس وقلوبهم التي يُتيِّمها الشعر ويسبيها القريض.

* كثيرًا ما يسألونني إن كنت قد حققت في رحلتي مع الحرف كل ما أريد.. وأنا أجيب دائمًا بقولي: أكذب إن قلت إنني قد حققت كل ما أريد في رحلتي مع الشعر، إن رواحلي لم تسترح بعد، فما زلت أكتب بضوء عيني عن حلم مستحيل أنتظر مجيئه، ولازال يتشظى في حنايا القلب وهج نادر أريد أن أمسك به فلا أقدر. لازالت أُساهر الحرف ويساهرني. أبحث عن جواد أصيل يركض في كل الأنواء. لازالت أنشودة الصهيل في أعماقي في زشد توقدها وعنفوانها، يذيبها التوق لفجر يورق وراء المدارات والأفق. لازلت ألهث وراء فاصلة تحملني إلى السحاب لتدنيني من القمر، مثل فارس الأسطورة الذي يبحث عن مملكة في أرض خرافية لم تطأها أقدام إنسان، ولأنني كذلك، ولأن الشوقَ لازال ينقر شباك قلبي فلا يمكن أن أقول: إنني وصلت وإنني حققت في رحلتي مع الشعر كل ما أريد.

* ويقولون لي: إنك صوت رومانسي في زمن تسحق الناس فيه لقمة العيش؛ ولكم قلت كثيرًا أرد هذه التهمة: لم يعد هذا الوصف دقيقًا عن رومانسيتي في هذا الزمان المر.. نحن كتبنا الشعر الجميل في زمن كان جميلاً حقًا، ما كان لنا فيه إلا أن نحمل قوافينا ونوشِّي



رحلتي مع الشعر

بها أهداب دالية عاشقة، والآن أصبح الحزن حزنًا لا ضفاف له.. أنّى التفتنا فالفجيعة تحيط بنا إحاطة السوار بالمعصم، وترمينا في لجة ضياع لا تعرف النهايات. صرنا نكتب الشعر الرومانسي فقط عندما يصحو الشوق في دمنا، وعندما نستعيد كل ذكريات ذلك الزمن المندّى بالبوح والشذى، نكتبه لنعزّي أنفسنا بأنه لازال فينا قلب ينبض. أصبح قدراً على الشعر أن يمشي حافيًا فوق الجمر.. يتلظّى بالعلقم حتى النخاع. لم تعد اللحظة تركض ترفًا حلوًا، ولم تعد تفيض طلاوة وضياء. كيف يمكن للشعر أن يظل فرداً في زمن أضحى الأسى فيه يطحن الناس من مطلع الشمس إلى مطلع الشمس.. زمان ماتت فيه كل الأشياء الجميلة وانطفأ فيه كل قنديل زيت، زمان نكرع فيه كل مرائر الخزي والسقوط.. زمان تذبحنا فيه المأساة أيّان التفتنا وأبصرنا بأعيننا التي أناخت فيها الحلكة وظلمة الديجور الممتد أمامنا أبداً. لقد ضعنا ومات البريق في غدنا ولا إطلالة ضوء تلوح. ويالأسف لم يستطع الشعر أن يستوعب كل ذلك الحزن.. أصبح واضحًا أن الفجيعة أكبر من مساحة أحداق الشعر.. لم تستطع القصيدة أن تترجم لنا مأساوية إحساسنا ترجمة تريح الخاطر.. ولا ينفي هذا وجود إضاءات قليلة نعثر عليها هنا وهناك مصادفة ولا تروي لنا ظمأ. أصبح الشعر ـ في مجمل الحديث ـ خارج هذا الزمان الشؤم. كنت أتمنى أن تكون القصيدة العربية قادرة على استيعاب جراح الأمة المنسكب فيها الملح، ولكن هذا لم يحدث؛ فالذي نراه الآن كفيل بأن يسكب الحزن المميت في أعماق كل حرف وكل نبض وكل جارحة.

* وحين أتحدث عن الخنادق التي أجد فيها شعري، فإنني قد قلت كثيرًا: إن شعري ليس منكفئًا على نفسه ولا ينبغي له أن يكون، فألسنة اللهب تطاله مثل بقية الشعر، فلا يمكنه ـ والحالة هكذا ـ أن ينزوي أو يتقوقع إيثارًا للسلامة. الشعر هو أن يكون أو لا يكون. ليست هنالك مناطق منزوعة السلاح أو حيادية الإحساس.. وما دام شعري يشرب من الكأس المترعة بالصاب والمرائر نفسها فقدرٌ عليه أن يحمل فوق كتفيه المسؤولية كاملة.. قدر عليه أن يجالد ويصادم في الأتون الصخّاب بالزلازل والأهوال.. ليس هنالك مهرب أو متكأ انزواء.. إن شعري لا يمكن أن يعيش خارج مدار أمته وزمانها.

* دعوني أخرج قليلاً من هذه الدائرة المترعة بالشجى، لأتحدث عن النيل الذي سألوني عن حضوره في مقاطعي. قلت: إنه حاضر في كل التفاتة حرف في قصائدي، أرسمه في أبيات شعري لأنني على ضفتيه قضيت أروع أيام عمري وكتبت أزهى الكلمات، سطرت ما أطرب كثيرًا عند ترديده وما أود أن أسمعه للناس في كل أمسيات الشعر التي أُدْعى لإحيائها في كثير من الأماكن؛ ودونكم دواوين شعري التي لا يخلو فيها موضع عن ذكر هذا الساحر الراحل إدهاشًا في المقلتين. عندما يسافر في خيالي طيفه أزداد يقينا بأنني ما رأيت أجمل منه. على ضفافه كتبنا أجمل ما يُكتب، ونقشنا على كل حبة رمل ميعاداً أخضر اللحظات، هذا الذي كتبناه هو زادنا في رحلة العمر، وهو الذي يعطينا القدرة على الصمود.

* دراستي المتخصصة للغة الإنجليزية في إنجلترا فتحت لي نوافذ واسعة لمعرفة كنوز الأدب الإنجليزي بصورة أعمق. وقفنا على إبداع يذهل لعمالقة الكتاب والشعراء الإنجليز. ولكنني أيضًا ازددت إيمانًا على إيمان بأنه ليس هنالك لغةٌ شاعرة مثل اللغة العربية.. ولا لغة إيحاء وسحر مترف مثلها، إنها تحتوي على قدرة رواء لا حدود لها أبداً، إنها الأقدر على تصوير تجربة المبدع، لأن اللفظ في اللغة العربية لفظ محلق وذو أبعاد خرافية، وإنّ الإنسان العربي هو الوحيد في الدنيا الذي يتكون نسيج نبضه من حب الشعر وتولُّهه بقوافيه.

* سألوني مرة عن حركة الشعر في السودان، فقلت لهم: أود أن أنقل حقيقة لا يدركها الكثيرون وهي أن السودان أمة مسكونة بعشق الشعر حتى النخاع، أمة تسحرها الفاصلة السكرى وتزلزل دواخلها قافية تتكئ على هدب القمر.. لا تستغربوا حينما ترون حتى الصبايا يوشّين دفاترهن الصغيرة بأحلى ما قرأن من رائع الشعر وأجمله.

هنالك شعراء يذهلونك تفرداً واقتداراً، ولكنهم مظلومون حتى شعر الرأس من إعلامهم ومن إعلام الدول العربية، فلا إعلامهم استطاع أن يخرج صهيلهم المدهش إلى خارج حدود الخارطة السودانية، ولا إعلام الدول العربية سعى إليهم ليكشف تلك الكنوز المخبوءة في تلك الأرض النادرة.

إنني أقول: إن تلك الأصوات المذهلة لو خرجت للناس لزلزلت كل الحسابات، ولأعاد العرب ترتيب مبدعيهم. ليت العرب عرفوا التيجاني يوسف بشير وإدريس جماع ومحمد أحمد محجوب وبقية الكوكبة الصادحة إلى يومنا هذا، المالئة دفاتر الإبداع بشيء فوق الوصف.

* أتحدث عن إسهامي في الصحف، وعن الإصدارات التي أُطل منها فأقول: تستكتبني صحيفة الجزيرة السعودية، ففي كل أسبوع لي قصيدة بملحقها الأدبي.. وأكتب بانتظام بمجلة الحرس الوطني والمجلة العربية ومجلة الفيصل ومجلة القافلة التي تصدرها شركة أرامكو للزيت وصحيفة الشرق الأوسط وعدد آخر من المجلات والصحف العربية والسودانية في مختلف المواقع. كما أن إذاعة لندن دأبت على بث بعض أشعاري في فقرات برامجها. أرجو أن أرفع لمسؤولي كل هذه الإصدارات فائق شكري لاحتفائهم المقدّر أريج حرف أسكبه على الورق.

* سألوني: ماذا أعطاك الشعر؟ قلت: إنه أعطاني الكثير. أعطاني حب الذين تعجبهم كلماتي المتواضعة، إنها الثروة التي لا تعادلها ثروة بالنسبة لي. لقد مدّ الشعر جسراً مضيئًا بيني وبين بعض الناس وهم في أرفع المناصب فأعطوني ما لا يعطونه للآخرين، وطوّقوا عنقي بأفضالهم التي لا ثمن لها، والتي أعيش على نعمائها أنا وأولادي إلى هذه اللحظة.. ولولاهم ما كان في إمكاني تحقيق الكثير من الإنجازات بكل اليسر، وهي العصيّة على التحقيق. هؤلاء سيظلون يسكنون قلبي هالة من الشذى لا تعرف النظير، وسأظل أضمهم بالعرفان كله في لألأء الحدق ونور المآقي.

* سألوني عن مثلي الأعلى، قلت: إنه والدي ـ رحمه الله ـ لقد كان تجسيداً لكل المعاني النبيلة الشامخة. كان نسيج وحده، شهمًا، كريمًا، مضيافًا، ذا أريحية ونقاء. لقد غرس في أعماقي قيمًا صارمة لا مهادنة فيها ولا مساواة أبداً. إنني أسعى ـ على مدار الهنيهة ـ أن أُجذِّرها في أعماق خلايا أبنائي وفي كل نقطة دم تجري في أوردتهم وشرايينهم.

* وسألوني عن أحلى سنوات عمري.. قلت: إنها تلك التي عشتها حينما كان الزمان زمانًا يهمي بالضياء والخضرة، حينما كانت اللحظة لحظة ريًّا لا ضفاف لنضرتها. رحم الله ذلك الزمان، إنه زمان لن يعود مثله أبداً.

* وسألوني كثيرًا جداً: لمن أكتب شعري؟ قلت: إنني أكتب للذين أضرموا الوجد في عروقي وأعطوا عمري المعنى والرّواء.. الذين سكبوا البدر في عروقي وتيّموني بمرآهم الذي يسامت الثريا سحراً وجمالاً، الذين عندما أسافر في عيونهم النقية تخضرُ اللحظة وتورق الدنيا. أكتب للذين حملوني على جناح الغيم، وسقوني من دفء الريحان، الذين سكنوا في قلبي وهجًا نادراً وذكريات أفديها بضياء العين وخفقة الوريد. إنني أكتب للذين يشرقون في حدقي كإطلالة الأصيل وبَوح الدوالي.. كانوا ولا زالوا في كل التفاتة شوق، أندى من ورق الورد، وأبهى من زهو النوّار، وأجمل من كل الكلمات. أحس أنني بهم قد ملكت الليالي ونشرت أشرعتي في كل آفاق الدنيا. أولئك هم الذين أكتب لهم لأنني أراهم في كل شهقة حرف وانثناءة فاصلة.. إنهم وحدهم الذين يجعلون شراييني تنبض شعرًا.

منظر عام لمدينة طبرية من الجهة الجنوبية



محمود إبراهيم الصمـادي

تقع مـدينة طبـرية على خط عـرض ٣٢ ٤٨ شمـالاً، وخط طول ٣٥ ٣٢ شـرقي غـرينتش، وتنخـفض عن سطح البـحر المتوسط بنحـو ٢٠٠ متـر، والبقـعة التي تقع على مستوى سطح البحر تبعد نحو كـيلو مترين ونصف الكيلو للغرب من المدينة.

بنى هذه المدينـة هيـرودس أنتيـبـاس عـام ٢٠م على شاطئ بحيرة الجليل، وعلى رقعة أرض كنعانية تسمى «تل رقة» التي لم يبق منها حينئذ سوى بعض أطلالها. وسمـاها على اسم «طيبـاريوس» الإمبـراطور الروماني الوثني. وعنـدمـا حكمـهـا القـائد هادريان بنـى بهـا الهيـاكل وأقام التماثيل وجعلها مدينة رومانية. وعندما تَنَصَّـر الإمبـراطور قـسطنطين كثـرت فـيهـا الكنائس والأديرة النصرانية. ولما اجتاح الفرس فلسطين وأعملوا فيها الخراب والدمار، نالت طبرية نصيبها من ذلك.



منظر عام لمدينة طبرية العربية

وعندما فتح العرب المسلمون فلسطين، جعلوا طبرية عاصمة «جند الأردن» لقربها من وادي الأردن الذي كان يُضرب المثل بجنانه فيقال: جنَانٌ كجنان الأردن. وَكَانَ يتبع طبرية حينها قَدَس(قرية في الجليل) وصور وعكا وبيسان ودرعا وغيرها.

ومن القبائل العربية التي نزلت طبرية قوم من الأشعريين، وكانوا الغالبين عليها، وهم بطن من كهلان القحطانية. كما نزل طبرية جماعة من لخم، وفخذ من قبيلة جذام، وكانت قد انتشرت حتى اللجون واليامون غربًا حتى مشارف مدينة عكا.

وكان العرب في الجاهلية يتعاملون مع الرومان في معظم تجاراتهم بالدراهم الطبرانية التي كانت تُضرب في مدينة طبرية، وفي مطلع الفتح الإسلامي لهذه المدينة ضرب فيها خالد ابن الوليد رضيَ اللّه عنه، في السنة الخامسة عشرة للهجرة، الدراهم الإسلامية، فكانت على رسم الدراهم الرومانية، وعلى أحد الوجهين اسم خالد بالأحرف اليونانية.

وفي عام ٣٠ للهجرة أرسل أمير المؤمنين عثمان رضيّ اللّه عنه، إلى طبرية مصحفًا كريمًا ليكون الاعتماد عليه، كما أرسل مثله إلى دمشق وإلى الأمصار الإسلامية، وبقي المصحف الكريم في طبرية إلى عام ٤٩٢هـ عندما نقله الأتابك طغتكين أبو منصور إلى دمشق خوفًا عليه من الصليبيين الذين كانوا قد استولوا على الساحل الفلسطيني، وبدؤوا يهاجمون مدن وادي الأردن.

وقد وصف المؤرخون والرحالة مدينة طبرية بأنها قصبة الأردن، ومدينته الكبرى، وأنها كائنة بين الجبل والبحيرة، شكلها مستطيل، قليلة العرض. وتنقسم مدينة طبرية قسمين: الحي الشمالي والحي الجنوبي.

فالحي الشمالي مرتفع قليلاً عن شاطئ البحيرة، ويحيط به سور قديم من ثلاث جهات، وبه عدة أبراج للدفاع عن المدينة. قال الرحالة ناصر خسرو (ت:٤٤٤هـ): ولطبرية سور حصين يبدأ من شاطئ البحيرة ويمتد حول المدينة، والطرف المحدود بالبحيرة لا حائط له، وبه مبان كثيرة وسط البحر. وإن قاعه صخريّ، وقد شيِّدت هناك مناظر على رؤوس أعمدة رخامية أساسها في الماء، وفي بحر طبرية سمك كثير، ومسجد الجمعة وسط المدينة، وعند بابه عيْنٌ بُني عند رأسها حمام ماؤه ساخن، فلا يستطيع مستحم أن يصبّه على جسده من غير أن يمزجه بماء بارد.

وفي الجانب الغربي من مدينة طبرية مسجد اسمه «مسجد الياسمين» وهو مسجد جميل في وسط ساحة كبيرة بها محاريب، وحولها الياسمين الذي سُمي به المسجد، وتحت هذه الساحة قبور سبعين نبيًا قتلهم بنو إسرائيل.

وقال الرحالة الإصطخري (ت:٣٤٦هـ): وبها عيون جارية، ومنبعها نحو فرسخين من المدينة، فإذا انتهى الماء إلى المدينة على ما دخله الفتور لطول السير، إذا طُرحت فيه الجلود سقط شعرها من شدة حرها، ولا يمكن استعمال هذا الماء إلا بالمزج، ويعم هذا الماء حماماتهم وحياضهم.

حمامات طبرية

عرفها الكنعانيون فأسسوا عليها مدينتهم «حمّات» ذكرها المؤرخ المقدسي بقوله: بطبرية عين تغلي تعم أكثر حمامات البلد، وقد شُق إلى كل حمام منها نهر، فبخاره يحمي البيوت فلا يحتاج إلى وقيد، وفي البيت الأول ماء بارد يمزج بمقدار ما يتطهرون به، ومطاهرهم من ذلك الماء. قال رفيق التميمي وبهجت الكاتب في كتابهما «ولاية بيروت»:

أما المياه المعدنية في طبرية، فتنقل المركبات إليها الراغبين بالاستحمام، والقاصدين النزهة هناك. ومع هذا فإن أكثر الأهالي يذهبون إلى هناك مشاة كل صباح، وخصوصاً أيام الربيع، لأن الطريق تصبح جميلة جداً فيخرج الأهلون للنزهة عليها، وكثيراً ما يتسلقون الجبال في هذه المحلات.

وقال المؤرخ شمس الدين الدمشقي: وعلى شاطئ البحيرة منافع حارة شديدة تُسمى الحمامات، وماء هذه الحمامات ملحي كبريتي نافع من ترهل البدن ومن الجرب الرطب، ومن غلبة البلغام وإفراط السمنة.

وكان أبو عبدالله محمد بن محمد الإدريسي (ت: ٥٦٠هـ) وحيداً في إعطائنا أسماء بعض حمامات طبرية في عصره، وهي عنده:

١- حمام الدمافز: وهو كبير عظيم، وماؤه في أول خروجه حار تُسمط فيه الجداء والدجاج وينسلق فيه البيض وماؤه ملح.

٢- حمام اللؤلؤ: وهو أصغر من حمام الدمافز وماؤه حار عذب، وهذا الماء الحار يُختزن في الدور المجاورة له وبه يغتسلون ويتصرفون.

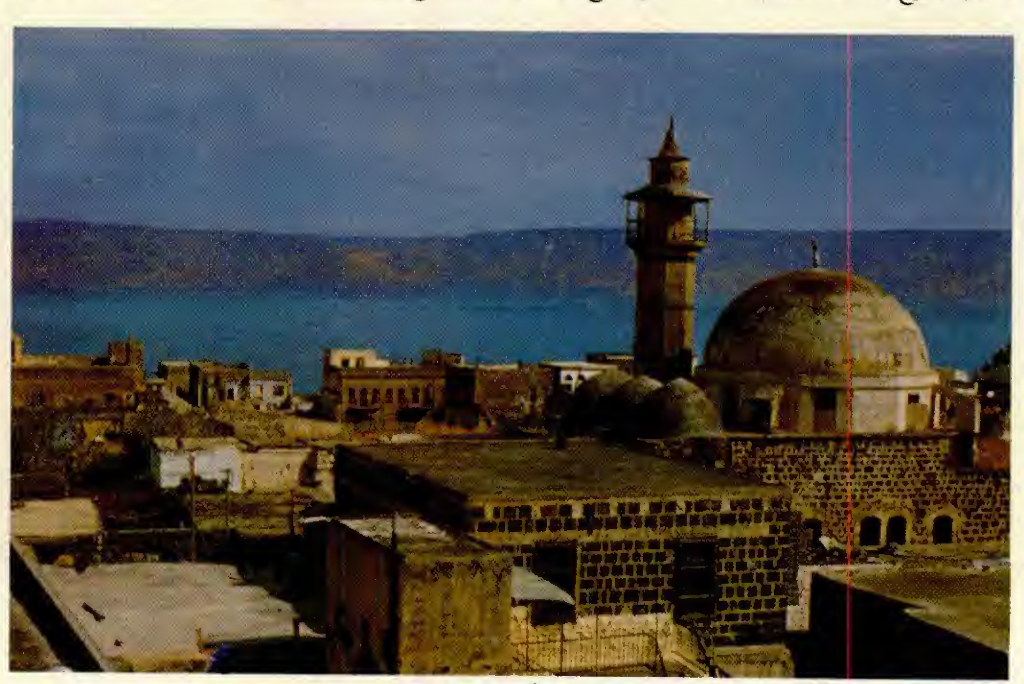
٣- حمام المنجدة: وماؤه حار عذب.

٤- الحمام الصغير: ولمائه توقد النار، وذلك أنه بناه أحد الملوك في داره ليدخله هو ومن له من أهل وولد وحاشية، فلما مات فُتح ذلك الحمام وجُعل للناس عامة وهم يدخلونه.

٥- حمام عين الشرف: يقع في الجهة الجنوبية من مدينة طبرية، ويقصد هذا الحمام جميع أهل البلايا من الناس مثل المقعدين والمفلوجين وأصحاب القروح والجرب، فيقيمون به ثلاثة أيام فيبرؤون بإذن الله من ذلك.

وهكذا بقيت حمامات طبرية بدائية قليلة النفع إلى عام ١٢٤٩هـ عندما استولى إبراهيم باشا المصري على بلاد الشام ورأى مدينة طبرية وحماماتها بحالة مزرية، فاهتم المهندس «طودوراكي» بوضع المخططات الهندسية لتنظيم وضع الحمامات حتى يتم النفع منها، واتّخذ ذلك المهندس من حمامات بورصة التركية نموذجاً لعمله فأقيمت غرفها الثلاث، وكل غرفة تحتوي على بركة من الماء الحار المعدني، وفوق كل غرفة قبة. وفي أثناء الحفر في بعض المجاري عُثر على آثار قديمة ونقود إسلامية ذهبية.

ومن يومها اشتهرت حمامات طبرية، وصار الناس يترددون إليها من جميع أنحاء البلاد، وبخاصة في أشهر الربيع، حيث يكون الزحام شديداً، والناس ذاهبون إلى الحمامات بمواكب



المسجد الفوقاني، وقد هُدم ما حوله باستثناء المئذنة والقبة



حمامات طبرية الشهيرة، وتقع جنوبي المدينة

أشبه بالأعراس تعلو وجوههم البشر والأفراح. وكانت العادة في المناطق القريبة من طبرية أن كل عروسين يستحب لهما زيارة حماماتها.

وفي عهد الانتداب البريطاني على فلسطين (١٩١٧م) كانت هذه الحمامات وقفًا إسلاميًا، ولكن حكومة الانتداب ادّعت أنها ملك للدولة، وقد نشب خلاف طويل حول هذه القضية، انتهى بمنح الأوقاف الإسلامية حصة الثلث فقط. وقد حصل بعض أثرياء لبنان في العهد العثماني على امتياز هذه الحمامات، ولكن حكومة الانتداب أقامت العراقيل أمامهم، ولم تمكنهم من القيام بمشروعهم، ثم أعطت الامتياز لشركة يهودية بإيجار رمزي لا يتناسب مع ما تدره هذه الحمامات من مكاسب وأرباح نظرًا للعدد الكبير الذي يؤم الحمامات سنويًا.

مناخ طبرية

يقصد الناس طبرية ليتمتعوا بدفئها ومناظرها الجميلة، وخضارها، وحبوبها، وأسماكها وحماماتها، وآثارها القديمة، والرحلات في ضواحيها، وبحيرتها. وتمتاز هذه المدينة بوفرة مياهها المعدنية التي تنبع من جهات متعددة ولاسيما في جنوبها، كما تمتاز بهوائها الجاف الذي يهب عليها من جهة الغرب، وتشتهر بالأسماك اللذيذة التي يصطادها أهلها من البحيرة، وأهم أنواعها: المشط والقشري والكرسين، أما السردين فله موسم خاص يظهر فيه وخصوصًا في ناحية الشاطئ السوري الشرقي.

ويتمتع الساكن في طبرية بجو ممتع في فصل الشتاء، حتى في فصل الصيف ماعدا بعض الليالي التي تشتد فيها الحرارة ولا تزيد بمجموعها على خمسة عشر يومًا. كذلك يتمتع السكان بمناظر خلابة في فصول السنة كلّها، وعلى الأخص فصل الربيع، وذلك حين تنعكس أشعّة الشمس قبيل الغروب بألوان متعددة على سفوح الشاطئ الشرقي السوري، وعلى جبل الشيخ الرابض في الجهة الشمالية من البحيرة.

أما ليالي طبرية فحدث عنها ولا حرج، ففي الليالي القمراء يسهر الأهلون خارج بيوتهم لينعموا بجمال البحيرة المنعكس عليها القمر، وأشعّته الجميلة تداعب المياه بحركات جميلة تأخذ بمجامع القلوب. والواقع أن كل من يعيش في طبرية يزداد وزنه وتتحسن صحته بإذن اللّه، وذلك يرجع، بعد فضل اللّه، إلى الماء الطيب والهواء النقي وتناول الأسماك والخضار الطازجة.

هذه طبرية التي قال فيها الشيخ طاهر الطبري قاضي طبرية الذي عاصرناه عليه رحمة اللّه تعالى:

الماس إن سألوك عنه فقل لهم
هذي البحيرة سطحها ألماس
واللؤلؤ الوضاح في صفحاتها
متناثر هو كله إيناس
والشمس إن عكست أشعتها بها
هدل الحمام وأنصت الجلاس



بحيرة طبرية عند غروب الشمس



جانب من سور طبرية في الجهة الشمالية من البحيرة

وقد تغنَّى أمير البيان شكيب أرسلان (ت:١٣٦٦هـ) رحمه الله ببحيرة طبرية فقال:

بحيرة كل شأنها عجب
وهي من الحسن كلها غرر
مرآة نور من السفوح لها
إطار نَور لم تحكه الأطر
كأنها في صفائها فلك
وفلكها فيها أنجم زهر
شريعة في مياهها ظهرت
وقد تلتها شرائع أخر

أما الشاعر أبو الطيب المتنبي (ت:٣٥٤هـ)، فقد أقام في طبرية مدة سنتين في ضيافة أميرها بدر بن عمار الأسدي وذلك عام ٣٢٨هـ، فوصف بحيرتها بقوله:

لولاك لم أترك البحيرة والغور
دافئ وماؤها شبم
والموج مثل الفحول مزبدةً
تهدر فيها وما بها قَطَم
والطير فوق الحباب تحسبها
فرسانَ بلق تخونها اللجُم
كأنها والرياح تضربها
جيش وغًى هازم ومنهزم
تغنت الطير في جوانبها
وجادت الأرض حولها الديم
فهي كماوية مطوقة
جُرّد عنها غشاؤها الأدم

قضاء طبرية

كان قضاء طبرية في العهد العثماني واحداً من الأقضية التي يتألف منها لواء عكا، وكان القضاء يتألف من مدينة طبرية عاصمة القضاء، وحولها ٢٦ قرية عربية وبعض القبائل البدوية.

وقرى طبرية هي: «الدلهمية، وحطين، وكفر كما، وكفر سبت، والوعرة السوداء، والمواسي، ولوبية، ومعذر المغار، والمنصورة، والمجدل، والمنارة، وناصر الدين، ونمريق، وسمخ، وعيلبون، ونقيب، وغور أبي شوشة، وحدثا، والحمة، وسمكية، والسمراء، والشجرة، والطابقة، والعبيدية، وعولم، وياقون».

ولقد دمر المغتصبون جميع هذه القرى باستثناء قرية كفر كما، والمغار، وعيلبون، ولم يبقوا جداراً قائماً.

والقبائل العربية البدوية التي كانت تقطن حول طبرية هي:

١- قبيلة التلاوية: استقروا في أراضي البطيحة السورية على الشاطئ الشرقي للبحيرة، حيث المياه الغزيرة.

٢- قبيلة البدور: كانوا يقيمون في جوار خربتي الدير والمويلح.

٣- قبيلة سرجونة: كانوا يقيمون في القرب من مدينة طبرية في أراضي قرية لوبية.

٤- المدراج: كانوا يقيمون إلى الشمال من البحيرة.

٥- المشارقة: كانوا يقيمون في أراضي قرية كفر سبت.

٦- الخرابنة: كانوا يقيمون إلى الشمال الغربي من طبرية.

٧- الكديش: كانوا يقيمون قرب قرية بورية إلى الغرب من مدينة طبرية.

٨- المويلحيات: كانوا يقيمون في جوار قرية عولم.

٩- السميري: كانوا يقيمون في أرض الحمى غرب طبرية.

١٠- الفجلي: كانوا يقيمون قرب سمخ والسمرا.

وجميع هؤلاء أُخرجوا من ديارهم، وصودرت أملاكهم، وتشرّدوا.

أهم الأودية التي ترفد بحيرة طبرية في فصل الشتاء

١- وادي العشة: تبدأ مياهه في الشمال من قرية زحلق، وتنتهي في البحيرة عند خربة العشة.

٢- وادي عبدان: تبدأ مياهه بالانحدار نحو البحيرة من منطقة جب يوسف، وتنتهي في البحيرة عند تل حوم.

٣- وادي الجاموسة: صغير ينتهي قرب الطابقة، حيث يصب في البحيرة.

٤- وادي العمود: يأتي من جبال صفد وقراها، ويعرف بأسماء كثيرة منها: وادي الطواحين، ووادي اللجون، ووادي عكبرة. والوادي المذكور هو الحد الفاصل بين جبال الجليل الأعلى والجليل الأدنى، وقد قامت على أطراف هذا الوادي قرى ومزارع كانت تعج بالخيرات.

٥- وادي السلامة: ويحتوي على عيون غزيرة، وتقوم على أطرافه المزارع وأشجار الفاكهة والخضار، والفائض من مياهه يسيل إلى بحيرة طبرية قرب قرية المجدل.

٦- وادي الحمام: سُمي بذلك لاشتهاره بكثرة حمامه ويمامه على مدى الأيام، تنحدر مياهه إلى البحيرة من الناحية الشمالية لمدينة طبرية.

٧- وادي السمك: يقع في الجانب الشرقي من البحيرة، من أملاك الجمهورية العربية السورية، وتنحدر مياهه إلى البحيرة في الجهة الشمالية الشرقية.

٨- وادي فيق: تنتهي مياهه عند قرية النقب في الجهة الشرقية للبحيرة.

الآثار القديمة في مدينة طبرية

تقوم طبرية، كما أسلفنا، على موقع أثري ضخم يحتوي على أسوار مدينة أثرية وبلدة رومانية، وبقايا آثار كنعانية قديمة، ومن المواقع الأثرية الواقعة في أطراف طبرية:

١- كفرا: اسم لضاحية من ضواحي طبرية في العهد الروماني.



بعض الآثار القديمة في كفر نعوم على تلال طبرية

٢- قصر بنت الملك أو القعقعية: تقع على بعد كيلو متر للجنوب من المدينة، بينها وبين الحمامات، تحتوي على برج مهدم، وآثار جدران بركة ماء، وحفر في المنحدرات، وخزان.

٣- تل معون: يقع في ظاهر طبرية الغربي، كانت تقوم عليه قرية رومانية.

هذه الآثار قريبة جداً من مدينة طبرية، وتكاد تكون من أحيائها، أما قضاء طبرية فكنا قد عددنا ٢٦ قرية عربية كانت مأهولة بالسكان قبل وقوع النكبة، وكل قرية حولها عدة مواقع أثرية كنا نسميها خربًا، وعلى سبيل المثال نذكر بعضها:

١- خربة الخان: قرب قرية تل حوم.

٢- خربة منيا: تحتوي على أنقاض قصر الوليد بن عبدالملك.

٣- خربة العريجة: تقع في ظاهر الطابقة الشمالي الغربي، تحتوي على بقايا جدران وأساسات.

٤- خربة تل الهنود: تقع في الساحل الشمالي قرب قرية الطابقة، وتحتوي على أنقاض بناء وأحجار من البازلت.

٥- خربة الغور: تقع في شمالي خربة الطابقة على مستوى سطح البحر، تحتوي على جدران مهدمة وبقايا أبواب.

٦- حجر النملة: إلى الشمال من مدينة طبرية، وهو صخرة عظيمة في وسط الماء، ومنذ وجدت هذه الصخرة يعيش عليها النمل، ويرزقه اللّه تعالى من فضله.

وقد رآها الرحالة عبدالغني النابلسي في طريقه من دمشق إلى القدس فعجب لحالها، وأنشد يقول:

اقنع فلا تبق بلا بلغه
وليس ينسى ربّك النمله
إن أقبل الدهر قم قائمًا
وإن تولى مدبرًا نم له

٧- خربة المزقة: قرب قرية الوعرة السوداء، تحتوي على أساسات وأكوام حجارة، ومغارة، وحوض ماء منقور في الصخر.

٨- خربة سبانا: في قرية الوعرة السوداء، تحتوي على أساسات صهاريج وأكوام من الحجارة.

٩- خربة الشيخ بسوم: في الجنوب الشرقي من قرية لوبية، وبجانبها عيون ماء ونوع من شجر السدر يحمل ثمراً لذيذاً يكاد يقارب حجمه التفاح والمشمش، وطالما صعدت إلى هذه الشجيرات وأكلت من ثمرها في طفولتي.

١٠- خربة دامية: في الشرق من قرية لوبية، وبها العيون الجارية، والبساتين التي تنتج الفواكه والخضار. وكانت أسرتي تملك مغارة في تلك الخربة ننتفع بها في خزن بعض الأشياء في الشتاء.

١١- خربة سوق الخان: وتعرف أيضًا باسم عيون التجار. تقع في الغرب من كفر كما، وقرب جبل طابور، قال بعض المؤرخين: إن بلدة صعنينم الكنعانية كانت تقوم على مكان خربة سوق الخان، وقد أقيم هذا الخان عام ٨٤٣هـ في عهد المماليك الشراكسة، وأعيد بناؤه في أيام والي الشام العثماني سنان باشا، وذلك لراحة القوافل التجارية والمسافرين وغيرهم، وكان به جامع وحمام وسوق تتبادل فيها السلع المختلفة. وقد نزل هذه البقعة عبدالغني النابلسي في رحلته إلى القدس عام ١١٠١هـ وذكرها بقوله: «ثم سرنا وأقبلنا على عيون التجار، وهو منزل حسن، ومنه يفرق المسافر إلى مصر جهة الغرب، والذاهب إلى القدس جهة الجنوب».

وذكرها مرة ثانية عند عودته من القدس إلى دمشق، قال: «ثم سرنا من جلمة إلى أن وصلنا عيون التجار وبتنا إلى طلوع النهار فركبنا وسرنا إلى أن وصلنا المنبة».

هذه هي طبرية التي تعج بالحياة والنشاط، وحول هذه القرى توجد عشرات، بل مئات من القرى الدارسة في غابر الزمن، وكلّها كانت كنعانية فلسطينية أو رومانية، ولا يوجد في منطقة طبرية أي أثر يهودي، وكل ادّعاء بوجود آثار يهودية إنما هو زور وبهتان وتدليس على الناس، فإن اليهود في ماضيهم لم يكونوا أصحاب مدينة وعمران، بل غزاة مدمّرين.

شخصيات طبرانية

لقد أنجبت طبرية في أيامها الإسلامية عددًا لا يستهان به من العلماء والأدباء والسياسيين، كان لهم دور في بناء الحضارة العربية الإسلامية منهم:

١- معاوية بن عبيدالله بن يسار الطبراني: ولد عام ١٠٠هـ، وتوفي عام ١٧٠هـ. اشتغل بالحديث والأدب، ورحل إلى العراق، واكتشف مواهبه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وكان قد عزم على أن يستوزره، ولكنه آثر به ابنه المهدي، فكان غالبًا على أمور المهدي لا يعصي له قولاً، وكان المنصور لا يزال يوصيه فيه ويأمره بامتثال ما يشير به.

ولما مات أبو جعفر المنصور وجلس المهدي للخلافة استوزره وفوض إليه تدبير أمور البلاد، وسلم إليه الدواوين، وكان مقدّمًا في صناعته وسياسته، وصنّف كتابًا في أمور الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده.

منظر عام لجبل طابور، وقد ظهرت فوقه الأديرة

وهو أول من صنّف كتابًا في الخراج. قال المؤرخ ابن طباطبا: «وفي أيامه ـ أي المهدي ـ ظهرت أبهة الوزارة بسبب كفاءة وزيره أبي عبيدالله معاوية الطبراني، فإنه جمع له حاصل المملكة، ورتّب الديوان، وقرر القواعد، وكان كاتب الدنيا، وأوحد الناس حذقًا وعلمًا وخبرةً».

٢ـ الإمام الحافظ سليمان بن أحمد ابن أيوب اللخمي الطبراني: ولد عام ٢٦٠هـ، وتوفي سنة ٣٦٠هـ. كان حافظ عصره، رحل في طلب الحديث من بلده إلى الشام، وإلى العراق والحجاز واليمن ومصر، وأقام في الرحلة ثلاثًا وثلاثين سنة، وتوجّه إلى بلاد فارس. وصفه الحافظ الذهبي بقوله: «كان ثقة صدوقًا واسع الحفظ بصيرًا بالعلل والرجال والأبواب، كثير التصانيف».

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «قال ابن العميد: ما كنت أظن في الدنيا حلاوة ألذ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة سليمان بن أحمد الطبراني وأبي بكر الجعابي التميمي بحضرتي، فكان الطبراني يغلب الجعابي بكثرة حفظه، وكان الجعابي يغلب الطبراني بفطنته وذكائه، حتى ارتفعت أصواتهما ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي! فقال الطبراني: هاته. فقال: حدثنا أبو خليفة عن سليمان بن أيوب، وَحَدَّثَ بالحديث. فقال الطبراني: أنا سليمان ابن أيوب ومني سمع أبو خليفة فاسمعه مني، حتى يعلو إسنادك ولا ترو عن أبي خليفة، بل عني. فخجل الجعابي وغلبه الطبراني. قال ابن العميد: فوددت في مكاني أن الوزارة والرئاسة لم تكونا لي، وكنت الطبراني وفرحت مثل الفرح الذي فرح الطبراني لأجل الحديث».

ومن ثم توجه الطبراني إلى مدينة أصفهان واستوطنها، ومكث بها ستين عامًا محدّثًا ومعلّمًا وإمامًا في علم الحديث، وله عشرات الكتب المصنفة.

ومن علماء طبرية أيضًا:

٣ـ الحسن بن علي البجلي الشعراني الطبراني: من محدّثي القرن الرابع الهجري.

٤ـ الحسين بن الأشعث الكندي الطبراني: سكن دمشق، محدث وعالم وشاعر.

٥ـ الحسن بن حجاج الطبراني الزيات: من محدّثي القرن الرابع، حدث بمصر وبلاد الشام.

٦ـ محمد بن عثمان بن سعيد الطبراني: محدث وعالم.

٧ـ عمر بن أحمد بن رشيد المذحجي الطبراني: محدث وعالم.

٨ـ عبدالله بن أحمد الطبراني: محدث وعالم.

٩ـ محمد بن خزز: له تاريخ كبير كتبه بطبرية.

١٠ـ أحمد بن عبدالدايم الطبراني: من علماء القرن الثامن الهجري، وممن قرأ عليه: حبيبة بنت العز إبراهيم بن عبدالله المقدسي أم عبدالله.

١١ـ حسن بن علي الطبراني: الشافعي المقرئ نزيل دمشق، دَرّس بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر بسفح قاسيون، واشتغل بالنحو، وامتهن مهنة التعليم بدمشق، توفي سنة ٩٤٩هـ.

مأساة طبرية

عندما تكاتفت قوى الشر من شرقية وغربية على عروبة فلسطين، وفدت إلى فلسطين في عام ١٩٤٧م لجنة دولية للبحث في مصير قطرنا العزيز، وبعد دراسة شكلية أجرتها تلك اللجنة أوصت بإقامة دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية، وكانت هذه اللجنة غير عادلة، بل متحيزة لليهود، فقد أوصت بإعطائهم أحسن المناطق الزراعية الخصبة، علمًا بأنهم لم يكونوا يمتلكون من مجمل أراضي فلسطين حينها سوى أقل من ٥٪، ولكن قوى البغي والظلم أبت إلا أن تعطيهم أكثر مما يملكون.

وهكذا هبّ شعب فلسطين للدفاع عن حقوقه ووجوده في أرضه الغالية، وقام أهل طبرية بالاستعداد لحماية أنفسهم ومقدساتهم، فانتضوا أسلحتهم على قلتها، وذهب رجالهم لبعض الدول العربية لجلب السلاح والمساعدة للدفاع عن الأرض المغتصبة. وانضم بعضهم للقوات التابعة للهيئة العربية العليا بفلسطين، وتمركزوا في قرية كفر كنا، وكانوا نحو سرية مشاة، ولا يملكون سوى البنادق العادية مع قلة الذخيرة، ومع هذا فقد عملوا على نجدة عدة قرى عربية تعرضت لمضايقات من قبل الصهاينة مثل قرية الشجرة وعرب الصبيح، واستطاعوا رد المهاجمين بعيدًا، وكانت الحالة هادئة؛ لأن سلطات الانتداب أعلنت أنها مسؤولة عن حفظ الأمن حتى نهاية عهد الانتداب البريطاني يوم ١٥/٥/١٩٤٨م.

لكن الأمور تعقدت في مدينة طبرية عندما رأى الصهاينة أن أهلها غير مسلّحين، وغير قادرين على كبح جماح قواتهم؛ فقاموا بعدة محاولات لإجبار الأهالي على الجلاء. فأرسل الوجهاء في طبرية لقيادتهم بأخبار هذه المحاولات وتعرّضهم لمهاجمة اليهود مرارًا وتكرارًا، فتوجّهت سريتهم من مركزها الجديد في دير النمساوي بالناصرة إلى قرب طبرية، وهرع المئات من الأهالي من قرى طبرية، كلّهم يريد أن ينقذ طبرية من براثن الصهيونية، وصار مكان الحشد في أرض قرية لوبية، وبالتحديد قرب قرن حطين الذي شهد معركة حطين مع الصليبيين. وبعد المشاورة رأى القادة أن من الأفضل إرسال طليعة مؤلفة من ٥٠ مجاهدًا في الوقت الحاضر، وبعدها سوف يقررون ما هو مناسب.

وهكذا انفصل المجاهدون وساروا من وادي الشومر إلى أرض الصحن، ومن ثم تركوا قرن حطين على يسارهم، وكان الوقت مساءً، ومن ثم هبطوا من تلال حطين واتّجهوا شمالاً نحو وادي الحمام والظلام يخيّم عليهم، وبعدها توجّهوا جنوبًا إلى طبرية، وفي منتصف الليل مروا بالقرب من صخرة النملة وتسلّقوا هضبة الحي الشمالي وعبروا بالقرب من معمل للثلج يملكه الأعداء، ووصلوا إلى الأحياء العربية وأمروا الجنود بالتمركز حول بيوت الأهل لحمايتهم من غدر الأعداء، وكان ذلك يوم ٧/٤/١٩٤٨هـ.

وبدأ القتال مع الأعداء واستمر أسبوعًا كاملاً، واستطاع المجاهدون السيطرة على الوضع، ولكن سلطات الانتداب تدخّلت لوقف القتال بالقوّة؛ إلى أن كانت ليلة ١٥/٤/١٩٤٨م، فعند الساعة الثانية عشرة ليلاً فوجئ المجاهدون بهجوم غادر من القوات الصهيونية، بمساعدة قوات سلطة الانتداب، واستطاعوا الوصول إلى فندق كروسمان في وسط المنطقة، وفصلوا قوات المجاهدين عن بعضها، ولكن المجاهدين ظلوا يقاومون ذلك الاجتياح مدة ساعتين إلى أن نفدت ذخيرتهم، وصارت بنادقهم كأنها عصي فأمرهم قائدهم السيد عورتاني بالانسحاب شمالاً نحو قرية المجدل، ومنها إلى مدينة الناصرة غربًا.

وفي صباح ذلك اليوم المشؤوم ظهر القائد البريطاني وأحضر سيارات الشحن، وحمل عليها أهالي طبرية وأجلاهم عن مدينتهم الحبيبة وهم شبه عراة، ولم يستطع أحد منهم أن يحمل معه سوى عياله وأطفاله. وهكذا تمت المؤامرة على بلدنا وأهلنا، وأدت إلى تشريدهم في طول الأرض وعرضها.

المصادر والمراجع:

١ـ بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٤م.
٢ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي.
٣ـ جند فلسطين والأردن، د. شكري عراف، القدس ١٩٩٠م.
٤ـ سفرنامة، ناصر خسرو، بيروت ١٩٧٠م.
٥ـ المسالك والممالك، الإصطخري، القاهرة ١٩٦٠م.
٦ـ سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، دمشق ١٩٨٥م.
٧ـ النكبة، عارف العارف، صيدا ١٩٥٤م.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

نساء الخلفاء

المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء
لعلي بن أنجب، ابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤هـ

كثيرة هي كتب التاريخ، وكثيرة أيضًا كتب التراجم، والقليل منها ما خُصِّص لتراجم النساء، وما هو موجود، فهو عام لا يختص بفئة معينة منهن. إلا أن ابن الساعي خَصَّ نساء الخلفاء والملوك والسلاطين بكتاب ترجم فيه لبعضهن، ذاكرًا طرفًا من أخبارهن وحكاياتهن.

أما المؤلف، فهو تاج الدين علي بن أنجب ابن عبدالله، المعروف بابن الساعي. ولد ببغداد سنة ٥٩٣هـ، وتوفي بها سنة ٦٧٤هـ، وهو من كبار المصنفين في التاريخ، وقد أحصى له الدكتور مصطفى جواد، محقق كتابه هذا، ستة وخمسين كتابًا ما بين مفقود ومخطوط ومطبوع، جلُّها في التاريخ والتراجم، وفيها ما هو في الفقه والحديث واللغة والأدب.

وأما الكتاب، فقد قال المؤلف في مقدمته: «فإني لما جمعت كتاب «أخبار من أدركت خلافة ولدها من جهة الخلفاء ذوات المعروف والعطاء، أحببت أن أذكر من اشتهر من حظايا الخلفاء الحرائر والإماء».

وقد ترجم ابن الساعي في هذا الكتاب لتسع وثلاثين امرأة، ولم يقتصر على نساء الخلفاء، وإنما ذكر بعض نساء الملوك والسلاطين، كما أنه لم يستوعب كل نساء الخلفاء والسلاطين منذ فجر الإسلام حتى عصره، إذ فاته ذكر الكثير منهن، ولعله يتصدّى من يستدرك عليه في هذا الباب. ويضيفه إلى كتابه أو يفرده في بحث مستقل.

ونذكر في عرضنا لكتاب ابن الساعي أخبار بعض النساء المذكورات فيه، ونبدأ بما بدأ به هو، حيث ذكر أول ما ذكر حمّادة بنت عيسى زوجة الخليفة أبي جعفر المنصور، وذكر أنه لما ماتت، وقف المنصور والناس معه على حفرتها ينتظرون مجيء الجنازة، وأبو دُلامة (المعروف بنوادره وفكاهاته) فيهم، فأقبل عليه المنصور، فقال: يا أبا دُلامة، ما أعددت لهذا المصرع؟ قال: حمّادة بنت عيسى يا أمير المؤمنين. قال: فضحك القوم.

ويذكر من نساء الخلفاء «فضل» الشاعرة، جارية المتوكل على الله جعفر بن المعتصم، وأنها كانت أديبة فصيحة، مطبوعة في قول الشعر، متقدمة على سائر النساء، ولها أخبار ملاح مدونة، وكانت تجلس في مجلس المتوكل على كرسي تعارض الشعراء بحضرته، ومن ذلك أن المتوكل قال لعلي بن الجهم: قل بيتًا وقل لفضل الشاعرة تُجيزه. فقال علي: أجيزي يا فضل:

لاذ بها يشتكي إليها
فلم يجد عندها ملاذا

فأطرقت هنيهة، ثم قالت:

ولم يزل ضارعًا إليها
تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبته فزاد عشقا
فمات وجدا فكان ماذا

ومن جواري المتوكل أيضًا: «محبوبة»، وكانت شاعرة مُغَنِّية، متقدمة على مثيلاتها من جواري المتوكل، ولما قُتل، أخذ وصيف - أحد القواد - بعض جواريه، وفيهن محبوبة هذه، فأحضرهن يومًا وعليهن الثياب الفاخرة الملونة والحلي، وقد تزيَّنَّ وتعطرنَ، سوى محبوبة، فغنى الجواري وأطربن، وشرب وصيف وطرب، ثم قال لمحبوبة: غني، فأخذت العود وغنت وهي تبكي:

أي عيش يطيب لي
لا أرى فيه جعفرا
ملكًا قد رأته عيـ
ني قتيلا معفرا
كلُّ من كان ذا سقا
م وحزن فقد برا
غير محبوبة التي
لو ترى الموت يُشترى
لاشترته بملكها
لتُوارَى وتُقْبَرَا
إن موتَ الحزين أطيـ
ب من أن يُعمَّرا

فاشتد غضب وصيف بسبب ذلك، وهم بقتلها، فاستوهبها منه «بغا» - أحد القواد - وكان حاضرًا، فوهبها له وأعتقها، وأمرها أن تقيم حيث أحبت، فخرجت إلى بغداد، فأقامت فيها، وأخملت نفسها حتى ماتت حزينة. ويعلق ابن الساعي على موقفها هذا، فيقول: رحمها الله وجزاها عن حسن العهد وحفظ الوداد والوفاء خيرًا.

ومن النساء اللاتي ذكرهن ابن الساعي: خاتون بنت ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي، زوجة المستظهر بالله. وكانت رئيسة جليلة، من أعقل النساء وأشدهن حزمًا وسدادًا. وبعد وفاة زوجها الخليفة، رجعت إلى أصبهان، وتوفيت في مدرستها التي أنشأتها هناك، وليس في الدنيا أكبر من تلك المدرسة - كما يقول المؤلف - وكانت قد وقفتها على أصحاب الإمام أبي حنيفة.

ومن نساء الخلفاء الصالحات: «بنفشا» بنت عبدالله الرومية، مولاة المستضيء بأمر الله؛ كانت من خواص سراريه، وكانت صالحة كثيرة الخير، فائضة المعروف، متفقدة للفقراء والمساكين، جعلت دارها مدرسة وقفتها للحنابلة، وبَنَتْ قنطرةً على نهر عيسى، وجسرًا على نهر دجلة، كما بنت مسجدًا بسوق الخبازين.

ومنهن من كانت في نعمة، ثم قلب لها الدهر ظهر المجن، فهذه ست النساء بنت طولون التركي، كانت ذات أموال عظيمة ونعمة ظاهرة، زوجت لعبة من لعبها، فأنفقت عليها مئة ألف دينار، ثم افتقرت فقرًا شديدًا حتى أصبحت تسأل الناس، فرآها أحد الأغنياء وهي تسأل في سوق بغداد، فعرفها، فقال لها: أين ما كنت فيه من النعيم؟ قالت: كنا نرصد نوائب الدهر، فجاءتنا وتركت ديارنا بلاقعَ. قال: فما تشتهين؟ قالت: ملءُ بطني طعامًا. فقال: هذا وكيلي، انصرفي إلى المنزل، وأمر لها بعشرة آلاف درهم. فقالت: يا أخي، عليك بمالك، بارك الله فيك، أما إنه قد كان عندنا أكثرُ من ذلك فلم يبق، وأكلت شيئًا وولت وهي تقول:

دع الدنيا لعاشقها
سيصبح من ذبائحها
أرى الدنيا وإن مُدحت
تنصُّ على فضائحها
فلا تغررك رائحة
تصيبك من روائحها
فإن سرورها سُمٌّ
وحتفُك في منائحها
ومضربها بمعزفه
يؤوب إلى نوائحها

نافذة على ثقافة العالم

الأساطير المؤسسة

Roger Garaudy

Les Mythes fondateurs de la politique israélienne

SAMISZDAT
Roger Garaudy
1996

تأليف:
روجيه جارودي
عرض:
بهاء لطفي قابيل

يقع هذا الكتاب المهم في ثلاثة أجزاء، وقد أثار عاصفة كبيرة في العالم الغربيّ كله، وهُدِّد مؤلفه بالقتل. وقد جاء هذا الكتاب ليثبت أن هناك محرّمات لا يستطيع العالم الغربي الاقتراب منها بله مناقشتها. وكان يقال: إن فرنسا بلد فريد بين العالم الغربي، لأن الديمقراطية وحرّية الرأي فيها ليستا في حاجة إلى نقاش، حتى جاء هذا الكتاب الصادر في نهاية عام ١٩٩٦م ليدحض هذه المقولة.

فأنت في فرنسا يمكنك التحدث في أي شيء ويمكنك أن تهاجم أي شيء، إلا أن هناك موضوعًا واحدًا لايحق لك مناقشته؛ ألا وهو قضية اليهود! بل إن هناك قانونًا أصدرته الدولة عام ١٩٩٠م يسمى GESSU يتعرض المراجع لتاريخ اليهود بمقتضاه إلى السجن والنقد والتجريح.

لماذا هذا الموضوع؟

يقول جارودي: إنه اضطر لطبع هذا الكتاب على نفقته الخاصة بعد أن رفضت كل دور النشر الكتاب خوفًا من القانون السابق، ويتابع: أنه كان دائما ضد التطرف الديني وأنواعه الفكرية، وأنه يرى التطرف مرض الإنسانية القاتل في نهاية القرن العشرين. وهو هنا يفضح هرطقة الصهيونية السياسية التي تحاول استبدال دولة إسرائيل بإله اليهود، ويهاجم إحدى الدول العظمى من حيث إنها استخدمت حق النقض (الفيتو) ثلاثين مرة بين عامي ١٩٧٢-١٩٩٦م لحماية الدولة الصهيونية. فالقانون الدولي في نظر إسرائيل مجرد قصاصة ورق كما قال «ابن جوريون»، ومثل هذه التصرفات التي تهزأ بقرارات المجتمع الدولي كله، كان لابد أن تستند إلى مسوّغات دينية تقوم على خرافات غير مؤكدة تاريخيًا، كما أن هناك أسطورة أخرى حديثة هي أن دولة إسرائيل: «رد الله على الهولوكست» وهو التعبير المستخدم لوصف اضطهاد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية.

كان ضروريًا أن تُضَخَّم أرقام ضحايا اليهود، وأن يحاولوا إثبات أنها أضخم عملية إبادة جماعية في التاريخ، متناسين أن هناك ٦٠ مليون هندي أمريكي أبيدوا، وأكثر من ١٠٠ مليون أسود أفريقي قد استهلكتهم تجارة الرقيق، وأكثر من ١٧مليون سلافي ماتوا في الحرب العالمية الثانية. فالكتاب يستهدف فضح هذه الخدعة، ويقول المؤلف: إن هناك في إسرائيل نفسها يهودًا يطرحون التساؤلات حول الأساطير التي أدت إلى مقتل المصلّين المسلمين في الحرم الإبراهيمي على يد «باروخ جولدشتاين»، وأدت إلى مقتل رأس الدولة على يد «إيجال عامير».

عقائد الصهيونية

سياسية أولاً، وقومية ثانيًا، واستعمارية ثالثًا.

فالأولى: حاولت امتلاك العالم بالمال والفتن والمؤامرات.

والثانية: لم تكن وليدة الدين، وإنما نتيجة نزعة قومية أوربية في القرن التاسع عشر، والدليل على هذا قول تيودور هرتزل من أنه ينتمي إلى «اللا أدريين» أي الذين يشكون في وجود الله.

والثالثة: حاولت الاستيلاء على أراض عربية كثيرة بعد إخفاقها في جنوب إفريقية، وغيرها من الأماكن التي طرحها هرتزل على الساسة الإنجليز في نهاية القرن الماضي.

ويروي جارودي مستشهدًا بالوثائق: أن المنظمات اليهودية في ألمانيا وفرنسا والنمسا وإنجلترا، كان لها رد فعل رافض للصهيونية السياسية على أساس التمسك بروحانية اليهودية كدين. ويستشهد بكلام آلبرت آينشتين عام ١٩٣٨م: «من الأفضل التوصل إلى اتفاق مع العرب على أساس حياة سلمية مشتركة بدلاً من إنشاء دولة يهودية».

الأساطير الدينية

يناقش جارودي فكرة أرض الميعاد التي استند إليها الصهيونيون الأوائل لإنشاء دولة إسرائيل، ومازال يؤمن بها كثير من المتطرفين. فالوعد بالأرض كان في الواقع موجّهًا إلى بعض القبائل البدوية التي كانت تحلم بالاستيطان في أرض واحدة، والكف عن الترحال المستمر، وينتهي المؤلف إلى أن هذا الوعد لم يكن وعدًا بالغزو العسكري أو السياسي للأرض؛ وإنما كان وعدًا بإنهاء حالة التنقل المستمرة التي كانت تعيش فيها هذه القبائل. ولم تتبلور فكرة أرض الميعاد إلا مع ظهور القبائل الكبيرة التي شكلت ما يسمى بشعب إسرائيل؛ وفسرت الوعد الذي تضمنه سِفْرُ التكوين بمعنى الحق في غزو فلسطين والسيطرة عليها وإنشاء كيان سياسي بها.

ويتطرق الكتاب إلى الرئيس السابق للرابطة اليهودية بأمريكا، الحاخام «إلمير برجير» الذي قال: «إنه من غير المقبول الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل يُعدّ تحقيقًا للنبوءة التوراتية، ومن ثم فإن كل ما يقوم به الإسرائيليون لإنشاء دولتهم

للسياسة الإسرائيلية

والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الله».

ويقول جارودي: إن عامير الذي قتل رابين لم يكن مجنونًا ولكنه كان نتاجًا للتربية الصهيونية، والدليل على هذا أنه علّل اغتياله لرابين بقوله: إن الأمر بالقتل جاءه من عند الله. وكان رابين على حد قول جارودي: ضحية لأسطورة أرض الميعاد التي كانت حجة لعمليات استعمارية دامية في التاريخ. ويضيف جارودي: أن اغتيال رابين يثبت مرة أخرى أن السلام الحقيقي بين العرب وإسرائيل يستلزم تصفية كاملة للمستوطنات التي تشكل قنابل موقوتة لحرب جديدة.

بعد ذلك يتطرق جارودي إلى ما أسماه «أسطورة شعب الله المختار» التي تقوم على الاعتقاد بأن الوحدانية نشأت مع العهد القديم، ويستدل المؤلف بنصوص من أسفار القضاة والملوك والخروج؛ تلك الأسفار التي تدل على أن الاعتقاد السائد في البداية كان يقوم على تفوق إله اليهود على ما عداه، ولم يظهر مفهوم الوحدانية إلا في نصوص متأخرة، وكانت نتيجة لبلورة حضارات الشرق الأوسط الكبرى في مصر والعراق. ويذكر جارودي أن إخناتون فرض الإيمان بالله الواحد في مصر القديمة قبل ظهور اليهودية.

بعد هذا يدخل جارودي في تفصيلات خاصة بالتوراة والعهد القديم يستخرج منها أن هناك قراءة لهذه النصوص تؤدي إلى مفاهيم عنصرية وإلى عمليات التطهير العرقي التي تقوم على تفوق عنصر واحد ورفض الآخرين، ويقول: إن هذه هي القراءة التي يستخدمها المتطرفون أمثال قاتل المسلمين في الحرم الإبراهيمي، وكذلك الذين ينادون بعدم خلط الدم اليهودي بغيره من الأجناس الأخرى على أساس أنهم هم شعب الله المختار.

أساطير القرن العشرين

يقول المؤلف في بداية الجزء الثاني: إنه عندما اندلعت الحرب ضد هتلر، فإن الغالبية العظمى من المنظمات اليهودية وقفت إلى جانب الحلفاء، كما أن غالبية زعماء اليهود، ومن بينهم «حاييم وايزمان»، جهروا بموقفهم المساند للحلفاء ضد ألمانيا، ويستثني المؤلف الجماعة الصهيونية في ألمانيا التي اتخذت - من ١٩٣٣ إلى ١٩٤١م - سياسة متواطئة مع هتلر، وكانت السلطات النازية تتحاور مع الزعماء الصهاينة الألمان، في الوقت الذي تضطهد فيه اليهود! ويوضح الكاتب أن اتهام التواطؤ مع النازية لا ينصب على غالبية اليهود؛ بل إن بعضهم لم ينتظر الحرب العالمية لمكافحة الفاشية فتطوع خلال الحرب الإسبانية (١٩٣٦- ١٩٣٩م) لمناهضة الفاشية.

ويورد المؤلف أجزاء من خطاب بعث به «وايزمان» رئيس الوكالة اليهودية، آنذاك، إلى رئيس الوزراء البريطاني «شامبرلين» بتاريخ ٥ أيلول/ سبتمبر ١٩٣٩م يؤكد له فيه أن يهود العالم مع بريطانيا، وهم على استعداد لوضع كل إمكاناتهم تحت تصرفها ضد ألمانيا. فهذا الخطاب كان بمنزلة إعلان حرب ضد ألمانيا، واتخذت السلطات الألمانية ذلك ذريعة لوضعهم في الاعتقال، كما وضعت الولايات المتحدة مواطنيها المنحدرين من أصل ياباني في السجون بعد أن شنَّت اليابان حربها على أمريكا عام ١٩٤١م.



شارل ديغول



هاري ترومان

ويفرق المؤلف بين اليهود الذين تعرضوا للقتل على يد النازية، والزعماء الصهاينة الذين نذروا حياتهم في هذه المرحلة من أجل التخطيط لإنشاء دولة يهودية في فلسطين، ويستشهد المؤلف بخطاب ألقاه ابن جوريون عام ١٩٣٨م: «لو كنت أعلم أنه من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بإحضارهم إلى إنجلترا، أو إنقاذ نصفهم بإحضارهم إلى إسرائيل الكبرى، فإنني سأختار الثانية لأنه ليس علينا أن نحرص على حياة هؤلاء الأطفال فحسب، وإنما أيضا على تاريخ شعب إسرائيل». ويبرز جارودي رأي توم سيجيف في كتابه «المليون السابع» حيث يقول: «لم يكن إنقاذ حياة يهود أوربا على رأس أولويات طبقة زعماء الحركة الصهيونية؛ لقد كانت الأهمية القصوى في نظرهم هي العمل على تأسيس الدولة».

والعدو الرئيسي في رأي الزعماء الصهاينة كان ذوبان اليهود في المجتمعات التي يقيمون فيها، وكانت هذه النظرية تلتقي، حسبما يقول جارودي، مع الفكر العنصري النازي الذي يقوم على أساس نقاء العرق الآري. ولهذا السبب كانت هذه النظرية نقطة التقاء بين زعماء النازية الذين يريدون تطهير أوربا من اليهود، وقادة الحركة الصهيونية الذين يحلمون بنقل جماعي ليهود أوربا إلى فلسطين لإنشاء دولة إسرائيل. ويستند جارودي في كتابه إلى عشرات المصادر لتأييد آرائه. ويؤكد أن للزعماء الصهاينة دورًا كبيرًا في كسر الحصار الذي كانت تسعى إلى فرضه على ألمانيا النازية كل القوى المعادية لهتلر، ويروي أن التعاون الاقتصادي بين الصهيونية والنازية بدأ منذ عام ١٩٣٣م، بإنشاء شركة في تل أبيب أطلق عليها اسم «هعفرا» وأخرى في برلين تحت اسم «بالترو». وكان اليهود الراغبون في الهجرة من ألمانيا يُسَدِّدون مبلغًا من المال لا يقل عن ألف جنيه استرليني، وكان التجار اليهود يشترون بضائع ألمانية بهذه المبالغ تُصَدَّر إلى فلسطين؛ مما يتيح لدافعي هذه المبالغ استردادها عند وصولهم إلى فلسطين.

ويقول المؤلف: إن سياسة التواطؤ مع ألمانيا وصلت إلى ذروتها على يد أكثر المجموعات الصهيونية تطرفًا وهي مجموعة «ليحي» - التي كان يقودها أبراهام شتيرن، وكان من زعمائها إسحق شامير - عندما دعت عام ١٩٤١م إلى التحالف مع ألمانيا النازية ضد بريطانيا. ويركز جارودي على فكرة التفريق بين الزعماء الصهاينة واليهود العاديين، ويؤكد أن الحركة الصهيونية كانت تسعى بكل الوسائل إلى الهجرة إلى فلسطين، ومن هذا المنطلق قامت مجموعة «الهجاناه» التي كان يقودها ابن جوريون بتفجير سفينة فرنسية عليها يهود كانت متجهة إلى جزائر موريشيوس؛ مما أدى إلى مصرع ٢٥٢ يهوديًا. فهدف ابن جوريون كان هجرة أربعة ملايين يهودي إلى إسرائيل من عام ١٩٥١-١٩٦١م، لكن العدد الفعلي الذي وصل كان ٨٠٠ ألف؛ في حين أن ثلاثة أرباع اليهود هاجروا من شرق أوربا إلى الاتحاد السوفيتي.

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

أساطير نورمبرج

يتناول جارودي تلك المحاكمات التي جرت في ألمانيا، ويبدأ بتصنيف الجرائم كما وصفها قرار إنشاء المحكمة العسكرية الدولية وهي، أولاً: جرائم ضد السلام وتتعلق بمسؤولية اندلاع الحرب، وثانيًا: جرائم الحرب وتخص خرق قوانين الحروب وأعرافها، وثالثًا: جرائم ضد البشرية والمدنيين. ويقول جارودي: إن هذه المحاكم لم تكن دولية، حيث لم تمثل إلا المنتصرين في الحرب، ومن ثم فالجرائم الوحيدة التي تولتها كانت تلك التي اقترفتها الدول المهزومة، والدليل على ذلك ما قاله المدعي العام الأمريكي روبرت جاكسون عام ١٩٤٦م: «إن هذه المحكمة تمثل استمراراً للجهود الحربية التي بذلها الحلفاء خلال الحرب».

ويذكر جارودي أن اتفاقية «فرساي» التي فُرضت على ألمانيا بعد الحرب الأولى شكلت إجحافاً كبيرًا في حق الشعب الألماني، لدرجة أن الاقتصادي الأشهر «كينز» كتب في إنجلترا عام ١٩١٩م: «بسبب هذه الاتفاقية ستقوم حرب أخرى جديدة بعد عشرين سنة».

ويتناول جارودي مسألة التصريحات العنصرية ضد اليهود والتي تحض على التخلص منهم وقتلهم على لسان هتلر، ففي المقابل كانت تصريحات الحلفاء لا تقل عنفًا وتنادي بقتل الألمان والقضاء على ألمانيا ومحوها من العالم. إن تشرشل وستالين وترومان لم يقفوا في قفص الاتهام كمجرمي حرب، على الفظائع التي ارتكبوها ضد ألمانيا، ومنها مذبحة «كاتين» في مدينة درسدن الألمانية والتي ارتكبها السوفيت وأدت إلى مصرع ٢٠٠ ألف مدني تحت ضربات الطيران الروسي والأمريكي، وأخيراً إلقاء قنبلتي هيروشيما ونجازاكي ومصرع أكثر من نصف مليون ياباني.

وينتقل الكاتب بعدها إلى أكثر النقاط حساسية، وهي مصرع ستة ملايين يهودي، وهذا الرقم مجاف للحقيقة، وقد استُخدم لتسويغ انتهاكات إسرائيل في فلسطين. ويقول جارودي: إن مصدر هذا الرقم الكبير يأتي من شهادتين غير مقنعتين: الأولى من «أدولف إيخمان» وهو ضابط أمن نازي اختطفته إسرائيل من الأرجنتين وأعدمته عام ١٩٦١م، والثانية لضابط آخر قال: إن مصرع خمسة ملايين يهودي يسبب له السعادة.

الحل الأخير

وعن مصطلح «الحل النهائي» الذي عدّته المحكمة مرادفًا للتصفية الجسدية الجماعية لليهود، يقول المؤلف: إنه لاتوجد وثيقة واحدة، أو نص مكتوب واحد يؤكد هذا التفسير لتعبير الحل النهائي. وأقرب التفسيرات للإشارات الواردة في وثائق النازية هو تفريغ أوربا من اليهود ونقلهم إلى جزيرة مدغشقر التي كانت تتبع فرنسا. ويتعرض الكاتب لمؤتمر «وانسي» في برلين عام ١٩٤٢م، حول المسألة اليهودية، الذي ورد فيه تعبير «الحل النهائي» أكثر من مرة، ويؤكد جارودي أن هذا المصطلح لم يكن المقصود به قتل اليهود وإنما ترحيلهم إلى الشرق كقوة عمل. ولذا فلا وجود حقيقيًا لما يُسمّى غرف الغاز وعمليات القتل الجماعي التي يروّج لها اليهود الصهاينة حاليًا. وهناك شهادة لأحد السجّانين في سجن «داخاو» تنقصها الدقة وتعوزها الجدية، وياللأسف، فقد انتزعتها منه محكمة نورمبرج بالقوة وبالتعذيب.

ويقوم الكاتب بتحليل سريع لمحاكمة «أوشفتز» التي جرت بمدينة فرانكفورت من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٣م إلى آب/ أغسطس ١٩٦٥م، ويقول: إن المتهم الرئيسي بها وكان آخر قائد للمعسكر يدعى «ريتشارد باير» رفض تماما الاعتراف بوجود غرف للغاز، ويضيف الكاتب أن باير قد قُتل في زنزانته في تموز/ يوليو ١٩٦٣م في ظروف غامضة.

ويفند جارودي تقرير جرشتين الذي استندت إليه المحاكم في وجود غرف الغاز، حيث إن «آن فرانك» وهي فتاة يهودية كانت معتقلة في أحد المعسكرات، يقول جارودي عنها: إنه وجد النسخة التي قيل إنها مكتوبة بخط يدها، وعرضها على أحد معامل البوليس الجنائي الألماني، واتضح، فيما بعد، أن جزءاً كبيراً منها قد كُتب بالقلم الجاف وهو قلم لم يكن معروفًا قبل عام ١٩٥١م، في حين أن «آن فرانك» قد توفيت عام ١٩٤٥م.

أكذوبة الملايين الستة

يقول المؤلف: إن تعبير الإبادة الجماعية لا ينطبق حرفيًا إلا في حالات مثل عملية غزو يشوع لأرض كنعان(!) التي يختمها سفْرُ العدد بالتوراة بعبارة: «ولم يبق بعدها إنسان واحد حيّ». ويقول جارودي: إن اليهود كانوا هدفًا لهتلر بسبب نظريته العنصرية التي كانت تقوم على تفوق الجنس الآري، كما كان هتلر يقوم بخلط متعمد بين اليهود والشيوعية التي كانت عدوه الرئيسي، وكان يستخدم تعبير «اليهودية البولشفية» دائمًا، وكان هدفه استئصال الشيوعية من العالم وطرد كل من يدين بها خارج العالم. وقد بلغ عدد ضحايا هتلر ٥٠ مليون قتيل خلال الحرب العالمية الثانية، من بينهم ١٧ مليون روسي، و٩ ملايين ألماني. فغضب هتلر لم ينصب على اليهود وحدهم، ولكن تضخيم المسألة كان دعاية مقصودة لإنزال الستار على جرائم أكبر قام بها اليهود. فالأرقام متضاربة في جميع التقارير السوفيتية والأمريكية والإنجليزية والفرنسية والألمانية.

أرض بلا شعب، شعب بلا أرض

يبدأ الفصل بمقولة أعلنها زعماء الصهيونية بأن الرب هو الذي منح فلسطين لليهود، وتكمن المفارقة في أن الأمم المتحدة لم تقبل إسرائيل إلا بثلاثة شروط: أولاً: عدم المساس بالقدس. ثانيًا: السماح للعرب بالعودة إلى ديارهم. ثالثًا: احترام الحدود التي وضعها قرار التقسيم. وإسرائيل لم تحترم هذه الشروط جميعًا. ويحكي المؤلف كيف قامت القوى الفلسطينية بمقاومة القوى الصهيونية التي تمكنت من تشتيت العرب بالطرد والترويع والمذابح. وهناك شواهد دير ياسين وكفر قاسم. وطبقًا لمصادر يهودية فالقرى التي دُمّرت تبلغ ٣٨٥ قرية من مجموع ٤٧٥ قرية كانت مرصودة عام ١٩٤٨م، وقد أقدم الصهاينة على ذلك لإثبات أن فلسطين صحراء غير مأهولة. ولكن تقارير التعداد البريطاني عام ١٩٢٢م تثبت أن العرب كانوا زهاء ٨٨٣ ألف نفس في مقابل ٧٣ ألف يهودي فقط.

الاستخدام السياسي للأسطورة

يتحدث جارودي عن قوة اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، وكيف أنهم ضغطوا عليها لقبول إسرائيل في الأمم المتحدة، وقد علّل «ترومان» ذلك بقوله: «إن هناك مئات الآلاف من الناخبين اليهود، ولا يوجد آلاف العرب بين الناخبين». ويبرز الكتاب دور «إيباك» وهي لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية التي تملك نفوذاً ضخمًا. ويعطي جارودي عدة أمثلة تدل على أن اللوبي يتخذ مواقف مؤيدة لإسرائيل حتى لو كانت ضد أمريكا، كما حدث في ٣ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٤م عندما اتخذ مجلس النواب الأمريكي قراراً بإلغاء جميع القيود على التبادل التجاري بين الدولتين، في حين أن جميع تقارير الوزارات والنقابات الأمريكية أكدت أن هذا القرار ضار جداً بأمريكا.

وينتقل جارودي بعدها إلى فرنسا، مؤكداً أن «ديجول» هو الوحيد الذي نبه على وجود لوبي مؤيد لإسرائيل، وأنه مارس دوره خصوصاً في الدوائر الإعلامية.

ويروي جارودي أن الرابطة اليهودية ومعاداة السامية قد رفعت دعوى ضده شخصيًا ومعه رئيس تحرير جريدة لوموند، بسبب نشر مقال عن العدوان الصهيوني على لبنان عام ١٩٨٢م.

أسطورة المعجزة الإسرائيلية

يطيح جارودي بآخر الأساطير وهي نجاح الدولة الإسرائيلية في تحقيق معجزة اقتصادية، وكذلك على صعيد التسلّح؛ مما ساعد على بناء أسطورة داود الصغير الذي نجح في القضاء على عدوه العملاق جالوت بمقلاع صغير، وهي كناية عن تفوق إسرائيل الصغيرة على جيرانها العرب مجتمعين. ويثبت جارودي غير ذلك، فإسرائيل استأثرت بمساعدات من الخارج لم يكن من الممكن أن تقوم لها قائمة من دونها، وأولها التعويضات التي فُرضت على ألمانيا والنمسا بعد الحرب الثانية، على الرغم من أن دولة إسرائيل لم يكن لها وجود وقت حدوث الحرب. ويروي الكتاب أن ناحوم جولدمان اعترف بابتزاز رئيس وزراء النمسا؛ مع أن النمسا نفسها كانت مُحتلّة من ألمانيا النازية.

ويؤكد جارودي أن المنظمات اليهودية في أمريكا ترسل وحدها مليار دولار سنوياً إلى جانب ٤ مليارات ترسلها الحكومة الأمريكية. بل إنه بين عامي ١٩٤٨-١٩٦٧م كان نصيب الإسرائيلي من المعونات الأمريكية ٤٣٥ دولاراً بينما نصيب العربي ٣٦ دولارًا فقط!

ويعطي المؤلف رقمًا آخر يثير الدهشة وهو أن كل إسرائيلي تلقى مساعدات تفوق مئة مرة كل المساعدات التي وصلت إلى دول العالم الثالث مجتمعة، علاوة على المعونات الفنية والتقنية والنووية، ويستشهد بالمفكر اليهودي «ليبوفيتش» حين قال: «إن إسرائيل جيش يملك دولة وليس العكس».

وفي النهاية يؤكد جارودي أنه ضد الصهيونية لا الديانة اليهودية، لكن ما يرفضه هو قراءة صهيونية للتوراة تجعل مفهوم شعب الله المختار سبباً للتوسع والعدوان والاستعمار.

المخاطر البيئية والصحية لتلوث التربة

محمد حيان الحافظ

من أهم أشكال التلوث البيئي وأخطرها في عالم اليوم: تلوث التربة؛ وذلك نتيجة للاستخدام المفرط للكيماويات في الزراعة مثل مبيدات الآفات والأسمدة الصناعية، واتباع طرائق غير سليمة بيئيًا في التخلص من النفايات الصناعية، وكذلك نتيجة لسوء إدارة المشروعات الزراعية التي تؤدي إلى تملّح التربة الزراعية.

ويعدّ التلوث العضوي والكيماوي والإشعاعي للتربة من التحديات الجسام التي تواجهها التربة؛ إلى جانب تحديات أخرى كالتصحر والجفاف والتجريف وإزالة الغابات.

أهمية التربة بالنسبة للإنسان

يُقصد بالتربة: القشرة الخارجية من سطح الأرض الصالحة للزراعة، وقد تكونت عبر سلسلة من العمليات البالغة التعقيد استمرت ملايين السنين نتيجة لفعل الحرارة والرطوبة والرياح والكائنات الحية. والتربة وسط معقّد غير متجانس، فهي تتألف من عناصر معدنية ومواد عضوية وكائنات حية، كما أنها مركز لحلقات رئيسية موجودة في الطبيعة ومهمة جدًا للنظام البيئي مثل حلقة الماء والآزوت والفوسفور والكبريت والحديد. وبذا فالتربة تعد موردًا أساسيًا للإنسان وركيزة لنهضته الحضارية، وإن أي تلوث عضوي أو كيماوي أو إشعاعي تتعرض له التربة من شأنه أن يقلل من خصوبتها وقدرتها على إنتاج الغذاء لسد احتياجات سكان المعمورة التي تتزايد بشكل مطّرد. كما أن آثار تلوث التربة تمتد إلى الإنسان عبر السلسلة الغذائية فتصيبه ببعض الأمراض ولاسيما أمراض الجهاز الهضمي.

لذا، فإن صيانة التربة وحمايتها من الملوثات بشتى أنواعها تعدّ الركيزة الأولى لنجاح أيّ خطة للتنمية الزراعية. وقد حاولت دول عديدة منذ الستينيات تسريع وتيرة التنمية الزراعية دون أن تولي صيانة التربة والحفاظ على خصوبتها اهتمامًا، ونظرًا لأنه لم يكن بمقدور هذه الدول توسيع رقعة الأراضي الزراعية، فإنها - في محاولة منها لزيادة الإنتاج الزراعي ولاسيما المحاصيل المخصصة للتصدير كالقطن والأرز والبصل والفول - لجأت إلى استخدام الدورات الزراعية وإلزام المزارعين زراعة المحصول نفسه في كل عام، وقد أدّى ذلك إلى إجهاد التربة الزراعية وتدنّي خصوبتها وقلّة محصولها وعدم جودته؛ مما سبّب انتشار الآفات الزراعية، وإتلافها لجانب كبير من الثروة الزراعية. وتتميز مشكلة تلوث التربة من غيرها بطبيعة خاصة؛ إذ إن مكافحة هذا التلوث سيستغرق وقتًا طويلاً ويكلف أموالاً كثيرة؛ ولذلك فالأفضل هو تحاشي تعريض التربة للملوثات.

مصادر تلوث التربة

يمكن تصنيف ملوثات التربة حسب منشئها أو حسب طبيعتها. فحسب منشئها يمكن أن نميز نوعين من الملوثات:

ملوثات طبيعية: وهي التي تنتج من مكونات البيئة ذاتها كالأتربة التي تُرمى في الحقول والغازات والغبار اللذين تغذيهما البراكين.

ملوثات مستحدثة: وهي التي تنتج مما استحدثه الإنسان في البيئة من تقنيات وما ابتكره من اكتشافات مثل النفايات الكيماوية والتفجيرات النووية ومواد البناء.

وأما حسب طبيعتها فيمكن تقسيمها إلى:

ملوثات حيوية: وهي الكائنات الحية التي تعيش في التربة وتشمل: البكتريا والفيروسات والفطريات والحشرات، ولكن إذا وُجدت في مكان أو زمان غير مناسبين أو بكميات غير مناسبة فإنها تؤدي إلى حدوث أمراض عند الإنسان أو الحيوان أو النبات.

ملوثات كيماوية: وتشمل المبيدات بأنواعها، والأسمدة الصناعية، والنفايات الصناعية، والمعادن الثقيلة.

ملوثات إشعاعية: وتشمل النظائر المشعة التي تُستخدم في مجالات عدة؛ كالطب والزراعة والصناعة، والمفاعلات النووية، والتجارب النووية، والنفايات النووية. وفيما يلي سنعرض بالتفصيل لأهم هذه الملوثات والآلية التي يتحقق من خلالها تلوث التربة:

الأسمدة الكيماوية

تتسم الزراعة الحديثة بالاستخدام المفرط للمخصبات الكيماوية؛ كالأسمدة الفوسفاتية والأسمدة الآزوتية؛ وذلك للتعويض من العناصر الغذائية التي تستهلكها النباتات؛ بحيث تزداد إنتاجية الأرض من المحاصيل الزراعية. وفي مقابل هذا أُهمل تسميد التربة بالمخصبات البلدية العضوية مما أدى إلى انخفاض نسبة الدبال في التربة وتدهور بنيتها. وتعد الأسمدة الكيماوية من عوامل تلوث التربة والبيئة

المحيطة بها. وعند ري الأرض الزراعية المحتوية على كميات زائدة على حاجة النباتات من المخصبات الكيماوية، فإن هذه الأسمدة تذوب في مياه الري، وبمرور الوقت تأخذ هذه الأسمدة طريقها إلى المياه الجوفية فتلوثها. وعندما تسقط الأمطار فإنها تحمل معها أيضًا ما يزيد في التربة من هذه الأسمدة. ويشارك هذه الأمطار كل من مياه الصرف الزراعية والمياه الجوفية في نقل هذه الأسمدة إلى المجاري المائية القريبة من الأراضي الزراعية؛ كالأنهار والبحيرات والمصارف، مما يلحق أضرارًا جسيمة بالكثير من الكائنات الحية التي تعيش فيها.

وهناك نوعان من الأسمدة الكيماوية كلاهما يشكل خطرًا على التربة وإنتاجيتها:

الأول: الأسمدة الفوسفاتية: وتتصف بضعف قابليتها للذوبان، لذلك فإن الإسراف في استخدامها يؤدي إلى ترسيب بعض المعادن (الفلزات) النادرة التي توجد في التربة الزراعية - والتي يحتاج إليها النبات في نموه - وتحويلها إلى مواد عديمة الذوبان في الماء. ويترتب على ذلك أن تصبح مثل هذه الفلزات المهمة بعيدة تمامًا من جذور النباتات، ولا تستطيع هذه الجذور أن تمتصها مع المحاليل الموجودة في التربة الزراعية؛ مما يؤدي في نهاية الأمر إلى تعثر نمو النبات. ومن أمثلة هذه الفلزات: النحاس.

الثاني: الأسمدة الآزوتية (النترات): ومن أمثلتها: نترات الكالسيوم ونترات الأمونيوم واليوريا. والمعروف أن ما يفيض عن حاجة النبات من النترات يذهب مع مياه الري إلى المجاري المائية والمياه الجوفية فيلوثها. كما أن كميات من النترات تتجمع في أنسجة بعض النباتات كالجزر والفجل والبنجر والكرنب والخس والبقوليات والسبانخ.

وقد يؤدي تناول هذه النباتات إلى تسمم الدم، وهي حالة خطيرة يتعذر فيها وصول الأكسجين إلى خلايا الجسم فتموت هذه الخلايا ويموت معها الإنسان. وأخيرًا، فإن النترات تتصف بدرجة عالية من السُّمِّية، وزيادتها في التربة تؤدي إلى اضطراب في وظائف النباتات مما يجعلها تعطي كميات أقل من الثمار والبذور. ولذا فإن تقييد استعمال الأسمدة الآزوتية، ومراعاة التوازن في الأسمدة الكيماوية المستخدمة لتخصيب التربة الزراعية يؤدي إلى تحسين تغذية المزروعات، حيث إنه بات معروفًا أن الإخلال بهذا التوازن ينعكس بشكل مباشر على تركيب الأغذية؛ إذ يلاحظ أن بعضها فقير جدًا من بعض العناصر الغذائية الأساسية.

مبيدات الآفات والحشائش

ازداد استخدام المبيدات في قطاع الزراعة منذ أوائل الستينيات إلى الآن وذلك لمكافحة الآفات الزراعية. وتنقسم المبيدات ثلاث مجموعات رئيسية تشمل: المبيدات الحشرية، والمبيدات الفطرية، والمبيدات العشبية. كما تشمل أيضا مبيدات القوارض ومبيدات الديدان. وتتصف بعض هذه المبيدات ببقائها وثباتها في التربة الزراعية مدة طويلة والتأثير سلبًا في خصوبتها؛ مما ينعكس على إنتاج المحاصيل الزراعية.

وقد تمتصُّ النباتات التي تُزرع في هذه التربة قدرًا من هذه المبيدات وتختزنه في أنسجتها، ثم تنتقل هذه المبيدات بعد ذلك إلى الحيوانات التي تتغذى بهذه النباتات، وتظهر في ألبانها ولحومها؛ مما يلحق ضررًا بليغًا بصحة البشر الذين يتناولون هذه المنتجات. ولقد وجدت في جميع حلقات السلسلة الغذائية بقايا ليست قليلة من مادة الـ د.د.ت ومركبات الكلور العضوية أو مركبات الفوسفور العضوية. وقد دلت التحليلات المخبرية على أن هذه البقايا تتركز في القسم المحيطي من الدرنات وفي قشرة الجزر وفي نخالة القمح وتصل إلى الإنسان؛ إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من طريق تناول اللحوم وشرب الحليب.

ويؤدي الإسراف في استخدام المبيدات الحشرية إلى الإضرار بالكائنات الحسية التي تعيش في التربة من بكتريا وفطريات وطحالب وحيوانات أولية PRO-TOZOA وديدان وحشرات، والتي هي ضرورية لخصوبة التربة، وذلك لأنها تقوم بتثبيت الآزوت وتفكيك الصخور الأم التي تتكون منها التربة، وتحرر المواد المعدنية الضرورية لتغذية النباتات على تهوية التربة، وتفكك المواد العضوية وتخلخل التربة مما يزيد من نافذيتها للماء(1).

ومن مساوئ المبيدات أيضا أنها تؤدي إلى تناقص أعداد الملقحات والنحل، ومن ثم نقص في أعداد عُقد الثمار نتيجة عدم قيام الملقحات والنحل بعمل التلقيح اللازم للأزهار لموت نسبة كبيرة منها.

الكائنات الدقيقة

إن التربة بيئة مناسبة لنمو العديد من الميكروبات والحشرات المسببة للمرض وتكاثرها، والتي تقتات المواد المتفسخة الموجودة في التربة؛ مثل براز الحيوانات وبقايا النباتات المتعفنة ومياه المجاري التي قد يتم بها ريّ المزروعات مباشرة ودون معالجة. وكذلك مياه الأنهار الملوثة التي تُطرح فيها الفضلات المنزلية والحيوانات النافقة. وعلى الرغم من أن الري بمياه المجاري قد يساعد على زيادة المردود في بادئ الأمر لتوافر المواد الآزوتية في مياه الري؛ إلا أنه بمرور الوقت يمكن أن يؤدي إلى تهدم بنية التربة وضعف نافذيتها؛ مما يتسبب في تخفيض تهوية الجذور وعرقلة تغلغل الماء في التربة، كما يؤدي إلى تملح التربة على المدى الطويل وتدني خصوبتها.

وإضافة إلى تدهور التربة، فإن الإنسان قد يصاب ببعض الأمراض من جراء هذا التلوث، ويكون ذلك بدخول الميكروبات إلى جسمه مباشرة من خلال الجروح البسيطة والعميقة، وكذلك من خلال الحروق المكشوفة. ومن هذه الأمراض الكزاز والغنغر. وقد يصاب الإنسان بالمرض نتيجة لتناوله نباتات نمت في تربة ملوثة؛ ومن ذلك الأمراض المتوطنة مثل: البلهارسيا والأنكلستوما والإسكارس التي تنتج من انتشار الديدان الطفيلية في التربة الملوثة. وقد لاحظ العلماء أن بعض أمراض الحيوان تنتقل إلى الإنسان من طريق التربة أيضًا مثل الكزاز والتسمم الوشيقي وداء البريميات.

وفي عام ١٩٥٢م أثبت الباحث مورزيكي ومساعدوه - في الظروف المختبرية - أن فيروس شلل الأطفال والبكتريدفاج الخاص بالبكتريا المعوية يستطيعان اختراق جذور نبات البسلة وساقه وأوراقه،



وأن هذه الفيروسات تظل نشطة وحية طوال عمر النبات. وهنا مكمن الخطر، حيث لا يمكن التخلص من الفيروسات التي اخترقت الخضروات. إذ إن غسلها بالماء قبل استعمالها في الأكل طازجة لا يخلصها من الفيروسات الموجودة بداخلها(٢).

المواد المشعة

تتلوث التربة بالمواد المشعة نتيجة التفجيرات الذرية، ولاسيما التفجيرات التي تجري قريبًا من سطح الأرض، من جهة، والمخلفات الذرية المشعة في المجالات المختلفة (كالمجال الطبي) من جهة أخرى. كما أن حوادث المفاعلات النووية تمثل مصدرًا آخر لتلوث التربة ومن ذلك مثلاً: حادث انفجار مفاعل تشيرنوبيل في أوكرانيا عام ١٩٨٦م. وفي هذا الشأن أكد البروفسور «جرودزنسكي» أن نحو مليوني هكتار من الأراضي الزراعية في أوكرانيا وروسيا البيضاء قد أصبحت ملوثة بالإشعاع نتيجة لتساقط السحابة المشعة مع الأمطار فوق هذه الأراضي إثر حادث المفاعل المذكور(٣).

وعن آلية تلوث التربة بالمواد والنفايات المشعة، فإن هذه المواد تذوب في التربة ويمتصها النبات في شكل أيونات مع غيرها من العناصر اللازمة له من طريق جذوره، وتتراكم في جذوعه وفروعه. أو قد يحدث تلوث مباشر للنبات بالمواد المشعة الساقطة على أوراقه وثماره كالغبار الذري؛ حيث يمتص النبات جزءاً منها ويبقى جزء عالقًا به. والتلوث الذي يصل إلى الإنسان من هذه النباتات يكون بنسبة ٢٠٪ من طريق التربة و٨٠٪ من طريق التلوث المباشر للنبات. ومما يزيد في الأضرار الناتجة من التلوث النووي أن أغلب النظائر المشعة ISOTOPES تظل تمارس نشاطها الإشعاعي مدة زمنية طويلة. ومن أمثلة هذه النظائر: السيزيوم١٣٧ والكربون١٤ والسترنوسيوم٩٠.

وقد أظهرت الدراسات أن السترنوسيوم٩٠ الناتج من التفجيرات النووية يلوث التربة ويعمل فيها عمل الكلسيوم؛ فيمتصه النبات ويتراكم فيه، ويصل إلى الإنسان والحيوان من طريق الغذاء. وفي جسم الإنسان يحتك احتكاكًا مباشرًا مع النسيج المولد للدم، وهو نسيج حساس للتأثيرات الإشعاعية ويشكل خطرًا على الإنسان وعلى الحيوانات الفقارية(٤).

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الدول النامية يوافق على دفن النفايات النووية الخاصة بالدول الصناعية في أراضيها بمقابل مالي كبير، وهذا ما حدث في نيجيريا عام ١٩٨٨م، إذ تبين للسلطات النيجيرية أن حمولة تزن ٣٨٠٠٠ طن من المواد الكيماوية والنووية قد دُفنت سرًا في ميناء كوكو. وقد خلصت دراسات وكالة حماية البيئة الأمريكية ومنظمة أصدقاء الأرض - التي قامت بالتحاليل في الأراضي النيجيرية بناء على طلب من الحكومة - إلى وجود مواد سامة مشعة في تربة المناطق المجاورة التي تم طمر النفايات النووية بها. كما دلت التحاليل على أن هذه النفايات لوثت المياه الجوفية ومياه النهر المجاور لميناء كوكو(٥).



المخلفات الصلبة

يظهر هذا النوع من التلوث بشكل واضح في الأراضي المجاورة للتجمعات السكانية والمناطق الصناعية. وتشمل المخلفات الصلبة: المخلفات المنزلية، وبقايا السيارات القديمة، وبقايا الأجهزة الكهربائية المستهلكة، والمواد والحاويات البلاستيكية، والمواد المعدنية، وغبار الإسمنت والجبس الذي يحمله الهواء إلى الأراضي الزراعية فيختلط بالتربة السطحية ويلوثها. ومما يؤسف له أن كثيرًا من الدول النامية لا تتبع طرائق سليمة تحافظ على البيئة فيما يتعلق بالتخلص من النفايات المنزلية والنفايات الصناعية، حيث يتم طرح هذه النفايات في العراء، وبمرور الزمن تتراكم هذه المواد التي تتسم بضعف القابلية للتحلل؛ فتشغل حيزًا كبيرًا من التربة وتحل محل عناصر التربة الأصلية؛ مما يؤدي إلى تدني القدرة الإنتاجية للأرض الزراعية.

المعادن الثقيلة

أثبتت الدراسات أن المعادن الثقيلة تعد من أهم ملوثات التربة. ومن هذه المعادن: الزئبق والرصاص والزنك والكادميوم والزرنيخ والتوتياء والسيلينيوم. ويتحقق التلوث من طريق الصناعة التي تقذف بنفاياتها الكيماوية السائلة في المجاري المائية التي تُستخدم مياهها في الري الزراعي، أو ترميها مباشرة على سطح التربة. كما يتحقق التلوث عبر المبيدات الفطرية المحتوية على الزئبق والتي تُستخدم في مكافحة الآفات الزراعية. وأخيرًا، فقد يتحقق التلوث من جراء مرور السيارات بجانب الأراضي الزراعية حيث إن عادم السيارات يحتوي على مركبات الرصاص.

وثمة تجربة علمية أجراها فريق من الباحثين في هذا الشأن، حيث قاموا بقياس نسبة الرصاص في الزروع المجاورة للطرق العامة، وتبين لهم أن تركيز الرصاص مرتفع في أنسجة النباتات المطلة على هذه الطرق. ووجدوا أنه كلما زادت المسافة بعداً من هذه الطرق قل تركيز الرصاص في النباتات. وهذا دليل على أن الرصاص المنطلق مع غازات العادم يترسب من الهواء في التربة وينتقل إلى

المزروعات بعد ذلك فيلوثها(٦).

وجميع الفلزات المذكورة ذات تأثير سام (ولاسيما الزئبق، وهو أكثرها انتشارًا، وأشدها سُمّيّة)، كما أنها ذات قدرة على التراكم في الأنسجة الحية.

إن هذه الفلزات موجودة في التربة ولكن بمقادير ضئيلة، كما أن بعضها لا غنى عنه ويدخل في تركيب بعض الأنزيمات؛ مثل التوتياء الذي يدخل في تركيب الأنزيم النازع للهيدروجين. إلا أن زيادة كميتها في البيئة الزراعية تجعل النباتات والحيوانات تستهلك كميات تفوق حاجتها مما يؤدي إلى تسممها؛ بل تسمم الإنسان أيضًا إذا تناول ضمن غذائه هذه النباتات أو الحيوانات. وقد حدث في اليابان أن أصيب الناس هناك بمرض عجيب يهاجم العظام ويجعل الناس عاجزين عن الحركة حتى صاروا أقزامًا، وقد حار الأطباء في معرفة سر هذا الداء؛ إلى أن تبين لهم أن وراءه سم الكادميوم الذي كان يُلقى مع مخلفات أحد المصانع في مياه أحد الأنهار وانتقل هذا السم إلى حقول الأرز الذي يتناوله اليابانيون غذاءً أساسيًا(٧).

التلوث بالتملح

تتملح التربة نتيجة لعدم اتباع أساليب مناسبة في الري والصرف. فالإسراف في ري الزراعات بشكل يزيد على حاجتها يؤدي، بمرور الوقت، إلى «الغدق» أي ملوحة التربة أو قلويتها بشكل يتطور تدريجيا إلى التصحر وجعلها غير صالحة للزراعة. ففي مصر - على سبيل المثال - تشير الأرقام إلى أن هناك إسرافًا في استخدام مياه الري، مما يقلل من عائد الإنتاج. فبينما يستهلك الفدان المروي في معظم دول العالم ٢٠٠٠٠ متر مكعب في المتوسط، فإن الرقم يرتفع في مصر إلى ٥٠٠٠٠ متر مكعب. ومعنى هذا أن حجم الفاقد للفدان الواحد يبلغ قرابة ٣٠٠٠٠ متر مكعب يمكن أن تسهم في تنامي الغطاء النباتي في مزيد من الأراضي الصحراوية، إضافة إلى الآثار السلبية لهذه الكمية الزائدة في إفساد تركيب التربة وضعف إنتاجيتها(٨).

والتربة قد تتملح أيضًا نتيجة لريها بمياه الصرف المالحة التي تصب في مجرى النهر. كما قد تتملح نتيجة لريها بمياه جوفية عالية الملوحة. ففي المناطق القريبة من البحار، يؤدي الإسراف في استخدام المياه الجوفية لأغراض الشرب أو الري إلى غزو مياه البحر للتعويض عن الماء المستهلك، وبذلك يتملح الماء الأرضي تدريجيًا ويزداد تملحه بازدياد استهلاك الماء.

ويمكن أن تتملح الآبار أيضًا إلى حد تصبح معه غير صالحة للري، وتكون كذلك سببًا في تملح التربة. ويلاحظ هذا بوضوح في المناطق الساحلية من الكويت والإمارات العربية المتحدة والعراق وليبيا. ومع تملح التربة تنخفض نفاذية التربة السطحية تدريجيًا، وتصبح التربة غدقة WATER LOGGING، ويؤدي ذلك إلى تلف جذور المحاصيل وانخفاض الإنتاج انخفاضًا كبيرًا(٩).

سبل مكافحة تلوث التربة

فيما يلي نقدم أهم التدابير الواجب اتخاذها لصيانة التربة وحمايتها من التلوث. بعض هذه التدابير وقائي، وبعضها علاجي؛ أي ينصب على سبل التخلص من التلوث بعد وقوعه:

تنويع المحاصيل في دورة زراعية متوازنة

إن تكرار زراعة محصول معين في التربة نفسها (وهو ما يسمى بالزراعة الأحادية) هو من عوامل إجهاد التربة؛ ومن ثم تقليل خصوبتها وزيادة تعرض المزروعات للآفات. وقد دلت التجارب في كثير من المناطق الجغرافية في العالم على أن الزراعة المتعددة المحاصيل التي تتوالى في دورة زراعية متوازنة تساعد في المحافظة على التربة والمياه، وفي الوقت ذاته تقلل من احتمالات التعرض للآفات الزراعية.

المكافحة الحيوية للآفات

نظرًا لما لحق بالبيئة الزراعية من تلوث نتيجة الإسراف في استخدام مبيدات الآفات ومبيدات الحشائش، فإنه يتعين تبني خطط رشيدة للمكافحة تقوم على ترشيد استخدام المبيدات الكيماوية، ومحاولة الاستفادة من الأعداء الطبيعيين للآفات ونشرهم على نطاق واسع للحد من تكاثر الآفات. ويُقصد بالمكافحة الحيوية مجموعة من الطرائق تستدعي استعمال كائنات حية موجودة في الطبيعة للتخلص من الحشرات والآفات الضارة. ومن ذلك مثلاً: تربية بعض الحشرات المتطفلة غير الضارة أو الطيور لاستخدامها سلاحًا ضد الحشرات الضارة، واستخدام الأشعة المؤينة في مكافحة الآفات الحشرية(١٠).

وتمتاز الطرائق السابقة بأنها تساعد على حماية البيئة من التلوث، وتنشط أعداء الآفات مثل «أبي قردان»، وتحقق التوازن الطبيعي بين الكائنات.

وهناك طرائق أخرى لمقاومة الآفات مثل: استخدام منظمات النمو للحشرات، واستخدام هرمونات الانسلاخ للحشرات في القضاء عليها.

وأخيرًا، تجدر الإشارة إلى أن اتجاها برز في قطاعات الزراعة في الآونة الأخيرة يحبذ استخدام



المخاطر البيئية والصحية لتلوث التربة

أبدال المبيدات؛ كالمواد المعقمة ومستخلصات النباتات السامة التي تُستخلص من النباتات البرية والحشائش المحتوية على بعض المركبات السامة للحشرات. وأقرب الأمثلة على ذلك استخلاص البيرثرم الطبيعي من النباتات، ومحاولة شركات المبيدات تصنيعه، فأنتجت البيرثريدات المصنفة التي أصبحت من أشهر المبيدات في الوقت الحاضر(١١).

تطهير التربة الزراعية من بقايا المبيدات

لقد ثبت أن الأراضي الزراعية التي تلوثت ببقايا المبيدات أصبحت مصدراً دائمًا لتلوث المواد الغذائية في جميع أنحاء العالم، وذلك لأن المبيدات تستقر في التربة وتتحلل بشكل بطيء جدًا، وتنتقل عبر السلسلة الغذائية إلى الحيوان والإنسان فتلحق أضراراً فادحة بالثروة الحيوانية وبصحة البشر. فمثلاً، على إيقاف إنتاج الـ د.د.ت في معظم دول العالم منذ أكثر من ١٠ سنوات؛ إلا أن غالبية المنتجات الزراعية مازالت تحتوي على هذا المركب أو نواتج هدمه. فهو موجود في معظم أنواع الخضر والفاكهة ولحوم الحيوانات والدواجن والبيض. كما ثبت وجود علاقة بين الإصابة بأمراض السرطان والفشل الكلوي والفشل الكبدي وكمية المبيدات الموجودة في دم الإنسان. ولذلك أوصى العلماء بضرورة تنظيف التربة من المبيدات(١٢).



وهناك عدة طرائق تُستخدم في هذا الشأن منها: نشر الكائنات الحية الدقيقة المتخصصة في تحليل بقايا المبيدات في التربة، والمعاملة البسيطة في المحاليل باستخدام المواد القلوية أو الحامضية، أو الكلورية أو الأكسجين. وقد أمكن على سبيل المثال تحطيم المبيدات الفوسفورية العضوية من طريق التحلل القلوي. وأخيراً، فإنه من الممكن غسل التربة بالمياه للتخلص من قسم كبير من المبيدات المترسبة.

التوازن في تخصيب التربة الزراعية

يجب التخلي عن فكرة أن التربة مخزن تفرغ فيها الأسمدة الكيماوية بهدف تغذية المزروعات، ويتعين الاحتياط والترشيد في استخدام أي نوع من هذه الأسمدة مع مراعاة ما يحتاج إليه النبات منها دون إسراف، كما يجب التوسع في تخصيب التربة بالأسمدة العضوية المستمدة من المخلفات النباتية والحيوانية والبشرية والنفايات المنزلية، وكذلك التوسع في التسميد الأخضر؛ مثل استخدام النباتات البقولية التي تسمد التربة من طريق جذورها المحتوية على العُقد الجذرية التي تقوم بتثبيت الآزوت الجوي.

معالجة مياه الصرف الصحي

يتعين إجراء فحص دوري لمياه الصرف الصحي، وكذلك المزروعات التي تُروى بهذه المياه وذلك لتعرُّف مدى تلوثها بفيروسات الجهاز الهضمي. وهناك عدة طرائق لتنقية مياه الصرف الصحي من الفيروسات نذكر منها:

١ـ إضافة الطمي والخرط إلى مياه الصرف ثم عمل تخمير لا هوائي لها. وميزة هذه الطريقة أنها تقتل أنواع البكتيريا والجراثيم المرضية وبيض البعوض والديدان، إذ إن درجات الحرارة العالية المتولدة في أثناء عملية التخمر تضمن الإضعاف والموت السريع لعدد من أنواع البكتريا المرضية والفيروسات المعوية.

٢ـ وضع سائل الصرف الصحي في برك الأكسدة الطبيعية، ومنها يتم تجميع المياه العادمة وتعريضها لأشعة الشمس والأكسجين الجوي اللذين يقومان بتنشيط البكتيريا الهوائية بهدف تحليل المواد العضوية(١٣).

الخلاصة

تتمتع التربة بنظام حركي (ديناميكي) متزن يجعلها صالحة لنمو الغطاء النباتي وزراعة المحاصيل بأنواعها. ولكن العمليات التي يقوم بها الإنسان داخل هذا النظام من ري وصرف وتسميد ورش للمبيدات ودفن للنفايات قد تؤدي إلى تلوث التربة بشكل ينال من خصوبتها؛ فتقل إنتاجيتها أو تنتج محاصيل متدنية في قيمتها الغذائية أو ملوثة عضويًا أو كيماويًا على نحو يضر بصحة الإنسان. ولذا، فإنه من الضروري مكافحة هذا التلوث وهي عملية تبدأ بالتوعية البيئية بأهمية المحافظة على خصوبة التربة وتوازنها، وتنتهي بسن التشريعات الرادعة التي تجرِّم الاعتداء على التربة. وبين هاتين الخطوتين يتعين صيانة التربة بشكل دوري وتحسين بنيتها بالأسمدة العضوية وتطهيرها من الملوثات الكيماوية والبيولوجية والإشعاعية.

ومن المهم أن نؤكد أنه لكي تنجح التدابير المتعلقة بمكافحة تلوث التربة يجب أن تتم في إطار خطة شاملة لحماية البيئة من الملوثات كافة. فلابد من مكافحة تلوث الهواء وتلوث الماء. فالهواء الملوث بأكسيد النتروجين والكبريت، على سبيل المثال، يؤدي إلى تكوين المطر الحمضي الذي يتسبب بدوره في تلوث المسطحات المائية والتربة. ومياه الأنهار الملوثة تنقل الملوثات إلى البخار وإلى الأراضي الزراعية.

المراجع:

١ـ محمد العودات، التلوث وحماية البيئة، دار الأهالي للطبع والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٨٨م.

٢ـ حامد حسن طنطاوي وآخرون، حماية البيئة من التلوث بالفيروسات، دار الراتب الجامعية، بيروت، د.ت.

٣ـ يسري دعبس، تلوث البر وأنواعه، دار الندوة، القاهرة ١٩٩٥م.

٤ـ محمود أحمد حميد، أهم المشكلات البيئية في العالم المعاصر، دار المعرفة، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٥ـ نوري بن طاهر الطيب وبشير بن محمود جرار، تلوث المياه (المشكلة والأبعاد)، كتاب الرياض، العدد العشرون، أغسطس ١٩٩٥م.

٦ـ محمد عبدالقادر الفقي، البيئة: مشكلاتها وقضاياها وحمايتها من التلوث، دار ابن سينا، القاهرة ١٩٩٣م.

٧ـ محمد شوقي رسلان، تلوث التربة وتأثيره على البيئة وصحة الإنسان، القافلة، العدد الثالث، المجلد الثالث والأربعون، أغسطس ـ سبتمبر ١٩٩٤م.

٨ـ زين الدين عبدالمقصود، مشكلة التصحر في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، المجلد الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٨٤م.

٩ـ إبراهيم نحال، التصحر في الوطن العربي، معهد الإنماء العربي ـ بيروت، ١٩٨٧م.

١٠ـ يُقصد بذلك استخدام الإشعاع في تعقيم ذكور الحشرات معمليًا وإطلاقها بعد ذلك في المناطق الموبوءة. فعندما تتزاوج مع الإناث لا يحدث إخصاب ومن ثم ينخفض التعداد.

١١ـ أحمد عبدالوهاب عبدالجواد، تلوث التربة الزراعية، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١٢ـ المصدر السابق.

١٣ـ زيدان هندي عبدالحميد ومحمد إبراهيم عبدالمجيد، الملوثات الكيماوية والبيئية، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٦م.



المجنون!!

د. طه وادي

- يا عم علي.. أليست هذه لوحتك؟

انتزع علي أبو الذهب الجريدة من يد سمير.. لمعت عيناه.. علا صوت أنفاسه.

- نعم.. صنعتها بيدي، رأيتها بنفسك من قبل.. اقرأ.. اقرأ ما كتبوه عني يا سمير..

نظر الصبي في دهشة إلى جاره العجوز.. أشفق عليه. الحقيقة مرة. تَحَيَّر.. ظل صامتًا..!

- فرحتك من أجلي جعلتك صامتًا يا بنيّ.

علي أبو الذهب أعظم صانع حُصُر في القرية. بالخبرة صار فنانًا. الحصيرة الملونة من يده سجادة عجمية.. هواية أخرى مارسها بعد أن أمسى لا يقوى على شد المضرب الخشبي.. لوحات من أعواد القمح الجافة على قماش ملون.

- لوحتك كسبت الجائزة الأولى في معرض الفنون.
- أخيرًا اعترفوا بأن الفلاح فنان.

يتدلّى من سقف الدكان أكثر من صفيحة. منظر الحمام بديع، وهو ينتقل من عش لآخر.

- تصور يا عم علي.. الجائزة ألف.. ألف جنيه!!
- رزق الأولاد يا سمير.

نظر إلى الصبيّ بفرحة طفل، وهو يمسح شاربه المتهدل.

- لن أنساك.. أنت الملهم.

على باب الدكان كلب، يحمل في فمه رغيفًا.. بطة تسير في دلال.

قال أبو الذهب مرحًا: أكلك منين يا بطة؟

الكلب يلتهم الرغيف، وينظر إلى البطة في اشتهاء.

- منظر عظيم.. اشتريته لك من البندر.. تمثال نهضة مصر.. للفنان مختار.
- أحس أن شيئًا ينقصه.
- ما هو؟
- اترك الصورة وسوف ترى.

دكان أبو الذهب عالم غريب.. بابه مفتوح في الليل والنهار. كل بيت فيه تحفة من يد أبو الذهب.. أصدقاؤه من كل شكل مثل ألوان الحصيرة. أبو الذهب الحصري يتسع قلبه للجميع: الحزين.. الفرحان.. لا يترك فرضًا من فروض الله. إذا داخلته السعادة دندن بصوت نشاز:

روّق القناني روّق
عين برق الخزام واسقيني يا عيني
وإن جاني محبوب الليلة
لا عملُّه ع القصة جنينه.. يا عيني

سمير جار أبو الذهب.. تلميذ في الثانوية.. شاب مثقف. ليس مثل أولاد اليوم، الثقافة جعلت منه رجلاً قبل الأوان.

- فاكر يا سمير.. كيف عملت هذه اللوحة؟!
- هيه!!
- على قماشة سوداء، صورت بأعواد القمح تمثال نهضة مصر، ثم وضعت شمعة في رأس أبي الهول ونخلة في رأس الفلاحة..

نظر إليه الشاب في صمت حزين.

- الفن إحساس.. هذا ما صورته.
- أمرك غريب يا عم علي.

ستون عامًا لم يتجاوز حدود مركز المنصورة إلا مرة واحدة لزيارة أقارب له. حين نزل القاهرة أول مرة. حصوة ملح ذابت في الزحام والضجيج. أحس بالخوف، كل واحد يسير في حاله، حتى السلام ما قالوه.. ماذا حدث لأولاد الناس؟ سخط على اليوم الذي رأى فيه الأستاذ إبراهيم، الذي اشترى منه اللوحة بعشرة جنيهات كاملة يوم زار القرية مع قريب العمدة. طلعت روحه من أتوبيس إلى ترامواي حتى وصل إلى مصر الجديدة.. نادي الشمس. الوحيد الذي يلبس جلبابًا بين الداخلين والخارجين أوقفه البواب:

- إلى أين؟
- المعرض.
- أنت عضو في النادي؟
- لا.
- ادفع عشرة قروش.. رسم دخول.
- كل شيء أصبح بالفلوس يا عالم.

وصل إلى صالة العرض.. صاح بفرحة:

- تعالوا يا ناس.. أنا الذي صنعت هذه اللوحة.

كانت لوحته كما صنعها بيده، لكن وُضع لها إطار حوله لمبات صغيرة ملونة تضيء وتطفأ وحدها، فتهب اللوحة سحرًا خاصًا. تجمّع حوله بعض



الحـاضـرين. شـاب ذو شعـر كثيف ونظارة سوداء قال له بغلظة:

ـ مكتـوب تحت اللوحـة.. صنع الفنان الكبيـر الأسـتاذ إبراهيـم الجـاهز، ومـرشـحـة للعرض في الخارج بعد أن فاز صاحبها بالجائزة التقـديرية في الفنون.

ـ مـسـتـحـيل.. كـذب.. غش.. أنا..

ـ أنت جاهل.. أو مجنون.

جـاء مـدير النادي.. قـال له في رقة:

ـ صاحب هذه اللوحـة فنان معـروف.. والوزير نفسـه هنأه على هذه اللوحـة عندمـا افتتح المعرض.

ـ لكن.. أنا.. أنا يا ناس؟

أخـذه مـدير النادي من يده إلى ناحية أخرى في الصالة:

ـ انظر يا حـاج.. صـاحب هذه الصـورة هو الفنان الكبيـر صـاحب اللوحـة الـفـائزة. لو سمـحت هذا نادٍ محـتـرم.. وأنت..

ـ أنا.. يا بيه؟

ـ أنت رجـل كـبـيـر لا تضطرني إلى عمل غير لائق.

أحس برغبـة عنيـدة في أن يثبت أنه موجود.. أنه فنان.

لأول مرة يغلق الـدكان على نفسـه.. حتى سمـيـر صـار لا يسـتطيع أن يصـل إليـه. أخـذ يصنع لوحـة جـديدة.. من قش القـمح الذي لا يـأكله. كـانت الخلفيـة قطعـة قمـاش من كل الألوان. تخـيل صورة غـريبـة للإنسـان ينفـذها. الوجـه وجـه إنسـان في رأسـه شعـلة تنتـهي بميزان: في الكفـة اليـمنى قلب واليسـرى ريشة بيضـاء، الصدر صـدر مـهـرة. القـوام العلوي جسـد رجل قويّ.. الـرجلان.. اليسرى رجل أسد أمامها برسيم أخـضـر، واليـمنى رجل ثور أمامها دم أحمر.

وقف سـمير مـشدوها أمـام اللوحة.

ـ لوحة غريبة يا عم عليّ.

ـ حـتى يعـرفـوا أنـي فنان حقيقيّ يا ولد.

دخل على مـدير الـنادي.. العرق يتصبب مـن جبينه.. وقد تاه وسـط جلبـابه الصـوفيّ الواسع.

ـ هل صدقت يا سعادة البيه؟

نظر إليه الرجل في هدوء من خلف المكتـب عـبـر نـظارة سميكة مذهبة الإطار.

ـ هل يمكـن أن أدخل بهـذه اللوحة إلى المسابقة؟

ـ فات الموعد.

ـ ولا حـتى أعـرضـهـا للجمهور.

ـ مستحيل.

ـ لمَ؟

ـ أنت عضو في النقابة؟

ـ لا.

ـ هل اشتركت في معرض من قبل؟

ـ لا.

ـ معك شـهادة تثبت أنك فنان؟

ـ لا.

ـ بكـل أسف لا أسـتطيع مساعدتك.

نظر إليه المدير في شفقة وهو يرتشـف القـهـوة في هدوء.. واستطرد:

ـ على كل.. اكتب عنوانك ورقم تليفـونـك.. وقـد نتـصل بك.

ـ أنا أمّي يا أستاذ.

ـ إذن لم أتعبت قلبي؟

أمسك اللوحة وكسّرها عليه قطعة قطعـة.. لم يكن يفكر في شيء.. سوى أن يشـفي غليله. احتشد بعض الناس والعمال.. حـاولوا فض المعـركـة. أسلم العـجـوز ساقيـه للريح.. أخذ يجـري.. يجـري.. يبحث عن مكان بـه ظل. بعض عـمـال النادي يجرون خلفه صائحين:

ـ أمـسـكـوا المجنون....

أمسكوا المجنون....





إعداد:
عبد الحميد حسانين حسن



الإحرام:

الإحرام في اللغة: الدخول في الحرمة، وفي الاصطلاح: الإحرام بالحج: نية الحج عند الجمهور، والنية مع التلبية. والإحرام ركن من أركان الحج عند الجمهور، وشرط من شروط صحته عند الحنفية، والإحرام أنواعه ثلاثة: القِران، والتمتع، والإفراد.

اضطباع:

اضطبع الرجل: أبدى أحد ضبْعَيه. والمُحْرِم بثوبه: أدخل الرداء منه تحت إبطه الأيمن وردَّ طرفه على يساره وأبدى منكبه الأيمن وغطى الأيسر.

والاضطباع في الطواف: أن يجعل وسط الرداء تحت كتفه اليمنى ويرد طرفيه على كتفه اليسرى وتبقى كتفه اليمنى مكشوفة. والاضطباع في طواف القدوم مستحب حيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم طاف مضطبعًا. وهو يبدأ مع الدخول في الطواف أو قبيل الشروع في الطواف، وإذا فرغ من الطواف سوى رداءه وستر كتفيه قبل أن يصلي ركعتي الطواف.

الإفراد:

هو نوع من أنواع الإحرام الثلاثة، وذكر صاحب محيط المحيط أن الإفراد عند النحاه خلاف التثنية والجمع، والإفراد اصطلاحًا يعني أن يحرم من يريد الحج من الميقات بالحج وحده، ويقول في التلبية: لبيك بحج، ويبقى محرمًا حتى يوم النحر، فله أن يعتمر بعد إن شاء.

ب

البَدَنَة:

البدنة: ما يساق من إبل وبقر في حج القِران ويُهدَى إلى البيت ويُنحر بمكة ومنى، وسميت بَدَنَةً لسمنها وعظمها. والبدنة اسم تختص به الإبل؛ إلا أن البقرة لما صارت في الشريعة في حكم البدنة قامت مقامها وذلك لقول جابر بن عبدالله رضي الله عنه: «نحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة». فصارت البقرة في حكم البُدْن.



التَحْصيب:

المحصَّب في اللغة: موضع رمي الجمار في منى، وأرض محصبة كثيرة الحصباء، واصطلاحًا هو النزول بوادي المحصب، أو الأبطح في النفر من منى إلى مكة عند انتهاء المناسك. والتحصيب مستحب عند الجمهور، وسنة عند الحنفية، وهو أن ينزل الحاج فيه في نفره من منى ويصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

وفي الحديث عن عائشة قالت: «إنما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم المحصب ليكون أسمح لخروجه، وليس بِسُنَّة، فمن شاء نزله، ومن شاء لم ينزله». وقد سمي مُحصَّبًا لكثرة الحصباء فيه، وهي الحصى الصغيرة.

التحلل:

التحلل: هو الخروج من الإحرام بانتهاء محظوراته، والتحلل نوعان: أصغر وأكبر، أما الأصغر في الحج فيتم يوم النحر برمي جمرة العقبة وحلق الشعر أو تقصيره، فإذا رمى وحلق أو قصر حلَّ له الطيب ولبس الثياب وغير ذلك إلا النساء.

والتحلل الأكبر يتم بانتهائه من طواف الإفاضة، وعند ذلك يحل له كل ما كان محرّمًا عليه بسبب الإحرام حتى النساء.

التمتع:

التمتع في اللغة: الجمع بين الحج والعمرة بإحرامين، وشرعًا: الجمع بين أفعال الحج والعمرة في أشهر الحج في سنة واحدة بإحرامين بتقديم أفعال العمرة من غير أن يلمَّ بأهله إلمامًا صحيحًا.

والتمتع نوع من أنواع الإحرام الثلاثة وهو أن يهل بالعمرة فقط في أشهر الحج،

ويأتي مكة فيؤدي مناسك العمرة، ويتحلل فيلبس ثيابه، ويمكث بمكة حلالاً، ثم يحرم بالحج ويأتي بأعماله، ويجب أن ينحر هديًا بالإجماع.



الثج:

في اللغة: ثج الماء، أي سال، ودمَ الهَدْي أساله، أما المعنى الشرعي فهو إسالة دماء الهدي، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الحج أفضل؟ قال: «العَجُّ والثجّ». وإسالة دماء الهدي (الثج) تؤكد تقوى الحاج، هذه التقوى هي التي تصل إلى الله سبحانه وتعالى دون اللحوم والدماء، وقد قال تعالى: *لن ينالَ اللَّهَ لُحُومُها ولا دماؤُها ولكن ينالُه التَّقوى منكُم*. **الحج**:٣٧.



الجُحفَة:

موضع على الطريق بين المدينة ومكة، وكان اسمها مهيعة فأجحف السيل بأهلها فسُمِّيت جحفة، وبما أنه لم يبقَ بها الآن إلا رسوم خفية لا يكاد يعرفها إلا سكان البوادي؛ لذا اختار الناس الإحرام احتياطًا من المكان المسمى برابغ، وهي قبل الجحفة على يسار الذاهب إلى مكة، وهي ميقات أهل الشام والمغرب ومن مرّ بها من غير أهلها. وتبعد عن مكة نحو ١٨٧ كيلاً.

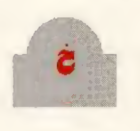
الجمرات:

الجمار هي الحجارة الصغيرة، ورمي الجمار من أعمال الحج، والجمرات التي تُرمَى ثلاث، كلها بمنى وهي: جمرة العقبة على يسار الداخل إلى منى، والوسطى بعدها، والصغرى وهي التي تلي مسجد الخيف. والمقصود من رمي الجمار الانقياد للأمر من غير حظ للنفس والعقل في ذلك، ويُقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام، واتباع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي قال: «خذوا عني مناسككم».



الحج:

الحج لغةً: القصد، حج إلينا فلان أي قدم، أما الحج اصطلاحًا فهو: قصد موضع مخصوص (وهو البيت الحرام وعرفة) في وقت مخصوص (وهو أشهر الحج) للقيام بأعمال مخصوصة وهي الوقوف بعرفة، والطواف، والسعي عند جمهور العلماء بشرائط مخصوصة. والحج فرض عين على كل مكلف مستطيع في العمر مرة واحدة، وهو ركن من أركان الإسلام. وقد اختُلف في تاريخ فرض الحج في الإسلام فقيل: فرض سنة ست، وقيل سنة سبع، وقيل سنة ثمان، وسنة تسع، وسنة عشر، والأرجح أنه سنة عشر حيث حج الرسول صلى الله عليه وسلم المرة الوحيدة.



الخيف:

هو موضع بمنى في سفح جبلها الذي يقع على يمين الذاهب إلى عرفة، وقد نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم التروية، وصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وفجر يوم التاسع من ذي الحجة. وقد أقيم بمنى مسجد الخَيْف.



ذات عرق:

هي مكان بالبادية قرب عقيق الطائف، وهو ميقات أهل العراق ومن وراءهم من المشرق، وهو الحد الفاصل بين تهامة ونجد. وذات عرق على بعد ليلتين من مكة، وسميت بذلك لعرق فيها؛ أي جبل صغير أو أرض سبخة تنبت الطرفا، وتبعد عن مكة نحو ٧٠ كيلاً.

وذات عرق مندثرة اليوم، ويحرم الحجاج الذين كانوا يأتون في السابق على الإبل من نجد والعراق من الضريبة التي يقال لها اليوم الخريبات، وهي بين قرية المضيق وعقيق الطائف، أما اليوم فإن حجاج المشرق يأتون بسياراتهم ويمرون على ميقات ذي الحليفة أو السيل فيحرمون من أحدهما.

ذو الحليفة:

قرية صغيرة تبعد عن المدينة ١١ كيلاً، وعن مكة ٤٥٠ كيلاً، وهي ميقات أهل المدينة ومن مر بها، وهي أبعد المواقيت عن مكة، وتسمى وادي العقيق، ومسجدها يسمى مسجد الشجرة، وفيها بئر تعرف الآن بأبيار علي.



رابغ:

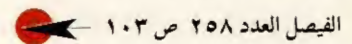
ميقات أهل الشام وتركيا ومن يقدمون للحج من شمالي الحجاز. وبعد أن كانت الجحفة ميقاتهم، صارت رابغ بدل الجحفة، لأن الجحفة أصبحت غير معروفة لديهم، وتسبق رابغ الجحفة، وهي مدينة صغيرة تبعد عن مكة نحو ٢٠٠ كيلومتر.

الرَّفث:

الرفث في اللغة: الجماع وغيره مما يكون بين الرجل والمرأة في حالة الجماع، هكذا ذكر الأزهري في تهذيب اللغة. وذكر الجوهري في الصحاح أن الرفث: الفحش من القول وكلام النساء في الجماع. وكل ما فُسِّر به الرفث ينبغي للمحرم أن يجتنبه إلا أنه في الجماع أظهر، وقد قال الله تعالى: *فلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَالَ في الحجِّ*. **البقرة**:١٩٧.

الرَّمَلُ:

الرمل في اللغة بمعنى الهرولة، أما الرمل في الطواف والسعي فهو فوق المشي ودون العدو مع هز الكتفين. والرمل سنَّة ثابتة في الطواف الأول، وهو الطواف الذي يأتي به المسلم أول ما يقدم مكة سواء كان معتمرًا



أو متمتعًا أو محرمًا بالحج وحده أو قارنًا بينه وبين العمرة. فقد رَمَل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في حجة الوداع في ثلاثة الأشواط الأولى بكمالها؛ يرمل من الحجر إلى أن يعود إليه لا يمشي في شيء منها. والرمل خاص بالرجال دون النساء.



السعي بين الصفا والمروة:

المراد بالسعي بين الصفا والمروة قطع المسافة بينهما سبع مرات، بعد أن يكون قد طاف بالبيت. وحكم السعي: ذهب الحنفية إلى أن السعي واجب في الحج وليس بركن، وهو مذهب البصري وسفيان الثوري، أما المذاهب الثلاثة الأخرى فذهبت إلى أن السعي ركن من أركان الحج لا يصح من دونه، وهو قول عائشة وعروة والزبير.



الشعيرة والشعائر:

ذكر صاحب محيط المحيط أن: شعار الحج مناسكه وعلاماته، وشعارة الحج شعيرته وجمعه شعائر. وهي في الاصطلاح أعمال الحج. والمشاعر مواضع النسك، وقيل: الشعيرة ما ندب الشرع إليها وأمرنا بالقيام بها. قال تعالى: *ومَن يُعَظِّمْ شَعائرَ الله فإنَّها من تَقوى القلوب*. **الحج**:٣٢.

والشعيرة: البَدَنَة ونحوها مما يُهدى لبيت الله. قال تعالى: *يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تُحلُّوا شعائرَ الله*. **المائدة**:٢.

الشوط:

الشوط في اللغة: الجري مرة إلى غاية، والأصل فيه مسافة في الأرض يعدوها الفَرَس، والشوط في الطواف: الدوران حول الكعبة جاعلاً الكعبة على اليسار ابتداء من الحجر الأسود وانتهاء إليه، والطواف سبعة أشواط. والشوط في السعي: قطع المسافة ابتداء من الصفا وانتهاء بالمروة، والسعي سبعة أشواط أيضًا.



الصفا:

المراد بالصفا والمروة: الجبلان الصغيران اللذان على مقربة من البيت العتيق؛ فالصفا جبل صغير مطل على الحرم في جهته الجنوبية، والمروة جبل صغير يطل على الحرم من جهة الشمال الشرقي من المسجد، والمسافة التي بين الصفا والمروة نحو ٤٠٠ متر.

والصفا أحد جبلي المسعى. وهما الصفا والمروة، ومفرد الصفا: صفاة. والصفا: الحجارة الملساء، والمروة: الحجر الأبيض الذي تُقتدح منه النار. قال الله تعالى: *إنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ من شَعائر الله فَمَنْ حَجَّ البيت أو اعتَمَر فلا جُنَاحَ عليه أن يَطَّوَّفَ بهمَا ومَنْ تطوَّع خَيْرًا فإنَّ الله شاكرٌ عليمٌ*. **البقرة**:١٥٨.



طواف الإفاضة (الزيارة):

يؤديه الحاج بعد أن يفيض من عرفة ويبيت بالمزدلفة، ويأتي منى يوم العيد، فيرمي وينحر ويحلق، ثم بعد ذلك يفيض إلى مكة فيطوف بالبيت. ويسمى طواف الإفاضة؛ لأن الحاج يفعله عند إفاضته من منى إلى مكة، ويسمى أيضًا طواف الزيارة؛ لأن الحاج يأتي من منى فيزور البيت ولا يقيم بمكة، بل يرجع ليبيت بمنى. وهو ركن من أركان الحج، وقد ثبت فرضية طواف الزيارة بالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فيقول: *وَلْيَطَّوَّفوا بالبيت العتيق*. **الحج**:٢٩، وأما السنة فقد حجت أم المؤمنين صفيةُ بنتُ حُيَيّ فحاضت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحابستنا هي؟» قالوا: إنها قد أفاضت، قال: «فلا إذن». فدل الحديث على أن طواف الإفاضة فرض لابد منه.

طواف القدوم:

ويسمى أيضًا طواف التحية، لأنه تحية البيت، وتحية الدخول لأن دخول المسجد الحرام يقتضي التحية، وتحيته الطواف، ويسقط طواف القدوم عمن يلي:

أ- المكي ومن في حكمه.

ب - المعتمر والمتمتع.

ج - من قصد عرفة رأسًا للوقوف يسقط عنه طواف القدوم.

طواف الوداع:

وهو واجب من واجبات الحج، فإذا أراد الحاج السفر من مكة يجب عليه عند الجمهور أن يطوف بالبيت طواف الوداع، وبهذا يكون الطواف آخر العهد بالبيت، ولا رمل في هذا الطواف ولا اضطباع.



العج:

وهو رفع الصوت بالتلبية: لبيك اللهم لبيك، وهو مستحب للرجال، عملاً بحديث السائل: أي الحج أفضل؟ قال صلى الله عليه وسلم: «العج والثج»، كما أن من معاني رفع الصوت بالتلبية: الإهلال.



الفدية:

هو البدل الذي يقدمه المكلف ليتخلص من مكروه أو محظور وقع منه. والفدية تختلف باختلاف سببها؛ فأحيانًا تكون لارتكاب محظور من محظورات الإحرام، وأحيانًا تكون لترك واجب من واجبات الحج أو العمرة، وأحيانًا تكون جزاء الصيد، وأحيانًا تكون فدية للإحصار.



القِران:

في اللغة :قَرَنَ الشيء بالشيء شَدَّه به، وفي الاصطلاح: القــــران: هو أن يهل بالعمرة والحج جميعًا، فيأتي بهما في نسك واحد، وسُمي القِران بذلك لما فيه من القرن والجمع بين الحج والعمرة بإحرام واحـد. ويعني القِران أن يحرم من عند الميقات بالحج والعمرة ويقول: «لبيك حج وعمرة»، وهذا يقتضي بقاء المحرم على صفة الإحرام إلى أن يفرغ من أعمال العمرة والحج جميعًا.

قَرْنُ المنازل:

هو ميقات أهل نجد، ويعرف الآن بالسيل الكبير، ويسمى قرن المنازل: قرن الثعالب، وهو على مسافة ٧٠ كيلاً من مكة.



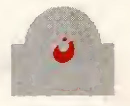
لبس النقاب والقفازين:

النقاب ما يستر الوجه كالبرقع، والقفازان ما تدخل فيه اليدان من خرق، وقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ولا تنتقب المرأة ولا تلبس القفازين». فالمحرمة منهية عن لبس القفازين والانتقاب ولبس البرقع. وقد ذكر سماحة الشيخ ابن باز أن المرأة تكشف وجهها إلا إذا مرَّ بها أجانب أو كانت في جمع فيه أجانب.



المزدلفة:

موضع بين منى وعرفات، وحدُّها من مأزمي عرفات إلى وادي مُحَسِّر الواقع بين مزدلفة ومنى. وقد سميت مزدلفة من الزلف وهو التقرب. قيل: لأن الحجيج إذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا إليها: أي تقربوا ومضوا إليها، وقيل: لأن الناس يجتمعون فيها ويزدلفون إلى الله؛ أي يتقربون إليه بالوقوف بها فسميت مزدلفة.



النَّفْر:

النَّفْر من نَفَر، والفعل لغةً بمعنى خرج للأمر وذهب فيه، فالحجاج قد خرجوا من عرفات ذاهبين إلى منى، والنفر اصطلاحًا: خروج الحاج متعجلاً في يومين أو متأخرًا إلى يوم التشريق الثالث، ويقولون: الحجاج قد نفروا عندما يخرجون من عرفات إلى مزدلفة بعد مغرب اليوم التاسع من ذي الحجة.

والنفــــر يومــــان: الأول هو ثاني أيام التشريق يوم الثاني عشر من ذي الحجة، وهو يوم مغادرة الحجاج منى إلى مكة لإتمامهم كل نسك الحج، وأما يوم النفر الثاني فهو ثالث أيام التشريق حيث يبقى من يريدون التأخر عن المتعجلين إلى اليوم الثالث.

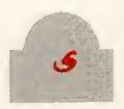


وادي مُحَسِّر:

هو مـــوضع بين المزدلفـــة ومنى، وهو مستثنى من الوقوف بالمزدلفة، فالمزدلفة كلها مكان للوقوف إلى وادي مُحَسِّر، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل مزدلفة موقف، وارفعوا عن مُحَسِّر». وقد أسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُحَسِّر عند إفاضته من مزدلفة إلى منى.

الوقوف بعرفة:

المراد من الوقوف بعرفة وجود الحاج في أرض عـــرفـــة، بالشـروط والأحكام المقررة. والوقوف بعرفة ركن أساسي من أركان الحج والدليل في قوله تعالى: ثم *أفيضوا من حيث أفاض الناس*. **البقرة**:١٩٩. والدليل من السنة ما أخرجه أبو داود والحاكم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة». ويرى جمهور العلماء أن وقت الوقوف يبتدئ من زوال اليوم التاسع إلى طلوع فجر يوم العاشر.



يَلَمْلَم:

هي ميقات أهل اليمن ومن كانوا على طريقه برًا من أهل عسير وجنوب الحجاز، ويقع في الجنوب من مكة وبينها وبين يلملم نحو ٧٠ كيلاً، ويسمى الآن السعدية على طريق الساحل في الحجاز.

يوم النحر:

هو اليوم العاشر من ذي الحجة، وهو يوم الأضحى ويوم الحج الأكبر ويوم العيد، وفيه يسن أن يدفع الحاج من مزدلفة إلى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس، ليؤدي أعمال النحر، وهو أكثر أيام الحج عملاً، وأعمال هذا اليوم هي:

أ ـ رمي جمرة العقبة.
ب ـ نحرُ الهدي.
ج ـ الحلقُ أو التقصيرُ.
د ـ طواف الزيارة (الإفاضة).
هـ ـ السعي بين الصفا والمروة.
و ـ التحلل الأصغر.

المراجع والمصادر:

١ـ الحج، د. عبدالله بن محمد أحمد الطيار، الرياض، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٢ـ الحج ومناسكه، السيد سابق، القاهرة، دار المعارف، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
٣ـ صحيح البخاري، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
٤ـ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.
٥ـ قاموس الحج والعمرة من حجة النبي، أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

قصيدة

الضيف في طهرين

شعر: السيد الصديق حافظ

الجودُ مضمارٌ، وخيلك تَسْبقُ! ... كرمٌ كريمٌ ليسَ فيه تملُّقُ!

في كلِّ يومٍ للمكارمِ موعِدٌ ... ومَفاخِرٌ يُزْهَى بهنَّ ويُوثَقُ!

هذي الجفانُ وتلكَ ساحةُ «حاتمٍ» ... بالضَّيفِ عامرةٌ تموجُ وتَفْهقُ!

وجهُ الكريمِ لَهُ رُوَاءٌ مُبْهِجٌ ... وحديثُه عَذْبُ المواردِ شَيِّقُ!

سَمْحُ الخَليقةِ باسمٌ متهلِّلٌ ... يَلْقَى الضُّيوفَ ووجهُهُ يَتألَّقُ!

وَعَلى وجُوهِ المُسْكينَ كآبَةٌ ... تُوشِي بِهِمْ وصُدُورُهُمْ تَتَمزَّقُ

مَنْ يُوقَ شُحَّ النَّفْسِ عاشَ مُكرَّمًا ... ويبوءُ بالخِزْيِ البَخيلُ ويَنْفُقُ!

إنَّا نَزَلْنا في رِحَابِكَ ساعةً ... قَلْبُ الزَّمانِ لمِثْلِهَا يَتَشوَّقُ!

فِي ظِلِّ دانيةِ القُطوفِ رَحيبةٍ ... الرَّوْحُ والرَّيْحَانُ فيها يَعْبَقُ!

يحْنُو النَّخيلُ عَلَى الضُّيوفِ مُرَحِّبًا ... ويكادُ يرْقُصُ دوْحُها ويُصَفِّقُ!

دارُ الكَريمِ كريمةٌ أرْجَاؤهَا ... شمَّاءُ يَعْلُوها الجلالُ ويَسْمُقُ!

عِطْرِيّةُ النفحاتِ طيبةُ القِرَى ... حسناءُ تفرحُ بالضُّيوفِ وتَرْفُقُ!

دارٌ بِمَسْبَحِها القلوبُ تَواثَبَتْ ... ولَهَا بِمَسْجِدِها هَوًى وتَعَلُّقُ!

الضيفُ في طُهْرَيْنِ ؛ ساحةِ مَسْجِدٍ ... أو مَسْبَحٍ وهُمَا بِضَيْفِكَ أخْلَقُ!

إني بِدارِكَ سابحٌ ومُسَبِّحٌ ... نَفْسِي تَصِحُّ بِها وجِسْمِي المُرْهَقُ!

يا مَسْبحًا فَتَنَ القُلوبَ! مياهُهُ ... كاللاّزَوَرْدِ غزيرةٌ تَتَدَفَّقُ!

هل تغسلُ الأمْواجُ كِبْرَ مُكَابِرٍ ... وتُذيبُ أدْرَانَ الغُرورِ وتَمْحَقُ؟!

جاؤوا إلَيْكَ نفُوسُهم تَوَّاقةٌ ... ظَمْأى إلى صَافِي النَّميرِ تَشَوَّقُ!

خلَعُوا لديْكَ - عَدَا الحياءِ - ثِيَابَهُمْ ... وبلُجِّكَ انتَزَعُوا العَنَاءَ وأغْرَقُوا!

حتى إذا طَعِمُوا وتَمَّ نَديُّهم ... صَعَدُوا إلى أُفقِ البَيانِ وحَلّقُوا!

وشَدَا بِشِعْرِيَ صادِحٌ مُتَرَنِّمٌ ... تَمَّتْ لَهُ الحُسْنَى وصَحَّ المَنطِقُ!

فلتَبْقَ دارُ الجُودِ شامِخَةَ الذُّرَا ... طولَ الزَّمانِ جَديدُهَا لا يَخْلَقُ!

الليل في وجدان الشعراء

د. نوره الشملان

الليل هو سمير الشعراء، ففي الليل يفرغون لأنفسهم ويطلقون لخيالهم العنان. ومنهم من تتكالب عليه الهموم، ومع تكالبها يطول الليل وتطول معه المعاناة. ولعل ليل امرئ القيس يعد نموذجًا لهذا الليل الطويل المتعب، وقد عبّر شاعرنا عن ذلك بهذه الصورة:

وليلٍ كموج البحرِ أرخى سدوله
عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

وهو بيت مشهور من معلقته. والعشاق هم أكثر الناس حديثًا عن طول الليل، إلا أن العباس بن الأحنف، وهو أحدهم، يضعنا أمام قلق لا ينقضي مع انقضاء الليل فهو يقول:

أراني أبيت الليل صاحب عبرة
مشوقًا أراعي منجدات الكواكب
أراقب طول الليل حتى إذا انقضى
رقبت طلوع الشمس حتى المغارب

ولأنه قلق تائه فهو مصاب بالأرق الدائم، ومن هنا فهو يحسد من ينام ليله خاليًا من الهموم إذ يقول:

فطوبى لمن أغفى من الليل ساعة
وذاق اغتماضًا إن ذاك لناعم
فإنك لو جربت تسهيد ليلة
لقلت: ألا طوبى لمن هو نائم

ويعجبني تعبير أحد الأعراب عن طول الليل حين قال:

أكابد هذا الليل حتى كأنما
على نجمه أن لا يغور يمين

هل سمعت عزيزي القارئ بنجوم تقسم اليمين على عدم الزوال؟

والحديث عن الليل لا يقتصر على المبصرين بل يتعداه إلى المكافيف. فهذا بشار الشاعر الأكمه الذي لم ير الدنيا قط يشكو من طول الليل ويعبر عن ذلك بالقول:

أقول وليلتي تزداد طولاً
أما لليل بعدهم نهارُ
جفت أجفانيَ التغميضَ حتى
كأن جفونها عنها قصار

أما البحتري فكان الليل حبيب قلبه لأنه يهرب فيه من حاضره إلى ماضيه، ومن واقعه المر إلى حياة حلوة ينسجها له خياله في ظلام الليل. إن البحتري العاشق المحروم من حبيبته وجد في ظلام الليل ملجأ، فصوّر لنفسه عالمًا آخر يسعده ويقضي فيه وقتًا وهميًا يُعوّضه من واقعه المؤلم المتسم بالحرمان. إنه يصنع لنفسه عالمًا يتحكم فيه.. فهو يلتقي الحبيبة من خلال خيالها؛ حتى لُقّبَ بشاعر الطَّيف، فهو يقول:

هجرتْ وطيفُ خيالها لم يهجر
ونأتْ بحاجة مُغرم لم يُقصر

ويقول:

فكم ليلةٍ أهدت إليَّ خيالها
ورمل الفيافي دونها وحزونُ

ويقول:

يعز على الواشين لو يعلمونها
ليالٍ لنا نزداد فيها ونلتقي

وعندما تغادر حبيبة المتنبي تتحول لياليه إلى ليالٍ طوال فيقول:

ليالي بعد الظاعنين شكول
طوال وليلُ العاشقين طويل
يُبِنَّ لي البدر الذي لا أريده
ويخفين بدرًا ما إليه سبيل

والليل معين لا ينضب لصور الشعراء منه يمتحون. فالبحتري حين يريد أن يصوّر أيام الخليفة المتوكل وما فيها من جمال يتمثل في انتشار العدل وعموم الخير على الناس لا يجد أجمل من صورة النجوم الساطعة التي أعقبت المطر في الليل فيقول:

ولا الكواكب في ليل الربيع تلت
غيثًا بأبهج من أيامك الجدد

وإشراقة الممدوح على الناس كإشراقة البدر في ليل مظلم:

فتى لبست منه الليالي محاسنًا
أضاء لها الأفق الذي كان أظلما

وكما يستخدم الليل لإظهار صورة الممدوح، فإنه يستخدمه كذلك لإظهار صورة المهجو. يقول البحتري:

هو الظلام فلا صبح ولا شَفَقُ
هل يطلق الليل من طرفي فأنطلق

جفوا من البخل حتى لو بدا لهم
ضوء السها في سواد الليل لاحترقوا

ويدافع عن الشيب الذي غزا رأسه مكابرًا ومدعيًا جماله ومستعينًا بصورة الليل فيقول:

أيُ ليلٍ يبهى بغير نجوم
أم سحاب يندى بغير بروق

فكما أن الليل الأسود لا يبهى إلا بالنجوم فالشعر الأسود لا يبهى إلا بالشيب. إنه تحايل على الإحساس بالزمن والشيخوخة وغروب شمس الشباب.

ولعل من أجمل ما قرأت من شعر يتحدث عن طول الليل ما قاله العباس بن الأحنف:

أيها الراقدون حولي أعينو
ني على الليل حسبةً وائتجارا
حدثوني عن النهار قليلاً
أو صفوه فقد نسيت النهارا

أما الشاعر الأمير أبو فراس الحمداني الذي أسر في بلاد الروم فكانت كرامته ورجولته تأبيان عليه البكاء على حاله في النهار أمام الناس، فإذا خيم الليل أطلق لأحاسيسه العنان، يقول:

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى
وأذللت دمعًا من خلائقه الكِبْرُ

والسهر مع الحبيب علاج للنفس عند خالد الفيصل:

ترى السهر مع حبيبك يبرى العلة
لى صدت شفق وهو عليك شفقاني

وكلمة الليل عند خالد الفيصل ترادف كلمة الظروف أحيانًا كما في قوله:

الليالي عن هوانا ما نهتنا
البلى حنا على البعد انتهينا

وما أجمل قوله:

يزل ليلي ما تهنيت برقود
بين التوجد والرجا والتمني

ونجوم الليل رفيقات للشاعر يبثهن وجده حيث يقول:

أحب الليل ونجوم الليالي
حبيباتي أساهرهن لحالي

وبعد؛ فالحديث عن ليالي الشعراء يطول ويتشعب، وأولى بشهرزاد بعد أن أدركها الصباح أن تسكت عن الكلام المباح.

الحركة الثقافية في شهر

سمو ولي العهد وسمو النائب الثاني وسمو وزير الداخلية يستقبلون سمو أمير منطقة عسير وأعضاء مجلس إدارة صحيفة الوطن بمناسبة قرب موعد صدور الصحيفة، ويتمنون لها أن تكون إصدارًا متميزًا

سمو أمير الرياض يحذر في افتتاح ندوة «التعليم العالي: رؤى مستقبلية» من اختلاط القيم في هذا العصر، ويحث على طلب العلم الحقيقي الذي ينفع الوطن

منظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة اليونسكو توقعان اتفاقية للحفاظ على التراث الثقافي لمدينة القدس

الإعلان عن جائزة مكتب التربية العربي في مجال البحوث التربوية، وجائزة الشيخ علي آل ثاني في مجال البيئة، وجائزة أدب الطفل لأحسن كاتب ورسام وناشر

منح عالم عربي حاصل على جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم أعرق جائزة علمية أمريكية

في دراسة علمية بريطانية: الوراثة وراء عسر القراءة والفهم!

الجنادرية ١٣:
تشخيص أدواء الثقافة العربية، وتكريم الفقي

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يحفظه الله، افتتح صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله ابن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، الدورة الثالثة عشرة للمهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية ١٣) بحضور صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبدالعزيز، نائب رئيس الحرس الوطني رئيس اللجنة العليا للمهرجان، وأصحاب السمو الملكي الأمراء، والمعالي الوزراء، وكبار المسؤولين، وما يزيد على أربعمئة مفكر وأديب وشاعر جاؤوا من مختلف أنحاء العالم.

واختيرت «الثقافة العربية المعاصرة: واقعها ومستقبلها»، لتكون محور النشاطات الفكرية والثقافية التي شملت خمس ندوات هي: «الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة»، و«الثقافة العربية والثقافات الأخرى»، و«الثقافة العربية والمستقبل»، و«ظاهرة الغلو والتطرف»، و«واقع الثقافة العربية بين الإيجابيات والسلبيات»، إضافة إلى مجموعة من المحاضرات من بينها: «المتغيرات الدولية والأمن العربي»، و«رؤية ثقافية في مجلس التعاون الخليجي»، و«رؤية مستقبلية للتربية والتعليم في المملكة العربية السعودية»، و«الإسلام والشرق»، كما ازدانت فعاليات المهرجان بأمسيات شعرية لعدد من كبار الشعراء العرب.

وإلى جانب هذا النشاط الثقافي الحافل، وسباق الهجن، كرّم المهرجان هذا العام الشاعر السعودي الكبير محمد حسن فقي، وخُصِّصَت أمسية للحديث عنه وعن عطائه الشعري على امتداد ٦٠ عامًا.

وقد بدأت فعاليات المهرجان ـ كالمعتاد في كل عام ـ بسباق الهجن، وسلَّم صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، الجوائز للفائزين الخمسة الأوائل في الشوط الأول من السباق.

وفي مساء اليوم نفسه (١٤١٨/١١/٦هـ الموافق ١٩٩٨/٣/٤م) أقيم في صالة العروض بقرية الجنادرية الحفل الخطابي الفني الكبير الذي شرفه صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، وضيوف المهرجان. وبدأ الحفل بكلمة لمعالي الشيخ عبدالعزيز ابن عبدالمحسن التويجري، نائب رئيس الحرس الوطني المساعد عضو اللجنة العليا المنظمة للمهرجان، الذي أكد في كلمته حرص سمو ولي العهد على رقي أداء الأجهزة التنظيمية والتنفيذية للمهرجان. واستطرد قائلا: «ها هي ذي تلك البذرة المباركة التي غرستها يدكم الكريمة في قلب الأمل الكبير تنمو وتكبر وتتسع عامًا بعد عام، وهي اليوم ما تتجه إليه أنظار كثير من مثقفي بلادنا والبلاد العربية والإسلامية في استطلاعات وتساؤلات مثيرة، ما هذه الظاهرة في مؤسسة الحرس الوطني، وما توجهاتها؟»، وأوضح التويجري أن تساؤلات كهذه «لا نملك لها جوابًا محددًا غير أن نقول ما نعرفه عنها: إنها لم تأت من عصبية عنصرية متعصبة ضعيفة النفس، وإنما قامت على رحابة الصدر والتسامح والإخلاص، وإنها بمثل هذه الروح تحاول أن تتجاوز مسافات واسعة من العزلة عن هذا العالم ومتغيراته».

وألقى المفكر العربي الأستاذ شفيق الحوت كلمة نيابة عن الأدباء والمفكرين ضيوف الجنادرية، وقال في كلمته: «إن الجنادرية هي الباب لمن يريد البحث عن الحقيقة، وفلسفة جدل الروح مع المادة أو حوار العقل مع الوجدان، أو نقد الماضي لاستشراف المستقبل، أو لمن يريد اللقاء مع الآخر حول كلمة سواء». وعقب ذلك ألقيت قصيدة شعرية للشاعر الأديب محمد حسن فقي، ألقاها نيابة عنه الأستاذ بدر بن أحمد كريم.

بعد ذلك تفضل صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني بتكريم الشاعر الأديب محمد حسن فقي، وتقليده وسام الملك عبدالعزيز، وتسلم الوسام نيابة عن الفقي ابنه فؤاد محمد حسن. ثم ألقى الشاعر خلف بن هذال العتيبي قصيدة نبطية، بعدها تابع الحضور والمشاهدون عبر شاشات القنوات الفضائية التي نقلت الحدث، الأوبريت الوطني «كتاب مجد بلادنا»، الذي صاغ كلماته صاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن بن مساعد بن عبدالعزيز، ولحنه محمد شفيق وأداه الفنانون طلال مداح ومحمد عبده وعبدالمجيد عبدالله وعبدالله رشاد، بمصاحبة عدد من الفنانين، و٣٠٠ عارض من الفرق الشعبية الفنية من مناطق المملكة.

وفي مساء يوم الخميس ١٤١٨/١١/٧هـ رعى صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبدالعزيز، نائب رئيس الحرس الوطني رئيس اللجنة العليا للمهرجان، افتتاح النشاط الثقافي لـ «جنادرية ١٣»، وأكد سموه في الكلمة التي افتتح بها الفعاليات الثقافية «دور المثقفين في الوقوف أمام الغزو الثقافي والإعلامي الذي يسعى لمحو هوية الأمة».

وأشار الدكتور عبد الرحمن السبيت وكيل الحرس الوطني للشؤون الثقافية، إلى أن «الثقافة العربية اليوم تعصف بها ريح عاصف من الانكسارات، ولابد أن تتجاوز ذلك، وأن تعود الأمة إلى إيمانها ومبادئها، عبر الاستبصار بالمخاطر، والعودة إلى النبع الأصيل».

وأكد الكاتب اللبناني الدكتور علي حرب في كلمته التي ألقاها نيابة عن المثقفين المشاركين في المهرجان «أن مهرجان الجنادرية قد اكتسب مصداقيته وفاعليته كحدث ثقافي له أهميته ودلالاته على أكثر من مستوى وصعيد؛ سواء من حيث حجم الفعاليات الفكرية



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز



صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز

والثقافية المشاركة فيه، أو من حيث القضايا المهمة التي يتناولها بالمعالجة، أو من حيث الأمسيات الشعرية والعروض الفنية الشعبية».

وقد استغرق برنامج الأدب الشعبي في النشاط الثقافي للجنادرية أربع أمسيات:

الأمسية الأولى (الأحد ١٤١٨/١١/١٠هـ): شارك فيها الشعراء: عبدالرحمن الأبنودي، وفهد عافت، ومساعد الرشيدي، ومحمد المر بالعبد، وقدم لها الدكتور سعيد السريحي.

الأمسية الثانية (الأربعاء ١٤١٨/١١/١٣هـ): شارك فيها الشعراء: طلال حيدر، وعلي الشرقاوي، وعلي الفقي، ومسفر الدوسري، وقدم لها علي العسيري.

الأمسية الثالثة (الخميس ١٤١٨/١١/١٤هـ): وكانت بعنوان: «الكلمة الشعبية المغناة»، وشارك فيها كل من: الفنان محمد عبده، والدكتور عبد الرب إدريس، والشاعر إبراهيم خفاجي، والأستاذ سيد حجاب، وقدم لها محمد صادق دياب.

الأمسية الرابعة (الجمعة ١٤١٨/١١/١٥هـ): وقد شارك فيها كل من: خلف بن هذال العتيبي، وأحمد الناصر الشايع، وقدم لها حمود البغيلي.

وأفسح للشعر العربي الفصيح ثلاث أمسيات:

ففي الأمسية الأولى(الأربعاء ١٤١٨/١١/١٣هـ) ألقى الدكتور حسن الوراكلي محاضرة بعنوان «حول إشكال القصيدة العربية الحديثة»، أما الأمسية الثانية (الخميس ١٤١٨/١١/١٤هـ) فقد شارك فيها كل من الشعراء: محمد الفيتوري، وعبدالله بن سليم الرشيد، وعبدالعزيز العجلان، وأدارها الدكتور سعد البازعي، كما شارك في الأمسية الثالثة (الجمعه ١٤١٨/١١/١٥هـ) كل من الشعراء: الدكتور عبده بدوي، وأحمد السامي، والدكتور صالح الزهراني، وعمر الفرا، وأدارها الدكتور محمد بن علي الصامل.

أما النشاط الثقافي النسائي في الجنادرية ١٣ فقد طرح موضوعًا رئيسيًا حول: «الاستقرار الأسري»، وذلك من خلال ثلاث ورقات عمل، الأولى بعنوان: «الاستقرار الأسرى ومقوماته»، والثانية بعنوان: «التفكك الأسري: عوامله ومظاهره»، والثالثة بعنوان: «نتائج التفكك الأسري». وقد رعت صاحبة السمو الملكي الأميرة نوف بنت عبدالعزيز فعاليات النشاط النسائي الثقافي التي انتظمت في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، وكانت تفصيلات النشاط كالتالي:

مساء الاثنين ١٤١٨/١١/١١هـ: ندوة «الاستقرار الأسري ومقوماته»، ورقة عمل قدمتها د. عزيزة المانع، وعلقت عليها كل من: الدكتورة مشاعل بنت محمد آل سعود، والدكتورة نورة الناهض، وأدارتها جهير المساعد.

مساء الثلاثاء ١٤١٨/١١/١٢هـ: «ندوة التفكك الأسري.. عوامله ومظاهره»، ورقة عمل قدمتها الدكتورة طريفة سعود الشويعر، وعلقت عليها كل من: الدكتورة أسماء الرويشد، ودينا الجودي، وأدارتها الدكتورة حصة عبدالعزيز القنيعير. واختُتمت النشاطات الثقافية النسائية مساء الأربعاء ١٤١٨/١١/١٣هـ بندوة «نتائج التفكك الأسري»، وهي ورقة عمل مقدمة من الدكتورة الجوهرة الدريس.

وضمن القضية الكبرى التي اختيرت لتكون محور النشاط الفكري «الثقافة العربية المعاصرة: واقعها ومستقبلها»، عُقدت خمس ندوات:

الأولى بعنوان: «الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة»، وقد شارك فيها كل من: الدكتور علي عقله عرسان، والدكتور فتحي يكن، والدكتور أحمد صدقي الدجاني، والدكتور أنور ماجد عشقي، والدكتور محمد برادة، وأدارها الأستاذ عبدالمحسن العكاس. وقد برز من خلال مداولات الندوة تأكيد أهمية الحوار وضرورته، وأن يقوم على أرضية واضحة أهم ما يحكمها وتحكم إليه معيارية قيمية خلقية عقدية إنسانية مؤسسة على الاعتراف بالآخر وعدم إلغائه أو تهميشه أو مصادرة رأيه، والاعتراف بأهمية التعدد والتنافس وصولاً إلى خدمة أفضل للوطن، وأن يتم الحوار بموضوعية وحرية تحت سقف الانتماء للوطن، واحترام الهوية الثقافية والعقيدة واللغة، وأن يتم ذلك في مناخ ديمقراطي سليم على أسس من المساواة والحرية والمسؤولية.

وشارك في الندوة الثانية: «الثقافة العربية والثقافات الأخرى» كل من: الدكتور عبدالعزيز التويجري، والدكتور حسن الشافعي، والأستاذ نبيل شبيب، وأدارها الدكتور سهيل قاضي. ومن النقاط التي برزت في طروحات المشاركين ومداخلات الحضور: أن من أسس النهضة الثقافية أن تكون الثقافة ذات أفق مفتوح ورؤية شاملة لها قابلية للتفاعل مع الثقافات الأخرى، ولها استعداد كامن في أصولها للتعامل مع الثقافات الإنسانية، وذلك أن الثقافة وثيقة الصلة بالتاريخ والتربية ولا تاريخ لأمة بلا ثقافة، والأمة التي تفقد ثقافتها تفقد تاريخها. وأكدت المداولات أن خاصية النزوع نحو التدافع بدلاً من التصارع هي التي مكنت الثقافة العربية الإسلامية من الصمود أمام الأعاصير الثقافية والفكرية والمذهبية.

وشارك في الندوة الثالثة: «ظاهرة الغلو والتطرف» كل من: الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي، والشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد، والشيخ مناع خليل القطان، والدكتور إبراهيم جوبي، وأدارها الدكتور صالح العبود. وبرز من خلال الندوة: نبذ الغلو والتطرف في الأفكار والأفعال لأنهما من الناحية الأمنية يقلقان الراحة ويزعجان النفوس، والأمان نعمة كبيرة، وهو على رأس النعم التي جاء بها الإسلام. وأن صاحب المسلك الشاذ سواء كان فردًا أو جماعة، هو عاجز منقطع مهما سلك من طرق، لأن الشذوذ والغلو مجانبان للفطرة.

وشارك في الندوة الرابعة: «إيجابيات الثقافة العربية وسلبياتها» كل من: الدكتور مصطفى الشكعة، والدكتور منصور الحازمي، والأستاذ منح الصلح، وأدارها الأستاذ حمد القاضي. وبرز من خلال المناقشة: ضرورة الحذر من المصطلحات الدخيلة، واستعادة العقول المسلمة التي هاجرت وهجرت بلدانها إلى أوربا وأمريكا، وضرورة الولاء للغة العربية التي أهملت، وإعادة كتابة التراث بما يعيد للأمة كينونتها، واعتماد استراتيجية في قراءة التراث على المستوين القومي والفردي، ونبذ الانغلاق عن الفكر الغربي باسم التراث والأصالة، وكذلك نبذ الانغلاق على الذات باسم التجريب والحداثة، ومعالجة بعض الموضوعات بشفافية تحفظ للثقافة العربية وهجها وحضورها الفاعل، ولاسيما في هذا العصر الذي تتحطم فيه الحواجز وتتوالى الأحداث.

وجاءت الندوة الخامسة التي أدارها الدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين بعنوان: «الثقافة العربية والمستقبل»، وشارك فيها كل من: الدكتور عبدالله الطيب، والدكتور ناصر الرشيد، والدكتور فوزي منصور، والدكتور عبدالله ولد بيه. وبرز من خلال طروحات المشاركين أن الرهان الثقافي اقتصادي وعسكري، وهو مناط الصراع الأيديولوجي، ومن كسب الرهان الثقافي كسب الصراع والهيمنة، وأن تحقيق الهوية يحتاج إلى إبداع، لا إلى تخوف أو تقوقع، وأن أمة التشكي لا تفلح، وأن الثقافة لا تتبعث بنفسها بل تحتاج إلى همّة لبعثها، وأن تصحيح الواقع يتطلب تطوير الوسائل بالتعاون على مستوى العالم العربي، وأن العالم العربي يخضع منذ قرنين لمؤامرة تزيد في تخلفه، كما أن جوهر الثقافة في عصرنا الراهن هو الإدراك الواعي لحقيقة العالم الذي نعيش فيه، والقوى التي تُسيِّره وتحكمه، وضرورة التنبه على التعليم الذي يبدأ من المهد، واستنطاق ما عندنا لنصل إلى المستقبل، بدلاً من البكاء على الأطلال، ووجوب التعامل مع الثقافة من خلال شريعتنا الغراء، وأن يكون التجديد انطلاقًا من الموروث الثقافي.

وضمن المحور الفكري للمهرجان شهدت قاعة الملك فيصل بفندق انتركونتينتال عددًا من المحاضرات. فقد ألقى الدكتور علي فخرو محاضرة بعنوان: «رؤية ثقافية في مجلس التعاون»، كما ألقى معالي الدكتور خالد العنقري وزير التعليم العالي في المملكة العربية السعودية محاضرة بعنوان «التعليم العالي في المملكة: الواقع والمستقبل»، وألقى الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي محاضرة بعنوان «المتغيرات الدولية والأمن العربي المعاصر».



صاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبدالعزيز

سمو الأمير سلمان

في افتتاح ندوة «التعليم العالي: رؤى مستقبلية»:
نحن في عصر لا تستطيع فيه أي دولة أن تعزل نفسها عن العالم

نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام، افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ندوة: «التعليم العالي.. رؤى مستقبلية» التي نظمتها وزارة التعليم العالي خلال المدة من ٢٥-٢٨ شوال الماضي. وقد ألقى سموه بهذه المناسبة كلمة أشار فيها إلى أن هذه الندوة «جاءت في وقتها، فنحن في عصر تختلط فيه القيم، وتتمادد فيه الشعوب، ونحن والحمد لله، نرجو كرم الله عز وجل بالإسلام.. وديننا الحنيف يطلب منا أن نتعلم ونعلم». وأضاف سموه: «إن المملكة لا تريد فقط أسماء متعلمين أو تريد الشهادات الجامعية، خصوصًا العليا، مثل البطاقات للدخول إلى أي مكان، إنما تريد علمًا حقيقيًا، ينتفع به أبناء هذه البلاد... إننا في عصر لا تستطيع أن تعزل نفسك فيه عن العالم، ولن يصون قيم هذه البلاد إلا عقيدتها، ثم أبناؤها الذين يعملون لهذه العقيدة...».

وأكد معالي الدكتور خالد بن محمد العنقري وزير التعليم العالي في كلمته أن «من مجالات التنمية التي آثرتها الدولة بكل رعاية وعناية ورصدت لها كل الإمكانات

الطائف
تكرم مثقفيها

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سعود ابن عبدالمحسن، أمير منطقة مكة المكرمة بالنيابة، الاحتفال الذي أقامته محافظة الطائف لتكريم الأدباء والمثقفين والمفكرين من أبنائها في نهاية شهر شوال الماضي. وتم خلال الحفل الذي حضره محافظ الطائف فهد بن عبدالعزيز بن معمر وكبار المسؤولين بالمنطقة وأعيانها، تكريم كل من الأساتذة والدكاترة: سليمان بن عواض الزايدي، خضر بن عليان القرشي، أحمد سعيد سليمان درباس، سالم خلف الله القرشي، حمد بن عبدالله أحمد الزايدي، حامد صالح خلف الربيعي، عبدالله عبدالرزاق العمري، فاطمة عيسى الدباغ، فائزة أحمد إسماعيل إبراهيم، ليلى محمد سعيد كمال، وسميرة عبدالله مصطفى كردي.

ندوة الشخصية الكرتونية
للطفل العربي

برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز نائب الرئيس العام لرعاية الشباب أقام المجلس العربي للطفولة والتنمية، بالتعاون مع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون - مؤخرًا - ندوة علمية ومعرضًا عن الشخصية الكرتونية للطفل العربي.

ناقشت الندوة سبل إيجاد شخصية كرتونية للطفل العربي تستمد قيمها من روح الإسلام وأخلاقه وتعاليمه وتراعى البعد التربوي للطفل العربي.

وحوى المعرض الذي أقيم على هامش الندوة ٢٥٠ شخصية كرتونية متنوعة الأشكال والأنماط والأفكار، قدمها ٢٥٠ فنانًا للمسابقة التي أعلن عنها المجلس العربي للطفولة والتنمية لهذا الغرض.

مكتب التربية العربي يعلن
عن جائزة في مجال البحوث التربوية

أعلن مكتب التربية العربية لدول الخليج عن جائزة المكتب للإنتاج العلمي في مجال البحوث التربوية للعام ١٤١٨/١٤١٩هـ، وقد حدد مجموعة شروط للتقدم للجائزة، هي:

- أن يكون المرشح من مواطني الدول الأعضاء للمكتب.
- ألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم، أو حصل به على شهادة علمية (ماجستير/ دكتوراه).
- يمكن قبول العمل المشترك من قبل المؤلفين أنفسهم، إذا كانوا من مواطني الدول الأعضاء.
- يقبل تقديم البحث للمكتب مباشرة من قبل المؤلف نفسه، أو بترشيح من إحدى المؤسسات العلمية.
- أن يكون البحث المقدم يمثل نظرية تعليمية تربوية، أو إسهامًا مبتكرًا في مجال البحث التربوي، أو تحقيقًا علميًا مكتوبًا باللغة العربية الفصحى لأحد مصادر التراث التربوي العربي الإسلامي.
- في حالة تقديم بحث منشور بغير اللغة العربية، يجب أن يرفق معه مستخلص باللغة العربية.
- أن يكون البحث المقدم ملتزمًا المنهج العلمي.
- أن يكون البحث المقدم منشورًا وفق قواعد النشر العلمي وأصوله، أو مقبولاً للنشر بتأكيد من مؤسسة أو هيئة علمية معترف بها، ويمكن قبول الأعمال غير المنشورة، إذا حظيت بتزكية من مؤسسة أو هيئة علمية متخصصة في مجال العمل المقدم.
- يمكن قبول البحوث المترجمة المتميزة التي تخدم الثقافة والتربية والتعليم في منطقة الخليج العربية، مع تقديم دراسة تحليلية وتقويمية للعمل، ومدى الاستفادة منه في دول المنطقة، ولم تتجاوز طبعته في لغته الأصلية خمس سنوات من تاريخ نشر الإعلان.


صاحب السمو الملكي
الأمير سلمان بن عبدالعزيز

بسخاء: التعليم العالي، وذلك إيمانًا من المسؤولين بأن التعليم هو أساس كل نهضة حقيقية، ولا سبيل إلى التقدم المنشود إلا بالعلم».

وطرح معاليه مجموعة من التساؤلات لتكون محلاً للحوار، وفي نهاية كلمته وجه الشكر والعرفان لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ولسمو ولي عهده الأمين ولسمو النائب الثاني على ما يلقاه التعليم العالي منهم من اهتمام بالغ ودعم مستمر.

وكان وكيل وزارة التعليم العالي للشؤون التعليمية رئيس اللجنة التحضيرية د. عبدالله الراشد قد ألقى كلمة أشار فيها إلى أننا «نعيش في عصر يتميز بالتطور السريع من أجل العالمية: عالمية الاستثمار، وعالمية التجارة، وعالمية المعلومات، ولا تستطيع دولة أن تنمو في هذا العالم إلا بتقوية مؤسساتها على العمل بكفاءة واقتدار».

واشتمل برنامج الندوة على إحدى وعشرين جلسة علمية خصصت ثلاث عشرة منها لمناقشة خمسة وأربعين بحثًا وورقة عمل شارك في إعدادها نخبة من المتخصصين وعدد من المؤسسات الحكومية ومؤسسات القطاع الخاص، وتضمن البرنامج أربع محاضرات عن تجارب دولية في مجال التعليم العالي، وثلاث جلسات مستديرة ناقش فيها عدد من كبار المسؤولين والمتخصصين ورجال الأعمال قضايا أساسية تتصل بمستقبل التعليم العالي في المملكة.

أما إجراءات التقديم، فيشترط أن تكون طلبات الترشيح مصحوبة بما يلي:

- عشر نسخ من البحث المرشح للجائزة، ولا يعاد البحث سواء أفاز المرشح أم لم يفز، وبالنسبة للبحوث المترجمة فتُرفق نسخة من الأصل المترجم عنه.
- بيان تفصيلي عن حياة المرشح العلمية والشخصية ومؤلفاته المنشورة.
- ثلاث صور فوتوغرافية للمرشح.
- العنوان البريدي للمرشح، ورقم هاتفه.

توجه طلبات الترشيح إلى:

المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج العربية

ص.ب ٩٤٦٩٣ - الرياض ١١٦١٤، المملكة العربية السعودية.

وآخر موعد لقبول الترشيحات: الأربعاء ٤ ذو الحجة ١٤١٨هـ الموافق ١ أبريل ١٩٩٨م.

وتبلغ قيمة الجائزة مئة ألف ريال سعودي، كما تُمنح شهادة للعمل الفائز، ويمكن منح الجائزة مناصفة بين عملين فائزين.

معرض فني

استضافت قاعة مركز الخزامى في الرياض معرضًا للفنانة هلا بنت خالد ضم ٧٤ عملاً تشكيليًا منها ٦٥ لوحة تعرض للمرة الأولى.

تميزت اللوحات بكونها تترجم، عبر رسوم إيضاحية، قصصًا للأطفال، وقد خصص جزء من ريع المعرض لصالح الجمعية السعودية لرعاية الأطفال المعاقين.

يذكر أن هذا هو المعرض الشخصي الثاني للفنانة؛ حيث سبقه معرض أقيم في قصر طويق عام ١٩٩١م.

كتب جديدة

تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري، تأليف د. محمد بن ناصر الملحم، صدر عن النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية.

اصبر واحتسب، تأليف عبدالملك القاسم، صدر ضمن سلسلة «أين نحن من هؤلاء؟» عن دار القاسم بالرياض.

الإمارات

معرض أبو ظبي الدولي للكتاب

شارك ما يقارب ٤٧٠ دار نشر عربية وأجنبية في الدورة الثامنة لمعرض أبو ظبي الدولي للكتاب، التي افتتحت في مطلع شهر ذي القعدة الماضي.

ضم المعرض قرابة ثلاثين ألفًا وخمسمئة عنوان باللغة العربية وثلاثة آلاف عنوان باللغات الأجنبية، ورافقه نشاط ثقافي وفني مكثف تمثل في ندوات ومحاضرات وأمسيات.

المعرض التشكيلي العام

افتتح سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، حاكم الشارقة، عضو المجلس الأعلى لدولة الإمارات العربية المتحدة، المعرض التشكيلي العام السابع عشر في متحف الشارقة للفنون في الثلث الأخير من شهر شوال الماضي.

شارك في المعرض ٩٢ فنانًا وفنانة من أبناء الإمارات والمقيمين بها، حيث عرضوا ما يزيد على ثلاثمئة عمل فني في مجالات: التصوير والخزف والنحت.

كتب جديدة

العراق في العقد المقبل: هل سيقوى على البقاء حتى عام ٢٠٠٠م؟ تأليف جراهام فولر، صدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبو ظبي.

المرايا ليست هي، ديوان للشاعرة صالحة عبيد غابش.

ليجف ريق البحر، ديوان للشاعر ثاني السويدي.

صدر الكتابان السابقان عن منشورات اتحاد كتّاب الإمارات وأدبائها.

البحرين

مؤتمر دولي للإعلام العربي الأوربي

استضافت المنامة - مؤخرًا - المؤتمر الدولي السادس حول الإعلام العربي الأوربي، الذي عقد تحت شعار «حوار من أجل المستقبل» برئاسة وزير التعليم العالي المصري د. مفيد شهاب.

نظم المؤتمر مركز الدراسات العربي -

بعد لقاء سمو أمير منطقة عسير وأعضاء مجلس إدارة صحيفة «الوطن»:

سمو ولي العهد:

حكومة خادم الحرمين الشريفين حريصة على دعم الإعلام السعودي.

سمو النائب الثاني:

نأمل أن تكون «الوطن» صحيفة يحتذى بها.

سمو وزير الداخلية:

«الوطن» ستكون رافداً من الروافد الإعلامية في المملكة.



صاحب السمو الملكي
الأمير نايف بن عبدالعزيز

أكد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، أن حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حريصة على دعم الإعلام والصحافة بوجه خاص. جاء ذلك في لقاء سموه بصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير، ورئيس وأعضاء مجلس إدارة صحيفة «الوطن» اليومية التي ستصدر قريبًا - إن شاء الله -. وشدد سمو ولي العهد على ضرورة التزام النهج الإعلامي المعروف للإعلام السعودي.

وقدم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام، التهنئة لسمو الأمير خالد الفيصل ولأعضاء مجلس إدارة الصحيفة؛ مشيرًا إلى أن صحيفة «الوطن» ستكون نموذجًا يحتذى به، ليس على مستوى الصحافة الوطنية فحسب، بل على مستوى الصحافة العربية أيضًا، وجاء ذلك في لقاء سموه بهم في يوم ١٣ ذي القعدة الماضي.

وتمنى صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز، وزير الداخلية رئيس المجلس الأعلى للإعلام، أن تكون صحيفة «الوطن» إضافة متميزة للصحافة السعودية، ورافدًا من الروافد الإعلامية بالمملكة القادرة على الإسهام في مجال البناء والمعرفة؛ وذلك في لقاء سموه بسمو أمير منطقة عسير، ورئيس وأعضاء مجلس إدارة صحيفة «الوطن»؛ حيث استمع إلى شرح مفصل عن الخطوات

الأوربي بالتعاون مع مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية في لندن وهيئة تلفاز البحرين والمفوضية الأوربية والأمانة العامة لجامعة الدول العربية، وشارك في مناقشاته أكثر من ثلاثمئة وخمسين شخصية إعلامية وسياسية عربية وأجنبية، ودارت المناقشات حول المحاور التالية: الإعلام وثورة الاتصال على أبواب القرن الحادي والعشرين، الإعلام العربي - الأوربي في مواجهة التحديات الكونية، الإعلام العربي الأوربي وصورة الآخر، الإعلام بين ضرورات الحرية وضوابط الممارسة، والتعاون الإعلامي والمستقبل العربي.

من الكتب جديدة

قبر قاسم، قصائد لقاسم حداد، صدرت عن دار الكلمة في المنامة.

محاضرات وندوات

«مفاهيم هندسة وإدارة المرافق والخدمات» عنوان محاضرة ألقاها د. سامي برهيمن في فندق مكة إنتركونتيننتال بدعوة من الجمعية السعودية لعلوم العمران.

«كيفية استخدام وتوظيف الوسائط التعليمية» عنوان محاضرة ألقاها د. أحمد عبيدات في مدرسة عاتكة التأسيسية للبنات بأبو ظبي.

«المعاقون في التراث» عنوان محاضرة ألقاها د. أحمد بن محمد الضبيب في مقر الجمعية السعودية لرعاية الأطفال المعاقين في الرياض.

«دور النحو في فهم نصوص الشرع» عنوان محاضرة ألقاها د. جمال عبدالعزيز في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية في أبها.

«واقعية عمارة مجتمعات المسلمين ومستقبلها» موضوع محاضرة ألقاها المهندس عبدالعزيز عبدالله كامل بدعوة من الجمعية السعودية لعلوم العمران بقصر طويق بالرياض.

«التطور الثقافي في القرن العشرين» عنوان محاضرة ألقاها جورج ستينر في قاعة الملكة إليزابيث في لندن.

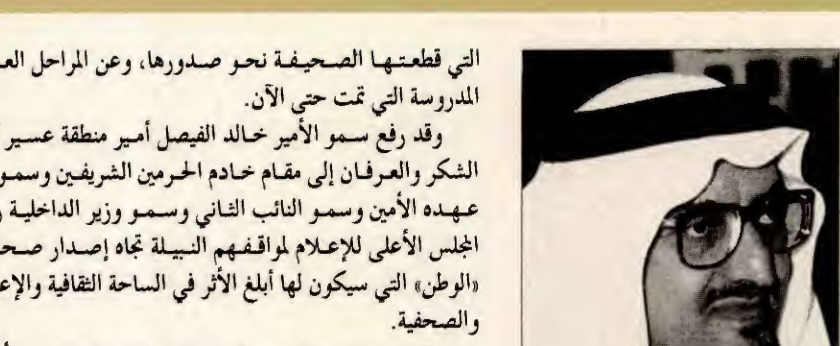
«صحتك في منتصف العمر» عنوان محاضرة جماعية ألقاها في نادي جدة الأدبي الثقافي كل من الدكاترة: حسن علي الزهراني، وعمر سعيد العامودي، وسعيد محمد الغامدي.

«قضايا الشعر المعاصر» موضوع ندوة نظمها مجمع اللغة العربية بالقاهرة تحدث فيها الدكاترة: الطاهر مكي، وعز الدين إسماعيل، ومحمد عبدالمطلب، وأدارها د. محمود مكي.

«حرية الفكر وحقوق الإنسان» عنوان محاضرة ألقاها روجيه جارودي في مقر الجمعية المصرية للقانون الدولي.

«أهمية تطوير النظم لحماية البيئة» عنوان محاضرة ألقاها محمد الصرعاوي في السفارة الأمريكية بالكويت.

«دعوة التوحيد وحقيقتها» عنوان محاضرة ألقاها د. صالح بن سعد


صاحب السمو الملكي
الأمير خالد الفيصل

التي قطعتها الصحيفة نحو صدورها، وعن المراحل العملية المدروسة التي تمت حتى الآن.

وقد رفع سمو الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير آيات الشكر والعرفان إلى مقام خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني وسمو وزير الداخلية رئيس المجلس الأعلى للإعلام لمواقفهم النبيلة تجاه إصدار صحيفة «الوطن» التي سيكون لها أبلغ الأثر في الساحة الثقافية والإعلامية والصحفية.

وكانت مؤسسة عسير للصحافة والنشر قد عينت الأستاذ عبدالله أبو ملحة مديرًا عامًا لصحيفة «الوطن»، والدكتور فهد العرابي الحارثي رئيسًا لمجلس الإدارة.

وأعلن سمو الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير رئيس اللجنة التحضيرية - عقب الاجتماع الأول للأعضاء المؤسسين لمؤسسة عسير للصحافة والنشر الذي عقد في ١٢ ذي القعدة ١٤١٨هـ - أن الاكتتاب في صحيفة «الوطن» تجاوز الـ ١٤٧ مليون ريال، وأن الطموح هو الوصول إلى رأس مال قدره ٢٠٠ مليون ريال.

وأشار سموه إلى أن الأمل كبير في أن تكون «الوطن» لبنة جديدة في هذا الصرح الشامخ في بلادنا، متمنيًا أن تكون صحيفة «الوطن» نموذجًا يُقتدى به. وأكد أن «الوطن» ستكون مختلفة كل الاختلاف عن الصحف الموجودة حاليًا.

وقد قدم الدكتور فهد الحارثي رئيس الفريق العلمي للدراسات التأسيسية لصحيفة «الوطن» نبذة تعريفية شاملة عن أهم نتائج الدراسات التأسيسية، مؤكدًا أهمية وجود الصحف الجيدة في مجتمعنا.

ويتكون مجلس إدارة الصحيفة من: د. سعود المتحمي، د. عبدالله المعلمي، الأستاذ عبدالرحمن السدحان، د. محمد آل زلفة، الأستاذ عبدالرحمن القحطاني، الأستاذ منصور بن كدسة، الأستاذ هاني أبو غزالة.

قطر

جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية

أعلن مجلس إدارة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني الوقفية موضوع جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية للعام ١٤١٨/١٤١٩هـ - ١٩٩٨/١٩٩٩م، بعنوان «قضايا البيئة من منظور إسلامي»، ودعا المجلس الأساتذة والباحثين والمفكرين للإسهام في هذا المجهود العلمي.

وتبلغ قيمة الجائزة ٧٥ ألف ريال قطري، وآخر موعد لاستلام البحوث نهاية شهر سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٩٨م. وترسل إلى: الدوحة ص.ب ٨٩٣ قطر، أما شروط الجائزة فكما يلي:

- يشترط في البحوث المقدمة أن تكون قد أُعدَّت خصيصًا للجائزة، وألا تكون جزءًا من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوافر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق، وسلامة الأسلوب والابتكار.
- يُقدَّم البحث من ثلاث نسخ، مكتوبًا على الآلة الكاتبة، ويفضل أن يكون مكتوبًا على الحاسوب، على ألا يقل عدد صفحاته عن مئتين وخمسين صفحة، ولا يزيد على ثلاثمئة صفحة فلوسكاب.
- يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نُشر سابقًا، أو قُدِّم إلى جهة أخرى، أو لغرض آخر، أو أنه مستل من رسالة علمية.
- يرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه،

اللحيدان في جامع الروضة بالرياض.

«الكتابة للطفل» عنوان محاضرة ألقاها د. محمد بن عبدالرحمن الربيع في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالأحساء.

«الإشارات الجيولوجية في القرآن الكريم وتوافقها مع العلم الحديث» عنوان محاضرة ألقاها د. زغلول النجار في المركز الإعلامي السعودي في لندن.

«الأرشيف العثماني في الجزائر»، عنوان محاضرة ألقاها د. عبدالجليل التميمي في إطار ندوة تاريخية نظمها الأرشيف الوطني الجزائري.

«مدى قدرة الاقتصاد العراقي على خدمة التزامات مديونيته الخارجية» موضوع محاضرة ألقاها أحمد موسى جياد في إيلنج تاون هول في لندن.

«خواطر حول مستقبل الوحدة العربية» عنوان محاضرة ألقاها د. جورج جبور في المركز الثقافي بالعدوى في دمشق.

«الكتابات العربية في المملكة العربية السعودية»، عنوان ندوة نظمها نادي مكة الثقافي الأدبي، وشارك فيها الدكاترة: عبدالعزيز الراشد، وأحمد ابن عمر الزيلعي، ومحمد الفعر، وأدارها د. عدنان الحارثي.

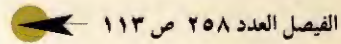
«تجربة المسلمين الأوائل في الهجرة والتعبير الأدبي لها»، عنوان محاضرة ألقتها د. وداد قاضي في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية التابع لجامعة أوكسفورد البريطانية.

«أدب الحوار في الإسلام» عنوان محاضرة ألقاها الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي في قاعة الإمام محمد عبده بالأزهر.

«مستقبل الاقتصاد المصري والعولمة» عنوان محاضرة ألقاها د. كمال درويش في فندق موفنبيك بمدينة الغردقة المصرية.

«تحديات التعليم العالي في القرن الحادي والعشرين» عنوان محاضرة ألقاها د. برنارد شابير في كلية العلوم التربوية بالجامعة الأردنية.

«تاريخ العلوم العربية» عنوان محاضرة ألقاها د. رشدي راشد في دار الندوة بحي الحمراء في بيروت.





غلاف العدد الأول

العدد الأول من «عالم الإعاقة»

«عالم الإعاقة» مجلة شهرية تصدر كل شهرين مؤقتًا، وقد صدر عددها الأول في ذي القعدة الماضي عن مجلس العالم الإسلامي للإعاقة والتأهيل، وتُعنى المجلة بالرعاية الاجتماعية للمعوقين والمسنين وبرامج رعاية الأمومة والطفولة.

وقد جاءت افتتاحية رئيس التحرير د. محمد بن حمود الطريقي تحت عنوان «نحن نخطط لأكثر من مئة مليون معاق في العالم الإسلامي»، أوضح فيها الدعم غير المحدود الذي قدمه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع الطيران المفتش العام، لفكرة مجلس العالم الإسلامي للإعاقة والتأهيل، وتناول أهمية صحة الفرد وكرامته بوصفهما شرطين من أهم شروط التنمية، مؤكدًا بالأرقام ما يلقاه الإنسان في العالم المتقدم من رعاية واهتمام.

وقد تضمن العدد مقالات متنوعة، عن قضية الإعاقة وآثارها. ويدير تحرير المجلة د. أحمد محمد طحان.

مع ثبت بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة إلى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

ـ تُعرض البحوث على لجنة من المحكمين، يتم اختيارهم في ضوء موضوع الجائزة، وقد تم تخصيص عدد من أرقام الهواتف لمن يريد الاستفسار: ٣٢٤٥٨٤ ـ ٣٢٤٥٨٦ ـ ٣٢٨٢٥٤ فاكس٠٠٩٧٤/٤٤٧٠٢٢.

اليمن

مؤتمر دولي للآثار والحضارة اليمنية

عقد قبل أيام في صنعاء المؤتمر الدولي الرابع للآثار والحضارة اليمنية بمشاركة باحثين ومعاهد علمية متخصصة وآثاريين متخصصين في الحضارة اليمنية وآثارها.

نظمت المؤتمر الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات، وواكب انتهاء معرض الآثار والحضارة اليمنية الذي نظمه ـ مؤخرًا ـ معهد العالم العربي في باريس.



مصر

مؤتمر الملكية الفكرية في الوطن العربي

افتتحت السيدة سوزان قرينة الرئيس المصري محمد حسني مبارك مؤتمر «حقوق الملكية الفكرية في العالم العربي» الذي نظمه اتحاد الناشرين العرب بالتعاون مع المنظمة الدولية لحقوق الملكية الفكرية (الويبو).

ناقش المؤتمر عدة موضوعات تتعلق بحماية الملكية الفكرية، من بينها: ورقة عمل قدمها عدنان سالم بعنوان «حقوق التأليف والنشر في الوطن العربي»، وأخرى أعدها د. حازم الببلاوي عن «أثر الملكية الفكرية في التنمية الاقتصادية».

معرض القاهرة الدولي للكتاب: النشاطات الثقافية أهم مكاسبه

انتهت فعاليات الدورة الثلاثين لمعرض القاهرة الدولي للكتاب، أكبر معرض عربي من نوعه، وثاني أكبر معرض على مستوى العالم.

والمعرض الذي يعد عرسًا سنويًا للثقافة العربية حقق هذا العام بعض النجاحات من الناحية التنظيمية؛ إذ للمرة الأولى منذ عامين يقام في موعد معروف سلفًا دون تأجيل، كما أن زواره هذا العام قاربوا خمسة الملايين زائر، وهو رقم لم يتحقق قبلاً لأي معرض عربي. يضاف إلى هذا الإنجاز المشاركة الكبيرة من دور النشر حيث بلغ عددها ٢٤٠٠ دار تنتمي إلى ٧٩ دولة.

ومن المفاجآت التي شهدتها أروقة المعرض: الإقبال على الكتب العلمية، سواء تلك المكتوبة بالعربية أو المعربة، في وقت احتلت الرواية أدنى درجات سلم المبيعات، وازدهر سوق الأزبكية بما يعرضه من كتب قديمة بأسعار مناسبة، في حين لم يجد الكثير من الناشرين مشترين لكتبهم المعروضة في السرايات لارتفاع أسعارها نتيجة لارتفاع أسعار مستلزمات الطباعة من ورق وأحبار. وشهد المعرض عمليتي قرصنة على الكتب، قامت بالأولى دار نشر عربية، والأخرى دار نشر مصرية. وكما حدث في الأعوام السابقة فقد سرق النشاط الثقافي والفكري المصاحب للمعرض جمهور الزوار من قاعات عرض الكتب، وبخاصة مع مشاركة ٤٢٠ مفكرًا ونحو ٣٠٠ شاعر في نشاطاته، فكأن المعرض كان احتفالا أقصي منه الكتاب من خلال التركيز على الندوات والأمسيات. واحتشد ألوف من الزوار لمتابعة اللقاء مع المفكر الفرنسي روجيه جارودي؛ مما تسبب في إلغاء ندوتين واكبتا لقاءه. ولوحظ أن كثيرًا من الندوات كان ذات طابع احتفالي، بينما تميز بعضها بالدقة وصدق التعامل، وانصرف الزوار عن أنشطة ثقافية كثيرة مثل: «عكاظ الشعراء» و«إبداعات جديدة» لعدم التزام منظميها والمشاركين فيها الجدول المعلن.

المؤتمر الأول للرواية العربية: جائزة الإبداع لعبدالرحمن منيف

ما كادت القاهرة تُودّع عرسها الثقافي السنوي المتمثل في معرض الكتاب، حتى



استضافت أول مؤتمر للإبداع الروائي العربي وأضخمه على الإطلاق، حيث شارك فيه زهاء مئتي مبدع وناقد عربي ومستشرق.

واستهل المؤتمر أيامه الأربعة بتكريم عميد الرواية العربية نجيب محفوظ بمناسبة مرور عشر سنوات على نيله جائزة نوبل للأدب، حيث تم تكريمه ومنحه درعًا بهذه المناسبة.

وناقش المؤتمر خصوصية الرواية العربية من خلال ثلاثة محاور رئيسية هي: شهادات المبدعين (نحو ٣٠ مبدعًا) والمائدة المستديرة (ضمت ٥٦ ناقدًا وأديبًا)، والندوات (ناقشت ٧٥ بحثًا). وقد بدا أن تعبير «خصوصية الرواية العربية» لم يلق استحسانًا من بعض النقاد؛ ففي حين قال د. شكري عياد: إن هناك هوية ولكنها لم تتبلور بعد في مرحلة حضارية واحدة، قال د. عبدالقادر القط: إن معنى الخصوصية مراوغ ومتعدد الدلالات.

وبمناسبة المؤتمر أصدر المجلس الأعلى للثقافة طبعة تجريبية استطلاعية محدودة من بيليوجرافيا ضمت ثلاثة آلاف صفحة في خمسة مجلدات عن الرواية العربية من ١٨٦٥ إلى ١٩٩٥م.

ومُنحت جائزة القاهرة للإبداع الروائي العربي في عامها الأول للكاتب الروائي عبدالرحمن منيف عن مجمل إبداعه، وأشادت اللجنة في تقريرها بتجربة المنيف الروائية واصفة إياها بأنها توحد الزمن العربي المفكك في زمن روائي متنوع وخصب.

وفي ختام المؤتمر أعلن د. جابر عصفور أنه قد تقرر إضافة جائزة باسم أفضل عمل إبداعي خلال عامين إلى الجائزة الرئيسية التي تُمنح للمبدع عن مجمل إبداعه بدءًا من المؤتمر المقبل.

المطالبة بأجنحة مجانية لفلسطين في معارض الكتب العربية

طالب اتحاد الناشرين العرب خلال مؤتمره الأخير بالقاهرة بتخصيص أجنحة مجانية في معارض الكتب العربية لفلسطين دعمًا لكفاح شعبها، وأعرب أعضاء الاتحاد عن ارتياحهم لاستمرار مقاطعة المعارض العربية لإسرائيل.

وكانت الجمعية العمومية للاتحاد قد انعقدت بمشاركة ١٢٠ ناشرًا من مختلف أنحاء الوطن العربي، حيث استعرضت إنجازات مجلس إدارة الاتحاد، وعقدت انتخاباتها التي أسفرت عن اختيار الناشر المهندس إبراهيم المعلم (مصر) رئيسًا للاتحاد للمرة الثانية على التوالي، وحظي بمنصب نائب الرئيس كل من: محمد الثنيان العبيكان (السعودية)، وعدنان سالم (سورية)، ورابح الدخيلي (تونس)، ونال الأمانة العامة عبود خير الله عبود (لبنان) ونائب الأمين العام محمد رشاد (مصر)، وأمانة الصندوق د. فتحي البس (الأردن).

وأصدر الاتحاد دليلاً بيليوجرافيًا يتضمن كل ما صدر في الدول العربية من كتب خلال عام ١٩٩٧م.

تجمع سكاني في توشكي عمره ٩٠ قرنًا

اكتُشف في منطقة توشكي في جنوب مصر تجمع سكاني يعد الأقدم من نوعه في العالم، حيث يعود إلى ما قبل تسعة آلاف عام، يضم ١٦ قرية تحتوي على ما بين ١٠ إلى ٥٠ منزلاً بيضي الشكل، وجميعها مبني من الحجارة ومواد بيئية أخرى. وعُثر في تلك القرى على بقايا أول صناعة للفخار في مصر القديمة وأوان مصنوعة محليًا أو مستوردة من النوبة.

يذكر أن منطقة توشكي ينفذ فيها حاليًا مشروع عملاق لاستصلاح مساحات كبيرة من الأراضي الصحراوية وزراعتها وريِّها بمياه النيل.

جائزة أدب الطفل

ينتظر أن تعلن خلال شهر ربيع الأول المقبل (يوليو ١٩٩٨م) أسماء الفائزين بجائزة أدب الأطفال في مصر في عامها الأول.

وكانت الشعبة المصرية للمجلس الأعلى لكتب الأطفال قد انتهت ـ مؤخرًا ـ من استلام المشاركات للجائزة التي تبلغ قيمتها ٤٥ ألف جنيه موزعة على ثلاثة فروع: الأول لأحسن نص أدبي مكتوب للطفل (مسرح ـ قصة ـ شعر)، والثاني لأحسن رسم لكتاب الطفل، والثالث لأحسن ناشر.

مؤتمر مجمع اللغة العربية

تختتم في مطلع شهر ذي الحجة الجاري أعمال الدورة الرابعة والستين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

بحثت الدورة بعض قضايا اللغة العربية ومشكلاتها بمشاركة ٦٥ عالمًا من أعضاء المجمع ومراسليه والمستشرقين. ومن الدراسات التي نوقشت بحث الدكتور عبدالهادي التازي عن «لغة رحلة ابن بطوطة»، وآخر للدكتور ناصر الدين الأسد بعنوان «مقدمة لدراسة الحداثة الشعرية العربية»، ودراسة للمستشرق الروماني نيقولا دوبريشان عن «التعبير عن معاني ودلالات السوابق الأوربية في اللغة العربية ودلالاتها»، وبحث للمستشرق الهولندي فريدريكو كورنتي كوردیا بعنوان «أدلة جديدة على الأصول العربية لبنية التواشيح والزجل».

وفاة الشاعر الناقد كمال النجمي

توفي الشاعر الصحافي الناقد كمال النجمي رئيس تحرير مجلتي «الكواكب» و«الهلال» الأسبق عن عمر ناهز ٧٤ عامًا.

وللراحل إبداعات متنوعة، وهو ثالث ثلاثة منحهم عملاق الأدب العربي الراحل عباس محمود العقاد جائزة مجمع اللغة العربية، التي نالها عام ١٩٥١م عن ديوانه «الأنداء المحترقة»، كما نال عام ١٩٩٤م وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.

ببليوجرافيا للفنانين التشكيليين

شكَّل المركز القومي للفنون التشكيلية لجنة مكونة من ١٧ ناقدًا وفنانًا تشكيليًا، إضافة إلى عضوين يمثلان المركز من أجل إنشاء ببليوجرافيا للفنانين التشكيليين المصريين.

ينتظر أن تشمل الببليوجرافيا الفنانين المصريين المنحدرين من أصل أجنبي، وأيضًا الذين هاجروا إلى أمريكا وأوربا. وتحتوي على المعلومات اللازمة عنهم.

من ناحية ثانية احتفلت كلية الفنون الجميلة بمرور تسعين عامًا على إنشائها، عبر

تنظيم مؤتمر علمي بعنوان «الفنون الجميلة وتحديات العصر».

ناقش المؤتمر محاور منها: الفنون الجميلة ذاكرة أمة ومرآة عصر، حرية الإبداع بين الهوية والتغريب، دورالدولة في الرقي بالذوق العام، والنقد الفني بين المبدع والمتلقي محليًا وعالميًا.

مؤتمر للحضارة الأندلسية وتكريم جوميث

شارك سبعون باحثًا عربيًا وأجنبيًا في أعمال المؤتمر الرابع للحضارة الأندلسية الذي نظمته - مؤخرًا - كلية الآداب بجامعة القاهرة.

دار المؤتمر حول ثلاثة محاور مهمة هي: الفكر الديني والفلسفي، الآداب والفنون، والدراسات التاريخية والتراث.

وكرَّم المؤتمر اسم المستشرق الإسباني أميليو جارثيا جوميث (١٩٠٥-١٩٩٥م) تقديرًا لإسهاماته المتميزة في ترجمة الأدب العربي إلى الإسبانية، وبحوثه الرائدة في مجال الدراسات العربية والإسلامية والأندلسية.

كتب جديدة

ديوان كشاجم، تأليف محمد بن الحسين السندي بن شاهك، الملقب بكشاجم، تحقيق د. النبوي عبدالواحد شعلان، صدر عن مكتبة الخانجي في القاهرة.

الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، تأليف أيمن فؤاد سيد، صدر عن الدار المصرية اللبنانية.

غواية موتى، ديوان لسلوى نعيمي، صدر عن دار شرقيات.

إنهم يقتلون البيئة، تأليف د. ممدوح حامد عطية، صدر ضمن سلسلة «الألف كتاب الثاني»، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

إيران: دراسة عن الثورة والدولة، تأليف وليد عبدالناصر، صدر عن دار الشروق.

انفجار جمجمة، رواية لإدريس علي، صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة.

اذهب حيث يقودك قلبك، رواية سوزانا تامارو، ترجمتها إلى العربية أماني فوزي حبش، وصدرت عن المركز المصري العربي.

آخر الليل، تأليف عبدالرحمن الأبنودي، صدر ضمن سلسلة «الكتاب الذهبي» عن مؤسسة روز اليوسف.

الموسوعة الميسرة في العلوم المعاصرة، تأليف محمد عبدالعزيز الهلاوي، صدرت عن مكتبة ابن سينا.

كواكب حول الرسول، تأليف عبدالمنعم كامل طنطاوي، صدر عن مركز يافا للدراسات والأبحاث.

عين النقد على الرواية الجديدة، تأليف د. صلاح فضل، صدر عن دار قباء.

القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار، تأليف د. محمد عمارة، صدر عن دار نهضة مصر.

علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م (بحث في مصادر الثورة السودانية) تأليف يوشيكو كوريتا، ترجمه إلى العربية مجدي النعيم، وصدر عن مركز الدراسات السودانية.



سورية

مهرجان تدمر

تقام الدورة السادسة لمهرجان تدمر (البادية) السياحي الدولي في النصف الثاني من شهر محرم المقبل ١٤١٩هـ (١٥ مايو ١٩٩٨م).

تنظم المؤتمر وزارة السياحة السورية ويستمر ثلاثة أيام، ويتضمن سباقات للخيول العربية الأصيلة والهجن، وعروضًا للمراكب واللقى الأثرية التدمرية، ومعرضًا للصناعات اليدوية، وآخر للأزياء الشعبية والمأكولات التدمرية، وفعاليات ثقافية وسياحية أخرى.

لبنان

الأوضاع الاقتصادية توقف صدور «بيروت تايمز»

توقفت جريدة «بيروت تايمز» اللبنانية الناطقة بالإنجليزية عن الصدور في شهر شوال الماضي بعد أن صدر منها ١٨٢ عددًا.

ناشرو الجريدة عزوا التوقف إلى الأوضاع الاقتصادية السائدة في لبنان، مشيرين إلى أن التوقف لا يتعلق بالأوضاع المالية للصحيفة، وأن صدورها معلق في انتظار تحسن الأوضاع التي أدت إلى توقفها.

رحيل الشاعر ميشال طراد

توفي ابن زحلة الشاعر ميشال طراد عن عمر ناهز ٨٦ عامًا.

وُلد طراد في زحلة عام ١٩١٢م، وبعد وفاة والده انتقلت به والدته إلى بلدة بسكنتا في صنين، والتحق بمدرستها، وظل بها إلى أن التحق بالكلية الشرقية في زحلة، ثم الكلية العلمانية الفرنسية، فبيت الحكمة في بيروت؛ حيث تلمذ للشاعر عبدالله غانم، والأديب مارون عبود، وعمل بعد تخرجه في سلك التدريس، ثم في دار الكتب فالمتحف الوطني، حتى عين عام ١٩٤٢م مديرًا لقلعة بعلبك، وظل في هذا المنصب حتى تقاعده عام ١٩٧٦م. ومنح وسام الأرز من رتبة ضابط.

من دواوينه: «جلنار» ١٩٥٠م، «ليش» ١٩٦٤م، «الغراب الأسود»، «دولاب»، «المركب التائه»، وغيرها.

كتب جديدة

البحث عن الجوهر، تأليف وفيق غريزي، صدر عن دار العلم للملايين في بيروت.

الإنفاق العسكري الإسرائيلي ١٩٦٥-١٩٩٠م، تأليف د. طلال محمود كداوي، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

صحة النساء النفسية بين أهل العلم وأهل الدين: دراسة ميدانية في بيروت الكبرى، تأليف عزة شرارة بيضون، صدرت عن دار الجديد.

الفلسفة والتأويل، تأليف نبيهة قارة، صدر عن دار الطليعة.

نصوص، تأليف عارف علوان، صدر عن دار النبوغ.

الجواهري: جدل الشعر والحياة، تأليف د. عبدالحسين شعبان، صدر عن دار الكنوز الأدبية.

الأردن

مكتبات متنقلة لخدمة المناطق النائية

بدأت أول مكتبة متنقلة في الأردن تقديم خدماتها للمواطنين في المناطق والقرى النائية التي لا تتوافر بها مكتبات.



تنفذ المشروع مؤسسة عبدالحميد شومان الثقافية بالتعاون مع مركز هيا الثقافي.

تونس

اختتام الندوة الدولية عن ابن رشد

اختتمت - مؤخراً - أعمال الندوة الدولية حول الفيلسوف العربي ابن رشد التي نظمها المجمع التونسي للآداب والعلوم والفنون (بيت الحكمة) بالتعاون مع منظمات اليونسكو والإيسيسكو والألكسو بمناسبة الذكرى الثمانمئة لرحيل الفيلسوف الكبير.

وكانت الندوة التي افتتحها وزير الثقافة التونسي د. عبدالباقي الهرماسي قد ناقشت على مدى ستة أيام عدداً من المحاور المتعلقة بفكر ابن رشد وتراثه من بينها علاقته بالفلسفة اليونانية، والفكر الديني والعلوم الإسلامية لديه، ومكانته في تاريخ الفكر، وكيفية الاستفادة اليوم من فكره، وموضوعات أخرى..

وأصدرت دار الحكمة بهذه المناسبة الترجمة العربية لكتاب ابن رشد «الشرح الكبير لكتاب النفس لأرسطو»، إضافة إلى الترجمة اللاتينية نظراً لضياع النص العربي.

كتب جديدة

أسنى المطالب في صلة الأرحام والأقارب، تأليف شهاب الدين بن حجر المكي (١٥٠٣ - ١٥٦٦م)، تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة، صدر عن مؤسسة التميمي للبحث العلمي في تونس.

الشرح الكبير لكتاب النفس لأرسطو، تأليف ابن رشد، نقله عن النص اللاتيني إلى العربية إبراهيم الغربي، وصدر عن المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة).

الجزائر

صحيفتان جديدتان

انضمت صحيفتان جديدتان إلى ركب الصحافة الجزائرية؛ أولاهما باللغة العربية تحت مسمى «صوت الأحرار»، والثانية باللغة الفرنسية باسم «جزائر الغد».

تصدر الصحيفتان يوميًا، وبصدورهما يصبح عدد الصحف الجزائرية اليومية ٥ صحف باللغة العربية و١٠ باللغة الفرنسية.

ندوة: وثائق تاريخ الجزائر

استضافت العاصمة الجزائرية أعمال ندوة دولية حول الأرشيف الخاص بتاريخ الجزائر خلال شهر شوال الماضي.

شارك في الندوة، التي كان مقرراً أن تقام قبل عام ونصف العام وتأجلت مراراً، متخصصون في الوثائق والتاريخ من مختلف أنحاء العالم، وممثلون لدور الوثائق والأرشيف بالدول العربية.

المغرب

ندوة: المسلم في التاريخ

نظمت مؤسسة الملك عبدالعزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ندوة دولية في الدار البيضاء حول «المسلم في التاريخ» خلال المدة من ٢٧ إلى ٢٩ ذي القعدة الماضي (٢٥-٢٧ آذار/ مارس ١٩٩٨م).

ناقشت الندوة عدة موضوعات ومحاور من أبرزها: المعقول والمنقول في طرق تفكير المسلم، المثال والسلوك لدى المسلم عبر التاريخ، المسلم في مرآة الذات ومرآة الآخر، والمسلم والمستقبل: التحديات والآفاق، ومحاور أخرى

أنماط التفاعل الاجتماعي

نظمت كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس في الرباط - مؤخراً - ندوة علمية عن «المجالات الجغرافية: المجتمعات والعلوم الاجتماعية».

شارك في الندوة علماء ومتخصصون في التاريخ والجغرافية والعلوم الاجتماعية، حيث ناقشوا موضوعات متنوعة من بينها: الحوار بين المؤرخين والأنثروبولوجيين والجغرافيين، والمعرفة الأنثروبولوجية وإسهاماتها في صياغة رؤية شمولية للمجتمع والمستقبل، وأنماط التفاعل الاجتماعي والأزمات الهيكلية، ومحاور أخرى.

كتب جديدة

المسرح في المغرب: بنيات واتجاهات، تأليف عبدالواحد عوزري، صدر بالفرنسية عن دار توبقال في الدار البيضاء.

تجار الصويرة: المجتمع الحضري والإمبريالية في جنوب غربي المغرب ١٨٤٤-١٨٨٦م، تأليف دانييل شروتر، ترجمه إلى العربية خالد بن الصغير، وصدر ضمن سلسلة «نصوص وأعمال مترجمة» عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط.

المغرب: وقائع ديموقراطية تتحول، تأليف فتيحة العيادي ونرجس الرغاي، صدر بالفرنسية عن دار نشر أيديف.

في وطن أزماتنا: بحث في الداء المغربي، تأليف بنسالم حميش، صدر عن دار إفريقية أورينت كازبلانكا.

جورجيا

تمثال فرعوني على ساحل البحر الأسود

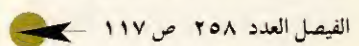
عثر في قرية تشايسو على ساحل البحر الأسود في جورجيا على تمثال فرعوني مصنوع من حجر البازلت.

علماء الآثار الذين حققوا هذا الكشف أشاروا إلى ماوراه المؤرخ الإغريقي هيردوت عن قبائل كلوتشمي المنحدرة من أصول مصرية والتي قال عنها: إنها سكنت تلك المنطقة قبل الميلاد بنحو ألف عام.

فرنسا

اتفاقية دولية للحفاظ على تراث القدس

وَقَّعت منظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة



الأمم المتحدة للعلوم والثقافة والتربية (اليونسكو) اتفاقية للتعاون بين المنظمتين للمحافظة على التراث الثقافي لمدينة القدس، ومساعدة أبناء فلسطين في مجالات التربية والثقافة والاتصال والعلوم.

نصّ الاتفاق أيضًا على التنسيق بين المنظمتين لدعم عملية إعادة البناء والتنمية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وبخاصة في مجال التعليم.

الفرنسيون يفضلون الصحف الرياضية

كشف استطلاع هاتفي أجراه معهد ايبسوس ميديا أن ٤٩٪ فقط من الفرنسيين قرؤوا الصحف بصورة منتظمة خلال عام ١٩٩٧م مقابلة بـ ٥١٪ عام ١٩٩٦م.

وأشار الاستطلاع إلى أن الرجال يمثلون ٦٠.٦٪ من القراء، وأن ٦٠٪ من القراء يقيمون خارج المدن، بينما بلغ متوسط الوقت المخصص للقراءة نصف ساعة. وكشف الاستطلاع أن صحيفة «ليكيب» الرياضية تأتي في المرتبة الأولى بين الصحف المقروءة؛ إذ تحظى بـ ٢.٤ مليون قارئ، تليها صحيفة «لوموند» ٢.١ مليون قارئ.

يذكر أن الاستطلاع الذي أجرى بالهاتف شمل ما يقرب من ٢٠ ألف شخص.

بينالي لشباب فناني الصورة

تستضيف المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة في باريس أول بينالي لشباب الفنانين في العالم الذين يستخدمون الصورة في جميع أشكالها: تصوير فوتوغرافي، فيديو، سينما، وحاسب آلي.

يقام البينالي تحت عنوان «الصورة في باريس عام ١٩٩٨م» خلال شهر محرم المقبل ١٤١٩هـ (أيار/ مايو ١٩٩٨م). وينتظر أن يقدم البينالي ثلاثين فنانًا غير معروفين تحت شعار «مساحة صغيرة جدًا من الزمن».

سلسلة جديدة تختص بالدراسات التاريخية

بدأت دار نشر لي سول في إصدار سلسلة كتب جديدة تهتم بالأعمال التاريخية تحت مسمى «لافيرون دي روش»، بإشراف جان كولوت.

استهلت الدار السلسلة الجديدة بإصدار دراسة عن تاريخ الرجل المعاصر أعدها هنري دلبورت، وأخرى عن نهاية العصر الحجري في شمالي فرنسا شارك في إعدادها جان تاريت وروجيه جوسوم.

جائزة اليونسكو للصحافة لصحافية نيجيرية

مُنحت الصحافية النيجيرية السجينة كريستينا أنيانوو جائزة منظمة الأمم المتحدة للعلوم والثقافة والتربية (اليونسكو) لحرية الصحافة عام ١٩٩٨م.

وأنيانوو مسجونة منذ قرابة ثلاثة أعوام إثر نشرها في آذار/ مارس ١٩٩٥م مقالاً عن محاولة انقلاب على الحكومة النيجيرية حيث حُكم عليها بالسجن ١٥ عامًا.

يذكر أن الجائزة أنشئت عام ١٩٩٧م، وتسعى إلى تكريم شخص أو منظمة أو مؤسسة أسهمت بطريقة بارزة في الدفاع عن حرية الصحافة في أي مكان في العالم، وتبلغ قيمتها ٢٥ ألف دولار.

متحف للفنون البدائية

اختار الرئيس الفرنسي جاك شيراك قطعة أرض على نهر السين في باريس مساحتها ٣٥ ألف متر مربع ليقام عليها متحف للحضارات والفنون البدائية.

ينتظر أن يضم المتحف الجديد عند إنشائه المجموعات الأثرية والفنية الموجودة في متحف الإنسان بقصر شايو ومتحف الفنون الإفريقية. ويتكلف مشروع المتحف الجديد مليار فرنك (١٧٠ مليون دولار).

أحدث الكتب

القدس مدينة مفتوحة، تأليف مجموعة من المؤلفين الفلسطينيين والإسرائيليين.

القومية الكورسيكية، تأليف إيمانويل برنابو.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر هارتمان في باريس.

المملكة المتحدة: الاقتصاد والمجتمع، تأليف بول فايس، صدر عن منشورات لوموند.

الإسلام والمسيحية، تأليف الأمير الحسن

رسائل جامعية

«أحكام غير المسلمين في الجرائم والعقوبات في الفقه الإسلامي» عنوان رسالة ماجستير تقدم بها نايف دخيل العصيمي.

«الحوافز وعلاقتها برفع الأداء الأمني» موضوع رسالة ماجستير تقدم بها عوض ناجي المطيري.

نوقشت الرسالتان السابقتان بمعهد الدراسات العليا التابع لأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض.

«مدى انتشار ظاهرة عدم الانتظام في الدوام الرسمي» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الإدارة العامة بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدمت بها ابتسام محمد أحمد جنه.

«الحياة العلمية والثقافية في السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في معهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة، تقدم بها السيد أحمد الباز.

«إدارة المشروعات الهندسية» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة مونتريال بكندا، تقدم بها طارق أحمد عبدالمجيد.

«شعر الشريف الرضيّ.. دراسة فنية» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها عبد الحفيظ مصطفى.

«المباني ذات الفناء الداخلي المغطى ومحيطها الخارجي» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الهندسة بجامعة القاهرة، تقدمت بها نهال عبدالوهاب عامر.

«العجز المتعلم والتشوهات المعرفية» موضوع رسالة ماجستير في علم النفس التربوي نوقشت في جامعة المنصورة بمصر، تقدم بها الفرحاتي السيد محمود.

«الجهود التربوية للمراكز الثقافية الأجنبية في مصر» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة المنصورة في مصر، تقدم بها زهير حجازي.

بن طلال بن عـبـدالـله، صـدرت ترجـمـتـه الفرنسية عن دار بريبولس.

سويسرا

مركز ثقافي عربي

تأسس - مؤخراً - في زيورخ بمبادرة من مثقفين وفنانين عرب وسويسريين مركز ثقافي جديد هو الأول من نوعه في تلك المدينة تحت مسمى «المركز الثقافي العربي السويسري: جاليري الأرض».

يرمي المركز الذي يديره الشاعر علي الشلاه إلى التعريف بالثقافة العربية، وتحقيق التواصل بين المهاجرين والمقيمين العرب في سويسرا وثقافتهم الأصيلة، من خلال ما ينظم من ندوات ومحاضرات متنوعة وأمسيات شعرية وقصصية وقراءات نقدية ومعارض تشكيلية وتراثية وحلقات دراسية.

ويمكن مراسلة المركز على العنوان التالي:

ARABISCH KULTUR ZENTRUM
WEST STRASSE 122
8003 ZURICH - SWISS

أحدث الكتب

الجزائر البيضاء، تأليف آسيا جبار، صدر عن دار نشر أونيوز فرلاج.

الأعمال الشعرية لسليفيان دوبوي، ترجمها إلى العربية أحمد الدوسري، وراجعها د. شارل جونكو، وصدرت عن دار مؤسسة جسور في جنيف.

الولايات المتحدة

وسام فرانكلين للعلوم للدكتور أحمد زويل

مُنح العالم المصري الأصل الأمريكي الجنسية د. أحمد حسن زويل وسام بنجامين فرانكلين، الذي يعد أعرق جائزة علمية أمريكية تقديراً لإسهاماته في خدمة العلم.

ووسام بنجامين فرانكلين أسس قبل ١٨٠ عاماً، وهو لا يُمنح إلا للعلماء الكبار الذين يحققون إنجازات باهرة غير مسبوقة في خدمة العلم، ومن بين مَنْ حصلوا عليه: مخترعا الطائرة الأخوان رايت، ومدام كوري، وألبرت أينشتين.

يذكر أن د. زويل سبق له أن فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم في مجال الفيزياء عام ١٩٨٩م. ويُنتظر أن يحتفل في فلادلفيا بتقليده الوسام في بداية شهر محرم المقبل (٣٠ أبريل ١٩٩٨م).

رحيل الداعية محمد مهدي

توفي في لونغ أيلاند الداعية الدكتور محمد مهدي، الأمين العام للمجلس الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية رئيس لجنة العلاقات العربية - الأمريكية عن عمر ناهز ٧٠ عاماً إثر نوبة قلبية.

والفقيد من مواليد بغداد، وارتحل عام ١٩٤٩م إلى الولايات المتحدة للدراسة، حيث نال درجة الدكتوراه في القانون الدستوري من جامعة كاليفورنيا، وأوقف جهده على الدفاع عن قضايا المسلمين وحرية التعبير، حتى لقد وصفه وزير العدل الأمريكي السابق رامزي كلارك بأنه كان «رجلاً على درجة عالية من الشجاعة والعطف، وظل حتى آخر لحظة في حياته على التزامه السعي إلى العدل للجميع».

أحدث الكتب

سياسة الإصلاح الاقتصادي في مصر، تأليف إيليا حريق، صدر عن منشورات جامعة فلوريدا.

الفردوس، رواية لتوني موريسون، صدرت عن دار نشر ألفرى آي كنوب في نيويورك.

«الصورة الشعرية عند شعراء الجيل الثاني في حركة الشعر الجديد في مصر»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية البنات بجامعة عين شمس، تقدمت بها عزة محمد أبو النجا.

«المستويات الدلالية والجمالية في شعر فدوى طوقان»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا في مصر، تقدمت بها عبير محمد أبو زيد.

«دراسة أدبية لاثنتين من مسرحيات شيلا ديلاني: (مذاق العسل) و(الأسد يحب)» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدمت بها بتول سمير خطاب.

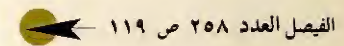
«فن الخداع البصري وإمكاناته التشكيلية لتنمية الابتكار في التصميم لدى طلاب الكليات الفنية» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية الفنية، تقدم بها شحتة حسني حسين.

«دراسة تاريخية وآثارية للجماعات العربية في أسوان والنوبة حتى نهاية العصر الأيوبي في ضوء مجموعة شواهد القبور المكتشفة بجبانة أسوان» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة، تقدم بها حسن مدني محمود.

«موقف الصحف القومية المصرية من الأطفال المبدعين» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في معهد الدراسات العليا للطفولة بجامعة عين شمس، تقدمت بها سمية سعدالدين.

«الصداع النصفي وعلاقته باعوجاج الحاجز الأنفي وتضخم الزوائد الأنفية» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الطب بجامعة القاهرة، تقدم بها أحمد مرسي.

«جامع الآثار في مولد المختار صلى الله عليه وسلم للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي: دراسة وتحقيق» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، بالخرطوم، تقدم بها الطالب العراقي رفيق حميد طه السامرائي.





ألمانيا

جائزة الإعلام للعاهل الأردني

منح العاهل الأردني الملك حسين بن طلال جائزة الإعلام الألمانية لعام ١٩٩٧م، تقديرًا لجهوده من أجل السلام.

والجائزة تمنحها سنويًا وسائل الإعلام الألمانية، وقد مُنحت في عام ١٩٩٥م للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات بالاشتراك مع رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحق رابين (بعد اغتياله).

أحدث الكتب

الأعمال الشعرية غير المنشورة للشاعر باول تسيلان، صدرت عن دار سور كامب.

المدن الميتة: المدن القديمة في شمالي سورية خلال الفترة المتأخرة من التاريخ القديم، تأليف كريستينا شتروب، صدر عن دار نشر تسابرن في مدينة ماينز.

بريطانيا

الوراثة وراء عسر القراءة والفهم

كشفت دراسة أعدها فريق من العلماء في مختبر الفيزيولوجيا بجامعة أكسفورد أن عسر القراءة والفهم يعودان إلى خلل وراثي في آلية حماية الجسم، ناتج من بعض الأجسام المضادة.

ونجح العلماء، بعد دراسة مختبرية شاركت فيها ٩٠ عائلة، في عزل ثلاثة جينات لها علاقة بهذا الخلل قريبة من الجينات المتحكمة في نظام المناعة بالجسد البشري.

بانيبال

هذا هو اسم أحدث مجلة إنجليزية مختصة بالأدب العربي، وقد صدر عددها الأول - مؤخرًا - في لندن.

ناشرة المجلة ورئيسة تحريرها مرجريت أوبانك ذكرت أن اسم المجلة مستمد من الملك الأشوري بانيبال، وتصدر حاليًا نصف سنوية؛ على أن تصدر فصليًا ابتداءً من العام الميلادي المقبل.

فنون فينيقية في معرض بلندن

افتتح عميد السلك الدبلوماسي العربي في بريطانيا السفير اللبناني محمود حمود - مؤخرًا - معرض «فينيقية.. فنونها وتأثيرها» الذي استضافته قاعة أوليمبيا بغرب لندن.

ضم المعرض مجموعة من أندر الفنون الفينيقية مثل: عرش عشتار، والألفباء، وعملات وحلي ذهبية. وواكبته محاضرة لرئيسة متحف الأركيولوجيا التابع لجامعة بيروت الأمريكية د. ليلى بدر عن «بيروت الفينيقية».

أحدث الكتب

صموئيل بيكيت ونهاية الحداثة، تأليف ريتشارد بيكام، صدر عن منشورات جامعة ستانفورد.

الدبلوماسية الإيجابية، تأليف بيتر مارشال، صدر عن دار نشر ماكميلان.

الإنكشارية، تأليف جودفري جودوين، صدر عن مكتبة الساقي.

السلطة والمال، تأليف رني سندريتو، صدر عن دار نشر إيكونوميكا.

ألم مبدع، رواية لأندرو ميللر، صدرت عن دار نشر سكبتر.

من شارع الرشيد إلى أكسفورد ستريت: قصص للضحك والبكاء، تأليف خالد القشطيني، صدر باللغتين العربية والإنجليزية عن دار الرافد في لندن.

ذلك الصيف في إسكندرية، رواية لبرهان الخطيب، صدرت عن دار النبوغ في لندن.

العثمانيون وسورية، تأليف ديك داوفنز، صدر عن دار نشر أي بي توريس.

البرتغال

رحيل الفنان التشكيلي أوجستو باروس

توفي الرسام البرتغالي العالمي أوجستو باروس في لشبونة عن عمر ناهز ٦٩ عامًا.

وينتمي باروس إلى الاتجاه التجريدي، وأقيم أول معرض له عام ١٩٥٩م، ويعد أحد مؤسسي مؤسسة جولبنك يان.

«الثقافية» تحتفل ببدء عامها الخامس



غلاف العدد

صدر عدد جديد من مجلة «الثقافية» التي يصدرها المكتب الثقافي السعودي في بريطانيا وإيرلندة، وبهذا العدد أكملت «الثقافية» عامها الرابع.

وتضمن العدد مقالات وتحقيقات متنوعة، ومن أهم ما جاء فيها: تحقيق عن وثنيين يركعون للشمس في بريطانيا، وفي مقهى «الثقافية» حوار وحديث عن الشعر والثقافة والتاريخ، كما ضم العدد استطلاعًا طُرح في شكل تساؤل: الثقافة: خدمة أم تجارة؟ وفي العدد مقالات علمية وأدبية وفنية كتبتها نخبة من الكتاب والأدباء العرب.

قصة قصيرة

ويبقى الود

محمد أحمد مجذوب

الشمس بدأت في التمطي والتثاؤب؛ بينما امتدت أصابعها تخط على صفحة الماء خطوطًا ذهبية تتماوج في نسق بديع مع هبات نسائم الصباح. امتدت على الشاطئين غابات النخيل الباسقة رافعة أكفها نحو السماء تتمايل في خشوع أبدي، وقد ناءت بحملها من سبائط البلح الزاهية.

وقف حاج حسين بجسده الفارع الذي لا يخلو من تجاعيد في أماكن متفرقة منه. نصفه الأعلى عار وقد غاصت أقدامه في وحل الجداول المتدفقة. يرفع رأسه بين الفينة والأخرى متأملاً السبائط المتدلية ولسان حالها يقول: هيت لك. ثم يرمي ببصره إلى النهر الخالد في مسيره السرمدي. درجة التعكر في ماء النهر ازدادت كثافتها فبدا النهر نهرًا من طين، المسافة ما بين سطح الماء وأعلى الشاطىء تتضاءل تدريجيًا كل يوم بدرجة تثير القلق. السواقي تشق جدران الصمت بأنين مكتوم متصل، بينما يحمل إليه الهواء أصوات الآخرين الذين تخفيهم سيقان النخيل المتشابك، وأيضًا تصايح الناس في الشاطىء المقابل.

أخذ يحدث نفسه: ربنا يعدي هذا العام على خير. فالنخل مثقل بالثمار والآمال الكبيرة ممتدة امتداد النهر الذي يخترق الأفق.

انتبه على صوت ابنه الصغير حسن ذي الست سنوات وهو يناديه قادمًا من المنزل لتناول الإفطار. اتجه ناحيته هاشًا. طفق حسن يرمق أباه وهو يزدرد الطعام وفي يده بصلة تشكو آثار القضم، لم يرد أن يفسد على أبيه استمتاعه بالطعام، ولكن رغبته في الكلام كانت أقوى: أبي، عم ود إبراهيم فتح بلاغ ضدك.

نظر إليه والده ثم توقف عن الأكل وبصوت غصّ بالدهشة قال: من أخبرك؟

- سمعت من أفواه الناس.

رنا حاج حسين ببصره إلى النخلات الخمس السامقات المنزويات في ركن غير بعيد وجريدهن الندي زادت خضرته والرطب يتدلى منهن كأثداء بقرات أسطورية. أخذ يلحس أصابعه من بقايا الطعام ويفكر بصوت مسموع: لن يستطيع ود إبراهيم أو غيره أن يدنو من تلك النخلات ولو طرق أبواب الجن الأزرق.

عندما افترش حاج حسين الثرى في تلك الجلسة التي تنعقد كل مساء أمام دكان حاج الأمين يتسامرون ويناقشون أمر الفيضان المرتقب، كان وجهه جامد الأسارير في عبوس لم تزله قفشات المتحلقين حول مذياع عتيق استعان على غوائل الدهر برباط متين لف حوله ليمنع أحشاءه من الاندلاق، ومع ذلك يجيء صوته واضحًا. كان ود إبراهيم موجودًا يرمقه من حين لآخر بنظرة تَشَف تصاحبها ابتسامة صفراء كلون الضوء المنبعث من الفانوس القابع على مقربة، يقابلها هو بنظرة وعيد، ثم ينحدر نظره إلى البعيد حيث تبدو أشجار النخيل وأشجار السلم في الظلام كمردة العصور القديمة.

هناك شيء يزحف نحوهم ببطء وفي صمت لم ينتبهوا إليه، شيء براق يلتمع مع انعكاس ضوء القمر عليه. انبعث صوت المذيع يوضح ما عليه منسوب الماء عند محطة الديم والخرطوم مع احتمال حدوث فيضان مفاجئ في وقت ما. تململ حاج حسين وأطلق زفرة حرّى، قابلها ود إبراهيم بابتسامة متهكمة..

نعم إنه يقصدني. لن أنسى تلفيقاته أمام حضرة القاضي، سبحان الله أيمكث في الصعيد عشرين عامًا ثم يدعي ملكيته للنخلات؟! من المعلوم للجميع أن النخلات قد نبتت على الشاطىء عند نهاية عود الأرض الذي قدمه في الماضي جده لأبيه صداقًا لجدته، وقد آل العود إلى والدته ثم إليه لأنه وحيدها. ولكن هذه الحقيقة لا تريد أن تخترق عقل ود إبراهيم إطلاقًا؛ فاستمرأ الدخول معه في منازعات تُفَضّ سلميًا ثم تُطل برأسها مرة أخرى. فكر بصوت مسموع كعادته: لن ينال منها شيئًا حتى لو رأى حلَمة أذنه! التفت إليه أحدهم: حاج حسين هل جننت؟ خبر الفيضان جعلك تحدث نفسك؟ اعترت الحضور موجة ضحك عالية وأكثرهم ضحكًا ود إبراهيم.

كاد الغيظ يقتله، الزاحف البراق يقترب، أحس بالإهانة، استحالت وجوه الحاضرين كلها وجهًا واحدًا، هو وجه ود إبراهيم. رفع إصبعه محذرًا: ود إبراهيم من الأحسن أنْ تلزم حدودك. نظر إليه الحضور بوجوم ما عدا ود إبراهيم الذي استرسل في ضحك هستيري واستحال فمه كهفًا واسعًا تبدو على أطرافه أسنانه الصدئة كقطرات المياه المتكلسة عند مداخل المغارات. حاج حسين لا يرى شيئًا خلاف ذلك الفم المفتوح قهقهة، اقترب منه.. امتدت يده سريعة قوية في اتجاهه.

احتدم العراك وعلا الصراخ.. تدحرج المذياع بعيدًا وقد اندلقت أحشاؤه.. الغريب أنه ظل يعمل! كانوا لحظتها يعدون ود إبراهيم الذي فقد سنّه الأمامية، والتي - فيما مضى - كانت منفردة دون أخواتها بالاتكاء على شفته السفلى بادية للعيان. خرست منهم الألسن حين ملأ آذانهم صراخ آخر جعل شعر رؤوسهم يقف: يا أهل القرية.. القرية ستغرق.

انطلقت الجموع زرافات ووحدانا مهرولة في اتجاه النهر وقد تملكها الذعر، تناهى إليهم أصوات أشياء تسقط في الماء: طاخ.. طاخ.. طبش.. طبش..طبش.

ارتفعت المياه إلى نصف الساق. انهمك بعضهم في تمتين السدود الترابية حول المنازل والمعاطن. الخوف كل الخوف على الأرض البحرية حيث الآمال الكبيرة القابعة هناك: كمائن الطوب، الأرض المزروعة، غابات النخيل والبساتين.

انجلى الصبح عن كئيب، كشف الخسائر يثير الألم الممض، عشرات الرؤوس من الضأن والمعز بعضها انهارت فوقه الجدران وبعضها الآخر جرفته المياه. تهاوت المنازل التي لم تطلها يد الترميم.

وقف حاج حسين يتأمل حاله، الماء يغطي ركبتيه، كان أكثر الناس تضررًا، تلاشت الأحواض الخضرة.. أضحت الأرض على امتداد البصر مسطحًا مائيًا. كل أشجار نخيله التي على الشاطىء اقتلعها الفيضان ورحلت ثلاثون شجرة مع التيار. التفت إلى النخلات الخمس.. لم تكن في مكانها.. فليقم ود إبراهيم الأفراح... لقد ذهبت مع الريح.

استلقى على ظهره مغمض العينين، طرق رأسه صداع فظيع، حبات المسبحة تتساقط في رتابة، تعالى أنينه وتزامن مع أنين عنزته السوداء التي تعاني من ضغط الجنين، ستلد توأمين إن شاء الله. إنها لم تفعلها من قبل ولكن بطنها تقول ذلك، سمع طرقًا على الباب.

ولج ود إبراهيم الباب بصحبة حاج الأمين، ارتمى عليه ود إبراهيم الذي انخرط في بكاء حار؛ بينما كان حاج الأمين يوضح للحمال أين يضع جوالات الذرة الخمسة.

إنهما ما زالا متعانقين والدموع تقول: ويبقى الود بيننا..


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن: مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ ..تلكس ٤٠١٤٧٩ جزائي اس جي

أول من نزلت به آية الملاعنة بين الزوجين

الزنا من أقبح الجرائم الإنسانية، وهو محرَّم في جميع الشرائع؛ لأن خطره عظيم على اختلاط النسب. ومما يزيد الأمر بشاعة أن يرى الرجل زوجته يفترشها رجل غيره. وهذا الكتاب دراسة عن حكم اللعان بين الزوجين، وأول من نزلت به آية الملاعنة بين الزوجين، يضعها المؤلف محمد مفيد بن عزة الخيمي بين يدي كل فرد مسلم أو غير مسلم على وجه العموم، ويضعها تذكرة لقضاة المحاكم، والمستشارين، وطلاب الجامعات، وأساتذتها، وأقسام العلوم الاجتماعية والدراسات الإنسانية والتربية وعلم النفس، على وجه الخصوص، كي يعمل كل منا في مضماره لاستئصال هذه الجريمة النكراء.

وقد ذكر المؤلف حكم قذف المحصنات، وروى قصة سعد بن عبادة سيد الأنصار الغيور عندما نزلت الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنني أغيرُ منك والله أغيرُ مني». ثم ذكر قصة هلال بن أمية الذي كاد الرسول يضربه حد القذف، ثم نزلت آية الملاعنة، ففرح الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، وسُرِّيَ عنه ما كان كرهه واشتد عليه من أمر هلال.

ثم تحدث عن أحكام اللعان، وعن حكم الحمل بعد اللعان، وحكم الولد بعد اللعان وألاَّ يُدعى لأب بل لأمه، وحكم إرث الولد وغير ذلك. ثم تحدث عن الديات وأنواعها ومقدارها، وفي آخر الكتاب ذكر بعض السير والتراجم لعدد من مشهوري الأعلام من الصحابة والعلماء، وختم الكتاب بسرد مصادر الدراسة ومراجع التحقيق.

يقع الكتاب في ١١٢ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن مؤسسة ومكتبة الخافقين بدمشق، والمكتبة الدولية بالرياض عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

يوميات رحلة في الحجاز

كتاب أدبي يتحدث عن رحلة ممتعة - على متاعبها ومشاقها - من لاهور في الهند إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج قام بها الكاتب الصحفي المؤرخ الهندي غلام رسول مهر (١٣١٣- ١٣٩١هـ/١٨٩٥-١٩٧١م) الذي يعد من علماء شبه القارة الهندية الباكستانية الكبار. وقد ترجم الكتاب د. سمير عبدالحميد إبراهيم، وكتب مقدمته.

وأدب الرحلات من أمتع الفنون الأدبية، وأقربها إلى النفس؛ لما في الرحلة من أخبار رائعة وطرائف فائقة وحكايات شائقة. ووقائع هذا الكتاب يوميات دونها صاحبها وأرسلها إلى الهند لتنشر في صحيفته التي كان يصدرها باسم «انقلاب» وبعد ذلك جُمعت في كتاب. وفي هذه اليوميات تفصيل دقيق لكل ما وقع للكاتب في رحلته الطويلة، ووصف دقيق لكل ما حصل له ولإخوانه الحجاج من وقائع وحوادث ومشكلات، وما شاهدوه من أحداث، وما قالوه من أحاديث سياسية، وما فعلوه من أعمال في مناسك الحج من عبادة وذكر ودعاء، وما لاقوه من متاعب. إلا أن كل ذلك يهون أمام الوصول إلى بيت الله العتيق. وفي الكتاب وصف جميل لما لاقاه المؤلف وصحبه من إكرام وحفاوة من قبل الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وأهالي جدة ومكة، وإعجاب الكاتب بالملك عبدالعزيز لقدراته الخطابية، وقوة بيانه وسحره وحماسته ومحبته للإسلام، وفيه أيضًا وصف دقيق للحرم والأماكن المقدسة والشعائر، مع خرائط لكل ذلك.

ويعدّ الكتاب وثيقة تاريخية مبكرة لما كانت عليه المملكة والحرم والشعائر وما آلت إليه الآن من عظمة وروعة ورقي وازدهار. ولهذه الرحلة أهمية كبرى لدارسي تاريخ الجزيرة العربية، وبخاصة في عهد الملك عبدالعزيز؛ لأن كاتبها من الباحثين الملتزمين الدقة والأمانة، ولذا فهو يكتب عن خبرة، ويعبر عن تجربة. وكان قد التقى الملك عبدالعزيز من قرب، وعرفه معرفة وثيقة؛ لذا فإن ما جاء في هذه الرحلة من حقائق يعد شهادة من عالم باحث فاضل.

يقع الكتاب في ١٣٢ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن دارة الملك عبدالعزيز بالرياض ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

التراث والمعارضة عند شوقي

دراسة أدبية نقدية كتبها الدكتور عبدالله التطاوي عن جانب من جوانب شعر أمير الشُعراء أحمد شوقي وظاهرة متميزة في ديوانه، هي معارضته لقصائد بعض أعلام الشعر العربي. واقتصرت الدراسة على ست قصائد، هي من غرر الشعر العربي وفرائده. وهي بائية أبي تمام التي مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وسينية البحتري التي مطلعها:

صنت نفسي عما يدنس نفسي
وترفعت عن جدا كل جِبْسِ

وميمية المتنبي في رثاء جدته التي مطلعها:

ألا لا أرى الأحداث مدحًا ولا ذمًا
فما بطشها جهلاً ولا كفها حلما

ونونية ابن زيدون التي مطلعها:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لُقيانا تجافينا

ودالية أبي العلاء المعري التي مطلعها:

غير مجدٍ في مِلّتي واعتقادي
نوح باكٍ ولا ترنّم شادي

وعينية ابن سينا التي مطلعها:

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنّع

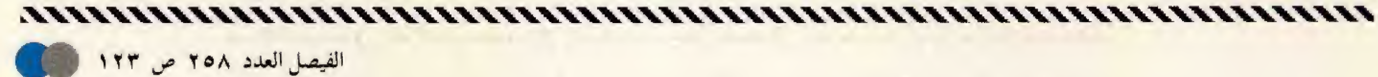
انشعب الكتاب إلى بابين كبيرين رئيسين، وضم كل باب تحت جوانحه عددًا من الفصول، إلى جانب الإهداء والمقدمة والمدخل حول بواعث المعارضة ومستويات الأداء لدى شوقي والتي من أهمها: الرغبة في التواصل مع موروث آبائه وأجداده، بالحفاظ عليه، وبعثه من جديد، وإنقاذه من الاندثار. وولاؤه وحبه له... إضافة إلى مزاوجته بين الموروث والجديد، مع الحفاظ على هوية أمته.

وقد تناول بعض الشعراء والخطباء القدماء بأسمائهم وأعمالهم وما عرفوا به من قضايا مشهورة كالمهلهل ولبيد والنابغة وزهير وحاتم وسحبان وائل وقس بن ساعدة الإيادي وغيرهم. وكذلك تناول بعض الأعلام من غير الشعراء كالخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين والفاطميين وصلاح الدين وزعماء الأندلس وغيرهم.

ثم تحدث عن قراءة التراث وإحيائه ومراجعته والاحتماء به واللجوء إليه حتى لا تضيع الأمة في غياهب بحور الحضارة، كما دعا إلى الأخذ بالعلم الحديث والمعاصرة ونبذ الجهل، وإلى المزاوجة بين الماضي والحاضر، والتفاعل بين التراث والحداثة. وتكلم على منابع التراث وصيغ المعالجة من زمن الفراعنة إلى ذكر أيام المسلمين ووقائعهم والتأثر بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وذكر كذلك التضمين فيما قبل المعارضة؛ كأن يضمن شعره صورًا من بعض القصائد التي أعجبته تؤكد تراثية شوقي وإعجابه بالقديم.

ثم تحدث عن معارضات شوقي لقصائد الشعراء الكبار واحدة واحدة؛ ذاكرًا نقاط اللقاء بين الشاعرين والقرب في المعاني والألفاظ، وما أضافه شوقي من ابتكارات وصور وأساليب وطرائق عرض ومعالجة، وما أضفى عليها من أبعاد نفسية أو دينية أو قومية، وغير ذلك، وختم كتابه بفهرس للموضوعات.

يقع الكتاب في ١٩٨ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن دار غريب للطباعة والنشر في القاهرة ١٩٩٦م.



للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....

مسابقة مجلة
الفيصل

١- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل» ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد ٢٥٥

ج١: من الأحاديث الشريفة التي جاءت في تحريم الظلم:

* مارواه البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة».
* وماوراه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذًا إلى اليمن فقال: «اتّق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب».
* وماوراه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى «إني حرّمتُ على نفسي الظلم وعلى عبادي، فلا تظالموا».
* وماوراه مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتّقوا الظلم. فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة. واتّقوا الشُّحَّ. فإن الشُّحَّ أهلك من كان قبلكم. حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم».

ج٢: تعاقبت مشروعات التوسعة على الحرمين الشريفين، ولاسيما في العهد السعودي الزاهر؛ إلا أن مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - هو أكبر مشروعات التوسعة على الإطلاق. إذ بلغت التوسعة في هذا المشروع المبارك:

- في الحرم المكي: أضافت إلى الحرم مساحة قدرها ١٣٥٠٠٠ متر مربع، ورفعت الطاقة الاستيعابية للحرم إلى أكثر من مليون مصل.
- في الحرم النبوي: أضافت إلى الحرم مساحة قدرها ١٤٨٥٠٠ متر مربع، ورفعت الطاقة الاستيعابية للحرم إلى أكثر من سبعمئة ألف مصل.

نتائج مسابقة العدد ٢٥٥

أ- فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، سهام أحمد بدوي، جبلة، سورية.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، أمل عبدالإله سالم حسين، الرياض، المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، أشباط المحفوظ، الدار البيضاء، المغرب.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- خالد محمد المهدي إسماعيل، الإسماعيلية، مصر.
٢- الصادق منصور الهاني، المنستير، تونس.
٣- موسى عبدالمجيد محمد عبابنة، إربد، الأردن.
٤- هند محمد ثابت الحربي، صنعاء، اليمن.
٥- مسفر بن محمد مسفر آل ملفي القحطاني، أبها، المملكة العربية السعودية.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١- محمد عبدالحميد خميس سليم، حلفا الجديدة، السودان.
٢- داود حسينة، المسيلة، الجزائر.
٣- تمام عبداللطيف ظباطح، دمشق، سورية.
٤- عبدالقادر يمان، سطات، المغرب.
٥- إيصال صالح مزيد الحوامدة، الزرقاء، الأردن.
٦- محمد هاشم أحمد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
٧- حاتم السيد العلاني، القيروان، تونس.
٨- جاسم محمد علي، المحرق، البحرين.
٩- الخضري عبدالمنعم علي السيد، الشرقية، مصر.
١٠- حسن علي محمد حسين، صنعاء، اليمن.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١- عمر عبدالعزيز محمود سلمان، بيشاور، الباكستان.
٢- عبدالكريم طارق أحمد، الهامل، الجزائر.
٣- إدريس محمد عثمان حامد فياض، بورتسودان، السودان.
٤- ماجدة عبدالرزاق الصويص، دمشق، سورية.
٥- ديدي الطالب بويا، العيون، المغرب.

أسئلة مسابقة العدد ٢٥٨

(سؤالان فقط)

س١: اتفق العلماء على أن الرضاع يُحَرِّم الزواج بين المتراضعَيْن، ولكنهم اختلفوا في عدد الرضعات الموجبة للتحريم. اذكر قولين من أقوال العلماء في ذلك.

س٢: تعد قرطبة من حواضر الإسلام الزاهرة، وقد أنجبت عددًا من العلماء الأفذاذ. اذكر ثلاثة منهم.

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد ٢٥٨
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

لكل ساقطة لاقطة

يُضرب في الاحتراس والتحرز عند الأقوال والأفعال.

فقد يتحدث المرء في أمر فتسقط منه كلمة لو أُخذت عليه وبلغت أصحابها لأغضبتهم ونال صاحبها المكروه من أجلها. فهذه الكلمة الخارجة التي أفلتت من صاحبها تسمى ساقطة.

وبعض الناس يلقطون الكلام ويحملونه إلى غيرهم، وقد يزيدون فيه ويذيعونه فيتسببون في إعنات قائله وأذاه. ولذلك ينبغي للمرء أن يتحفظ في كلامه، ولاسيما إذا كان مسؤولاً، فإن أنفاسه تُحصى عليه، وربما لايدري كيف تُحصى، ولا يعرف من يحصيها.

حوار

قيل:
تَمَشَّى الباطلُ يومًا مع الحق فدار بينهما هذا الحوار:
قال الباطل: أنا أعلى منك رأسًا.
فقال الحق: وأنا أثبت منك قدمًا.
قال الباطل: أنا أقوى منك.
فقال الحق: وأنا أبقى منك.
قال الباطل: أستطيع أن أقتلك الآن.
فقال الحق: ولكن أولادي سيقتلونك ولو بعد حين.
قال الباطل: أنا معي الأقوياء والمترفون.
فقال الحق: *وكذلكَ جَعلنا في كلِّ قريةٍ أكابرَ مُجرميها ليمكُروا فيها وما يمكُرون إلاَّ بأنفسِهم وما يشعُرونَ*. **الأنعام**:١٢٣.

العبقرية والجنون

يروى أن فريقًا من المفكرين والأدباء الإنجليز اجتمعوا بالفيلسوف البريطاني برتراند راسل قبل وفاته بأسابيع قليلة، ودار الحديث حول العبقرية.. وهل هي ضرب من الجنون؟

وطالت المناقشة، واحتدم الجدل، دون أن يشترك راسل فيهما، وأخيرًا عندما اقتربت المناقشة من نهايتها أجمع الحاضرون على رأي واحد هو: أن العبقري لا يمكن إلا أن يكون مجنونًا، أو مصابًا بخلل ما! وبدأ المجتمعون يستعدون للانصراف، وقد يئسوا من أن يتحدث راسل في شيء؛ إلا أنهم ما لبثوا أن عادوا إلى أماكنهم مرة أخرى عندما سمعوا صوت راسل يناديهم قائلاً:

مهلاً أيها السادة. هل لي أن أسألكم ما الذي يضير العبقري إذا كان مجنونًا، أو مصابًا بخلل، ما دام هذا الرأس قد أنتج إنتاجًا فذًا؟! هل فكرتم في المحارة التي تغوصون وراءها في قاع البحر؟ هل تعلمون أنها لابد أن تصاب بخلل لكي تنتج اللؤلؤ؟

أنا شخصيًا كنت أتمنى أن أصاب بالجنون، لكي أهتدي إلى وسيلة واحدة فقط، يمكن أن تنقذ البشرية من الهلاك الذي يتهددها على يد قائد مجنون يريد أن يحكم العالم كله بالحديد والنار!

قلوب العباد

يروى أن الحسن بن علي بن أبي طالبٍ رضي الله تعالى عنهما خرج فنظر إلى النجوم تزهر، فحمد الله، وسبَّح واعتبر، ثم قال في آخر كلامه: اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك. فسمعه أبوه رضي الله عنه فقال: تطلب من الله شيئًا لم يعطه الصفوة من أنبيائه؟!
إنما قل: اللهم ليِّن لي قلوب عبادك.

عشر وصايا لإطالة العمر

نصح مدير معهد دراسات الشيخوخة بإيطاليا باتِّباع عشر وصايا لإطالة العمر للعيش بحيوية وصحة جيدة بعيدًا من الأدوية والقلق، وطالب باتباع حياة تخلو من التدخين وزيادة الوزن والتلوث، وذكر أنه يفضل زيادة نسبة الكالسيوم في الجسم، ومقاومة التوتر النفسي وكل الأسباب الداعية إليه، وتنشيط الذاكرة بالإقبال على القراءة، وأكد أن مجمل نصائحه تسعى لإطالة العمر بالاعتماد على الارتقاء بسلوك الفرد.

من عف أمن

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه لعدد من مستمعيه: من عفَّ أمن، ومن شرهت نفسه طال همه. وأظلم الظالمين لنفسه الذي إذا ارتفع جفا أقاربه، وأنكر معارفه، واستخف بالأشراف، وتكبر على ذوي الفضل.

عالم بالمصادفة

كان «جوان رودلف جلوبر» ابن حلاق من كارلشتات بالنمسا وكان مولعًا بالأسفار، وبينما كان مسافرًا إلى فينا سنة ١٦٢٥م، وقع صريع حمى شديدة تسمى الحُمى الهنغارية.

وتحت وطأة الحمى انصاع لنصيحة سكان تلك المنطقة وشرب من مياه إحدى الآبار المعدنية التي تبعد قرابة ٨ أميال عن المدينة، ودهش الرجل من سرعة شفائه من مرضه، إذ عوفي تمامًا بعد وقت قصير. وتأكد له أن الماء الذي شرب منه يحتوي على ملح شاف. وقد أثرت هذه الحادثة في حياة جلوبر العملية وغيرت مجراها حتى صار من كبار الكيميائيين في القرن السابع عشر، وسُمي ملحه الشافي «ملح جلوبر».

صيانة الوجه

قال برهان الدين الوطْوَاطُ في حكاياته العربية: لقد أحسن ابنُ شهيد كل الإحسان في قوله يصف من صان وجهه عن السؤال بقناع قناعته وكفٍّ، وصبر على مضض الاحتياج بقدر استطاعته فعفّ:

إن الكريمَ إذا نالته مخمصةٌ
أبدى إلى الناس ريًا وهو ظمآن
يطوي الضلوع على مثل اللظى حرقًا
والوجه طلق بماء البشر ريَّان!

شعرة في لقمة!!

قيل إن الصاحب إسماعيل بن عباد كان يأكل مرة مع خواصه، فرفع رجل لقمة من الإناء إلى فمه، وكان في اللقمة شعرة لم يرها

استراحة العدد

الرجل، فقال الصاحب: يا فلان أخرج تلك الشعرة من اللقمة. فوضع الرجل اللقمة من يده، وقال للصاحب: وتراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي؟! والله لا أكلت عندك أبداً!

الأم

سئل إبراهام لنكولن الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية يومًا: ما الشيء الذي يفوق الذهب في قيمته ويفوق الألماس ثمنًا؟

فقال على الفور: الصديق الوفي!

فقيل له: ومن أعظم منه؟

قال: الأم.

ويقول شكسبير: لا توجد وسادة في العالم أنعم من حضن الأم، ولا وردة أجمل من ثغرها البسّام!

أن أكون صادقًا

قيل لسقراط: إن الكلام الذي قلته عن الدنيا والحياة غير مقبول!

فقال سقراط بثبات: ليس من الضروري أن يكون كلامي مقبولاً عند هذا أو ذاك.. إنما يجب أن أكون صادقًا فيه!

ماذا يريد العامة؟

قيل إن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور توقف أيامًا عن الخروج للناس؛ فكثرت من حوله الأقاويل، فبعضهم قال: إنه عليل، وبعضهم قال: زهد في الحكم، فاضطر وزيره إلى أن يدخل عليه وقال له: يا أمير المؤمنين أدام الله لك في البقاء. إن الناس يقولون!!

قال: ما يقولون؟!

قال: يقولون: إن أمير المؤمنين عليل..

فأطرق المنصور مليًا ثم قال: ما لنا وللعامة.. إنما تحتاج العامة إلى ثلاث خصال: إذا أقيم لهم من ينظر في أحكامهم وينصف بعضهم من بعض، وإذا أمنتَ سلبهم حتى لا يلحقهم خوف في ليل ولا نهار، وإذا سدت ثغورهم وأطرافهم حتى لا يصل إليهم عدو. ونحن قد فعلنا ذلك كله فما حاجتهم إلينا؟!

من عجائب الخلق

كشف عالم بيئة أمريكي عن وجود نوع من إناث الذباب يفرز مواد كيماوية، تجعل هذه الإناث تبدو مضيئة مشرقة جذابة، وهو الأمر الذي يغري الذكور بمحاولة التزوج بها، فتقوم الإناث باصطيادها، وبعد التزوج.. تلتهمها!

خمسة أنواع من النساء

قال أعرابي: إذا أردت الزواج فابتعد من خمسة أنواع من النساء هن: الأنانة، والحنانة، والمنانة، والحداقة، والشداقة.

أما الأنانة فالتي تكثر من الأنين والشكوى بسبب وبلا سبب. وأما الحنانة فالتي تحن إلى زوج سبق، أو لا ترضى بموضعها من زوجها؛ وتقابل بينه وبين غيره من الرجال. وأما المنانة فالتي تمن على زوجها فتقول: فعلت من أجلك كذا وكذا. وأما الحداقة فالتي ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف زوجها ما لايطيق. وأما الشداقة فالكثيرة الكلام بفائدة وغير فائدة.

طلب العلم

روي أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة من العلماء يتناقشون في مسائل العلم والكلام..

فقال المأمون: يا عمّاه.. هل لك معرفة بما يقول هؤلاء؟!

فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، شغلونا في الصغر، واشتغلنا في الكبر!

فقال المأمون: فلمَ لا تتعلم اليوم؟

فقال إبراهيم: أو يحسن بمثلي طلب العلم؟

فقال المأمون: نعم.. والله لأن تموت طالبًا للعلم، خيرًا من أن تعيش قانعًا بالجهل!

فقال إبراهيم: وإلى متى يحسن بي طلب العلم؟!

قال: مادامت بك الحياة.. فالعلم هو الحياة، والجهل هو الموت!

صدقت يا غلام

يروى لنا التاريخ أن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز عندما تولى الخلافة، أسرعت إليه الوفود من كل مكان لتهنئته، وكان من بينها وفد أهل الحجاز، فتقدم من بين الوفد غلام ليتكلم، فقال عمر: ليتقدم من هو أكبر منك سنًا!

فأجاب الغلام: يا أمير المؤمنين، إن الله إذا منح عبده لسانًا لافظًا، وقلبًا حافظًا، فقد أحسن له الاختيار، ولو أن الأمر بالسن، لكان في مجلسك هذا من هو أحق منك!

فقال له عمر: صدقت يا غلام.. فتكلم!



علبة مربعة من الجزائر مطرزة بالأسلاك



يقصد الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.

وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصيدة

إن كنت

شعر: بشرى منصور

حماة، سورية.

إنْ كنت جمرًا فقدْ أشعلتُها نارا
أو كنتَ نهرًا فقد لاقيتَ أنهارا
أهديتني الشَّوكَ لنْ أهديك أزهارا
ما دُمْتَ غيثًا فلن ألقاكَ أمطارا
صمِّمْ تزدْني مَعَ التَّصميم إصرارا
قُلْ باعتذارك مهما قُلْت أعذارا
لنْ أقبل العذر لو مزَّقْتَ أستارا
أو بُحْتَ بالسرِّ ما خبأتَ أسرارا
بل فوقَ روضي زرعتَ الجوَّ أطيارا
عطَّرْتَ دربي فَرَشْتَ الدَّرْبَ أشعارا
ما قلتُ إلا وزدتُ القولَ أعشارا:
(إنْ كنتَ ريحًا فقدْ لاقيتَ إعصارا)

التعليق: قصيدة «إن كنت» للشاعرة الواعدة بشرى، محاولة شعرية جادة شكلاً ومضمونًا. فمن حيث الشكل فقد اختارت الشاعرة بحرًا لا يخوض غماره أو يمخر عبابه إلا أصحاب التجربة والخبرة من الشعراء الذين تمرسوا بكتابة القصيدة العربية الأصيلة، وقد نجحت الشاعرة في الحفاظ على الوزن العروضي الصحيح في كل أبيات القصيدة إلى حد كبير، فلم يختل منها من البداية إلى النهاية. وهذا يُحسب لها وهي مازالت حديثة التجربة الشعرية، كما أن اختيارها للألفاظ جاء موفقًا كذلك؛ فلم تُسفَّ ولم تبتذل؛ بل جاءت كلماتها معبرة، موحية، ومتجانسة مع موضوع القصيدة. فقد أكثرت من بعض الألفاظ التي تدل على الوعيد والتهديد والانتقام ثأرًا لكبريائها المجروحة، والتي تأبى أن تتنازل عنها مهما كان الحب غاليًا والمحبوب عزيزًا، ومثال ذلك: نار، الشوك، جمر، أمطار، إصرار، إعصار.

وقد خفف من حدة هذه الألفاظ مجموعة أخرى من الألفاظ الرومانسية الرقيقة مثل: نهر، أزهار، أطيار، أشعار. وهذا التضاد لا غبار عليه؛ بل يضفي جمالاً وبلاغة على موضوع القصيدة، حيث إن شاعرتنا قد ساءها ما لاقته من صدود وقسوة ممن تحب فبادلته الصد بالصد، والتصميم بالإصرار، والريح بالإعصار فكانت «المقابلة» هنا في مكانها الطبيعي. وهذه المعاني - كما أسلفت القول - إن دلت على شيء؛ فإنما تدل على الاعتزاز بالنفس والكبرياء وعدم التفريط أو التنازل حتى لو كان ثمن ذلك هو «الحب».

كما أن اللغة في القصيدة لغة سليمة فلم ترد بها تلك الأخطاء التي شاعت بين كتابات الشباب أخيرًا، ويتضح ذلك التمكن من اللغة في قولها: صمِّمْ.. تزدْني، وجزمها للفعل تزدْني.. إذًا فهناك جرس موسيقي واضح، ولغة سليمة، وألفاظ معبرة، وموضوع جيد يلائم شيم المرأة العربية وملامحها. إلا أن استخدامها لضمير المتكلم ثم الانتقال فجأة لضمير المخاطب مما يجعل المعنى أحيانًا غير واضح للقارئ، وأرجو ألا يكون هناك خطأ في ذلك عن غير قصد مثل:

لن أقبل العذرَ لو مزقتَ أستارا
أو بُحتَ بالسرِّ ما خبأت أسرارا
عطرتَ دربي فَرَشتَ الدَّربَ أشعارا
ثم: ما قلتُ.... وهكذا..

بقي أن نقول للأخت بشرى: إن الدرب مازال أمامها طويلاً وبعيدًا وصعبًا، وإذا أرادت أن تصل إلى نهايته فلابد من تعميق التجربة الشعورية والغوص في أعماق النفس الإنسانية، واختيار موضوعات أكثر جدة وحداثة، ولن يتأتى ذلك إلا بالمزيد من الاطلاع والقراءة الجادين، وتعرُّف سِيَر الشعراء القدامى والمحدثين، وأشعارهم، ثم الاغتراف من الثقافات المختلفة: العربية والأجنبية؛ العلمية منها والأدبية؛ لأن هذا ما يجب أن يميز الشاعر من الآخرين، مع تمنياتنا لها بمزيد من النجاح والإبداع.

الأخ هاني الزبيدي، كراتشي، باكستان:

قصتك التي أظن أن عنوانها «ظل حلم» هكذا بالظاء وليس بالضاد، لأنني وجدتك تضع الضاد موضع الظاء في «استيقظ» التي تكتبها في عدة أماكن من قصتك «استيقض».

كثرة الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية أفسدت قصتك الجميلة في فكرتها المتينة في بنائها الدرامي. إن تداخل الأحداث، والفكرة التي تُفَتَّق منها تفصيلات مهمة في العقد القصصي كان يمكن أن تجعل قصتك قصة مثالية لو أنها صُبَّت في قالب لغوي متين وأسلوب قصصي مناسب.. أرجو أن تنتبه إلى الأخطاء الإملائية والنحوية التي تملأ قصتك. فأنت تكتب: «لم يبالي» والصواب: «لم يبال» وتكتب: «لقد تعمدتُ أن أستخدم منبه ذا صوت عالي» والصواب: «منبهًا ذات صوت عال»، وغير ذلك من الأخطاء التي تجعل أجمل الأعمال الفنية المحكمةَ البناء رثّة المظهر ينفر منها المتلقي.

إنّ تجنب تلك الأخطاء يتطلب قراءة مستمرة في كتب النحو التعليمية ومراجعة لقواعد الإملاء البسيطة. مع تمنياتنا لك بإنتاج أفضل.

الأخت خولة حسن أبو خليفة، دمشق، سورية:

قصيدتك «التوقيع على كفن يافا» موضوعها جيد وجاد، ويدل على أنك شاعرة صاحبة رأي وفكر يجعلانك تهتمين بهموم وطنك الكبير.. الوطن العربي، واختيارك للشكل الحديث لكتابة القصيدة لا غبار عليه؛ إلاّ أن ذلك يحتاج إلى إمكانات ربما تفوق الإمكانات التي ينبغي توافرها لكتابة القصيدة العمودية.. لذا يجب مراجعة قصيدتك حيث إنك تنتقلين خلالها من بحر إلى بحر، ومن تفعيلة إلى أخرى؛ ربما دون قصد. ومع ممارستك لقراءة الشعر وكتابته يمكنك التخلص من ذلك. فإلى تجربة جديدة أكثر توفيقًا.

الأخ أحمد محمد السعدي، الطائف، السعودية:

قصتك القصيرة ما هي إلاّ مجموعة من الجمل التي تحمل تداعيات. إنّها قطعة نثر فنية تتخللها بعض الأخطاء النحوية والإملائية التي نرجو أن يتم تلافيها في محاولات قادمة، ولاسيما أن بعضها ممّا يقع فيه المبتدئون والعامة، مثل: «إنشاء الله» والصواب: «إن شاء الله».

وإن مما استرعى نظري أنك تستشهد في قصتك بمقاطع من شعر، وهذا ما نسميه «التضمين» ويتمّ ذلك عندما يكون للنص المضمَّن قيمة فنية مرجعية تغني النص وتجعله أكثر وضوحًا وفنية، وتجعل تلقيه أكثر إبداعًا ووصولاً. ولكن تضمينك لا يحمل أي قيمة فنية لأنه لا مرجع له يتكفل بإغناء النص وبزيادة درجة تلقيه.

عبدالجواد طايل



الأخ بن علو العربي، بوساطة بو باكور إبراهيم، الشلف، الجزائر:

نحيي فيك غيرتك الإسلامية، وحرصك على أن تستزيد من المعرفة، ونشكر لك ثقتك في «الفيصل»، ونأمل أن نكون عند حسن ظنك وظن الإخوة القراء الحريصين على اقتناء المجلة.

أما القصيدة التي أرسلتها فهي بدايات تحتاج إلى صقل وقراءات عميقة في عيون الشعر العربي، حتى تستوي لك الموهبة، وتنقاد إليك أدوات الإبداع الشعري. تمنياتنا لك بالتوفيق، وستصل إليك بعض أعداد المجلة، لعلها تكون عونًا لك في درب المعرفة.

الأخ م. بدوي زين العابدين بدوي، الخرطوم، السودان:

نأسف لعدم وصول الأعداد التي طلبتها إليك، وسيتم تدارك هذا التأخير إن شاء الله. وجميل جدًا أن تبادر بإرسال موضوعات في مجال تخصصك، فهذا ما نأمله من القراء والكتاب المتخصصين، لأن هذا هو السبيل إلى تبادل الأفكار والمعارف، ونبلغك شكر رئيس التحرير على ثنائك على إطلالته الشهرية.

الأخ عماد الدين محمود جميل، درعا، سورية:

تعليقك على ما جاء في باب تباشير يعد رأيًا خاصًا بك، ونحن نحترمه كثيرًا، والدكتور الناقد حين علَّق على القصيدة تناول الجوانب الفنية فيها، كما أنه ليس من الإنصاف أن توازن بين قلم واعد لا يزال يخطو خطواته الأولى في مجال الإبداع الأدبي، وأدباء كبار لهم إسهامهم البارز في هذا المجال.

الأخ محمد توفيق محمود عمر، أسيوط، مصر:

نشكر لك ما جاء في خطابك من إشادة بالمجلة، وما طلبته سيصل إليك قريبًا إن شاء الله، متمنين لك التوفيق.

الأخ خليل نقاش، ولاية ميلة، الجزائر:

ستصل إليك قريبًا ـ إن شاء الله ـ قائمة بإصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ودار الفيصل الثقافية.

الأخ خلدون الخطيب، إربد، الأردن:

نشكر لك ثقتك في المجلة، ولكن يؤسفنا إبلاغك أن المجلة غير معنية بالموضوع الذي تطرقت إليه، ونعتقد أن هناك مجلات أخرى، بالإضافة إلى وجود برامج في بعض القنوات الفضائية، تُعنى بمثل هذا الموضوع، وقد تستطيع مساعدتك.

الأخ أورير حسين، المغرب:

يبلغ سعر الأجزاء الثلاثة من معجم الأمثال العربية للأستاذ خير الدين شمسي باشا خمسة وسبعين ريالاً سعوديًا، ويرسل المبلغ على عنوان المجلة.

الأخ محمد علي حمدي، اليمن:

«الفيصل» تصل إلى اليمن بانتظام، وهناك تفكير في زيادة الكمية المخصصة لها، ونشكر لك اهتمامك بالحصول على المجلة، وستصل إليك الأعداد التي طلبتها.

الأخ عبداللطيف نمنكاني، جدة:

مشاركتك الخاصة بشهر رمضان وصلت إلينا متأخرة، كما نأمل في المرات القادمة أن يأتي موضوعك عميقًا، وليس مجرد خواطر فحسب، مكررين لك الشكر لاهتمامك بمراسلة المجلة.

الأخت أسماء بهلول، الجزائر:

هناك نشرة تعريفية عن دار الفيصل الثقافية ومجلة الفيصل سيتم توزيعها مع عدد قادم من المجلة، نأمل أن تفي بالغرض، وأن تجيب عن الأسئلة التي جاءت في رسالتك.

الأخت جميلة موسى شحادة، دمشق، سورية:

نعتذر لك مما وقع من خطأ في اسمك في باب «تباشير»، كما نعتذر لك من عدم نشر قصيدتك الجديدة، لأن كثرة ما يرد إلى هذا الباب من أعمال المواهب الأدبية الشابة، تجعل فرص النشر ضيقة، ولذا نكتفي بنشر عمل واحد للكاتب الشاب بعد إجازته، لنتيح الفرصة للآخرين، فمعذرة مرة أخرى.

الأخ زيتوني عبدالرزاق، المسيلة، الجزائر:

دفاعك عن اللغة العربية في الجزائر ينم على غيرتك على لغتك، وهو ما يستحق الإعجاب والإشادة، وهناك محاولات لعودة «الفيصل» إلى السوق الجزائرية في القريب، إن شاء الله، بعد حل بعض المشكلات المتعلقة بالتوزيع. وستصل إليك أعداد من المجلة، ونأمل أن تكون «الفيصل» دائمًا عن حسن ظنك.

الأخ أمين استانبولي، حلب، سورية:

كنا نفضل أن ترسل عنوان الأستاذ أنور الجندي، بدلاً من أن تبدي استعدادك لإعطائه لمن يطلبه، لأن هناك قراء يفضلون أن يكون التواصل بينهم من خلال المجلة، كما أن هذا يجعل الفائدة تعم. شاكرين لك اهتمامك، وآملين أن ترسل بالعنوان استجابة لما نشر في المجلة من قبل.

الأخ حفيظ أيت برنبا، أغادير، المغرب:

الطلب الذي جاء في خطابك يمكن أن تلبيه جمعيات خيرية متخصصة، وقد جاء في زاوية عناوين ذكر بعضها في أعداد فائتة، وسنذكر بعضها الآخر في الأعداد القادمة، فليتك تراسلها، داعين لك بالتوفيق في مسعاك الخير.

بين القارئ والقارئ

لما كنت أعكف على إعداد معجم عن المؤلفين العرب المعاصرين، فسأكون ممتنًا لو تفضل قراء «الفيصل» بتلبية طلبي، وتزويدي بمجموعة كتب من بينها: «الأعلام» للزركلي، «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة، «معجم المؤلفين العراقيين» لكوركيس عواد، «معجم الروائيين العرب» لسمر روحي الفيصل، «معجم الشعراء المعاصرين» الصادر عن مؤسسة البابطين، «أدبنا وأدباؤنا في المهاجر» لجورج صيدح.. وغير ذلك من الكتب المتعلقة بسير الأدباء والمفكرين والشعراء العرب وتراجمهم.

عادل خالد
زنقة ١٩ رقم الدار ١٠
مريرت، إقليم خنيفرة، المغرب.

أرغب في زيادة حصيلتي المعرفية من علوم الدين والفقه الإسلامي، وكلي أمل في أن يتفضل أحد قراء «الفيصل» الكرام بتزويدي بالكتب التالية أو بعضها: «إحياء علوم الدين»، «تفسير القرطبي»، «تفسير ابن كثير»، «تاريخ الطبري»، «تاريخ ابن الأثير».

أحمد الحمادة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة حلب، سورية.

آمل من قراء «الفيصل»، المهتمين منهم بشؤون الإخراج السينمائي والتلفازي، تزويدي بعنوان أحد المخرجين السينمائيين أو التلفازيين الكويتيين، وكذلك العنوان البريدي وأرقام الهواتف والفاكس الخاصة بالإذاعة والتلفاز الكويتيين.

عادل محفوظي
ص.ب ٢٠١، تونس العاصمة ٢٠١١.

أتوجه للإخوة القراء برغبة تبادل المقالات والأعمال الأدبية والمجلات العلمية، لما لديّ من رغبة في عمل أرشيف رياضي وجغرافي عربي وعالمي.
نأمل ممن لديه مثل هذه الرغبة مكاتبتي. مع شكري وتقديري للجميع سلفًا.

عبدالغني عبدالهادي
ص.ب ٨٥٤٥ عمان ١١١٢١، الأردن

أود الحصول على أية معلومات (مجلات، كتب، وثائق) عن جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز يرحمه الله، وجزاكم الله خيرًا.

زيانية أحمد
ص.ب ٢٦٧ السوقر، الرمز البريدي ١٤٢٠٠
ولاية تيارت، الجزائر.

ملحوظة:

تسعى هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ يوسف صالح أبو خالد، الرياض:
عنوان الدكتور صلاح محمود غانم:
قسم الأنف والأذن والحنجرة مستشفى حراء العام، مكة المكرمة.

الأخ بو حميد إبراهيم، الصحراء المغربية، المغرب
نشرت المجلة في العدد ٢٤٣ نبذة تعريفية عن جمعية الأطفال المعاقين، وذلك في زاوية «معالم من المملكة العربية السعودية» التي تُنشر في باطن الغلاف الأخير؛ والجمعية عنوانها:
جمعية الأطفال المعاقين
ص. ب ٨٥٥٧ الرياض ١١٤٩٢
هاتف ٤٥٤٣٩١٣، فاكس ٤٥٤٣٥٢١

الإخوة الذين طلبوا عناوين مؤسسة الملك فيصل الخيرية ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وجائزة الملك فيصل العالمية:

عنوان مؤسسة الملك فيصل الخيرية:
ص.ب ٣٥٢، الرياض ١١٤١١ هاتف ٤٦٥٢٢٥٥، المملكة العربية السعودية.

عنوان مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية:
ص.ب ٥١٠٤٩، الرياض ١١٥٤٣
هاتف ٤٦٥٢٢٥٥ ، فاكس ٤٦٥٩٩٩٣، المملكة العربية السعودية.

عنوان جائزة الملك فيصل العالمية:
الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية
ص.ب ٢٢٤٧٦، الرياض ١١٤٩٥
هاتف ٤٦٥٢٢٥٥، المملكة العربية السعودية.

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات الحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.



دعاية لها أبعادها الثقافية والفكرية الخطيرة!!



قرأت في مجلة «الفيصل» الغراء، في العدد ٢٥٦ مقالاً للدكتور عبدالهادي التازي - جزاه الله خيراً - يدور حول الأرقام، وقد أخذ بالفكرة الشائعة في أوربا، وهي أن الأرقام التي تستعملها الآن في حساباتها قد وصلت إليها من طريق العرب، فأسمتها لذلك «الأرقام العربية».

ونقول: هذه الأرقام ليست بعربية، بل كان أسلوب جمعها على الأسلوب العربي للأرقام.

لقد كان الأوربيون في السابق يستعملون الأرقام اللاتينية، وفيها من الصعوبة الشيء الكثير، إضافةً إلى تعدّد الرقم الواحد وتكراره. ويمكن ملاحظة ذلك من الرسم:

X - XI - IIIV - IIV - IV -V- IIII
.- III - II - I

فإذا أراد المرء أن يكتب الرقم (٨٧٤) مثلاً المؤلف من أربعة أرقام احتاج إلى أن يكتب أحد عشر رقماً IIIVIIVIIII، فإن أراد كتابة رقم أكبر احتاج إلى سطرٍ كاملٍ مع تقسيم مجموعة كل رقم إلى عددٍ معينٍ من الخطوط التي يتألف منها الرقم حتى يمكن قراءة العدد. ونتيجةً لهذه الصعوبة والتعقيد فكّروا بالتغيير، ولاسيما بعد أن عرفوا الأرقام العربية وسهولتها، فصاغوا على شاكلتها، مع بعض التغييرات؛ فتارة تكون مشابهة كرقم (١) ورقم (٩)، وتارةً تكون مقلوبةً كرقم (٦)، ومرة ثالثةً تكون مائلة كرقم (٧)، وربما تكون نائمة مع حذف خط كرقم (٣)، وقد يُضاف خط أو يُوصل بين طرفين و......

وعلى هذا فالأرقام الأوربية ليست هي الأرقام العربية، بل أوجدها الأوربيون على نمط العربية وأسلوبها، مع محاولة التقليد.

وعندما بدأت أوربا باستعمال أرقامها كان يُقال: الأرقام التي على الطريقة العربية من باب إعطاء الصفة، وتمييزها من اللاتينية، وربما قيل اختصاراً: «العربية».

ولما كان عصر التفوق الأوربي وعمّ استعمالها، زادت تسميتهم لها بالعربية؛ فحمل ذلك القول من يتمسّك بالقشور، والأقوال الفارغة، والمباهاة دون جدّ وسعي، ليفخر أن أرقام أوربا عربية.

وذكر الدكتور عبدالهادي التازي أنه حصل على وثيقة عربية تعود إلى القرن العاشر الهجري (الرابع عشر الميلادي)، وهي رسالة وجّهها السلطان أبو العباس الوطاسي إلى جان الثالث ملك البرتغال، ويرجع تاريخها إلى ٢٤ صفر ٩٣٢ هـ (١٠ كانون أول ١٣٢٥م)، وتحمل الأرقام الأوربية دلالة على استعمالها من قبل العرب.

وهذه الرسالة كُتبت في عصر الضعف العربي والإسلامي فلا يُنظر إليها، وهي موجهة إلى ملك كافر، ومن سلطان ضعيف إلى ملك قويّ، وهذا لا يمنع من أن ترسل بلغته، وحسب تقويم بلاده.

وحبذا لو رجع الدكتور - جزاه الله خيراً - إلى النسخ الأولى لمخطوطات كتاب الله، القرآن الكريم، ولينظر بأية أرقام رقمت صفحات الكتاب، فهي أقدم عهداً، وأدق تعبيراً، وأجلّ توثيقاً، وأكبر معنى.

واستغل الدكتور التازي شيوع هذه الأرقام الأوربية دولياً فقال: «إن استعمال الأرقام (العربية) ملائم للاستخدام الدولي الذي نحياه من الصباح إلى المساء..». وكنت أتمنى أن يكون أكثر اعتزازاً بأمته، وفخراً بلغتها التي هي أفضل اللغات، وكفى أنها لغة كتاب الله القرآن الكريم. وبعد مدة سيظهر من يقول: إن اللغة الإنجليزية أصبحت لغةً دوليةً فما يمنع من استخدامها مادامت لغة العلم، واللغة السائدة دولياً؟ وإنه يوجد من يقول هذا ليتخلّص من لغة القرآن مكراً، وعداوةً. وقد ظهر في الشام من دعا لاستخدام اللغة السريانية. وظهر في مصر من دعا لاستخدام اللغة الهيروغليفية. كل ذلك في سبيل العصبية القومية، وفي سبيل إبعاد لغة القرآن من سكان البلدان الإسلامية وإبعادهم منها.

وعندما ظهر التفوق الأوربي، وزاد الضغط على المسلمين، ورُسمت المخططات لتغيير الهوية الإسلامية، وشخصية الأمة كثر القول: إن الأرقام التي تستخدم في أوربا عربية. إن هذا القول ليس اعترافاً من أوربا بفضل العرب، بل هو مكر وخبث لنقلنا تدريجيا نحوها، ونحو ثقافة تبدأ بالأرقام، وتنتقل إلى الأبجدية. ويوجد - ويالأسف - بيننا من يقبل بهذا، ويحمله ويتبنّاه، مادام يُقال: إنها عربية، عصبية، وجهلاً، وخفّةً.

ويأتي بعد مدة من يقول: إن الأبجدية التي تُستخدم في أوربا هي من أصلٍ عربيٍّ. فالأبجدية تسمّى ALPHABET أي مأخوذة من (ألف باء تاء). وإن الأحرف أكثريتها مشابهة للأحرف العربية، ولننظر إلى بعضها:

حرف اللام (لـ) L
حرف الجيم (ج) J
حرف النون (ن) N
حرف السين (س) S
حرف الكاف (ك) K
حرف الدال (د) D
حرف الياء (ي) Y
وهي آخر الأحرف في اللغتين.

وكثير من الأحرف الأخرى يمكن أن نجد فيها تشابهًا، فهل يكفي هذا لندعو لاستعمالها، ونترك لغة القرآن، ونتخلّى عن شخصيتنا؟!

صحيح أن أوربا قد اتخذت أرقامها على أسلوب الأرقام العربية في الاختصار، وحاولت وضعها على شاكلة الأرقام العربية، لذا أسمتها عربيةً، لتمييزها من أرقامها السابقة وهي اللاتينية، وأخذت تشيع ذلك مكرًا ودهاءً ليحمل هذا المغفلون، والذين تأخذهم العصبية مادامت تحمل اسم «عربية»، وبعدئذ يستعملها المسلمون، فينقطع حاضرهم عن ماضيهم المشرق، وتذوب شخصيتهم في بوتقة الحضارة الغربية المادية. وبالصورة نفسها يسعى المستعمرون لإدخال لغتهم وأبجديتهم إلى اللغات الأخرى، ومنها العربية، وربما كانت أولها، لنشر ثقافتهم، واحتواء غيرهم ضمن ثقافتهم وحضارتهم.

إن الأرقام العربية الحقيقية التي تُستعمل في المشرق العربي قد رقمت بها مخطوطاتنا كلها، وهي وثائق لاتعادلها وثائق، هذه الأرقام قد امتزجت بالحضارة الإسلامية، وأصبحت سمةً من سماتها، وجزءًا من شخصيتها، ومظهرًا منها، بل هي عنوانها، وتتميّز بها، فهل نتخلّى عنها، ونهدم كل شيء في كياننا لمجرد شائعة أوربية أن الأرقام التي تستعملها أوربا هي الأرقام العربية، وذلك مكرًا، وتخطيطًا، ودهاءً؟!

إن الدعاية للأرقام الأوربية على أنها عربية لهي ذات أهداف خطيرة جدًا، ولها أبعادها الثقافية، والفكرية، والسياسية، والدينية.

زار الرياض الأستاذ المهندس «العربي بو عياد» الأستاذ في جامعة مدينة «فاس» قادمًا من المغرب لحضور مهرجان «الجنادرية» فالتقيت به، فدار الحديث عن الأرقام.

قلت له: لو كنت في أحد مطارات أوربا، ونظرت إلى واحد هناك يكتب مسائل رياضية، فهل يجذب انتباهك إن كان يستعمل الأرقام الشائعة في المغرب؟ فأجاب بالنفي، وقال: ذلك لأن تلك الأرقام هي المستعملة في أوربا، وأمريكا و.......

قلت: وهل يجذب انتباهك لو كان يستعمل الأرقام المشرقية؟

قال: يجذب انتباهي، وأحكم عليه أنه عربي، وأغلب الظنّ أنه مسلم، وأحرص على السلام عليه، والتعرّف إليه لما بيننا من أخوة.

قلت: إذن هذه الأرقام العربية المستعملة في المشرق، مرتبطة بحضارتنا، وشخصيتنا، وعلينا الحفاظ عليها، والتزامها، وكل محاولة مخالفة لهذا تُعدّ شَرَكًا لنا لإبعادنا من ماضينا، وخطةً لدمجنا في حضارة غربية عنا، ولإذابة شخصيتنا في فرن عدوّنا.

وأعرف الأستاذ «العربي بو عياد» باتباعه الحق، وعدم تعصبه لإقليم، أو منطقة، أو للهجته، أو الأرقام التي يستعملها، وقد صدق حدسي فيه، فقال: صدقت، وسأعمل لهذا جاهدًا في المغرب ـ إن شاء الله ـ.

وأخيرًا أرجو من سعادة الدكتور زيد ـ حفظه الله ـ إغلاق باب هذا النقاش، والعمل على تذكير من أخطأ فوقع في شرك الدعاية بإشاعة أن الأرقام المستعملة في أوربا هي عربية، ويجب الحث على استعمالها، وظنّي أنه سيعود إلى الحق كل من يُفكر بالموضوع جيدًا، ويترك التعصب لما اعتاده.

محمود شاكر
الرياض.

إشارات ولمحات.. حول العدد ٢٥٣



استمتعت كثيرًا، واستفدتُ أكثر في أثناء قراءتي عدد المجلة الغراء رقم ٢٥٣ المتلئ بالموضوعات الشائقة، والمقالات المتينة في معناها ومبناها، وبالإضاءات العلمية الجديدة، وبالزوايا المثيرة، التي ما فتئتْ تضيفُ إلى رصيدنا المعلوماتي الكثير، وتغمرُ قلوبنا شعورًا بالبهجة الثقافية بأساليب أدبية، وأرجو أن تسمحوا لي ببعض الإشارات أو اللّمحات التي انطبعت لديّ حول هذا العدد:

* «طفلٌ يقيم دعوى لإصابته بالصلع في أثناء الولادة».. عنوان أحد موضوعات باب «العالم قريتي». سبحان الله.. ما أعجب هذا العصر، مفارقةٌ محزنة، هذا الطفل يُقيم دعوى على الطبيب الذي أخطأ ـ أو يُعتقد أنه أخطأ ـ

في أثناء ولادة هذا الطفل مما تسبب في فقدانه جزءًا من شعر رأسه.. وينتصرُ المسؤولون للطفل.. فيكسب الدعوى أو يكاد.. لكنّي أتساءل: من يأخذ بحقِّ الآلاف - بل الملايين - من الأطفال الذين دمّرت الحروب الشرسة مساكنهم، وفرّقت شمل أهلهم، وتركتهم نهبًا للأمراض، وفريسة للجوع والفقر والضياع؟ أمَّن يُعيد الحياة الطيبة البريئة للأطفال الذين تخطّفتهم يدُ الظلم والجبروت ليُباعوا في أسواق الدعارة والفساد.. وليُستخدموا في تهريب المخدرات والخبائث أو لترويجها، ويُستَغلّوا في الأعمال الشاقة المضنية التي لا يقدر عليها إلا الرجال الأشدّاء؟!

لقد حُرم هؤلاء الأطفال من أبسط حقوقهم في العيش الكريم وفي الطفولة السعيدة والحياة الآمنة. وعلى الرغم من إنشاء بعض المنظمات والمؤسسات التي تدعو إلى إنقاذ البراعم الإنسانية من براثن التسلُّط والعدوان وعدم الإنسانية، وتدعم مشاريع تتعلّق بهذه الدعوة؛ إلا أن الآثار الإيجابية بطيئة الظهور قليلة التأثير.. وتحتاج إلى زيادة في تكاتف الجهود، والعمل الدؤوب من جميع أفراد المجتمع ومنظماته لعلها تستعيد بعض الحقوق المهدرة لهؤلاء الأطفال في لقمة هنيّة، وفي أمنٍ يشملهم، وفي رحمة تحوطُهم، وأيدٍ حنونة تُشعرهم بالاطمئنان؛ وإلاّ فقد يكونونَ وبالاً على مجتمعاتهم إذا كبروا وكبرت معهم بذرة الرغبة في الانتقام من هذا المجتمع الذي أذاقهم العلقم وحرمهم من الطفولة المشرقة. بالإجرام والتدمير سيثأرون.. وربما يكلّف هذا الثأر البشرية الكثير. وإذا كبروا فلن يكونوا أعضاء صالحين يسهمون في بناء أممهم ودفعها إلى التقدم والحضارة على طريق الخير والسلام..

* «عروبتي» قصيدة للشاعرة فاطمة حداد (ص٦٥).. هُناك خطأٌ طباعي في أول شطر من البيت الأول، وهو في قولها: «عشقتُ تراب بلادي».. والصواب - والله أعلم - أن تُحذف ألفُ «تراب» لتُصبح «تُرْبَ».. وهكذا يستقيم البيت ومعناه.. والمعذرة على هذا التطفُّل فلستُ عروضيًا بارعًا.. ولكن قارئ متذّوق للأدب وأريد لما يكتب وينشر في مجلّتي الأثيرة أن يكون في أقصى درجات الكمال والصحة والدقة - وجميع القراء يوافقونني على هذا -، وذلك لتكتمل فرحة النفس بجمال محتويات مجلتنا الرصينة «الفيصل».

* أقفزُ الآن إلى باب «المناقشات» لأقرأ تعليق القارئ أحمد العيثان على ردّ الأستاذ عبدالعزيز العسكر على المهندس عبدالمقصود السعيد بشأن اقتراح وجوب تعلُّم اللغة العبرية وكذلك إدراجها في مناهج التعليم بجميع المراحل، فالعيثان يؤيد السعيد في طرحه، وعلى عكس العسكر يقول العيثان: «ليس بالضرورة أن نكون مُعجبين بها لمجرد تعلمنا لها، وليس بالضرورة أننا مقتنعون بها، ولكن الأوضاع الراهنة تُحتّم علينا أن نفهم هذه اللغة.. لنتمكن من مسايرة الأحداث...». أما أنا فأقول - وبالله التوفيق -: إنّ الصهاينة جذورهم قديمة.. هُم اليهود القُدماء الذين تجذّر حقدهم على العرب والمسلمين وكادوا لهم من عصور سابقة.. إذًا هُم ليسوا عدوًا جديدًا علينا، فقد حاربناهم.. وسنحاربهم.. حتى يخرجوا أذلة صاغرين من ثالث الحرمين الشريفين - طال الزمن أم قَصُر - وسيُطْرَدون من أرض العرب التي احتلوها عنوةً بمباركة الدول المسيطرة، وبمعاونة من انسلخ من عروبته وولائه ووفائه للإسلام أولاً ثم لأرضه وقومه ثانيًا.. ولذلك فتعلُّم لغتهم ليس فرض عين على كل عربي؛ بل يُكتفى بتخصيص مؤسسة أو منظمة لذلك يُكلّف فيها متبحرون في العبرية العمل على ترجمة كتبهم ومتابعة ما ينشرونه في وسائل إعلامهم، على أن تكون هذه المنظمة متصلة بحكومات الدول العربية اتصالاً مباشرًا، للاستفادة من معلوماتها التي وفّرتها لعمل ما تراه مناسبًا.

ونحن نعرف نواياهم - أي اليهود - وخداعهم المستمر.. ولو أبدوا لك البشاشة الزائفة وعقدوا العهود والمواثيق الكاذبة، وربُّما قصد العيثان - في ما قاله - القولَ بأنّ من تعلمَ لغة قوم أمنَ مكرهم.. وهذا صواب.. ولكنَّ المسلمين لم يأمنوا مكرهم ولن يفعلوا؛ سواء تعلموا العبرية أم لم يفعلوا.. والدليل تلك الاعتداءات المتكررة على الدول العربية من قبل اليهود وأعوانهم.. وأقول لإخوتي الأعزاء: لماذا لا ندعو إلى التركيز في تدريس الطلاب العرب على الغوص والتعمق في تراثنا الأصيل ولغتنا العربية التي لا ينضب معينُ ثرائها؟ بل لماذا لا نكثف الموادّ التقنية ليكونوا أقدر على الابتكار ولنُسابقَ بهم ركبَ الحضارة التقانية، وليكونوا سلاحَ الأمة في مواجهة التحديات المحيطة بها؟ ولماذا لا ننمي وَعْيهم ونُفتّح مداركهم على ما يُنصَب لهم من فخاخ الغزو الثقافي ولما يُخطّط لهم من مؤامرات تسعى إلى النيل من إسلامهم وثقافتهم وأخلاقهم، ونحثّهم على عدم الانخداع بمبادئ مُضلة ودعوات مسمومة كالعولمة وسلام الأديان - ودين الإسلام هو الدين الحق - وكالتحرُّر والاختلاط والديمقراطية الزائفة وغيرها؟ كل هذا بدلاً من زيادة عبئهم الدراسي بموادّ تدريس اللغة العبرية السقيمة التي اندثرت لفقرها، ثم أعاد اليهود إحياءها بعد أن أضافوا إليها، وحذفوا منها، وعدّلوا فيها كثيرًا.. وكما أثبت العسكر: «أما العبرية فلا ينطق بها إلا ما يُقارب ثلاثة ملايين تجمعوا في فلسطين من أنحاء العالم بينما لُغاتهم الأصلية ولغة ما عندهم من طقوس دينية هي الإنجليزية وغيرها..».

ختامًا: الخلافُ لا يُفسد للودّ قضية.. وكُلّنا نلتقي عند هدف الحرص على مستقبل الأمة الإسلامية والعربية وعلى بلادها.. وتعددّ الآراء يُفضي إلى الاستنارة ويَدُلُّ على الوعي..

وشكري الجزيل لكل قارئ ولكل كاتب يكتب في المجلة.. وتقديري للعاملين في هذا الصرح الثقافي المنير.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد أحمد الزهراني
الظهران ٣١٢٦١، ص.ب ٧٣٣٠
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن



الترجمة والتعريب.. سِفْرٌ من كتاب الأحزان!!

أثار مقال «التعريب وقضايا المصطلح العلمي» - المنشور في العدد ٢٤٨ -، لديَّ شجونًا كثيرة تتعلق بقضايا التعريب لتيسير استخدام المصطلح العلمي الأعجمي للناطقين بالضاد. وعاد بي الفكر إلى الماضي القريب، إلى ما يقرب من عشرين عامًا، وبالتحديد إلى مقاعد الدراسة الجامعية في جامعة دمشق، حين كان كتاب «تشريح الجسم الإنساني» المقرر على طلبة الطب آنذاك، يحتوي إلى جانب كل تسمية تشريحية لعظام الجسم على مصطلحات علمية معادلة باللغات: اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والعربية القديمة والعربية الحديثة أقرّتها لجنة توحيد المصطلحات الطبية التابعة لاتحاد الأطباء العرب.

وعلى سبيل المثال فقد تحوَّلت تسمية العظم القَفَوي OCCIPITAL BONE إلى: العظم القَذالي، والثلمة الأنفية NASAL MARGIN إلى: الحافة الأنفية، والقَنزعة الجبهية FRONTAL CREST إلى: العُرف الجبهي.. وهكذا أصبح لدينا في لغتنا الحبيبة تسميتان متغايرتان (قديمة وحديثة) لكل مصطلح تشريحي، مما يؤدي إلى فرض أعباء على الطالب، بينما لغات العالم لا تحوي سوى تسمية واحدة.

وقد يكون عذر اللجنة الموقرة التي أقرت المصطلحات الحديثة إيجاد تعبير أكثر دقة من القديم، أو أن لها غايات علمية أخرى لا نعلمها ولا ندري كنهها. وكم كان حَريًا بهذه اللجنة أو ما يماثلها تعريب كثير من المصطلحات العلمية الأعجمية وإيجاد مقابل لها بلغة الضاد؛ تلك التي تقبع - وقد طال انتظارها - في أضابير المجامع اللغوية المنبثّة على مساحة الوطن العربي الغالي، والتي يعمل سدَنتها بسرعة السلحفاة لا يُؤرِّق مضجعهم أي معكِّر، مع أن المسؤولية في التعريب وإقرار المصطلحات الجديدة تقع على عواتقهم.

لقد قام أجدادنا الأطباء العرب القدامى بقلب الكثير من المفهومات الطبية التي كانت قبلهم، فبعد أن كان الطب، بتأثير من مدرسة أرسطو وأفلاطون وأبقراط، يخضع للمعادلات الفلسفية والمنطقية دون التجربة، يبدو لنا طبيب الإسلام دون منازع: أبو بكر الرازي (ت٣١٣ هـ ـ ٩٢٥م) رائدًا للمنهج التجريبي منطلقًا منه إلى المبادئ والنظريات، وكان يجرِّب العقاقير الجديدة على الحيوانات قبل أن يصفها للمريض من بني البشر. فهل نعجز نحن - الأبناء والأحفاد - عن مجاراتهم في إيجاد تعابير علمية وافية بالغرض دون لبس أو إبهام على الأقل؟!

د. محمد فؤاد الذاكري
ص.ب ١٢٦٨٤، حلب، سورية.



الحمام صديق الشعراء

قرأت في العدد ٢٤٧ مقالة بعنوان «الحمام في الشعر العربي» في باب «أقوال وخواطر» للدكتورة نوره صالح الشملان. وقد أعجبت كثيرًا بما قدمته المقالة - على قصرها - من أمثلة على العلاقة بين الشعراء ذوي النفوس المرهفة، وطائر الحمام الوديع الذي وصفه الجاحظ في كتابه الشهير «الحيوان» بقوله: «من كرم الحمام الأنف والأنس والنزاع والشوق؛ وذلك يدل على ثبات العهد، وحفظ ما ينبغي أن يحفظ».

وهذه الصفات تجعل الشعراء يصادقون الحمام صداقة حميمة؛ فيناجونه، ويبثونه أحزانهم ولوعة أنفسهم. قال توبة بن الحميّر:

حمامة بطن الواديين تَرَنَّمي
سقاك من الغر الغوادي مطيرها
أبيني لنا لازال ريشك ناعمًا
وبيضك في خضراء غضّ نضيرها

ولا تقتصر علاقة الصداقة بين الشعراء والحمام على المناجاة فحسب؛ بل تتعدى ذلك إلى الافتداء.. فلربما وجد شاعر حمامة جائعة فأطعمها، أو مجروحة فداواها، أو مأسورة في شباك صياد أو قفص بائع فاشتراها وأطلقها معيدًا لها حريتها.. وهو أعرف الناس بقيمة الحرية لدى الحمام. وهذا

ما حدث مع المنازي البنديجي الشاعر (وبنديج قصر بالرافقان بين بغداد وحُلوان) عندما مرَّ بسوق باب الطاق ببغداد؛ فاسترعت انتباهه حمامة تنوح في قفص بائع فاشتراها وأطلقها وهو يناجيها:

ناحت مُطوَّقةٌ بباب الطاق
فجرى سوابق مدمعي المهراقِ
كانت تفرِّخ بالأراك وربما
كانت تفرِّخ في فروع الساقِ
فأتى الفراق بها العراق فأصبحت
بعد الأراك تنوح في الأسواق
فُجِعَتْ بأفرخها فأسبل دمعها
إنّ الدموع تبوح بالمشتاقِ
فشريتها لما سمعت حديثها
وعلى الحمامة عدتُ بالإطلاق
بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي
من فكَّ أسرك أن يحلَّ وثاقي

هذه أمثلة من صداقة الشعراء مع الحمام.. هذا الطائر الجميل الذي أصبح يرمز هذه الأيام للسلام.

حسان محمد ديب العوض
ص.ب ٣١٩٠، حمص، سورية.

أسباب نكوص الأدب المقارن العربي



كم كنت سعيدًا عندما طالعت بشغف مقالة الدكتور عبده يونس عبود بعنوان «الأدب المقارن العربي.. إلى أين؟» في العدد ٢٤٩. وكم كنت سعيدًا أكثر عندما عدت إلى بعض المصادر والمراجع والإحالات التي أشار إليها د. عبود في نهاية المقالة فتأملتها مليًا، وعشت بين سطورها ساعات.

ويمكن لي أن أعيد سعادتي إلى سببين اثنين:

الأول: السرد السلس والإيجاز المثمر والمعبر لمشكلة أدبية قائمة، وبإلحاح يجدر معه أن يكون هناك حلٌّ لها يشارك فيه النقاد المعنيون والجهات المختصة في الوطن العربي، وعدم تركها تذهب أدراج الرياح.

والثاني: حبي واهتمامي الشديد بالأدب المقارن. حيث إنه لا يمكن لأمة أن تقارن أدبها بآداب أمم أخرى ما لم يرقَ أدبها إلى مراتب عالية ومميزة بين الآداب العالمية.

يقول د. عبود: إنه من الناحية الإنتاجية لم يحقق الأدب المقارن العربي، بعد مرحلة الاندفاع التي عاشها في أوائل الثمانينيات وأواسطها، النقلة النوعية المرتقبة لا نظريًا ولا تطبيقيًا.

وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على أن الأدب المقارن العربي في المرحلة التي أشار إليها د. عبود علا خطه البياني وقتها؛ ومن ثم وصل إلى مرحلة نشطة وفعالة. فلماذا - وأنا مع د. عبود - هذا النكوص الذي حدث بعد تلك المرحلة التي حددها واستمر إلى الآن؟ ألا يجدر بكل الجهات المختصة والنقاد المعنيين أن يراجعوا أنفسهم ويفرغوا قليلاً من الوقت لعقد مؤتمر ما أو ندوة ما أو أي نشاط يتعلق بالموضوع؟ ثم أين الرابطة العربية للأدب المقارن؟ ولماذا كل هذا الوهن الذي أصاب مسيرة الأدب العربي المقارن؟

في نهاية المقالة لخص د. عبود السبل المطلوبة لتجديد مسيرة الأدب العربي المقارن:

١- أن يراجع أسسه وأدواته النظرية وأن يطوّرها باستمرار، وأن يستوعب لهذا الغرض كلّ ما يستجد في العلوم الإنسانية وعلوم الثقافة من مناهج واتجاهات وفكر ونتائج، خصوصًا في علوم المجتمع وعلم النفس وعلوم اللغة وغير ذلك من العلوم، فهذا التفاعل هو الضمانة الحقيقية لئلا يتخلف الأدب المقارن نظريًا وألا يصاب بالجمود.

٢ - ألا يقع الأدب المقارن في شرك النخبوية الأكاديمية، التي تحصره في برج عاجي، وتمنعه من التعامل مع القضايا الثقافية الساخنة، وتحكم عليه بالتهميش.

٣ - أن يحافظ المقارنون على منابر ومؤسسات التواصل العلمي الاختصاصي العائدة إليهم، وأن يطوّروها ويفعّلوها. وأبرزها الكونفدرالية الدولية للأدب المقارن AILC والرابطة العربية القطرية للأدب المقارن، وما تصدره تلك المؤسسات من دوريات ومنشورات.

أخيرًا أؤكد أنه يجب أن يزول هذا الداء، ويجب أن تدب الحياة من جديد في أوصال هذا الجسد المقطع للأدب المقارن العربي؛ فتتضامّ أجزاؤه، وتجري الدماء في عروقه ويتحرك للتعبير عن ذاته.

فلاح أسعد
ص.ب ٨٩٣، دمشق، سورية.



د. محمد بن عبدالرحمن الربيّع في «منتدى الفيصل» .

نبذة من سيرته :

- من مواليد الرياض ١٣٦٦هـ.
- حاصل على الدكتوراه في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.
- عمل مدرسًا بمعهد مكة المكرمة العلمي ١٣٨٨هـ، ومعهد الرياض العلمي ١٣٨٩هـ، ومديرًا للدراسات والمعلومات بالنيابة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٣٩٥هـ، ومديرًا للبعثات بالنيابة بالجامعة نفسها ١٣٩٦هـ، وأستاذًا مساعدًا ١٣٩٩هـ، وأستاذًا مشاركًا بقسم الأدب بكلية اللغة العربية ١٤٠٥هـ، وعميدًا للبحث العلمي ١٤٠٥-١٤١١هـ، ورئيسًا لتحرير مجلة الجامعة للبحوث العلمية، ومستشارًا في الأمانة العامة لمجلس التعليم العالي، ومستشارًا غير متفرغ بوزارة الإعلام.
- يعمل حاليًا وكيلاً لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي.
- عضو في عدد من المجالس واللجان العلمية، فهو:

أمين مجلس الجامعة، ورئيس المجلس العلمي بها. عضو لجنة الموسوعة العربية الإسلامية. رئيس لجنة تطوير مناهج كلية اللغة العربية. عضو اللجنة العلمية لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة. عضو هيئة تحرير مجلة «الدراسات الدبلوماسية» التي يصدرها معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية. عضو هيئة جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج. عضو اللجنة العلمية لدارة الملك عبدالعزيز. عضو مجلس أمناء معهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن. عضو مراسل لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

- شارك في عدد كبير من الندوات والمؤتمرات العلمية في المملكة والدول العربية والأجنبية؛ وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.
- له دراسات ومقالات منشورة في الدوريات المحلية، ويشارك في بعض البرامج الإذاعية، وفي المراجعة العلمية لعدد من الكتب العلمية والمدرسية.
- له أكثر من ثلاثين كتابًا تتوزع بين محقق ومؤلف ومترجم، منها: «بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية»، «تاريخ المملكة العربية السعودية»، «الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره»، «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت»، «محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية»، «معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد»، «نشأة إمارة آل رشيد»، «توحيد المملكة العربية السعودية» (ترجمة)، «من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية» (ترجمة)، «مواد لتاريخ الوهابيين» (ترجمة)، «اللغة العربية في العصر الحديث»، «قصص البخلاء وحكاياتهم: دراسة ونصوص»، «جذور الأدب المقارن في تراث الجاحظ»، «أدب المهجر الشرقي»، «من أدب الشعوب الإسلامية»، «خمائل وأزهار»، «ديوان أبي الحسن التهامي» (تحقيق)،
- له ثلاثة دواوين شعر: بوح الشباب، وعودة الغائب، ولا تسلني.

ومن آرائه :

• إن الأدب العربي قد شرَّق وغرَّب، فعرفنا عن الأدب المهاجر إلى الغرب الشيء الكثير، وقصرنا عن معرفة الأدباء العرب الذين شرَّقوا، واستوطنوا المشرق والشرق الأقصى؛ وظلوا يحنون إلى موطن العرب وإلى الجزيرة العربية. فما أحرى أبناء هذه الجزيرة بأن يقوموا بالواجب، ويقدموا لنا دراسات علمية وأدبية جادة عن (أدب المهجر الشرقي)، وإنا لمنتظرون..

خمائل وأزهار ص ١٨٦.

• وما دمنا نتحدث عن الاستشراق فلنختم الموضوع بالدعوة إلى حركة علمية مضادة للاستشراق في الاتجاه، مستفيدة منه في التخطيط، وأعني بها المحاولة الجادة لفهم (الغرب)، وأسباب تقدمه، وتفوقه، وعوامل ضعفه، وموقفه من المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيه، وموقفه من الحركات الإسلامية والنشاط الإسلامي العام، وهو ما يُطلق عليه علم (الاستغراب)؛ أي دراسة الغرب في مقابل (الاستشراق)؛ أي دراسة الشرق وشؤونه وأحواله.

من قضايا البحث العلمي ص٩٤.

• يجب العناية بإعداد الباحث السعودي الشاب في وقت مبكر جدًا، وهذا لن يتم على الوجه الأكمل إلا إذا عوّدنا الطلاب - منذ المراحل التعليمية المبكرة - القراءة والبحث والتلخيص، وأكثرنا من المسابقات البحثية الصغيرة بين طلاب التعليم العام، وعودناهم ارتياد المكتبات والبحث عن المعلومات، لأن ذلك يساعد على الاكتشاف المبكر للمواهب والقدرات العلمية، حتى إذا ما وصل الطالب إلى المراحل الجامعية لم يفاجأ بمادة (البحث)، وما يطالب به من إعداد البحوث الجامعية. وما الضعف الظاهر في بحوث طلاب المرحلة الجامعية إلا نتيجة لعدم العناية بالبحوث الصغيرة والجزئية في مراحل التعليم العام.

من مقدمة كتاب من قضايا البحث العلمي ص٩.

• كيف نُدَرِّس مواد اللغة العربية لطلبة أقسام الإعلام؟! وهل وظفنا المادة اللغوية التي تُقَدَّم لهم لخدمة التخصص في الإعلام؟

هل استطعنا تطوير مواد تخدم العربية والتخصص معًا؟ أين البلاغة الإعلامية؟ أين الخصائص الأدبية لمواد الإعلام؟ أين الأصول النقدية للحديث الإذاعي والتلفازي؟ أين الأخطاء الشائعة في لغة الصحافة؟ أين تعريب المصطلحات الإعلامية؟ تساؤلات لازلنا بعيدين عن الإجابة عليها. فلا زلنا نقدم المواد اللغوية لطلبة الإعلام كما نقدمها لطلبة أقسام اللغة العربية، وإن حصل اختلاف فهو في الكم.. وما هكذا تورد الإبل..

اللغة العربية في العصر الحديث ص٧٧.

• وفرق كبير بين الالتزام والإلزام، فالالتزام نابع من ذات الأديب الملتزم، أما الإلزام فهو ناتج عن القهر والتعسف وغلبة العوامل الخارجية على طبع الأديب، مما يجعله ينتج أدبًا خاليًا من الروح ومن حرارة الإيمان ووهج العقيدة وصفاء النفس..

خمائل وأزهار ص١٤٨.

• دعوة صادقة أوجهها إلى من يكتبون لأطفالنا بأن يلتفتوا إلى تراثنا الخالد وما فيه من قصص البطولة والفداء، فينهلوا من معينه، ويستلهموه، ويعيدوا صياغته، وتقديمه، فذلك خير من هذا الغثاء والتخريف الذي لا يربي جيل المستقبل ولا يربطه بأمجاد أمته الخالدة.

خمائل وأزهار ص٢٠٠.

خرافة معاداة السامية

د. بدوي طبانة

أصبح من المتعارف المألوف في أيامنا تلك الكلمة التي نسمعها كثيرًا، ونقرؤها كثيرًا، وهي عبارة «معاداة الساميّة». وهي وصف ابتدعه يهود هذا الزمان، ولا يملون من ترديدها في كلامهم وفي كتاباتهم، وكأنها شعارهم الذي ينبزون بها كل من يخالفهم في الرأي، أو يحاول أن يكشف عن باطلهم، وعما يقترفون من بغي وفساد، وإفساد للمجتمعات الإنسانية، وعدوان على الشعوب الآمنة، وانتهاب لأوطانها، وأكلهم أموال الناس بالباطل، ولايتورعون في سبيل تحقيق مآربهم عن استخدام أي سلاح، فهم أهل الخديعة والغدر، ونقض المواثيق والشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، وكل ما تنكره شرائع الحق، وتنفر منه الفضيلة التي تعارف عليها البشر في كل زمان ومكان. وكثيرًا ما يتجاوزون ذلك إلى إزهاق الأرواح، وإلى الولغ في الدماء.

وليس ليهود هذا الزمان من غاية وراء دعواهم «معاداة الساميّة» التي يلوكونها بألسنتهم، وتجري بها أقلامهم إلا أن يظهروا للعالم أنهم المستضعفون في الأرض، المغلوبون على أمرهم في عالم يزدريهم ويكيد لهم، وهم كما يقولون: «شعب الله المختار» وهم عبدة الجن، وإخوان الشياطين، ودعواهم أنهم «شعب الله المختار» أي إنهم أهل الحفاظ على شريعة الله الذين ينبغي لهم أن يتسلطوا على كل ما خلق الله!.

ومن عجب أن هؤلاء اليهود يخصون أنفسهم بكل حديث عن «السامية» يريدون أن يقولوا: إن معاداتهم معاداة للجنس كله.

والسامية منسوبة إلى سام بن نوح، وكل ساميّ منسوب إليه.

وتحكي التوراة - وهي كتابهم - أن رسو سفينة نوح كان على جبال «أراراط» ذلك المكان الأول الذي وضع فيه سام بن نوح قدمه أول لحظة بعد أن جفت الأرض من مياه الطوفان التي غمرتها.

ثم تعود التوراة فتتحدث عن أبناء سام وقد جاؤوا من الشرق إلى المكان الذي أقيمت فيه مدينة بابل، فشرعوا في بناء هذه المدينة وتشييد برجها الكبير. غير أن الرب غضب عليهم وبلبل ألسنتهم وفرقهم في البلاد بعد أن جاء أبناء سام الأول نازحين إلى بابل من جنوب أرمينية. وأرجح الأقوال في ذلك أن الجماعة الأولى من الساميين هي الجماعة العربية، وأن مهد الساميين الأول هو مهد هذه الجماعة العربية في نجد والحجاز والعروض واليمن، وما والى هذه البقاع، ومنها جميعًا ابتدأت الهجرة السامية الأولى إلى شمالي الجزيرة العربية حيث مساكن العرب واليهود، إلى فلسطين وسورية ومشارف الشام والعراق حتى تخوم بلاد إيران، ثم إلى بلاد الحبشة ووادي النيل.

وإذا كانت هذه هي الحقائق التي يقررها التاريخ ويقول بها علماء الأجناس، وتشهد بها التوراة التي يقول اليهود إنها كتابهم الذي يؤمنون به؛ فلم يؤثر اليهود أنفسهم بالسامية، ويملؤون الدنيا صراخًا وعويلاً، ويرددون الشكوى بأنهم المقهورون، والمغلوبون على أمرهم، ويتهمون أمم الأرض بمعاداتهم والكيد لهم؟!

والذي يقلب صفحات التاريخ، ويمعن النظر فيها يعرف أنهم أعداء الإنسانية، وأنهم مفسدون في الأرض، فهم قتلة الأنبياء، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوي أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون، ويزعمون أن التوراة تبيح لهم أو تأمرهم بسفك الدماء، وإزهاق الأرواح لكل من ظنوه عدوًا لهم، ولقد تناقلت وكالات الأنباء منذ قريب كلمة لرئيس دولة إسرائيل عيزرا وايزمان قال فيها وأكد أن بعض العبارات التي وردت في التوراة لا تستحق أن تقرأ، بل ينبغي حذفها، وهو يشير بذلك إلى العبارات التي تدين أعداء الشعب اليهودي، وتحرض على القضاء عليهم بإغراقهم في حمام من الدماء! وقد أثارت كلمة رئيسهم ثائرة اليهود، وهددوا بمعاقبته، والإصرار على رفض اختياره رئيسًا لدولتهم إذا حان موعد انتخاب رئيس جديد لدولة إسرائيل. واليهود اليوم كما كانوا قبل اليوم أعداء الإنسانية، وأعداء السلام، وكثر ما يبرمون من المواثيق، وسرعان ما ينقضونها! ولقد كان «مارتن لوثر» على حق حينما خاطبهم بقوله: «يا أبناء الأفاعي» لما رأى من بغيهم وفسادهم وولوعهم بإيذاء الناس. وإذا كان اليهود يعتون كل من يتصدى لهم، ويكشف عن مخازيهم بأنه عدوّ لهم، أو عدو للسامية، كما يزعمون، فإنهم - مذ كانوا - عدوّ لشعوب الأرض قاطبة.

ولقد عبّر القرآن الكريم في أصدق مقالة، وأوجز عبارة عن هذه العداوة بقول الله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المائدة: ٨٢. ألا ترى كيف قرنهم الله تعالى بالمشركين، وقدمهم عليهم في عداوتهم للمؤمنين من عباد الله؟!

ويؤكد التاريخ المعاصر أن اليهود ما يزالون أشد أهل الأرض بغيًا وفسادًا وضلالاً وإفسادًا. ولسنا في حاجة إلى شاهد يؤكد نقضهم للعهود والمواثيق بعد أن رأينا كيف أقاموا لهم دولة في أرض العرب بفلسطين، وما قتلوا من أهلها، وما شردوا من أصحابها بالحديد والنار. وما يزالون سادرين في غيهم، يأبون أن يعيدوا لهم شيئًا من حقوقهم التي ضيعوها، وأرضهم التي اغتصبوها أو حرياتهم التي أهدروها.

وقد ابتدع اليهود نوعًا غريبًا من السلام، سمّوه «سلام الردع» أي سلام البطش والطغيان.

وإذا غضب العرب أو ثاروا لكرامتهم وصفوهم بالهمجية والوحشية والإرهاب!.

وقد ثبت بالأدلة القاطعة من الأحداث التاريخية أن اليهود هم أساتذة الإرهاب في العالم كله، وقد جاء ما يؤكد ذلك في كتاب صدر حديثًا عنوانه «تاريخ الإرهاب» الذي ألفه الكاتب السويدي «بيورن كوم»، وأكد فيه أن اليهود هم أول شعب مارس الإرهاب المنظم في التاريخ، بتشكيل تنظيم سري لاغتيال رجال الحكم الروماني في فلسطين، وإشاعة الرعب والفوضى في المنطقة بهدف السيطرة عليها. ووصف هذا الكتاب اليهودَ بأنهم شعب عريق في مجالي الإرهاب والجاسوسية، مؤكدًا أن الممارسات الحالية ضد الفلسطينيين لا تختلف عن فظائعهم ضد الكنعانيين تحت الحكم الروماني.

وأوضح أن «الوكالة اليهودية» التي أنشأتها المنظمة الصهيونية عام ١٩٢٠م كان لها جهاز خاص للتجسس، وله فروع في جميع أنحاء الدول العربية والأوربية. وفي عام ١٩٣٧م تحول جهاز التجسس بقيادة ابن جوريون إلى منظمة مستقلة تمامًا، تحولت بدورها في عام ١٩٤٠م إلى أخطبوط سري يضم مخبرين وعملاء بجميع مدن فلسطين وقراها، ويقوم بشن حملات للإرهاب، وإشعال حروب صغيرة في البلاد العربية والأوربية.

ولعل هذا يكشف عن الأسرار الكامنة وراء تلك الفتن المتلاحقة التي تتعرض لها الأوطان العربية بين حين وحين، فتعصف بأمنها، وتمزق وحدتها، وتحول بين الإفادة من مواردها التي يسّرتها لها عناية الله، وتعوقها عن متابعة مسيرتها في سبيل الخصب والرخاء، وتصدها عن الانطلاق في طلب التقدم والنماء.